



مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

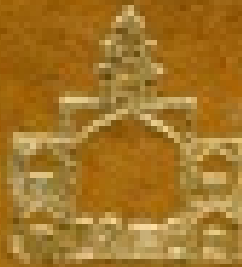
اصبهان

للعلوم



عمر  
عليه السلام

www. **Ghaemiyeh** .com  
www. **Ghaemiyeh** .org  
www. **Ghaemiyeh** .net  
www. **Ghaemiyeh** .ir



١٤١

# الحياة السياسية

للإمام الرضا عليه السلام

مؤلف: محمد باقر المجلسي

مترجم: محمد باقر الأنصاري

الطبعة الأولى: ١٣٤٠ هـ - ١٩٢١ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# الحياة السياسية للإمام الرضا عليه السلام

كاتب:

سيد جعفر مرتضى عاملى

نشرت فى الطباعة:

جامعه مدرسين

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

## الفهرس

٥	الفهرس
٢٢	الحياة السياسية للامام الرضا(ع)
٢٢	اشارة
٢٢	الإهداء
٢٢	مقدمة الطبعة الثانية:
٢٢	اشارة
٢٣	هذا الكتاب:
٢٣	الجديد في الكتاب:
٢٣	تنبيه و ختام.
٢٣	تقديم:
٢٤	تمهيد
٢٤	صلة الماضي بالحاضر و المستقبل:
٢٥	لما ذا كان تدوين التاريخ:
٢٥	و نحن ... هل نملك تاريخاً؟! ...
٢٦	و من تلك الأحداث ...
٢٦	و بدافع من الشعور بالواجب ...
٢٧	تقسيم الكتاب ... باختصار ...
٢٧	القسم الأول ممهدات ...
٢٧	اشارة
٢٧	قيام الدولة العباسية
٢٧	العلويون في الماضي البعيد ...
٢٨	العرش الأموي في مهبط الريح ...
٢٨	و أما في زمن مروان ...

- ٢٩ ..... من خلال الاحداث ...
- ٢٩ ..... و كان نجاح العباسيين طبيعيا ...
- ٢٩ ..... اشارة
- ٣٠ ..... الخط الأول:
- ٣٠ ..... الخط الثاني:
- ٣١ ..... الخط الثالث:
- ٣١ ..... دولة بنى العباس في صحيفة ابن الحنفية:
- ٣٢ ..... متى بدأ العباسيون دعوتهم، و كيف؟
- ٣٣ ..... مدى سرية الدعوة:
- ٣٥ ..... لا بد من ربط الثورة بأهل البيت ...
- ٣٦ ..... المراحل التي مرت بها عملية الربط:
- ٣٦ ..... اشارة
- ٣٦ ..... المرحلة الأولى:
- ٣٨ ..... المرحلة الثانية ...
- ٣٩ ..... المرحلة الثالثة:
- ٣٩ ..... اشارة
- ٣٩ ..... ملاحظات لا بد منها في المرحلة الثالثة:
- ٣٩ ..... اشارة
- ٤٠ ..... أ:
- ٤٢ ..... ب:
- ٤٣ ..... ج:
- ٤٣ ..... د:
- ٤٤ ..... المرحلة الرابعة:
- ٤٩ ..... دعوى الأخذ بثارات العلويين:

- ٥١ ..... نهاية المطاف ...
- ٥١ ..... مصدر الخطر على العباسيين
- ٥٢ ..... العلويون هم مصدر الخطر:
- ٥٢ ..... تخوف العباسيين من العلويين:
- ٥٣ ..... خوف المنصور من العلويين
- ٥٤ ..... خوف المهدي من العلويين:
- ٥٥ ..... خوف الرشيد من العلويين:
- ٥٦ ..... و أما في زمن المأمون!!
- ٥٦ ..... عقدة الحقرة لدى العباسيين:
- ٥٦ ..... في مواجهة الخطر:
- ٥٧ ..... سياسة العباسيين ضد العلويين:
- ٥٧ ..... مما سبق:
- ٥٧ ..... تطوير نظرية الارث:
- ٦٠ ..... تشجيع الخلفاء لهذا الاتجاه:
- ٦١ ..... الامام على في ميزان الاعتبار:
- ٦١ ..... استغلال لقب المهدي:
- ٦٢ ..... و كل ذلك لم يكفهم:
- ٦٣ ..... موقف كل خليفة منهم على حدة:
- ٦٣ ..... اشارة
- ٦٣ ..... أما السفاح:
- ٦٤ ..... و أما المنصور:
- ٦٥ ..... و أما المهدي:
- ٦٦ ..... و أما الهادي:
- ٦٧ ..... و أما الرشيد:

- ٦٩ ..... و أما المأمون:
- ٦٩ ..... و الشعراء أيضا قد قالوا الحقيقة:
- ٧٠ ..... نصوص اخرى:
- ٧١ ..... و المأمون أيضا يعترف:
- ٧١ ..... جانب من رسالة الخوارزمي لأهل نيشابور:
- ٧٤ ..... سياسة العباسيين مع الرعية:
- ٧٥ ..... نظرة عامة:
- ٧٦ ..... تفصيل مواقف الخلفاء مع الرعية:
- ٧٦ ..... اشارة:
- ٧٦ ..... أما السفاح:
- ٧٧ ..... و أما المنصور:
- ٧٧ ..... اشارة:
- ٨٠ ..... بعض ما يقال عن المنصور:
- ٨٠ ..... و أما المهدي:
- ٨٠ ..... و أما الهادي:
- ٨١ ..... و أما الرشيد:
- ٨٢ ..... و أما الأمين:
- ٨٣ ..... و أما المأمون:
- ٨٣ ..... وصية ابراهيم الإمام:
- ٨٤ ..... أبو مسلم ينفذ الوصية:
- ٨٥ ..... و لا مجال ثمة للشك:
- ٨٥ ..... و بعد فلا بد لنا من كلمة اخرى:
- ٨٦ ..... العباسيون في حياتهم الخاصة:
- ٨٦ ..... و في نهاية المطاف:



- ٨٧ ..... فشل سياسة العباسيين ضد العلويين
- ٨٧ ..... سؤال لا بد منه:
- ٨٧ ..... أما الجواب:
- ٨٨ ..... و لعل الأهم من ذلك كله:
- ٨٨ ..... التشيع للعلويين:
- ٩٠ ..... الخطر الحقيقي:
- ٩٠ ..... و يبقى هنا سؤال:
- ٩٠ ..... و نتيجة كل ذلك:
- ٩١ ..... القسم الثاني ظروف البيعة و أسبابها:
- ٩١ ..... اشارة
- ٩١ ..... شخصية الامام الرضا عليه السلام
- ٩١ ..... لمحات:
- ٩٢ ..... فأما علمه، و ورعه و تقواه:
- ٩٢ ..... و أما مركزه و شخصيته (ع):
- ٩٤ ..... و أما ما جرى في نيسابور:
- ٩٤ ..... و ها نحن أمام نصوص اخرى:
- ٩٥ ..... و في نهاية المطاف:
- ٩٦ ..... من هو المأمون؟
- ٩٦ ..... لمحات:
- ٩٦ ..... ميزات و خصائص:
- ٩٧ ..... ما يقال عن المأمون:
- ٩٨ ..... شهادة ذات أهمية:
- ١٠٠ ..... آمال المأمون و آلامه
- ١٠٠ ..... العباسيون لا يرضون بالمأمون!!

- ١٠٠ ..... سؤال قد تصعب الاجابة عليه:
- ١٠٠ ..... الجواب عن السؤال:
- ١٠١ ..... أما المأمون:
- ١٠٢ ..... مركز الأمين هو الأقوى:
- ١٠٣ ..... محاولات الرشيد لصالح المأمون:
- ١٠٤ ..... مركز المأمون ظل في خطر:
- ١٠٤ ..... و المأمون و حزبه كانوا يدركون ذلك:
- ١٠٥ ..... و الرشيد أيضا كان في قلق:
- ١٠٥ ..... على من يعتمد المأمون؟
- ١٠٦ ..... موقف العلويين من المأمون:
- ١٠٦ ..... موقف العرب من المأمون، و نظام حكمه:
- ١٠٨ ..... لا بد من اختيار خراسان:
- ١٠٨ ..... تشيع الايرانيين:
- ١٠٩ ..... ما هو سرّ تشيع الايرانيين؟
- ١١٠ ..... عود على بدء:
- ١١٠ ..... كيف يثق العرب بالمأمون!؟
- ١١١ ..... قتل الأمين و خيبة الأمل:
- ١١٢ ..... المأمون في الحكم:
- ١١٢ ..... أما سياسته مع العرب:
- ١١٢ ..... و الايرانيون أيضا لم يكونوا أحسن حالا:
- ١١٣ ..... المأمون مع الرعية عموما:
- ١١٣ ..... و ما ذا بعد الوصول إلى الحكم:
- ١١٤ ..... الموقف الصعب:
- ١١٤ ..... ثورات العلويين ... و غيرهم:

- ١١٦ ..... الزعيم العباسى الأول يعترف: .....
- ١١٦ ..... دلالة هامة: .....
- ١١٧ ..... عود على بدء: .....
- ١١٧ ..... الناس لم يبايعوا المأمون كلهم بعد: .....
- ١١٨ ..... المأمون يدرك حرجة الموقف: .....
- ١١٩ ..... ما ذا يمكن للمأمون أن يفعل: .....
- ١١٩ ..... ظروف البيعة و أسبابها .....
- ١١٩ ..... إنقاذ الموقف!! كيف؟! .....
- ١٢٠ ..... لا بد من الاعتماد على النفس: .....
- ١٢١ ..... أى الاساليب أنجع: .....
- ١٢١ ..... خطة المأمون: .....
- ١٢١ ..... اشارة .....
- ١٢٢ ..... نراه من جهة ثانية .....
- ١٢٥ ..... و أيضا ... لا بد من خطوة أخرى. ....
- ١٢٥ ..... لم يبق إلا خيار واحد: .....
- ١٢٥ ..... مع رسالة الفضل بن سهل للامام: .....
- ١٢٦ ..... ملاحظات لا بد منها: .....
- ١٢٧ ..... ملاحظات هامة: .....
- ١٢٧ ..... اشارة .....
- ١٢٧ ..... أ: .....
- ١٢٧ ..... ب: .....
- ١٢٨ ..... ج: .....
- ١٢٨ ..... د: .....
- ١٢٨ ..... هـ: .....

- ١٣٠ ..... و:-
- ١٣٠ ..... أهداف المأمون من البيعة:
- ١٣٠ ..... اشارة
- ١٣١ ..... الهدف الأول:
- ١٣١ ..... الهدف الثاني:
- ١٣٢ ..... الهدف الثالث:
- ١٣٣ ..... الهدف الرابع:
- ١٣٣ ..... اشارة
- ١٣٤ ..... إشارة هامة لا بد منها:
- ١٣٥ ..... الهدف الخامس:
- ١٣٦ ..... الهدف السادس:
- ١٣٦ ..... الهدف السابع:
- ١٣٦ ..... اشارة
- ١٣٨ ..... ملاحظة هامة:
- ١٣٨ ..... الهدف الثامن:
- ١٣٨ ..... اشارة
- ١٣٨ ..... أ:-
- ١٣٩ ..... ب:-
- ١٣٩ ..... ج:-
- ١٤٠ ..... د:-
- ١٤٤ ..... ه:-
- ١٤٥ ..... الهدف التاسع:
- ١٤٦ ..... الهدف العاشر:
- ١٤٧ ..... الهدف الحادي عشر:

- ١٤٧ ..... اشارة
- ١٤٧ ..... ملاحظة لا بد منها:
- ١٤٨ ..... سؤال و جوابه:
- ١٤٩ ..... رأى الناس فيمن يتصدى للحكم:
- ١٥٠ ..... العلويون يدركون نوايا المأمون:
- ١٥١ ..... موقف الامام فى مواجهة مؤامرات المأمون:
- ١٥١ ..... المأمون فى قفص الاتهام:
- ١٥٢ ..... مع المأمون فى وثيقة العهد:
- ١٥٣ ..... كلمة أخيرة:
- ١٥٣ ..... أسباب البيعة لدى الآخرين:
- ١٥٣ ..... أحمد أمين المصرى، و أسباب البيعة:
- ١٥٤ ..... آراء أحمد أمين فى الميزان:
- ١٥٥ ..... رأى غريب آخر فى البيعة:
- ١٥٦ ..... و فريق آخر يرى:
- ١٥٦ ..... و لكنه رأى لا تمكن المساعدة عليه:
- ١٥٧ ..... الفضل فى قفص الاتهام:
- ١٥٧ ..... الفضل برىء من كل ما نسب إليه:
- ١٥٩ ..... موقف الإمام من الفضل ينفى نسبة التشيع له:
- ١٥٩ ..... و المأمون نفسه يستنكر ذلك:
- ١٦٠ ..... أما حصيلة هذه الجولة:
- ١٦١ ..... الفضل يقع فى الشرك
- ١٦٢ ..... لما ذا الاصرار على اتهام الفضل
- ١٦٢ ..... احتمال وجيه جدا
- ١٦٣ ..... القسم الثالث أضواء على الموقف:

- ١٦٣ ..... اشارة
- ١٦٣ ..... عرض الخلافة، و رفض الامام (ع).....
- ١٦٣ ..... نصوص تاريخية
- ١٦٤ ..... قبول ولاية العهد بعد التهديد
- ١٦٤ ..... مع محاولات المأمون لاقتناع الإمام
- ١٦٥ ..... بعض ما يدل على عدم رضا الإمام (ع).....
- ١٦٦ ..... أما الباحثون و غيرهم فيقولون
- ١٦٦ ..... مدى جدية عرض الخلافة
- ١٦٦ ..... عرض الخلافة ليس جدتيا ..
- ١٦٧ ..... الاجابة على السؤال الأول
- ١٦٨ ..... المأمون يرتبك في تبريراته
- ١٦٩ ..... مع تبريرات المأمون تلك
- ١٦٩ ..... الامام يدرك أهداف المأمون من عرض الخلافة
- ١٧٠ ..... و يبقى هنا سؤال
- ١٧٠ ..... و الجواب
- ١٧٠ ..... أولا:
- ١٧٢ ..... و ثانيا:
- ١٧٣ ..... و ثالثا:
- ١٧٣ ..... و فى النهاية
- ١٧٤ ..... موقف الامام (ع):
- ١٧٤ ..... سؤال يطرح نفسه:
- ١٧٤ ..... لا يرضى الإمام (ع)، و لا يقتنع المأمون:
- ١٧٥ ..... هى قضية مصير:
- ١٧٦ ..... مبررات قبول الإمام لولاية العهد:

- ١٧٧ ..... هل الإمام راغب فى هذا الأمر: .....
- ١٧٨ ..... فالسلبية اذن هى الموقف الصحيح: .....
- ١٧٩ ..... لا بد من خطة لمواجهة الموقف: .....
- ١٧٩ ..... خطة الامام (ع) .....
- ١٧٩ ..... انحراف الحكام: .....
- ١٧٩ ..... العلماء المزيفون و عقيدة الجبر: .....
- ١٨٠ ..... عقيدة الخروج على سلاطين الجور: .....
- ١٨٠ ..... و الذى زاد الطين بله: .....
- ١٨١ ..... الأئمة فى مواجهة مسؤولياتهم: .....
- ١٨١ ..... و أما عن الامام الرضا بالذات: .....
- ١٨١ ..... الخطة الحكيمه: .....
- ١٨١ ..... مواقف لم يكن يتوقعها المأمون: .....
- ١٨١ ..... اشارة .....
- ١٨١ ..... الموقف الأول: .....
- ١٨٢ ..... الموقف الثانى: .....
- ١٨٢ ..... اشارة .....
- ١٨٢ ..... شكوك لها مبرراتها: .....
- ١٨٢ ..... الموقف الثالث: .....
- ١٨٢ ..... الموقف الرابع: .....
- ١٨٢ ..... اشارة .....
- ١٨٣ ..... مدى ارتباط مسألة الولاية بمسألة التوحيد: .....
- ١٨٤ ..... الإمام ولى الأمر من قبل الله، لا من قبل المأمون: .....
- ١٨٥ ..... الإمام يبلغ عقيدته لجميع الفئات: .....
- ١٨٦ ..... تعقيب هام و ضرورى: .....

- الموقف الخامس: ..... ١٨٧
- الموقف السادس: ..... ١٨٧
- الموقف السابع: ..... ١٨٨
- اشارة ..... ١٨٨
- أما ما يتعلق بصحة خلافة المأمون: ..... ١٨٨
- و أما أن الخلافة حق للإمام (ع) دون غيره: ..... ١٨٨
- المأمون يعترف بأحقية آل على بالأمر: ..... ١٨٩
- الاكذوبة المفضوحة: ..... ١٩٠
- الموقف الثامن: ..... ١٩٣
- اشارة ..... ١٩٣
- و إذا كان لا بد من كلمة: ..... ١٩٧
- ملاحظات هامة: ..... ١٩٨
- حقا ... إنها للعبقرية السياسية: ..... ١٩٨
- الموقف التاسع: ..... ١٩٩
- اشارة ..... ١٩٩
- ١- السلبية تعنى الاتهام: ..... ١٩٩
- ٢- رفض الاعتراف بشرعية ذلك النظام: ..... ١٩٩
- ٣- النظام القائم لا يمثل وجهة نظره فى الحكم: ..... ٢٠٠
- ٤- لا مجال بعد للمأمون لتنفيذ مخططاته: ..... ٢٠٠
- ٥- الإمام ... لا ينفذ ارادات الحكم: ..... ٢٠١
- ٦- لا زهد أكثر من هذا: ..... ٢٠١
- الموقف العاشر: ..... ٢٠٢
- اشارة ..... ٢٠٢
- ١- الأثر العاطفى، و القاعدة الشعبية: ..... ٢٠٣



- ٢- لما ذا يجازف المأمون بارجاعه (ع): ..... ٢٠٣
- الموقف الحادى عشر: ..... ٢٠٤
- الحكم ليس امتيازاً و إنما هو مسئولية: ..... ٢٠٥
- و فى نهاية المطاف نقول: ..... ٢٠٦
- القسم الرابع من خلال الأحداث ..... ٢٠٦
- اشارة ..... ٢٠٦
- مع بعض خطط المأمون ..... ٢٠٦
- التوجيهات الراضية غير مقبولة: ..... ٢٠٦
- المأمون يفضح نفسه: ..... ٢٠٧
- و الذى يعنينا الحديث عنه هنا: ..... ٢٠٧
- لما ذا على البصرة فالأهواز: ..... ٢٠٨
- الإمام يرفض كل مشاركة تعرض عليه: ..... ٢١٠
- الاختبار لشعبية الإمام (ع): ..... ٢١٠
- سؤال ... و جوابه: ..... ٢١١
- و أما كتبه لفضائل الإمام (ع): ..... ٢١١
- الشائعات الكاذبة!! ..... ٢١٢
- التركيز على افحام الامام (ع): ..... ٢١٣
- و حتى مع الامام الجواد قد حاول ذلك: ..... ٢١٤
- ملاحظة لا بد منها: ..... ٢١٥
- الإمام يقول: المأمون سوف يندم: ..... ٢١٥
- الاقتراح العجيب: ..... ٢١٦
- موقف بغداد من المأمون و البيعة للرضا (ع): ..... ٢١٦
- و أما نصب ابن شكلة: ..... ٢١٧
- المأمون ... هو الذى ينقل لنا اقتراحه العجيب: ..... ٢١٨

- ٢١٨ ..... و لما ذا هذا العرض:
- ٢١٩ ..... المأمون يتحرك نحو بغداد بنفسه:
- ٢١٩ ..... لكن المأمون لم يكن يثق بالعباسيين:
- ٢١٩ ..... و لا كان واثقا من سكوت الامام (ع):
- ٢٢٠ ..... كيف يخرج المأمون من المأزق إذن!؟
- ٢٢٠ ..... تصفية الإمام (ع) جسديا:
- ٢٢١ ..... قضية حمام سرخس:
- ٢٢١ ..... مقتل الفضل بن سهل:
- ٢٢٢ ..... ظاهرة قتل الوزراء:
- ٢٢٢ ..... لا بد من العودة الى سنة معاوية:
- ٢٢٣ ..... نبوءة الإمام (ع) قد تحققت:
- ٢٢٤ ..... الحقد الدفين:
- ٢٢٤ ..... كاد المريب أن يقول: خذوني.
- ٢٢٤ ..... و مع غض النظر عن كل ما تقدم:
- ٢٢٤ ..... و الذى نريده هنا:
- ٢٢٥ ..... الأسئلة التى لن تجد جوابا:
- ٢٢٦ ..... كاد المريب أن يقول: خذوني:
- ٢٢٦ ..... ما يقال حول وفاة الامام (ع)
- ٢٢٦ ..... ما ذا ترى بعض الفرق فى الحكام:
- ٢٢٦ ..... انعكاسات هذه العقيدة على التراث:
- ٢٢٧ ..... إخفاء كل الحقائق عن الأئمة عليهم السلام:
- ٢٢٨ ..... و يبقى هنا سؤال:
- ٢٢٨ ..... سرّ اهتمام الخلفاء بأهل العلم:
- ٢٢٩ ..... و يتفرع على ما سبق:

- ٢٢٩ ..... عود على بدء:
- ٢٣٠ ..... ما عشت أراك الدهر عجبا:
- ٢٣١ ..... قول فريق آخر من المؤرخين:
- ٢٣١ ..... رأى فريق ثالث فى ذلك:
- ٢٣٢ ..... و رأى آخر يقول:
- ٢٣٢ ..... و رأى فريق خامس يقول:
- ٢٣٣ ..... ملخص ما سبق:
- ٢٣٣ ..... آفة ذلك: هل هو الجهل، أم التعصب:
- ٢٣٤ ..... نحن ... و ما يقوله هؤلاء:
- ٢٣٦ ..... و بعد ... فعلى المكابر: أن يجيب على السؤال التالى:
- ٢٣٧ ..... رأى الفريق السادس: رأى الحق:
- ٢٣٩ ..... صدى قتل الرضا فى نفس زمن المأمون:
- ٢٤١ ..... و فى الشعر أيضا نجد ما يدل على ذلك:
- ٢٤١ ..... الإمام و أبأؤه عليهم السلام يخبرون بشهادته:
- ٢٤٢ ..... و حتى الزيارة تؤكد على استشهاده (ع):
- ٢٤٢ ..... القمة الشامخة الخالدة:
- ٢٤٣ ..... دعبل و المأمون!!:
- ٢٤٣ ..... الموقف الجرىء
- ٢٤٤ ..... كلمة ختامية:
- ٢٤٤ ..... و فى الختام:
- ٢٤٤ ..... الإكتار من النصوص التاريخية فى الكتاب:
- ٢٤٤ ..... رجاء و اعتذار:
- ٢٤٤ ..... شكر و تقدير:
- ٢٤٥ ..... رسالة نقد، و جوابها

- ٢٤٥ ..... اشارة
- ٢٤٥ ..... أما نحن فنقول:
- ٢٤٧ ..... وثائق هامة
- ٢٤٧ ..... اشارة
- ٢٤٧ ..... رسالة الفضل بن سهل الى الامام (ع)
- ٢٤٧ ..... هذه الرسالة:
- ٢٤٨ ..... نص الرسالة:
- ٢٤٩ ..... وثيقة ولاية العهد
- ٢٤٩ ..... مصادر الوثيقة:
- ٢٤٩ ..... نص الوثيقة:
- ٢٥٢ ..... الشهود على الجانب الأيمن:
- ٢٥٢ ..... الشهود على الجانب الأيسر:
- ٢٥٣ ..... رسالة المأمون الى العباسيين
- ٢٥٣ ..... مصادر الكتاب:
- ٢٥٣ ..... نص الكتاب:
- ٢٥٦ ..... رسالة عبد الله بن موسى الى المأمون
- ٢٥٦ ..... النص الأول للرسالة:
- ٢٥٧ ..... و ثمة نص آخر:
- ٢٥٨ ..... رسالة سفيان الى هارون
- ٢٥٨ ..... مصادر الرسالة:
- ٢٥٨ ..... مناقشة لا بد منها:
- ٢٥٨ ..... نص الرسالة:
- ٢٥٩ ..... قصيدة الأمير أبي فراس الحمداني
- ٢٦٠ ..... نقاط رئيسية:

- ٢٦٠ ..... ولاء ... و شجاعة:
- ٢٦٠ ..... و القصيدة هي:
- ٢٦٢ ..... فهارس الكتاب:
- ٢٦٢ ..... اشارة:
- ٢٦٢ ..... مصادر الكتاب:
- ٢٦٥ ..... تعريف مركز القائمة باصفهان للتحريات الكمبيوترية:

## الحياة السياسية للامام الرضا(ع)

### اشارة

نام كتاب: الحياة السياسية للامام الرضا عليه السلام  
 نويسنده: جعفر مرتضى العاملى  
 وفات: معاصر  
 تعداد جلد واقعى: ١  
 زبان: عربى  
 موضوع: امام رضا عليه السلام  
 ناشر: جامعه مدرسين  
 مكان نشر: قم  
 سال چاپ: ١٤١٦ ق  
 نوبت چاپ: سوم

### الإهداء

إليك يا أعز من فى الوجود على ... يا من تعيش لأجلى، و تشعر بالامى، و تحس بمشاكلى ... دون أن أراك، و دون أن أعرف  
 مكانك، بل و حتى دون أن أفطن فى كثير من الأحيان لوجودك ...  
 إليك يا أملى الحى، الذى يمدنى بالقوة، و يجدد فى العزيمة ...  
 و يا قبس الهدى و النور، الذى لولاه لكنت أعيش فى الظلام، ...  
 ظلام الوحدة، و الحيرة، و الضياع ...  
 إليك. يا من تملأ الأرض قسطاً، و عدلاً، بعد ما ملئت ظلماً، و جوراً ...  
 إليك ... يا سيدى، و مولاي، يا صاحب الزمان ... أرفع كتابى هذا ...  
 راجيا منك القبول ...  
 جعفر.

الحياة السياسية للامام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٧

### مقدمة الطبعة الثانية:

### اشارة

بسم الله الرحمن الرحيم و الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على أشرف الخلق و أعز المرسلين، محمد و آله الطيبين  
 الطاهرين.  
 و بعد:

فهذه هى الطبعة الثانية لهذا الكتاب، نخرجها إلى القراء الكرام، بعد حوالى ثلاث سنوات من ظهور طبعته الاولى، التى نفذت نسخها

بسرعة.

وانتى إذ أعتزّ باقبال القراء على هذا الكتاب، لا يسعنى إلا أن أقف موقف التقدير و الاكبار لهذه الرغبة الصادقة منهم فى الاطلاع و المعرفة، و هو أمر يبعث على الأمل، و يبشر بمستقبل مشرق إن شاء الله تعالى ...

### هذا الكتاب:

لقد جاء التفكير فى هذا الكتاب فى نفس الوقت الذى نشرت فيه مجلة لبنانية مقالا لبعض السطحيين، من طالبى الشهرة و المال!! يتهجم فيه على ساحة قدس الإمامين العظمين: الحسن المجتبى عليه السلام؛ لصلحه مع معاوية ...

و الامام الرضا عليه السلام؛ لقبوله بولاية العهد، من قبل المأمون العباسى ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٨

فاما قضية الصلح فقد كان قد بحثها الباحثون، و اهتم بها العلماء و المؤرخون، و كشفوا عن جانب كبير من ظروفها و ملاساتها؛ و من هنا فقد انصبّ اهتمامى آنئذ على بحث قضية ولاية العهد، و التى كان البحث فيها شاقا و صعبا للغاية، لاسباب لا يجهلها من له أدنى اطلاع على واقع الكتب التاريخية، و مؤلفيها، و ظروف تأليفها ...

و لعل ذلك المقال نفسه أيضا، قد كان هو الحافز لسماحة العلامة البارع، السيد محمد جواد فضل الله رحمه الله، ليكتب كتابه الشيق، الذى أسماه:

«حياة الامام الرضا (ع)»، و عقد فيه فصلا للحديث عن ولاية العهد أيضا؛ فشكر الله سعيه، و تغمده برحمته، و جزاه خير جزاء المحسنين ...

### الجديد فى الكتاب:

و أودّ أن أشير هنا، إلى أنه ... إما لسوء حظى، أو لحسن حظّ القارئ!! لم تنهيا لى الفرصة لاعادة النظر فى الكتاب من جديد، بشكل يسمح لى بالتعديل و التطوير فيه؛ و لذا فقد اكتفيت باصلاح كثير من الأخطاء المطبعية، مع زيادات طفيفة، لا تكاد تذكر.

### تنبيه و ختام.

و بعد هذا ... فإننى أود أن انبه: على أن كلمة «التشيع» الواردة فى هذا الكتاب لا يراد بها المعنى الخاص إلا نادرا ... كما أن المقصود من كلمة: «علوى» و «علويين» هو كل من يتصل نسبه بأمر المؤمنين على بن ابى طالب صلوات الله و سلامه عليه و على ابنائه الطيبين الطاهرين ...

و فى الختام ... فإننى أعود فأكرر رجائى الأكيد من كل القراء الكرام أن يكتبوا الى بملاحظاتهم، و وجهات نظرهم، و أنا لهم من الشاكرين.

و الحمد لله، و له المنه، و به الحول، و عليه التكلان.

٢٢ / ١ / ١٤٠٠ هـ . ق.

جعفر مرتضى الحسينى العاملى

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٩

### تقديم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ\* و الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على خير خلقه أجمعين، محمد و آله الطيبين الطاهرين: و بعد:

فقد كان هذا الكتاب نتيجة دراسة استمرت ثلاث سنوات ما بين مد و جزر ... و هو يبحث في ظروف و أسباب حدث تاريخي هام في التاريخ الاسلامي ... ألا و هو: «أخذ البيعة للامام الرضا عليه السلام بولاية العهد للمؤمن» ... و رغم الأهمية البالغة لهذا الحدث، و كونه جديرا بالدراسة، و البحث، و التمحيص ... فاننا رأينا المؤرخين و الباحثين - و لأسباب مختلفة - يضرّبون عنه صفحا، و يحاولون تجاهله، و التقليل من أهميته ... و على كل حال ... و مهما كانت الحقائق التي أوردتها في هذا الكتاب موافقة لهوى قوم، و مثيرة لحق آخرين ... فإن ما أريد أن أوكد عليه هو:

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ١٠

إنى لثقتى من نفسى بأننى ما ادخرت وسعا، و لم آل جهدا فى تمحيص الحقائق، و ابراز المعالم الأصيله للصورة، التى أريد - لسبب أو لآخر - طمسها، و تشويه معالمها. و أيضا لحسن ظنى بالقارئ، و ثقتى بنزاهته، و نظرتة الواعية ... من أجل ذلك أقول - و بكل رضى، و ارتياح، و اطمئنان -:

إننى لا أريد أن أفرض ما فى هذا الكتاب من آراء، و استنتاجات على أحد ... بل سوف أترك الحكم فى ذلك للقارئ نفسه، الذى يمتلك كامل الحرية فى أن يقبل، أو أن يرفض، إذا اقتضى الأمر أيا من الرفض، أو القبول ... و الله ولىنا ... و هو الهادى إلى سواء السبيل ...

جعفر مرتضى الحسينى العاملى

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ١١

## تمهيد

### صلة الماضى بالحاضر و المستقبل:

... بديهى أن بعض الأحداث التاريخية، التى تمر بالأمة، تؤثر تأثيرا مباشرا، أو غير مباشر فى واقعها، إن حاضرا، و إن مستقبلا ... بل و قد تؤثر فى روح الأمة، و عقلها، و تفكيرها ... و من ثم على مبادئها العامة، التى قامت عليها قوانينها و نظمها، التى تنظم لها مسيرتها، و تهمين على سلوكها ... فقد تقوى من دعائها، و تؤكد وجودها، و استمرارها، و قد تنسفها من أسسها، إن كانت تلك المبادئ على درجة كبيرة من الضعف و الوهن فى ضمير الأمة و وجدانها ... و على صعيد العمل فى المجال العملى العام ... فمثلا ... نلاحظ أن الاكتشافات الحديثة، و التقدم التقنى قد أثر أثرا لا ينكر حتى فى عاطفة الإنسان، التى يفرضها واقع التعايش ... و حتى فى مواهبه و ملكاته، فضلا عن سلوكه، و أسلوب حياته ...

و حيث إن المبادئ الاجتماعية لم تكن على درجة من الرسوخ و القوة فى ضمير الإنسان و وجدانه، و لم تخرج عن المستوى الشكلى فى حياته العملية - و إن انغرس فى أعماق بعض أفرادها أحيانا فى دورات تاريخية

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ١٢

قصيرة - نرى أنها بدورها قد تأثرت بذلك، و نسفت أو كادت من واقع هذه الأمة، و عدمت أو كادت من دائرة حياتها ... و ليكون البديل - من ثم - عنها لدى هذا الكائن هو «الذاتية» الكافرة بكل العواطف الاجتماعية، و العوض عنها فى نفسه هو المادة الجافة، التى لا ترحم و لا ترثى، و لا تلين، لا يجد لذة العاطفة، و لا حلاوة الرحمة، و ليعود الانسان - بعد لأى - متشائما حاقدا، لا يثق بمستقبله، و



لا يأمن من يحيط به، ولا يطمئن إلى أقرب الناس إليه ...

و بطبيعة الحال، سوف يتأثر النشء الجديد بذلك، ثم ينتقل ذلك إلى الجيل الذى يليه ... وهكذا ...

وهكذا ... فإن الحدث التاريخى الذى كان قبل ألف سنة مثلا، أو أكثر قد نجد له آثارا بارزة، حتى فى واقع حياتنا التى نعيشها اليوم. و إذن ... فنستطيع أن نستخلص من هذا: أن الأحداث التاريخية مهما بعدت، و من أى نوع كانت تؤثر فى وضع الأمة، و فى تصرفاتها، و فى حياتها، و سلوكها على المدى الطويل ... و تتحكم- إلى حد ما- فى مستقبلها. و ان العامل التاريخى له أثر كبير فى فرض المستوى الذى يعيشه المجتمع بالفعل، سواء فى ذلك الأدبى منه، أو العلمى، أو الدينى، أو السياسى، أو الاقتصادى، أو غير ذلك ... و غنى عن القول هنا ... أن التأثير بالأحداث يختلف من أمة لأخرى، و من عصر لآخر ...

### لما ذا كان تدوين التاريخ:

و من هنا تبرز أهمية التاريخ، و نعرف أنه يلعب دورا كبيرا فى حياة

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ١٣

الأهم: مما يجعلنا لا- نجد كثير عناء فى الإجابة على سؤال: لما ذا عنيت الأمم على اختلافها بالتاريخ، تدوينها، و درسا، و بحثا. و تمحيصا؟! فان ذلك لم يكن إلا لأنها تريد أن تستفيد منه، لتتعرف على واقعها الذى تعيشه؛ لتستفيد من ذلك لمستقبلها الذى تقدم عليه ... و لتكتشف منه عوامل رقيها، و انحطاطها، و لتتطلع من ثم لبناء نفسها على أسس متينة و سليمة ... فمهمة التاريخ إذن- تاريخ الأمة المدون- هى: أن يعكس بأمانة و دقة ما تمر به الأمة من أحوال و أوضاع، و أزمات فكرية، و اقتصادية، و ظروف سياسية: و اجتماعية، و غير ذلك.

### و نحن ... هل نملك تاريخا!!?

و نحن أمة ... لكننا لا نملك تاريخا- و أقصد بذلك كتب التاريخ- نستطيع أن نستفيد منه الكثير فى هذا المضممار؛ لأن أكثر ما كتب لنا منه تتحكم فيه النظرة الضيقة، و الهوى المذهبى، و التزلف للحكام.

و أقصد ب «النظرة الضيقة»: عملية ملاحظة الحدث منفصلا عن جذوره و أسبابه التى تلقى الضوء الكاشف على حقيقته و واقعه ...

نعم ... إننا بمرارة- لا نملك تاريخا نستطيع أن نستفيد منه الكثير؛ لأن المسيرة قد انحرفت، و الأهواء قد لعبت لعبتها «١» و أثرت أثرها المقيت

(١) و من أراد أن يعرف المزيد عن ذلك، فليراجع: النصائح الكافية لمن يتولى معاوية من ص ٧٢ إلى ص ٧٩، و الغدير ج ٥ ص ٢٠٨ إلى ص ٣٧٨، و ج ١١ من ص ٧١، إلى ص ١٠٣، و ج ٩ من ص ٢١٨ إلى آخر المجلد، و غير ذلك من مجلدات هذا الكتاب و صفحاته و الاحتجاج للطبرسى، و خمسون و مائة صحابى مختلق للعسكرى، و غير ذلك كثير ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ١٤

البغيض، حتى فى تدوين التاريخ نفسه.

و إنه لمما يدمى قلوبنا، و يملأ نفوسنا أسى و ألما، أن نكون قد فقدنا تاريخنا، و دفناه تحت ركام من الانانيات، و العصبية، و الأطماع الرخيصة، حتى لم يبق منه سوى الرسوم الشوهاء، و الذكريات الشجية ...

و مرة أخرى أقول: إن كل ما لدينا هو- فقط- تاريخ الحكام و السلاطين، الذين تعاقبوا على كراسى الحكم. و حتى تاريخ الحكام هذا، رأيناه مشوها، و ممسوخا؛ حيث لم يستطع أن يعكس بأمانة و حيده الصورة الحقيقية لحياة أولئك الحكام، و أعمالهم و

تصرفاتهم؛ و ما ذلك إلا لأن المؤرخين لم يكونوا أحرارا في كتابتهم للتاريخ. بل كانوا يؤرخون و يكتبون حسب ما يريد الحكام أنفسهم، و يخدم مصالحهم ...

إما رهبة من هؤلاء الحكام، او رغبة، او تعصبا لمذهب، أو لغيره ...

و من هنا ... فليس من الغريب جدا أن نرى المؤرخ يعنى بأمور تافهة و حقيرة؛ فيسهب القول في وصف مجلس شراب، أو منادمة، حتى لا يفوته شيء منه، أو يختلق و يفتعل أحداثا لم يكن لها وجود إلا في عالم الخيالات و الأوهام، أو يتكلم عن أشخاص لم يكن لهم شأن يذكر، بل قد لا يكون لهم وجود أصلا ... بينما نراه في نفس الوقت يهمل بالكلية شخصيات لها مكانتها، و خطرها في التاريخ، أو يحاول تجاهل الدور الذي لعبته فيه ... و يهمل أو يشوه أحداثا ذات أهمية كبرى، صدرت من الحاكم نفسه، أو من غيره، و من بينها ما كان له دور هام في حياة الأمة، و مستقبلها، و أثر كبير في تغيير مسيرة التاريخ، أو يحيطها- لسبب أو لآخر- بستار من الكتمان، و الإبهام.

### و من تلك الأحداث ...

و في طليعة تلك الأحداث التي كان نصيبها ذلك: «البيعة للامام

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ١٥

الرضا عليه السلام بولاية العهد ...»، من قبل الخليفة العباسى عبد الله المأمون!! ...

هذا الحدث الذى لم يكن عاديا، و طبيعيا، كسائر ما يجرى و ما يحدث، و الذى كان نصيبه من المؤرخين أن يتجاهلوه، و يقللوا ما أمكنهم من أهميته، و خطره، و أن يحيطوا أسبابه و دوافعه، و ظروفه بستائر من الكتمان ... و عند ما كانت تواجههم الأسئلة حوله تراهم يرددون تلك التفسيرات التي أراد الحكام أن يفهموها للناس، دون أن يكون من بينها ما يقنع، أو ما يجدى ...

إلا أننا مع ذلك، لم نعدم في هذا الذى يسمى، ب «التاريخ» بعض الفلتات و الشذرات المتفرقة هنا و هناك، التي تلقى لنا ضوءا، و تبث فينا الرجاء و الأمل بالوصول إلى الحقائق التي خشيها الحكام؛ ففضوا عليها- بكل قسوة و شراسة- بالعدم، و الاندثار ...

و لو فرض: أنه كان للمؤرخين القدامى العذر- إلى حد ما- في تجاهل هذا الحدث، و التقليل من أهميته، لظروف سياسية، و اجتماعية، و مذهبية معينة ... فان من الغريب حقا أن نرى الباحثين اليوم- مع أنهم لا- يعيشون تلك الظروف، و ينعمون بالحرية بمفهومها الواسع- يحاولون بدورهم تجاهل هذا الحدث، و التقليل من أهميته، عن قصد أحيانا، و عن غير قصد أخرى، و إن كنا نستبعد هذا الشق الأخير؛ إذ أننا نشك كثيرا في أن لا يسترعى حدث غريب كهذا انتباههم، و يلفت أنظارهم ...

و أيا ما كان السبب في ذلك، فان النتيجة لا تختلف، و لا تتفاوت؛ إذ انها كانت في الواقع الخارجى سلبية على كل حال.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ١٦

### و بدافع من الشعور بالواجب ...

و من هنا ... و بدافع من الشعور بالمسؤولية، رأيت أن أقوم بدراسة لهذا الحدث بالذات، للتعرف على حقيقة دوافعه و أسبابه، و واقع ظروفه و ملبساته ...

و كانت نتيجة تلك الدراسة، التي استمرت ثلاث سنوات ما بين مد و جزر هي: هذا الكتاب الذى بين يديك ...

و لا ادعى: أن كل ما في هذا الكتاب من آراء و استنتاجات، لا تعدو الحقيقة، و لا تشذ عن الصواب.

و لا ادعى أيضا: أننى استطعت أن أضع يدي على كل خيوط القضية، و أن أنفذ إلى جميع جذورها العميقة و الرئيسة؛ فان ذلك ليس من الأمور السهلة بالنسبة لأى حدث تاريخى مضى عليه العشرات و المئات من السنين؛ فكيف إذا كان إلى جانب ذلك مما قد أريد

له- كما قلنا- أن تبقى دوافعه و أسبابه طى السرية و الكتمان، و ظروفه و ملابساته رهن الابهام و الغموض ...  
لا ... لا أدعى هذا، و لا ذاك ... و إنما أقول:

إن هذا الكتاب قادر- و لا شك- على أن يرسم علامة استفهام كبيرة حول «طبيعية» هذا الحدث، و حول المأمون، و نواياه، و تصرفاته المشبوهة ...

و انه- على الأقل يمكن أن يعتبر خطوة على طريق الكشف الكامل عن جميع الحقائق، و التعرف على كافة العوامل و الظروف، التي اكتتفت هذا الحدث التاريخي الهام ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ١٧

### تقسيم الكتاب ... باختصار ...

و من أجل استيفاء البحث من جميع جوانبه، كان لا بد لنا من تقسيم الكتاب إلى أقسام أربعة:

الأول: يتناول قيام الدولة العباسية، و أساليب دعوتها، و يعطى لمحة عن موقف العلويين، و العباسيين، كل منهما من الآخر، و ردود الفعل لذلك، و غير ذلك من أمور ...

الثاني: يبحث حول ظروف البيعة، و أسبابها، و نتائجها ...

الثالث: يتكفل بالقاء أضواء كاشفة عن المواقف، سواء بالنسبة إلى المأمون، أو بالنسبة إلى الإمام (ع) ...

الرابع: نعرض فيه لبعض الأحداث التي تلقى لنا ضوءاً على حقيقة نوايا المأمون، و تكشف لنا عن بعض مخططاته ... و غير ذلك مما يتصل بذلك، و يرتبط به، بنحو من الارتباط و الاتصال ...

هذا:

و قد وضعنا فى آخر الكتاب بعض الوثائق التاريخية الهامة، التي آثرنا أن يطلع القارئ بنفسه على نصها الكامل ...

و نسأل الله أن يوفقنا جميعاً ... و يهدينا سبيل الرشاد ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ١٩

### القسم الأول ممهّدات ...

#### إشارة

١- قيام الدولة العباسية.

٢- مصدر الخطر على العباسيين.

٣- سياسة العباسيين ضد العلويين.

٤- سياسة العباسيين مع الرعية ...

٥- فشل سياسة العباسيين ضد العلويين.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٢١

#### قيام الدولة العباسية

#### العلويون فى الماضى البعيد ...

بعد أن أمعن الأمويون في الانحراف عن الخط الاسلامي القويم، و أصبح واضحاً لدى كل أحد، أن هدفهم ليس إلا الحكم و السيطرة، و التحكم بمقدرات الأمة و امكاناتها ... و أن كل همهم كان مصروفاً إلى الملذات و الشهوات، أينما كانت، و حيثما وجدت ... و ليس لمصلحة الأمة، و سعادتها، و رفاهها عندهم أى اعتبار ...

و بعد أن لجوا فى عدائهم لأهل البيت عليهم السلام، و بلغوا الغاية فيهم، قتلاً، و عسفاً، و تشريداً ... و خصوصاً ما كان منهم فى وقعة كربلاء التى لم يعرف التاريخ أبشع، و لا أفظع منها ... و جعلهم لعن على عليه السلام سنة لهم، يشب عليها الصغير، و يهرم عليها الكبير ...

ثم ملاحظتهم لولده، و لكل من يتشيع لهم، تحت كل حجر و مدر، و فى كل سهل و جبل؛ ليعفوا منهم الآثار، و يخلوا منهم الديار ... بعد كل هذا ... و بفضل جهاد أهل البيت المتواصل، فى سبيل توعية الامة، و تعريفها بأحقيتهم، و بحقيقتهم، و واقع تلك الطغمة الفاسدة ... كان من الطبيعي أن ينمو تعاطف الناس مع أهل البيت الحياة السياسية للإمام (الرضا)ع، مرتضى العالمى، ص: ٢٢

و يزيد، كلما ازداد نفورهم من الأمويين، و نقيمتهم عليهم؛ و ذلك تبعاً لتزايد وعيهم، و تكشف الحقائق لهم، و لأنهم أدركوا من واقع الأحداث التى مرت بهم: أن أهل البيت عليهم السلام هم: الركن الوثيق، الذى لا- نجاه لهم إلا- بالالتجاء إليه، و ذلك الأمل الحى، الذى تحيا به الأمة، و تحلو معه الحياة ...

### العرش الأموى فى مهب الريح ...

و لهذا نجد: أن الثورات و الفتن ضد الحكم الاموى كانت تظهر من كل جانب و مكان، طيلة فترة حكمهم. حتى أنهكت قواهم، و اضعفتهم إلى حد كبير، و فنوا و أفنوا، حتى لم يعد باستطاعتهم ضبط البلاد، و لا السيطرة على العباد ... و كانت تلك الثورات تتخذ الطابع الدينى على العموم، مثل: ثورة أهل المدينة المعروفة ب «وقعة الحره»، و ثورة قراء الكوفة و العراق، المعروفة ب «دير الجماجم» سنة ٨٣ هـ ... و قبلها ثورة المختار و التوابين سنة ٦٧ هـ. و أيضاً ثورة يزيد بن الوليد مع المعتزلة على الوليد بن يزيد؛ للأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، سنة ١٢٦ هـ. و كذلك ثورة عبد الله بن الزبير، الذى تغلب على البلاد ما عدا دمشق، و ما والاها مدة من الزمن ... ثم الثورة التى قامت ضد هشام فى افريقيا.

و ثورة الخوارج بقيادة المتسمى ب «طالب الحق» سنة ١٢٨ هـ ... و أيضاً ثورة الحارث بن سريح فى خراسان، داعياً إلى كتاب الله، و سنة رسوله سنة ١١٦ هـ. إلى غير ذلك مما لا مجال لنا هنا لتتبعه و استقصائه ...

الحياة السياسية للإمام (الرضا)ع، مرتضى العالمى، ص: ٢٣

و اما ما كان منها بدافع غير دينى، بل من أجل الحكم، و السلطان، فنذكر منها على سبيل المثال: ثورة آل المهلب سنة ١٠٢ هـ. و ثورة مطرف بن المغيرة ...

### و أما فى زمن مروان ...

و فى زمن مروان بن محمد الجعدي، المعروف بمروان الحمار، كان الوضع فى السوء و التدهور قد بلغ الغاية، و أوفى على النهاية؛ حيث بلغ من انشغال مروان بالثورات و الفتن، التى كانت قد شملت اكثر الاقطار: أنه لم يستطع أن يصغى إلى شكوى عامله فى خراسان نصر بن سيار، الذى كان بدوره يواجه الثورات و الفتن، و من جعلتها دعوة بنى العباس، التى كانت تزداد قوة يوماً بعد يوم، بقيادة أبى مسلم الخراسانى ...

## من خلال الاحداث ...

كل ذلك يكشف عن مدى تبرم الناس بحكم بنى أمية، و بسلطانهم، الذى كان قائما على أساس من الظلم و الجور، و الابتزاز، و التحكم بمقدرات الأمة، و امكاناتها ... و يتضح لنا ذلك جليا إذا لاحظنا:

أن ما كان يتقاضاه الولاة لا يمكن أن يخطر على قلب بشر؛ و يكفى مثلا على ذلك أن نشير إلى أن خالدا القسرى، كان يتقاضى راتبا سنويا قدره «٢٠» مليون درهم، بينما ما كان يختلسه كان يتجاوز الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٢٤

ال «١٠٠» مليون «١». و إذا كان هذا حال الولاة، فكيف ترى كان حال الخلفاء، الذين كانوا يحققون على كل القيم، و المثل، و الكمالات الانسانية ... و الذين وصف الكميته رأيهم فى الناس، فقال:

رأيه فيهم كراى ذوى الثلثة فى الثائجات جنح الظلام.

جز ذى الصوف و انتقاء لذى المخة، نعقا و دعدعا بالبهام «٢».

نعم ... لقد كانت الأمة قد اقتنعت اقتناعا كاملا و نهائيا: بأن بنى أمية ليس لهم بعد حق فى أن يفرضوا أنفسهم قادة للامة، و لا روادا لمسيرتها؛ لأن نتيجة ذلك ستكون - حتما - هى جز الامة إلى الهاوية، حيث الدمار و الفناء؛ فلفظتهم، و انقلبت عليهم، تأخذ منهم بعض الحقوق التى لها عندهم. إلى أن تمكنت أخيرا من أن تخلى منهم الديار، و تعفى منهم الآثار ...

## و كان نجاح العباسيين طبيعيا ...

## إشارة

و من هنا نعرف: أن نجاح العباسيين فى الاستيلاء على مقاليد الحكم -

(١) السيادة العربية ص ٣٢، ترجمة الدكتور حسن ابراهيم حسن، و محمد زكى ابراهيم.

و فى البداية و النهاية ج ٩ ص ٣٢٥: أن دخل خالد القسرى كان فى كل سنة «١٣» مليون دينار، و دخل ولده يزيد بن خالد كان «١٠» ملايين دينار سنويا. و لا بأس بمطالعة كتاب السيادة العربية، ليعرف ما أصاب الناس، و خصوصا العراقيين و الخراسانيين فى عهد الامويين ...

(٢) الهاشميات ص ٢٦، ٢٧. و الثلثة: القطعة الكثيرة من الضان. و الثائجات: الصائحات.

و انتقاء: اختيار. و أراد بذى المخة: السمينه. و نعقا: أى صياحا. و الدعدعة:

زجر البهائم ...

يقول: رأى الواحد من هؤلاء الخلفاء فى رعيته، و معاملته لها كراى أصحاب الغنم فى غنمهم؛ فلا يراعون العدل، و لا الانصاف فيهم ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٢٥

فى ذلك الحين - لم يكن ذلك الأمر المعجزة، و الخارق للعادة. بل كان أمرا طبيعيا للغاية؛ إذا ما أخذت الحالة الاجتماعية، و الظروف و الملابس آنذ بنظر الاعتبار؛ فان الامة كانت مهياة نفسيا لقبول التغيير، أى تغيير ... بل كانت تراه أمرا ضروريا، لا بد منه، و لا غنى عنه؛ إذا كانت تريد لنفسها الحياة الفاضلة، و العيش الكريم ...

ولهذا ... فليس من الغريب أن نقول:  
 إنه كان بإمكان أية ثورة أن تنجح، لو أنها تهيأت لها نفس الظروف، و سارت على نفس الخط، و اتبعت نفس الأساليب، التي اتبعتها  
 العباسيون في دعوتهم، و ثورتهم.  
 و نستطيع أن نتبين أساليب العباسيين تلك في ثلاثة خطوط عريضة و واضحة ...

### الخط الأول:

«كانوا يصورون أنفسهم على أنهم ما جاءوا إلا لينفذوا الأمة من شرور بنى أمية، و ظلمهم، و عسفهم، الذي لم يكن يقف عند حدود.  
 و كانت دعوتهم تتخذ اتجاه التبشير بالخلاص، و أنهم سوف يقيمون حكما مبدؤه العدل، و المساوات، و الأمن و السلام. و قد كانت  
 و عودهم هذه كسائر الوعود الانتخابية، التي ألفناها من ساسة العصر الحديث ... بل لقد كانت الأمانى التي خلقتها الدعوة العباسية في  
 الجماهير مسئولة الى حد كبير عن ردود الفعل العنيفة، التي حدثت ضد الحكم العباسى بعد ذلك؛ حيث كان حكمهم قائما على  
 الطغيان المتعشش إلى سفك الدماء «١»...».

(١) راجع: امبراطورية العرب، للجنرال جلوب، ترجمة: خيرى حماد.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٢٦

### الخط الثانى:

إنهم لم يعتمدوا كثيرا على العرب، الذين كانوا يعانون من الانقسامات الداخلية الحادة، و إنما استعانوا بغير العرب، الذين كانوا فى  
 عهد بنى أمية محتقرين، و منبوذين، و مضطهدين، و محرومين من أبسط الحقوق المشروعة، التي منحهم إياها الاسلام ... حتى لقد  
 أمر الحجاج أن لا يؤم فى الكوفة إلا عربى ... و قال لرجل من أهل الكوفة: لا يصلح للقضاء إلا عربى «١» ...  
 كما طرد غير العرب من البصرة، و البلاد المجاورة لها، و اجتمعوا يندبون: واه محمدا و أحمدا. و لا يعرفون أين يذهبون، و لا عجب أن  
 نرى أهل البصرة يلحقون بهم، و يشتركون معهم فى نعى ما نزل بهم من حيف و ظلم «٢».  
 بل لقد قالوا: «لا يقطع الصلاة إلا: حمار، أو كلب، أو مولى «٣» ...»  
 و قد أراد معاوية أن يقتل شطرا من الموالى، عند ما رأهم كثروا، فنهاء الأحنف عن ذلك «٤» ...  
 و تزوج رجل من الموالى بنتا من أعراب بنى سليم، فركب محمد بن بشير الخارجى إلى المدينة، و إليها يومئذ ابراهيم بن هشام بن  
 اسماعيل،

(١) ضحى الاسلام ج ١ ص ٢٤، و العقد الفريد ج ١ ص ٢٠٧، و مجلة الهادى، السنة الثانية العدد الأول ص ٨٩، و تاريخ التمدن  
 الاسلامى المجلد ٢ جزء ٤ ص ٣٤٣.

(٢) السيادة العربية ص ٥٦، ٥٧، و لا بأس بمراجعة: تاريخ التمدن الاسلامى المجلد الأول ج ٢ ص ٢٧٤.

(٣) العقد الفريد طبع مصر سنة ١٩٣٥ ج ٢ ص ٢٧٠، و تاريخ التمدن الاسلامى جزء ٤ ص ٣٤١.

(٤) المصدران السابقان ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٢٧

فشكا إليه ذلك، فأرسل الوالى إلى المولى، ففرق بينه وبين زوجته، و ضربه مأتى سوط، و حلق رأسه، و حاجبه، و لحيته ... فقال محمد ابن بشير فى جملة أبيات له:

قضيت بسنة و حكمت عدلا و لم ترث الخلافة من بعيد «١» و لم تفشل ثورة المختار، إلا لأنه استعان فيها بغير العرب، فتفرق العرب عنه لذلك «٢».

و يقول أبو الفرج الاصفهاني: «... كان العرب إلى أن جاءت الدولة العباسية، إذا جاء العربى من السوق، و معه شىء، و رأى مولى، دفعه إليه، فلا يمتنع «٣»».

بل كان لا يلى الخلافة أحد من أبناء المولدين، الذين ولدوا من أمهات أعجيات «٤».

و أخيرا ... فان البعض يقول: إن قتل الحسين كان: «الكبيرة»، التى هونت على الأميين أن يقاوموا اندفاع الايرانيين؟ إلى الدخول فى الاسلام «٥» ...».

و بعد هذا ... فان من الطبيعى أن يبذل الموالى أرواحهم، و دماءهم و كل غال و نفيس فى سبيل التخلص من حكم يعاملهم هذه المعاملة، و له فيهم هذه النظرة؛ فاعتماد الدعوة العباسية على هؤلاء كان منتظرا

(١) الأغاني ج ١٤ ص ١٥٠، و ضحى الاسلام ج ١ ص ٢٣، ٢٤.

(٢) السيادة العربية و الشيعة و الاسرائيليات ص ٤٠، و لا بأس أيضا بمراجعة: تاريخ التمدن الاسلامى، المجلد الأول، الجزء الثانى ص ٢٨٢، ٢٨٣.

(٣) ضحى الاسلام ج ١ ص ٢٥.

(٤) ضحى الاسلام ج ١ ص ٢٥، و العقد الفريد ج ٦ ص ١٣٠، ١٣١، طبعة ثالثة، و مجلة الهادى، السنة الثانية، العدد الأول ص ٨٩.

(٥) الصلة بين التصوف و التشيع ص ٩٥.

الحياة السياسية للإمام (الرضا) (ع)، مرتضى العالمى، ص: ٢٨

و متوقعا، كما أن اندفاع هؤلاء فى نصره الدعوة العباسية كان متوقعا، و منتظرا أيضا ...

### الخط الثالث:

أنهم - أعنى العباسيين - قد حاولوا فى بادئ الأمر أن يربطوا دعوتهم و ثورتهم بأهل البيت عليهم السلام ... و طبيعة البحث تفرض علينا أن نتوسع فى بيان هذه النقطة بالذات و ذلك لمالها من الأهمية البالغة، بالنظر لما تركته من آثار بارزة على مدى التاريخ، و لأنها كانت الناحية التى اعتمد العباسيون عليها اعتمادا كليا، و تعتبر السبب الرئيس فى وصول العباسيين إلى السلطة، و حصولهم على مقاليد الحكم ... و لهذا ... فنحن نقول:

### دولة بنى العباس فى صحيفة ابن الحنفية:

قد نقل ابن أبى الحديد «١»، عن أبى جعفر الاسكافى: أنه قد صحت الرواية عندهم عن أسلافهم، و عن غيرهم من أرباب الحديث، أنه: لما مات على أمير المؤمنين عليه السلام، طلب محمد بن الحنفية من أخويه: الحسن، و الحسين ميراثه من العلم، فدفعوا إليه صحيفة، لو اطعاه على غيرها لهلك. و كان فى هذه الصحيفة ذكر لدولة بنى العباس. فصرح ابن الحنفية لعبد الله بن العباس بالأمر، و فصله له

...

و الظاهر أن تلك الصحيفة انتقلت منه لولده أبى هاشم، و عن طريقه وصلت إلى بنى العباس. و يقال: إنها قد ضاعت منهم أثناء

(١) شرح نهج البلاغة ج ٧ ص ١٤٩، ١٥٠.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ٢٩  
حربهم مع مروان بن محمد الجعدي «١»، آخر خلفاء الأمويين ...

وقد ذكرت هذه الصحيفة في كلام بنى العباس، و خلفائهم كثيرا، و سيأتى لها ذكر في رسالة المأمون للعباسيين، التي سوف نوردتها في أواخر هذا الكتاب إن شاء الله ...

### متى بدأ العباسيون دعوتهم، و كيف؟

و بعد هذا ... فان الشىء المهم هنا هو تحديد الزمن الذى بدأ به العباسيون دعوتهم، و كيف؟  
و نستطيع أن نبادر هنا إلى القول:

إن الذين بدءوا بالدعوة أولا هم العلويون، و بالتحديد من قبل أبى هاشم، عبد الله بن محمد بن الحنفية. و هو الذى نظم الدعاء، و رتبهم، و قد انضوى تحت لوائه: محمد بن على بن عبد الله بن العباس، و معاوية ابن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب، و عبد الله بن الحارث بن نوفل ابن الحارث بن عبد المطلب، و غيرهم ... و هؤلاء الثلاثة هم الذين حضروه حين وفاته، و أطلعهم على أمر دعائه ... و قد قرأ محمد بن على، و معاوية بن عبد الله تلك الصحيفة، المشار إليها آنفا، و وجد كل منهما ذكرا للجهة التي هو فيها ... و لهذا نلاحظ: أن كلا من محمد بن على، و معاوية بن عبد الله، قد ادعى الوصاية من أبى هاشم؛ مما يدل دلالة واضحة على أنه لم يخصص أيا منهما بالوصية، و إنما عرفهما دعائه فقط ...

(١) شرح نهج البلاغة ج ٧ ص ١٤٩.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ٣٠

هذا ... و بعد موت معاوية بن عبد الله، قام ابنه عبد الله يدعى الوصاية من أبيه، من أبى هاشم ... و كان له في ذلك شيعة، يقولون بامامته سرا حتى قتل ...

و أما محمد بن على فقد كان بمنتهى الحنكة و الدهاء، و قد تعرف - كما قلنا - من أبى هاشم على الدعاء، و استطاع بما لديه من قوة الشخصية، و حسن الدهاء أن يسيطر عليهم، و يستقل بهم «١»، و يعدهم عن معاوية بن عبد الله، و عن ولده، و يعدهما عنهم ... و استمر محمد بن على يعمل بمنتهى الحذر و السرية ... و كان عليه أن:

١- يحذر العلويين، الذين كانوا أقوى منه حجة، و أبعد صيتا.

بل عليه أن يستغل نفوذهم - إن استطاع - لصالحه، و صالح دعوته ...

و لقد فعل ذلك هو و ولده كما سيتضح ...

٢- و كان عليه أيضا أن يتحاشى مختلف الفئات السياسية، التي لن يكون تعامله معها في صالحه، و في صالح دعوته ...

٣- و الأهم من ذلك أن يصرف أنظار الحكام الأمويين عنه، و عن نشاطاته، و يضللهم، و يعمى عليهم السبل ...

و لذا فقد اختار خراسان، فأرسل دعائه إليها، و أوصاهم بوصيته

(١) شرح النهج للمعتزلى ج ٧ ص ١٥٠.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ٣١



المشهوره، التي يقسم فيها البلاد و الامصار: هذا علوى، و ذاك عثمانى، و ذلك غلب عليه أبو بكر و عمر، و الآخر سفيانى ... إلى آخر ما سيأتى «١» ...

(١) و لقد بذل محمد بن على جهدا جبارا فى إنجاح الدعوة، و كانت أكثر نشاطاته فى حياة والده، على بن عبد الله، الذى يبدو أنه لم يكن له فى هذا الأمر دور يذكر. و توفى والده على ما يظهر فى سنة ١١٨ هـ. و كان قد بدأ نشاطاته، حسب ما بأيدينا من الدلائل التاريخية من سنة ١٠٠ هـ. أى بعد وفاة أبى هاشم بستينين. إذ فى سنة ١٠٠ هـ. وجه محمد بن على من أرض الشراء ميسرة إلى العراق و وجه محمد بن خنيس، و أبى بكرم السراج، و هو أبو محمد الصادق، و حيان العطار إلى خراسان.

و فيها أيضا جعل اثنى عشر نقيبا، و أمر دعائه بالدعوة إليه، و إلى أهل بيته ...

و فى سنة ١٠٢ هـ. وجه ميسرة رسله إلى خراسان، و ظهر أمر الدعوة بها و بلغ ذلك سعيد خذينة، عامل خراسان؛ فأرسل، و أتى بهم، و استنطقهم، ثم أخذ منهم ضمنا و أطلقهم ...

و فى سنة ١٠٤ هـ. دخل أبو محمد الصادق، و عدة من أصحابه، من أهل خراسان إلى محمد بن على؛ فأراهم السفاح فى خرقة، و كان قد ولد قبل خمسة عشر يوما، و قال لهم: «و الله، لىتمن هذا الأمر، حتى تدركوا ثاركم من عدوكم».

و فى سنة ١٠٥ هـ. دخل بكير بن ماهان فى دعوة بنى هاشم ... و فيها مات ميسرة؛ فجعل محمد بن على بكيرا هذا مكانه فى العراق ...

و فى سنة ١٠٧، أو ١٠٨ هـ. وجه بكير بن ماهان عدة من الدعاء إلى خراسان، فظفر بهم عامل خراسان؛ فقتلهم، و نجا منهم عماره؛ فكان هو الذى أخبر محمد بن على بذلك.

و فى سنة ١١٣ هـ. صار جماعة من دعاء بنى العباس إلى خراسان؛ فأخذ الجنيد بن عبد الرحمن رجلا منهم؛ فقتله، و قال: «من اصيب منهم فدمه هدر».

و فى سنة ١١٧ هـ. أخذ عامل خراسان أسد بن عبد الله وجوه دعاء بنى العباس، و فيهم النقباء، و منهم سليمان بن كثير؛ فقتل بعضهم، و مثل ببعضهم، و حبس آخرين ...

و فى سنة ١١٨ وجه بكير بن ماهان عمار بن يزيد- و هو خدش- واليا على شيعه بنى العباس؛ فنزل مروا، و دعا إلى محمد بن على؛ ثم غلا ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٣٢

و أمرهم- أعنى الدعاء بالتحاشى عن الفاطميين، لكنه ظل هو شخصيا، و من معه من العباسيين، الذين استنوا بسنته، و ساروا من بعده بسيرته- ظلوا- يتظاهرون للعلويين بأنهم معهم، و أن دعوتهم لهم. و لم يكن إلا القليلون يعرفون بأنه: كان يدبر الأمر للعباسيين.

و قد أعطى دعائه شعارات مبهمه، لا تعين أحدا، و صالحة للانطباق على كل فريق، كشعار: «الرضا من آل محمد» و «أهل البيت»، و نحو ذلك ...

### مدى سرية الدعوة:

و الظاهر ... أن عبد الله بن معاوية كان من جملة أولئك المخدوعين بهذه الشعارات؛ إذ قد ذكر المؤرخون، و منهم أبو الفرج فى مقاتل الطالبين ص ١٦٨، و غيره: أنه بعد ان استظهر ابن ضباره على عبد الله ابن معاوية توجه عبد الله إلى خراسان، و كان أبو مسلم قد ظهر بها؛ فخرج إلى أبى مسلم طمعا فى نصرته!! فأخذه أبو مسلم؛ فحبسه، ثم قتله ...

و فى سنة ١٢٠ هـ. و جهت شيعه بنى العباس سليمان بن كثير إلى محمد بن على فى أمر خدش.

و في سنة ١٢٤ هـ. قدم جماعة من شيعة بنى العباس الكوفة يريدون مكة. و فيها أيضا اشترى بكير بن ماهان أبا مسلم ... راجع في ذلك كله:

تاريخ الطبري مطبعة الاستقامة ج ٥ ص: ٣١٦، ٣٥٨، ٣٦٨، ٣٨٧، ٣٨٩، ٤٢٥، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٦٧، ٥١٢، وغير ذلك من كتب التاريخ. الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ٣٣

و هذا يدل دلالة واضحة على أن عبد الله بن معاوية كان يظن أن أبا مسلم سوف ينصره، و أنه- يعنى أبا مسلم- كان يدعو إلى أهل البيت، و الرضا من آل محمد على الحقيقة، و لم يخطر في باله: أن الدعوة كانت للعباسيين، و بتدبير من أعظم داهية فيهم!! .. بل لعلنا نستطيع أن نقول: إن محمد بن علي قد استطاع أن يخفى هذا الأمر حتى عن ولديه: السفاح، و المنصور، و لذا نراهما قد التحقا مع جميع بنى هاشم العباسيين و العلويين على حد سواء، و بعض الأمويين «١» و وجوه قريش بعبد الله بن معاوية الخارج سنة ١٢٧ هـ. في الكوفة، ثم في شيراز؛ حيث تغلب على: فارس، و كورها، و على حلوان، و قومس، و اصبهان، و الرى و على مياه الكوفة، و على مياه البصرة، و على همدان، و قم، و اصطخر، و عظم أمره جدا «٢».

و قد تولى المنصور من قبل عبد الله بن معاوية هذا على «إيدج» «٣» كما تولى غيره غير ذلك من الأمصار ... فقبول المنصور لولاية «إيدج» من قبله، باعتباره من الهاشميين يكشف عن أنه لم يكن يعلم: أن والده كان ابتداء من سنة مائة، أى قبل خروج عبد الله بن معاوية ب «٢٨» سنة يسعى جاهدا، و يشقى و يتعب في تدبير الامر للعباسيين، و تركيز الدعوة لهم ... و انما كان يعلم أن الدعوة كانت لأهل البيت، و الرضا من

(١) الأغاني ج ١١ ص ٧٤، و مقاتل الطالبين ص ١٦٧، و الوزراء و الكتاب ص ٩٨.

(٢) راجع أنساب الأشراف ص ٦٣، و الأغاني ج ١١ ص ٧٤، و مقاتل الطالبين ص ١٦٧، و البداية و النهاية ج ١٠ ص ٢٥، ٢٦، و ص ٣، و عمدة الطالب، و زاد في تاريخ الجنس العربي: المدائن، و نيسابور ...

(٣) أنساب الأشراف للبلاذرى ص ٦٣، و عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب طبع بمبئى ص ٢٢، و الوزراء و الكتاب ص ٩٨ و ٩٩، و فرج المهموم في تاريخ علماء النجوم ص ٢١٠. و فيه: أن سليمان بن حبيب بن المهلب أخذه؛ فحبسه، و أراد قتله، فسلم المنصور منه بعد أن أشرف على القتل ... و ليراجع الجهشيارى أيضا.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ٣٤

آل محمد، المنطبق- بالطبع- على العلويين أكثر من غيرهم على الاطلاق ...

و إلا- فلو كان لمحمد بن علي دعوة واضحة، و مشهورة، و متميزة، و كان المنصور يعلم بها لكان توليه لإيدج من قبل عبد الله بن معاوية مضرا جدا في دعوة أبيه، و ضربة قاضية لها ...

اللهم إلا أن يكون ثمة غرض آخر أهم؛ فيكون ذلك منهم حنكة و دهاء ... كأن يكون نظرهم إلى أنه: لو نجحت دعوتهم، فيها ... و إلا- ... فلو نجحت دعوة عبد الله بن معاوية، فباستطاعتهم أن يحتفظوا فيها بمراكزهم، و نفوذهم؛ إذ لهم أن يقولوا: إننا كنا من المعاونين و المساهمين في هذه الدعوة ... كما أن بذلك تنصرف أنظار الحكام عنهم، و يأمن العلويون جانبهم؛ فلا يناهضون دعوتهم و لا يقفون في وجهها ...

و بهذه الاسباب نستطيع أن نفسر بيعه العباسيين جميعا، اكثر من مرة لمحمد بن عبد الله العلوى، و به أيضا نفسر جواب المنصور لسائله عن محمد بن عبد الله هذا، حيث قال: «هذا محمد بن عبد الله بن الحسن ابن الحسن، مهدينا أهل البيت» و يأخذ بركابه، و يسوى عليه ثيابه «١».

و أيضا قوله في مجلس البيعة لمحمد هذا: «ما الناس أصور أعناقاً، و لا أسرع إجابة منهم لهذا الفتى ...» كما سيأتى ...

و مما يوضح أيضا مدى تكتم العباسيين بأمر دعوتهم، أن: إبراهيم الامام قد بشر بأنه قد أخذت له البيعة بخراسان- و هو فى نفس الاجتماع الذى كان قد عقد ليجددوا فيه البيعة لمحمد بن عبد الله بن الحسن ... و سيأتى المزيد من الشواهد لهذا أيضا إن شاء الله تعالى.

و هكذا ... فان النتيجة تكون هى: أن العباسيين ظلوا يسترون

(١) مقاتل الطالبين ص ٢٣٩، ٢٤٠.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٣٥

بالعلويين، و يخدمونهم، على اعتبار أنهم لو نجحوا فى دعوتهم السرية، فان بيعتهم للعلويين، و دعوتهم لهم لا تضرهم، و إذا ما فشلوا فانهم سوف يحتفظون بنفوذهم و مراكزهم فى دولة أبناء عمهم ...

هذا مجمل الكلام بالنسبة للدعوة العباسية، و لكن طبيعة البحث تفرض علينا التوسع فى بيان المراحل التى مرت بها هذه الدعوة، و لا سيما فيما يتعلق بربطها بأهل البيت عليهم السلام، و العلويين، و مدى اعتمادهم على هذا الربط ... فنقول:

### لا بد من ربط الثورة بأهل البيت ...

إنه كان لا بد للعباسيين من ربط الثورة و الدعوة بأهل البيت عليهم السلام، حيث إنهم كانوا بحاجة إلى:

أولا: صرف انظار الحكام عنهم ...

ثانيا: كسب ثقة الناس بهم، و الحصول على تأييدهم لهم.

ثالثا: أن لا- تقابل دعوتهم بالاستغراب، و الاستهجان، حيث إنهم لم يكونوا معروفين فى أقطار، و انحاء الدولة الاسلامية المترامية الأطراف، و لا كان يعرف أحد لهم حقا فى الدعوة لأنفسهم، كما هو الحال بالنسبة إلى العلويين، مما يجعل الدعوة لهم مع وجود العلويين مستغربة و مستهجنة إلى حد ما ...

رابعا:- و هو أهم ما فى الامر- أن يطمئن إليهم العلويون، و يثقوا بهم، حتى لا تكون لهم دعوة فى مقابل دعوتهم، لأن ذلك بلا شك سوف يضعفهم، و يوهن قوتهم، لما يتمتع به العلويون من نفوذ و مكانة فى نفوس الناس بشكل عام ...

و لهذا نرى أبا سلمة الخلال، يعتذر لابي العباس السفاح، عن كتابته

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٣٦

للإمام الصادق عليه السلام، بأن يجعل الدعوة باسمه، و يبايعه- يعتذر- بأنه: «كان يدبر استقامة الأمر» (١).

نعم ... لقد كان لربطهم الثورة بأهل البيت عليهم السلام أثر كبير فى نجاح ثورتهم، و ظهور دعوتهم. و قد أكسبها ذلك قوة و منعة، و جعلها فى منأى و مأمّن من طمع الطامعين، و تطلع المتطلعين، الذين كانوا يرجون لأنفسهم حظا من الحياة الدنيا، و ما أكثرهم ...

كما و أن ذلك قد أثر أثرا بالغا فى اكتسابهم عطف الأمة، و تأييدها، و خصوصا الخراسانيين، الذين كانوا لا يزالون يعيشون الإسلام بعيدا عن أهواء المبتدعين، و تلاعب المتلاعبين، و الذين: «و إن كانوا أقل غلوا (أى من أهل الكوفة)، فقد كانوا أكثر حماسة للدعوة لأهل البيت» (٢)؛ و ذلك لأنهم لم يعاملوا معاملة حسنة فى الواقع، و لم يسر فيهم بسيرة محمد و القرآن إلا على بن أبى طالب عليه السلام (٣) ...

كما أنهم لم ينسوا بعد ما لاقوه فى الدولة الأموية من العسف و التنكيل؛ و لذا فمن الطبيعى أن نراهم مستعدين لتقبل أية دعوة لأهل البيت عليهم السلام، و التفاعل معها، بل و التفانى فى سبيلها. كما أن بلدهم كان بعيدا من مركز الخلافة بالشام و لم يكن فيه فرق و أحزاب متناحرة كالعراق الذى كان فيه شيعة و خوارج و مرجئة و غير ذلك. و كانت وطأة الحكم العباسى على العراق و مراقبتهم

لكل حركة فيه أشد منها في خراسان ...  
و بالفعل لقد شيد الخراسانيون، الذين كانوا يحبون أهل البيت عليهم السلام أركان دولة بني العباس، وقامت خلافتهم على أكتافهم،  
و استقامت

(١) تاريخ اليعقوبي ج ٣ ص ٨٧.

(٢) السيادة العربية، و الشيعة، و الاسرائيليات ص ١٠٦.

(٣) نفس المصدر ص ٣٩.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ٣٧

لهم الامور بفضل سواعدهم، و أسياهم، و سيأتي إن شاء الله المزيد من الكلام عن الايرانيين، و عن سر تشيعهم، و خاصة الخراسانيين  
منهم في فصل: ظروف المأمون الخ ... و غيره من الفصول ...

### المراحل التي مرت بها عملية الربط:

#### إشارة

و لقد مرت عملية الربط هذه بثلاثة مراحل أو أربعة، طبقا للظروف التي كانت قائمة آنذاك ... و إن كانت هذه المراحل قد تبدو  
متداخلة، و غير مميزة في أحيان كثيرة «١» ... إلا أن ذلك كان تبعا للظروف المكانية، و الزمانية، و الاجتماعية، التي كانت تتفاوت و  
تختلف باستمرار إلى حد كبير ... و هذه المراحل هي:

الأولى: دعوتهم في بادئ الأمر «للعليين».

الثانية: دعوتهم إلى: «أهل البيت»، و «العترة».

الثالثة: دعوتهم إلى «الرضا من آل محمد».

الرابعة: ادعاؤهم للخلافة بالارث، مع حرصهم على ربط الثورة بأهل البيت، بدعوى: أنهم إنما خرجوا للأخذ بثارات العلويين، و ليرفعوا  
عنهم الظلم الذي حاق بهم ...

#### المرحلة الأولى:

و إذ قد عرفنا أن الدعوة كانت في بدء أمرها للعلويين، فلا يجب

(١) قال في العيون و الحدائق ص ١٨٠: «و كان قد انتشر في خراسان دعاء من الشيعة، و قد انقسموا قسمين: قسم منهم يدعو إلى آل  
محمد على الاطلاق. و القسم الثاني يدعو إلى أبي هاشم بن محمد بن الحنفية، و كان المتولى لهذه الدعوة إلى آل رسول الله (ص)  
ابن كثير، و كان الدعاء يرجعون في الرأي و الفقه إلى أبي سلمة الخ ...».

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ٣٨

أن نستغرب كثيرا، إذا قيل لنا: إن جلة العباسيين، حتى ابراهيم الامام، و السفاح، و المنصور كانوا قد بايعوا للعلويين اكثر من مرة، و في  
اكثر من مناسبة، فإن ذلك ما كان الا ضمن خطة مرسومة، وضعت بعناية فائقة، بعد دراسة معمقة لظروفهم مع العلويين خاصة، و مع  
الناس بشكل عام ...

و يمكن أن نعتبر بيعتهم هذه هي المرحلة الأولى من تلك المراحل المشار إليها آنفا ...

فتراهم عدا عن تعاونهم الواضح مع عبد الله بن معاوية، قد بايعوا محمد بن عبد الله بن الحسن أكثر من مرة أيضا، فقد:

«اجتمع آل عباس، و آل علي عليه السلام بالأبواء، على طريق مكة، و هناك قال صالح بن علي: «إنكم القوم الذين تمتد إليهم أعين الناس، فقد جمعكم الله في هذا الموضع، فاجتمعوا على بيعه أحدكم، ففرقوا في الآفاق، فادعوا الله، لعل أن يفتح عليكم، و ينصركم»، فقال أبو جعفر، أي المنصور: «لأي شيء تخدعون أنفسكم؟ و الله، لقد علمتم: ما الناس أصور (أي أميل) أعناقاً، و لا أسرع إجابة منهم إلى هذا الفتى»، يريد محمد بن عبد الله العلوي ...

قالوا: «قد و الله صدقت، إنا لنعلم هذا»، فبايعوا جميعا محمدا، و بايعه ابراهيم الامام، و السفاح، و المنصور، و صالح بن علي، و سائر من حضر» طبعاً ما عدا الامام الصادق عليه السلام ...».

و خرج دعاء بني هاشم عند مقتل الوليد بن يزيد، فكان أول ما يظهرونه فضل علي بن أبي طالب و ولده، و ما لحقهم من القتل، و الخوف، و التشريد، فإذا استتب لهم الأمر ادعى كل فريق الوصية إلى من يدعو إليه ...

و لم يجتمعوا (أي المتبايعون الآنف ذكرهم) إلى أيام مروان بن

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٣٩

محمد، ثم اجتمعوا يتشاورون، إذ جاء رجل إلى ابراهيم الامام، فشاوره بشيء، فقام و تبعه العباسيون، فسأل العلويون عن ذلك، فإذا الرجل قد قال لإبراهيم: «قد أخذت لك البيعة بخراسان، و اجتمعت لك الجيوش ...».

بل لقد بايع المنصور محمد بن عبد الله العلوي مرتين: إحداهما:

بالأبواء على طريق مكة. و الأخرى: بالمدينة. و بايعه مرة ثالثة أيضا:

في نفس مكة، و في المسجد الحرام بالذات ...

و من هنا نعرف السبب في حرص السفاح و المنصور على الظفر بمحمد ابن عبد الله العلوي، فان ذلك لم يكن إلا بسبب ما كان له في أعناقهما من البيعة «١» ...

(١) قد اقتبسنا هذه النصوص كلها من كثير من المراجع، و خصوصا: مقاتل الطالبين، لأبي الفرج الاصفهاني، صاحب الأغاني ص ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٩٥، و غيرها ... و على كل فان كون الدعوة العباسية كانت في بدء أمرها باسم العلويين، يبدو مما لا شك فيه، و مما اتفقت عليه كلمات المؤرخين، و النصوص التاريخية، التي سوف نشير إلى شطر منها في هذا الفصل ...

و لا بأس أن يراجع بالاضافة إلى مقاتل الطالبين في الصفحات المشار إليها: النصوص التي وردت في: النزاع و التخاصم للمقرزي ص ٥٠، و تاريخ ابن خلدون ج ٤ ص ٣، و ج ٣ ص ١٨٧، و الفخرى في الآداب السلطانية ص ١٦٤، ١٦٥، و تاريخ التمدن الاسلامي ج ٤ ص ٣٩٧، ٣٩٨، و البحار ج ٤٧ ص ١٢٠ و ص ٢٧٧، و عمدة الطالب، طبع بيروت ص ٨٤، و الخرائج و الجرائح ص ٢٤٤، و جعفر ابن محمد، لعبد العزيز سيد الاهل ص ١١٥، فما بعدها، و غاية الاختصار ص ٢٢، و إعلام الوري ص ٢٧١، ٢٧٢، و ارشاد المفيد ص ٢٩٤، ٢٩٦، و كشف الغمة ج ٢ ص ٣٨٣، ٣٨٤، و ابن اعثم الكوفي في كتابه: الفتوح على ما نقله في طبعه الدعوة العباسية، ... و أشار الطبري إلى ذلك في تاريخه ج ١٠ ص ١٤٣، فقال:

قد ذكروا أن محمدا كان يذكر أبا جعفر ممن بايعه ليلة تشاور بنو هاشم بمكة فيمن يعقدون له الخلافة، حين اضطرب أمر بني مروان ... و أشار إلى ذلك أيضا ابن الأثير ج ٤ ص ٢٧٠، و يراجع أيضا شرح ميمية أبي فراس ص ١١٤، و ص ١٠٤.

١٠٥. و غير هؤلاء كثير ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٤٠

وقد ذكر أبو فراس الحمداني هذه البيعة في قصيدته المشهورة، المعروفة بـ «الشافية»، فقال:

بئس الجزاء جزيتم في بني حسن أباهم العلم الهادي و أمهم

لا بيعه ردعتكم عن دمائهم ولا يمين، ولا قربي، ولا ذم و ذكر ابن الأثير: أن عثمان بن محمد، بن خالد بن الزبير، هرب بعد مقتل

محمد إلى البصرة، فأخذ و أتى به إلى المنصور، فقال له المنصور: يا عثمان، أنت الخارج على مع محمد؟! قال له عثمان:

بايعته أنا و أنت بمكة، فوفيت ببيعتي، و غدرت ببيعتك. فشتمه المنصور، فأجابه، فأمر به فقتل «١» ...

و ذكر البيهقي: أنه لما حمل رأس محمد بن عبد الله بن الحسن إلى المنصور، من مدينة الرسول، صلى الله عليه و آله و سلم، قال

لمطير بن عبد الله: «أما تشهد أن محمدا بايعني؟». قال: «أشهد بالله، لقد أخبرتني أن محمدا خير بني هاشم، و أنك بايعت له ...» قال:

يا ابن الزانية الخ:

و كانت النتيجة: أن المنصور أمر به، فوُتد في عينيه، فما نطق!! «٢»

إلى آخر ما هنالك من النصوص الكثيرة، التي يتضح معها بما لا مجال معه للشك: أن الدعوة كانت في بدء أمرها لخصوص

العلويين، و باسمهم، ثم استغلت بعد ذلك لمصلحة العباسيين ...

### المرحلة الثانية ...

ثم رأينا بعد ذلك: كيف أن الدعوة العباسية تستبعد العلويين،

(١) الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٢.

(٢) المحاسن و المساوى للبيهقي ص ٤٨٢.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العامل، ص: ٤١

و تتحاشى التصريح باسمهم، بطريقة فيها الكثير من الدهاء، و السياسة، حيث اقتصروا في دعوتهم - بعد ذلك - على أهل «أهل

البيت»، و «العترة»، و هذه هي المرحلة الثانية من المراحل الأربع التي أشرنا إليها ...

و كان الناس لا يفهمون من كلمة: «أهل البيت» إلا العلويين، لانصراف الأذهان إليهم عند اطلاق هذه العبارة، و ذلك بسبب الآيات و

الروايات الكثيرة، التي استخدمت هذا التعبير للدلالة عليهم، دون غيرهم ...

فهذا أبو داود يقول للقباء: «... أفتظنون - أي النبي صلى الله عليه و آله و سلم - خلفه - أي العلم - عند غير عترته، و أهل بيته، الأقرب،

فالأقرب؟! ...

إلى أن قال: افتشكون أنهم معدن العلم، و أصحاب ميراث رسول الله (ص)؟! .. «١»

و هذا أبو مسلم الخراساني القائم بالدولة العباسية، يكتب إلى الإمام الصادق صلى الله عليه و آله و سلم، و يقول: «إني دعوت الناس

إلى موالة أهل البيت، فان رغبت فيه، فأنا أبايعك؟».

فأجابه الامام صلى الله عليه و آله و سلم: «... ما أنت من رجالي، و لا الزمان زمانى»، ثم جاء أبو مسلم، و بايع السفاح، و قلده الخلافة

«٢».

و قال السيد امير على بعد أن ذكر ادعاء العباسيين للوصاية من أبى هاشم: «... و قد لاقت هذه القصة بعض القبول في بعض المناطق

الإسلامية. أما عند عامة المسلمين، الذين كانوا يتعلقون بأحفاد محمد،

(٢) الملل و النحل للشهرستاني، طبع مؤسسهُ الحلبي في القاهرة ج ١ ص ١٥٤، و طبع العنانية ص ٨٧، و ينابيع المودة للحنفي ص ٣٨١، نقلا عن: فصل الخطاب، لمحمد بارسا البخارى.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٤٢

فقد ظل دعاء العباسيين يؤكدون لهم أنهم يعملون لحساب: أهل البيت.

و حتى ذلك الوقت كان العباسيون يظهرون الولاء التام لبني فاطمة، و يخلعون على حركتهم، و على سياساتهم مظهر الوصول إلى هدف ضمان العدالة، و الحق لأحفاد محمد .. و كان ممثلوا أهل البيت، و محبوبهم، لا يخامرهم الشك في الغدر، الذى تبطنه هذه الاعترافات من العباسيين؛ فشمّلوا محمد بن على، و جماعته بعطفهم و حمايتهم، الذين كانوا فى حاجة إليهما .. «١».

و يقول: «... و كانت كلمة: «أهل البيت» هى السحر الذى يؤلف بين قلوب مختلف طبقات الشعب، و يجمعهم حول الراية السوداء...» (٢).

### المرحلة الثالثة:

#### إشارة

ثم تأتي المرحلة الثالثة، و يتقلص ظل العلويين، و أهل البيت عن هذه الدعوة، أكثر فأكثر، كلما ازدادت قوتها، و اتسع نفوذها، حيث رأينا أخيرا انها اتسعت بحيث تستطيع أن تشمل العباسيين أيضا مع العلويين.

حيث أصبحت إلى: «الرضا من آل محمد»، و إن كانوا لا يزالون يذكرون فضل على، و ما لحق ولده من القتل و التشريد، كما يتضح بأذنى مراجعة لكتب التاريخ ...

و هذه العبارة، و إن كانت لا تختلف كثيرا عن عبارة: «العترة، و أهل البيت»، و نحوها ... إلا أنها كانت فى أذهان العامة أبعد من أن يراد بها العلويون على الخصوص ... و لكن مع ذلك بقيت الجماهير

(١-٢) روح الاسلام ص ٣٠٦ و ٣٠٨. و لا بأس بمراجعة ما ورد فى كتاب الامام الصادق و المذاهب الأربعة ج ١ جزء ٢ ص ٥٣٢. و السيادة العربية و الشيعية و الإسرائيليات ص ٩٤. و امبراطورية العرب ص ٤٠٦، و طبيعة الدعوة العباسية، و غير ذلك.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٤٣

تعتقد أن الخليفة سيكون علويا، كما كان العلويون يعتقدون ذلك ... «١»

على حد تعبير أحمد شلبى ... و إذا صح هذا، و فرض - و لو بعيدا- أن شعار: الرضا من آل محمد لا يختلف عن شعار: العترة، و أهل البيت فى أذهان عامة الناس، فلسنا نصر على جعل هذا مرحلة مستقلة، بل يكون داخلا فيما سبقه، و تكون المراحل حينئذ ثلاثة، لا أربعة ...

### ملاحظات لا بد منها فى المرحلة الثالثة:

#### إشارة

و قبل الانتقال إلى الكلام على المرحلة الرابعة، و الأخيرة. لا بد من ملاحظة أمور:

أ:

انهم في نفس الوقت الذي نراهم فيه يبعدون الدعوة عن أهل البيت، كما يدلنا عليه قول محمد بن علي العباسي لبكير بن ماهان: «و حذر شيعتنا التحرك في شيء مما تتحرك فيه بنو عمنا آل أبي طالب؛ فإن خارجهم مقتول، و قائمهم مخذول؛ و ليس لهم من الأمر نصيب، و سنأخذ بثأرهم...» (٢).

و كما يدلنا عليه ما رواه الطبري من أن محمد بن علي نهى دعائه عن رجل اسمه: غالب؛ لأنه كان مفرطاً في حب بنى فاطمة (٣) ... نراهم من جهة ثانية: و حتى لا يصطدموا بالعلويين وجها لوجه ... كانوا في جميع مراحل دعوتهم يتكتمون جداً باسم الخليفة، الذي يدعون الناس إليه، و إلى بيعته، بل إن الشخص الذي كانوا يدعون

(١) التاريخ الاسلامي و الحضارة الاسلامية لأحمد شلبي ج ٣ ص ٢٠.

(٢) طبيعة الدعوة العباسية ١٥٢، نقلا عن: مخطوطة العباسي ص ٩٣، أ، ٩٣ ب.

(٣) راجع: تاريخ الجنس العربي ج ٨ ص ٤١١.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العامل، ص: ٤٤

الناس إليه، و إلى بيعته ... بل و كان الناس يباعونه ما كانوا يعرفونه، بل يعرفه الدعاء فقط، و على الناس أن يباعوا إلى «الرضا من آل محمد» و لا بأس بمراجعة نص البيعة في تاريخ التمدن الاسلامي، المجلد الأول، الجزء الاول ص ١٢٥.

و لعل هدفهم من ذلك كان أيضا: هو أن لا يربطوا الدعوة بفرد معين، حتى لا تضعف إذا مات، أو اغتيل ... و على كل فقد نص ابن الأثير في الكامل ج ٤ ص ٣١٠، حوادث سنة ١٣٠ على أن أبا مسلم كان يأخذ البيعة إلى الرضا من آل محمد ...

و مثل ذلك كثير في كلمات المؤرخين، و إليك بعض النصوص التاريخية، التي تدل على ذلك:

ففي الكامل ج ٤ ص ٣٢٣ نص على أن محمد بن علي بعث داعيا إلى خراسان يدعو إلى «الرضا من آل محمد» و لا يسمى أحدا، و لعل الذي أرسله هو أبو بكره الآتي ذكره ...

و قد قال محمد بن علي العباسي لأبي بكره: «فلتكن دعوتك إلى: «الرضا من آل محمد»؛ فإذا وثقت بالرجل، في عقله، و بصيرته، فاشرح له أمركم ...

و ليكن اسمي مستورا من كل أحد، إلا عن رجل عدلك في نفسك، و توثقت منه، و أخذت بيعته ...».

ثم أمره بالتحاشي عن الفاطميين (١) ...

و يقول أحمد شلبي: «... كانوا (أي العباسيون) يوهمون العلويين بأنهم يعملون لهم، و لكنهم في الواقع كانوا يعملون لأنفسهم» (٢) ...

(١) طبيعة الدعوة العباسية ص ١٥٥، نقلا عن: DIC.PO ص ٩٥ / أ ٩٥ ب.

(٢) التاريخ الاسلامي و الحضارة الاسلامية ج ٣ ص ٢٠.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العامل، ص: ٤٥

و يقول أحمد أمين: «... و مع هذا فكان من إحكام أمرهم أنهم لم يكونوا يصرحون عند دعوتهم في كثير من المواقف باسم الإمام؛ ليتجنبوا انشقاق الهاشميين بعضهم على بعض ...» (١).

و لو كان الخليفة معيناً و معروفاً عند الناس، لما استطاع أبو مسلم، و أبو سلمة، و سليمان الخزاعي، أن يقاتلوا الإمام الصادق عليه



السلام، وغيره من العلويين، أنهم يبايعونهم، و يجعلون الدعوة لهم، و باسمهم ...  
و قد تقدمت رسالته أبي مسلم للإمام الصادق عليه السلام، التي يصرح فيها بأنه: إنما دعا الناس إلى موالاة أهل البيت فقط، أي من دون تصريح باسم أحد ...

و قد قال أحدهم: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام، فأتاه كتاب أبي مسلم؛ فقال: «ليس لكتابك جواب. أخرج عنا» (٢).  
و قال السيد أمير علي عن أبي مسلم: «و قد ظل إلى هذا الوقت مواليا، بل مخلصا، بل متحمسا لآباء علي» (٣).  
و قال صاحب قاموس الأعلام: «و عرض أبو مسلم الخراساني الخلافة ابتداء على الإمام الصادق، فلم يقبلها» (٤).

(١) ضحى الاسلام ج ٣ ص ٣٨٠، ٣٨١.

(٢) روضة الكافي ص ٢٧٤، و البحار ج ٤٧ ص ٢٩٧.

(٣) روح الاسلام ص ٣٠٦.

(٤) راجع المجلد الأول، الجزء الأول من كتاب: الامام الصادق و المذاهب الأربعة ص ٥٧، نقلا- عن: قاموس الاعلام ج ٣ ص ١٨٢١  
طبع استانبول، تأليف:

ش. سامي ...

و رغم أن أبا مسلم قد قضى على عدة ثورات قامت باسم العلويين، على ما في كتاب:  
طبيعة الدعوة العباسية ص ٢٥١، ٢٥٣، فاننا نعتقد أن رسائله هذه، و رسائله التي أرسلها إلى المنصور يظهر فيها الندم على أنه زوى الأمر عن أهله، و وضعه في غير

الحياة السياسية للإمام (الرضا)ع، مرتضى العامل، ص: ٤٦

و أما أبو سلمة: فانه عند ما خاف من انتفاض الأمر عليه، بسبب موت ابراهيم الإمام، أرسل - و السفاح في بيته - إلى الامام الصادق عليه السلام يطلب منه القدوم عليه ليبايعه، و تكون الدعوة باسمه، كما أنه كتب بمثل ذلك إلى عبد الله بن الحسن ... لكن الامام عليه السلام، الذي كان في منتهى اليقظة و الحزم. رفض الطلب، و أحرق الكتاب، و طرد الرسول «١» ...

و قد نظم أبو هريرة الأبار، صاحب الامام الصادق عليه السلام هذه الحادثة شعرا، فقال:

و لما دعا الداعون مولاي لم يكن ليثي إليه عزمه بصواب

و لما دعوه بالكتاب أجابهم بحرق الكتاب دون رد جواب

محلّه ... هي السر، و السبب الحقيقي الكامن و راء قتله، مع أنه مؤسس الدولة العباسية (و من سل سيف البغي قتل به)، و مشيد أركانها ... و قد استظهر ذلك أيضا المستشرق العلامة (بلوشيه) على ما في كتاب طبيعة الدعوة العباسية ص ٢٥١، و أشار إليه أيضا السيد أمير علي في كتابه: روح الاسلام ص ٣١١.

(١) مروج الذهب ج ٣ ص ٢٥٣، ٢٥٤، و ينابيع المودة ص ٣٨١، و تاريخ يعقوبى ج ٣ ص ٨٦، و الوزراء و الكتاب ص ٨٦، و هامش ص ٤٢١ من امبراطورية العرب، و الفخرى في الآداب السلطانية ص ١٥٤، ١٥٥، و روح الاسلام ص ٣٠٨، و عمدة الطالب، طبع بيروت ص ٨٢، ٨٣، و الكامل لابن الأثير ...

و نقله في المناقب لابن شهر آشوب ج ٤ ص ٢٢٩، و البحار ج ٤٧ ص ١٣٢ عن ابن كادش العكبرى في: مقاتل العصابة ... لكنهما (أعنى المناقب و البحار) ذكرا أن الذي كتب للإمام هو أبو مسلم ... و في المناقب ج ٤ آخر ص ٢٢٩، و البحار ج ٤٧ ص ١٣٣ نقلا عن رامش الافزارى أن الذي كتب إلى الامام هو أبو مسلم الخلال!!! ...

و واضح أن هذا هو السبب الحقيقي لقتل أبي سلمة، وقد صرح بذلك جمع من المؤرخين و الباحثين.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ٤٧ و ما كان مولای كمشرى ضلاله ولا ملسا منها الردى بثواب و لكنه لله في الارض حجة دليل الى خير، و حسن مآب «١» و كتب إليه أبو سلمة أيضا مرة ثانية، عند ما أقبلت الرايات: «إن سبعين الف مقاتل وصل إلينا، فانظر أمرک». فأجابه الامام بالرفض أيضا «٢» ...

و أما سليمان الخزاعي: المدبر الحقيقي للثورة في خراسان، فانه اتصل بعبد الله بن الحسين الأعرج، و هما يسيران أبا جعفر المنصور في خراسان، عند ما أرسله السفاح إليها، قال سليمان لعبد الله: «إنا كنا نرجو أن يتم أمرکم، فاذا شئتم فادعونا إلى ما تريدون!!»، فعلم أبو مسلم بالأمر، فقتل سليمان هذا «٣» ...

بل إن هذا إن دل على شيء فانما يدل على أن كثيرا من الدعاة ما كانوا يعرفون: أن الخليفة سيكون عباسيا، فضلا عن أن يكونوا يعرفونه باسمه الصريح ...

قال الدكتور فاروق عمر: «على أننا نستطيع القول: إن اسم الامام كان معروفا لدى الحلقات الخاصة من الشيعة الهاشمية، أو العباسية، و أن الكثير من الأنصار، الذين ساندوا الثورة، و منهم ابن الكرماني نفسه، لم يكن يعرف أن «الرضا من آل البيت» سيكون عباسيا، مع أن ابن الكرماني كان قائدا كبيرا، و كان يطمع إلى الاستيلاء على

(١) مناقب ابن شهر آشوب ج ٤ ص ٢٣٠. و البحار ج ٤٧ ص ١٣٣.

(٢) مناقب ابن شهر آشوب ج ٤ ص ٢٢٩، و البحار ج ٤٧ ص ١٣٣، و الامام الصادق و المذاهب الأربعة ج ١ ص ٤٧.

(٣) الطبري ج ١٠ ص ١٣٢، و الامامة و السياسة ج ٢ ص ١٢٥.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ٤٨

خراسان «١» ...».

## ب:

يلاحظ أن العباسيين قد موهوا على الناس، و استطاعوا أن يخدعوه، حيث خيلوا لهم في بادئ الأمر أن الثورة كانت للعلويين ... ثم بدءوا يعدون العدة لما سوف يقولون للناس عند اكتشافهم لحقيقة الأمر؛ فصنعوا سلسلة الوصاية المعروفة عنهم من على بن أبي طالب، إلى محمد ابن الحنفية، فإلى أبي هاشم، فإلى على بن عبد الله بن العباس ...

و هكذا ... و هي في الحقيقة نفس عقيدة الكيسانية، كما سنشير إليها في بعض الهوامش الآتية.

و قد جازت حيلتهم هذه على الناس، الذين كانوا يظنون أنهم يعملون للعلويين «٢»، حتى لقد خفى أمرهم عن عبد الله بن معاوية حسما قدمنا، بل لقد كان من جملة المخدوعين، الذين اكتشفوا الحقيقة بعد فوات الأوان، سليمان الخزاعي، الذي تقدم أنه - باعترافه - كان يرجو هذا الأمر للعلويين، و أبو مسلم الخراساني الذي صرح المنصور بأن السفاح كان قد خدعه ... و أنه خدع أيضا من قبل ابراهيم الإمام، حيث ادعى الوصاية و الامامة، و حرفا الآيات الواردة في أهل البيت لتتنطبق عليهم، مما كان من نتيجته أن زوى الأمر عن أهله، و وضعه

(١) طبيعة الدعوة العباسية ص ٢٠٩ ... و لقد اشتبه الأمر على الدكتور فاروق عمر؛ فان ابن الكرماني كان من عمال الامويين، و لم يكن من الشيعة في أى وقت من الأوقات، و انما استماله أبو مسلم توطئة للغدر به ... و لم يكن أبو مسلم و لا غيره من الدعاة و النقباء ليصرحوا لعدوهم بمثل هذا الأمر الذي يخفونه عن أخص الناس بهم، بل حتى عمن هم مثل المنصور.

(٢) امبراطورية العرب ص ٢٠٦، وغير ذلك كثير ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٤٩

في غير محله «١».

أما انخداع ابن الكرمانى فهو من الامور الواضحة والمعروفة. بل لقد رأينا البعض يذكر أن أبا سلمة الخلال كان أيضا من جملة المخدوعين، حيث كان يتوهم: أن الخليفة سيكون علويا لا عباسيا «٢» ...

### ج:

و مما تجدر الاشارة إليه هنا، هو ما تقدم: من رفض الامام القاطع لعرض كل من أبى سلمة، و أبى مسلم فى جعل الدعوة له، و باسمه

...

و ما ذلك إلا لعلمه عليه السلام: بأن هؤلاء ليس لهم من هدف، إلا الوصول إلى مآربهم من الحكم و السلطان، ثم يتخلصون من كل من لا- يعودون بحاجه إليه، إذا اعتبروه عقبه فى طريقهم ... كما كان الحال فى قتلهم أبا مسلم، و سليمان بن كثير، و أبا سلمة ... و غيرهم ... شاهدنا على ذلك جواب الإمام عليه السلام لأبى مسلم: «ما أنت من رجالى، و لا الزمان زمانى» ... و كذلك المحاوره التى جرت بينه عليه السلام، و بين عبد الله بن الحسن، عند ما جاءه كتاب من أبى سلمة مثل كتابه ...

و أيضا قوله عليه السلام: مالى و لأبى سلمة، و هو شيعه لغيرى ... بل و مما يدل على ذلك دلالة قاطعه ... ما قدمناه من اعتذار أبى سلمة للسفاح، عن مراسلته للصادق، و غيره من العلويين، بأنه: «كان يدبر استقامه الأمر» بل يذكر الطبرى ج ٦ ص ١٠٢ و ابن الأثير ج

٥

(١) الامام الصادق و المذاهب الأربعة المجلد الأول، جزء ٢ ص ٥٣٣، و سنشير إلى مصادر اخرى لذلك فيما يأتى إن شاء الله ...

(٢) التاريخ الاسلامى و الحضارة الاسلاميه ج ٣ ص ٢٥٤. و فى كتاب: السيادة العربية لفان فلوتن ص ٩٧: أن النقباء أمروا بعض الدعاة بستر اسم المدعو له، و أخفوا اسم المدعو له عن البعض الآخر ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٥٠

ص ٤٣٧: أنه عند ما جمع السفاح خاصته ليستشيرهم بقتل أبى سلمة و أخبرهم بمكاتبتة للعلويين ... نجد أن بعض خاصته انبرى ليقول: ما يدريكم لعل ما صنع أبو سلمة كان من رأى أبى مسلم «١». و عليه فلا يصح قول صاحب العيون و الحقائق ص ١٨١: «و لم يكن هوى أبى سلمة معهم، و إنما كان هواه مع الصادق جعفر الخ ...» فإن لجوءه إلى الصادق إنما كان لأجل استقامه الأمر. بل إن بعض المحققين لا يستبعد أن يكون من جملة أهدافهم من رسائلهم تلك، إلى الصادق، و عبد الله ابن الحسن، و غيرها من العلويين ... هو معرفة إن كان هؤلاء يطمحون إلى الحكم، و يرغبون فيه أولا ... و ذلك ليستعد العباسيون- من ثم- لمواجهة دعوتهم، و رصد كل حركاتهم، و سكناتهم، و من ثم شل حركتهم، و القضاء عليهم ... و هذا أسلوب استعمله المنصور من بعد، لكن الإمام الصادق عليه السلام تنبه للمكيدة، و عمل على احباطها ...

### د:

و تصريح أبى سلمة هذا و موقف الإمام منه، و قوله: إنه شيعه لغيره يلقى لنا ضوءا على الروايات التى تتهمه، و تتهم أبا مسلم بميول علوية ... و أن أبا مسلم أراد أن يعلن خلافة علوية، بمجرد وصوله إلى خراسان، كما عن الذهبى، و شارح شافية أبى فراس، و تاريخ الخميس. فان ذلك لا شاهد له إلا رسائلهما التى أشرنا إليها ... مع أنها لم يكن الهدف منها إلا استقامه الأمر للعباسيين ... خصوصا إذا

لاحظنا أن أبا مسلم قد قضى على عدة ثورات للعلويين، و باسمهم - كما أشرنا إليه -

(١) و أما كتابه للصادق فهو لا يدل على اخلاصه له، بل هو فقط - كان يدبر استقامة الأمر، و قتله من قبل العباسيين بهذا الجرم ليس إلا تغاضيا عن حقيقة الأمر بهدف الوصول إلى أهدافهم في التخلص منه بطريقة مشروعة.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٥١

و أنه كان يلاحقهم تحت كل حجر و مدر، و فى كل سهل و جبل، على حد تعبير الخوارزمى «١» ...

### المرحلة الرابعة:

ثم تأتى المرحلة الرابعة و الاخيرة، و هى: ادعاؤهم بالخلافة بالإرث، كما أشرنا إليه ... و لكنهم استمروا يربطون الثورة بأهل البيت عليهم السلام من ناحيتين:

الأولى: ادعاؤهم بالخلافة بالارث عن طريق على بن أبى طالب، و محمد بن الحنفية، كما سيأتى بيانه.

الثانية: ادعاؤهم أنهم إنما خرجوا للأخذ بثارات العلويين ... فأما ادعاؤهم استحقاقهم للخلافة بالارث، عن طريق على بن أبى طالب عليه السلام، و احتجاجهم بقرباهم النسبية من رسول الله (ص)، فاننا نلمحها فى كثير من مواقفهم، حيث كانوا يستطيون على الناس بهذه القربى، و يحتجون بها فى مختلف المناسبات «٢» ...

(١) و لكننا لا نجد فيما بأيدينا من الشواهد التاريخية، ما يؤيد دعوى الخوارزمى هذه عدا ما ذكره من أنه: قتل عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر، و عبيد الله بن الحسين بن على بن الحسين.

(٢) حيث قد ظلوا بحاجه لأن يصلوا حقهم الذى كانوا يدعونه ... بحق على بن أبى طالب عليه السلام، و وصايتهم بالوصاية التى له، و التى لا يجهلها أحد، و ليصححوا بهذه الوسيلة خلافتهم، و يتقبلها الناس ... فكانت السلسلة التى سيأتى بيانها هى معتمدتهم، مضيفين إليها تبرأهم من أبى بكر و عمر و عثمان ...

و فى الحقيقة أن تلك هى عقيدة الكيسانية انتحلوها لأنفسهم يوحى من مصالحهم الخاصة ...

حتى إذا ما وصلوا إلى الحكم نراهم قد قطعوا حبل صلتهم بعلى، و ولده، و جعلوا

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٥٢

فقد قال داود بن على، أول خطيب لهم على منبر الكوفة، فى أول كلام له أمام السفاح: «... و إنما أخرجنا الانفة من ابتزازهم حقنا، و الغضب لبني عمنا «١»...».

و نرى السفاح فى خطبته الأولى أيضا فى مسجد الكوفة، بعد أن ذكر عظمة الرب تبارك و تعالى، و فضل النبى (ص) «قد قاد الولاية و الوراثة، حتى انتهى إليه، و وعد الناس خيرا «٢»...».

و يقال: إن من جملة ما قاله السفاح فى خطبته الأولى: «... فأعلمهم جل ثناؤه فضلنا، و أوجب عليهم حقنا و مودتنا، و أجزل من الفىء، و الغنيمه نصيبنا، تكرمنا لنا و فضلا علينا ...

و زعمت السبائية الضلال: أن غيرنا أحق بالرياسة و السياسة ... إلى أن قال: ورد علينا حقنا «٣» ...»

الخلافة حقا للعباس و ولده ... ثم تخلوا عن ذلك كله فيما بعد، و رجعوا إلى العقيدة التى أسسها معاوية، و لكنهم اختلفوا عنه بأنهم أدخلوا عليها، و جعلوه فى المرتبة الرابعة، و كان ذلك بداية وجود أهل السنة بخصائصهم، و مميزاتهم المذهبية، و لهذا البحث مجال

آخر، والله هو الموفق والمستعان.

(١) الطبري، طبع ليدن ج ١٠ ص ٣١، و البداية و النهاية ج ١٠ ص ٤١، و شرح النهج للمعتزلي ج ٧ ص ١٥٤، و الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٣٢٥.

(٢) تاريخ ابن خلدون ج ٣ ص ١٢٩، و مروج الذهب ج ٣ ص ٢٥٦، و الطبري ج ١٠ ص ٣٧، طبع ليدن.

(٣) الطبري ج ١٠ ص ٣٩، ٤٠، و تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٥٧، و البداية و النهاية ج ١٠ ص ٤١، و الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٣٢٤، ٣٢٥ ...

لكن الظاهر أن لعن السبائية (و هم الشيعة الامامية حسب مصطلحهم) مفتعل على لسان السفاح؛ لأن كلمة داود بن علي المتقدمة تدل على إنكار العباسيين - في بدء أمرهم - خلافة أبي بكر، و عمر، و عثمان، و تمسكهم بخلافة علي عليه السلام، حيث يصلون حبل وصايتهم بها ... و إن كانوا قد رجعوا عن هذه العقيدة بعد ذلك حسبما أشرنا إليه إلى العقيدة التي كان قد روجها معاوية ... و لكن من المؤكد أنهم استمروا على عقيدتهم تلك، أعنى إنكار خلافة الثلاثة، و وصلهم حبل وصايتهم بعلي عليه السلام، إلى زمن المنصور، الذي كان أول من أوقع الفتنة بين العباسيين و العلويين كما سيأتي ...

الحياة السياسية للإمام (الرضا)ع، مرتضى العامل، ص: ٥٣.

و يقول داود بن علي في خطبته الأولى في مسجد الكوفة أيضا:

«... و أحيا شرفنا و عزنا، ورد إلينا حقنا و إرثنا ...» (١).

(١) الطبري ج ١٠ ص ٣٢، طبع ليدن، و الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٣٢٥.

(أمر هام لا بد من التنبيه عليه): إننا إذا تتبعنا الأحداث التاريخية، نجد: أن كل مطالب بالخلافة كان يدعى أول ما يدعى الرحيمية و القربي من رسول الله (ص). و أول من بدأ ذلك أبو بكر في يوم السقيفة، و تبعه علي ذلك عمر؛ حيث قررا أن ليس لأحد الحق في أن ينازعهم سلطان محمد؛ إذ أنهم أمس برسول الله رحما (على ما في نهاية الإرب ج ٨ ص ١٦٨، و عيون أخبار ابن قتيبة ج ٢ ص ٢٣٣، و العقد الفريد ج ٤ ص ٢٥٨، طبع دار الكتاب العربي، و الأدب في ظل التشيع ص ٢٤، نقلا عن البيان و التبيين للجاحظ)؛ و لأنهم هم أولياؤه و عشيرته، على ما ذكره الطبري ج ٣ ص ٢٢٠، طبع دار المعارف بمصر، و الامامة و السياسة ص ١٤، ١٥ طبع الحلبي بمصر، و شرح النهج للمعتزلي ج ٦ ص ٧، ٨، ٩، ١١، و الامام الحسين للعلائلي ص ١٨٦، و ص ١٩٠، و غيرهم. او لأنهم عتره النبي (ص) و أصله و البيضة التي تفقأت عنه كما في العثمانية للجاحظ ص ٢٠٠. فأسقطا بذلك دعوى الأنصار عن الاعتبار.

كما أن أبا بكر قد استدل على الأنصار بالحديث الذي صرح باستفاضته جهابذة أهل السنة (على ما في ينايع المودة للحنفي)، و هو قوله (ص) مشيرا إلى خلفائه الاثني عشر:

«يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم تجتمع عليه الامة، كلهم من قريش» - استدل به - بعد أن تصرف فيه، بأن حذف صدره، و اكتفى بذكر: أن الأئمة من قريش على ما في صواعق ابن حجر ص ٦، و غيره ...

و أصبح كون الأئمة من قريش تقليدا متبعا، بل و من عقائد أهل السنة المعترف بها، و قد استدل ابن خلدون على ذلك بالاجماع. و لكن قول عمر: لو كان سالم مولى حذيفة حيا لوليته، قد أوقع ابن خلدون، كما أوقع غيره من جهابذة أهل السنة في حيص بيص؛ لعدم كون سالم قرشيا، فضلا عن أن يكون أمس رحما برسول الله من غيره، فراجع مقدمة ابن خلدون ص ١٩٤، و غيره من كتبهم ... أما ابن كثير فإنه قد استشكل بالأمر من ناحية اخرى؛ حيث قال - و هو يتحدث عن فتنة محمد بن الأشعث الكندي - : «... و العجب كل العجب من هؤلاء الذين بايعوه بالامارة،

الحياة السياسية للإمام (الرضا)ع، مرتضى العامل، ص: ٥٤.

و ليس هو من قريش، و انما هو كندی من اليمن؛ و قد اجتمع الصحابة يوم السقيفة على أن الإمارة لا تكون إلا في قريش، و احتج عليهم الصديق بالحديث في ذلك، حتى أن الانصار سألوا أن يكون منهم أمير مع أمير المهاجرين، فأبى الصديق عليهم ذلك ... ثم مع هذا كله ضرب سعد بن عباد، الذي دعا إلى ذلك أولاً، ثم رجع عنه» ... انتهى ... راجع البداية و النهاية ج ٩ ص ٥٤.

فتراه يستشكل في عمل من بايعوا محمد بن الاشعث بامرؤ المؤمنين، التي رآها مخالفةً للاجماع المدعى يوم السقيفة ... و تراه يعترف بمخالفة سعد ثم يدعى أنه رجع عن ذلك ...

و لست أدري كيف رجع عنه، مع أنه من المتسالم عليه تاريخياً: أنه استمر على الخلاف معهم، حتى اغتيل بالشام - اغتالته السياسة، على حد تعبير طه حسين في كتابه: من تاريخ الأدب العربي ج ١ ص ١٤٦، و غيره ... و ذلك أشهر من أن يحتاج إلى بيان.

و على كل حال ... فان ما يهمننا هو الاشارة إلى أن كون الأئمة من قريش ليس فقط أصبح تقليداً متبعاً، بل قد أصبح من عقائد أهل السنة المعترف بها ...

و لكن ما تأتي به السياسة، تذهب به السياسة؛ إذ بعد تسعمائة سنة جاء السلطان سليم، و خلع الخليفة العباسي، و تسمى هو ب: «أمير المؤمنين»، مع أنه لم يكن من قريش.

و بهذا يكون قد الغى هذا التقليد عملاً من عقائد طائفة من المسلمين، و أبطله ...

و مهما يكن من أمر فان أول من ادعى استحقاق الخلافة بالقربى النسبية من رسول الله (ص) كان أبو بكر، ثم عمر، و جاء بعدهما بنو أمية؛ فعرفوا أنفسهم بأنهم ذوى قريبي النبي (ص) حتى لقد حلف عشرة من قواد أهل الشام، و أصحاب النعم و الرئاسة فيها - حلفوا - للسفاح:

على أنهم لم يكونوا يعرفون إلى أن قتل مروان، أقرباء للنبي (ص)، و لا - أهل بيت يرثونه غير بنى أمية ... فراجع النزاع و التخاصم للمقريزي ص ٢٨، و شرح النهج للمعتزلى ج ٧ / ١٥٩، و مروج الذهب ج ٣ ص ٣٣ و فتوح ابن أعمش ج ٨ ص ٩٥ بل لقد ذكر المسعودي و المقريزي: أن إبراهيم بن المهاجر البجلي، الموالى للعباسيين قد نظم قضية هؤلاء الامراء شعراً، فقال:

أيها الناس اسمعوا أخبركم عجباً زاد على كل العجب

عجباً من عبد شمس إنهم فتحوا للناس أبواب الكذب

ورثوا أحمد فيما زعموا دون عباس بن عبد المطلب

كذبوا و الله ما فعله يحرز الميراث إلا من قرب و يقول الكميت عن دعوى بنى أمية هذه:

و قالوا: ورثناها أبانا و امانا ولا ورثتهم ذاك أم و لا أب

الحياة السياسية للإمام (الرضا) (ع)، مرتضى العاملى، ص: ٥٥

و فى العقد الفريد ج ٢ / ١٢٠ طبع دار الكتاب العربى: أن أروى بنت الحارث بن عبد المطلب قالت لمعاوية: «... و نبينا (ص) هو المنصور؛ فوليتم علينا من بعده، تحتجون بقرابتكم من رسول الله (ص)، و نحن أقرب إليه منكم، و أولى بهذا الأمر الخ ...».

ثم جاء العباسيون، و ادعوا نفس هذه الدعوى، كما هو واضح من النصوص التي ذكرناها، و نذكرها ... بل لقد ادعى نفس هذه الدعوى أيضاً أكثر إن لم يكن كل من خرج مطالباً بالخلافة، سواء كان خروجه على الامويين أو على العباسيين ...

و هذا يعنى أن العامل النسبى قد لعب دوراً هاماً فى الخلافة الإسلامية، و كان الناس بسبب جهلهم، و عدم وعيهم لمضامين الاسلام يصدقون و يسلمون بأن القربى النسبية تكفى وحدها فى أن تجعل لمدعيها الحق فى منصب الخلافة. و لعل أكثر ما ورد فى القرآن الكريم، و السنة النبوية الشريفة من الوصايا بأهل البيت عليهم السلام، و الأمر بمودتهم، و محبتهم، و التمسك بهم جعل الناس يظنون

أن سبب ذلك هو مجرد قرباهم النسبية منه (ص) ... و كان أن استغل الطامحون فهم الناس الخاطى هذا ... بل لقد حاولوا ما أمكنهم تكريسه، و تثبته ...

إلا- أن حقيقة الأمر هي غير ذلك؛ فان منصب الخلافة في الاسلام، لا يدور مدار القربى النسبية منه. بل هو يدور مدار الأهلية و الجدارة، و الاستعداد الذاتى لقيادة الامة قيادةً صالحه، كما كان النبى (ص) يقودها، يدللك على ذلك أننا لو رجعنا إلى النصوص القرآنية، و إلى ما ورد عن النبى (ص) بشأن الخليفة بعده، فلعلنا لا نعث على نص واحد منها يفهم منه أن استحقاق الخلافة يدور مدار القربى النسبية منه (ص)، و حسب.

و كل ما ورد في القرآن، و عنه (ص) من الأمر بموالاة أهل بيته، و حبهم، و التمسك بهم، و من تعيينه خلفاء منهم، فليس لأجل قرباهم النسبية منه (ص). بل لأن الأهلية، و الجدارة الحقيقية لهذا المنصب قد انحصرت فى الخارج فيهم. فهو على حد تعبير الاصوليين:

من باب الاشارة إلى الموضوع الخارجى ... و ليس تصريحه (ص) بالقربى لأجل بيان الميزان و المقياس و الملاك فى استحقاقهم الخلافة.

و واضح أنه كان لا بد من الالتجاء إلى الله و رسوله لتعيين الشخص الذى له الجدارة و الأهلية لقيادة الامة؛ لأن الناس قاصرون عن إدراك حقائق الامور، و نفسيات، و غرائز، و ملكات بعضهم البعض ... إدراكا دقيقا و حقيقيا، و عن إدراك عدم طرو تغير أو تبدل عليه فى المستقبل ... و نقد عينه (ص) بالفعل، و دل عليه بمختلف الدلالات، الحياة السياسية للإمام (الرضاع)، مرتضى العاملى، ص: ٥٦

بالقول: تصريحاً، و تلوياً، و كناية، و نصاً، و وصفاً، و غير ذلك ... و بالفعل أيضاً، حيث أمره على المدينة، و على كل غزوة لا يكون هو (ص) فيها، و لم يؤمر عليه أحداً، و غير ذلك ...

هذا هو رأى الشيعة، و هذا هو رأى أئمتهم فى هذا الأمر، و كلماتهم طافحة و مشحونة بما يدل على ذلك. و لا يبقى معه مجال لأى لبس أو توهم؛ فراجع كلام الامام على فى شرح النهج للمعتزلى ج ٦ ص ١٢، و غيره مما قد يتعسر استقصاؤه ... و مما ذكرنا نستطيع أن نعرف أن ما ورد عن الامام على عليه السلام، أو عن غيره من الأئمة الطاهرين، من قولهم: أنهم هم الذين عندهم ميراث رسول الله (ص)؛ فانما يقصدون به الميراث الخاص، الذى يختص الله به من يشاء من عباده، أعنى: ميراث العلم؛ على حد قوله تعالى: «ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ...» و قد اعترف أبو بكر نفسه لفاطمة الزهراء بأن الأنبياء يورثون العلم لأشخاص معينين من بعدهم. و على كل فلقد أنكر على عليه السلام مبدأ استحقاق الخلافة بالقرابة و الصحابة أشد الإنكار، فقد جاء فى نهج البلاغة قوله عليه السلام: «وا عجباً!! أ تكون الخلافة بالصحابة و القرابة؟!». هكذا فى نهج البلاغة، شرح محمد عبده، و لكن الظاهر هو أنها محرفة، و أن الصحيح هو ما فى نسخة ابن ابى الحديد، و هى هكذا: «وا عجباً!! أن تكون الخلافة بالصحابة، و لا تكون بالصحابة و القرابة!!».

و أما ما يظهر منه أنهم يستدلون لاستحقاقهم الخلافة بالقربى من رسول الله (ص)، فانما اقتضاه الحجاج مع الخصوم؛ فهو من باب: «الزموم بما الزموا به أنفسهم». و يدل على هذا المعنى و يوضحه ما قاله الإمام على عليه السلام لأبى بكر، عند ما جاء به لبيبا؛ فكان مما قاله: «... و احتججتهم عليهم (أى على الأنصار) بالقرابة من النبى (ص) ...

و أنا أحتج عليكم بمثل ما احتججتهم به على الأنصار، نحن أولى الخ» ... راجع: الامامة و السياسة ج ١ ص ١٨.

و يشير أيضاً عليه السلام- إلى هذا المعنى فى بعض خطبه الموجودة فى نهج البلاغة فمن أراد فليراجعه ... كما و يشير إليه أيضاً ما نسب إليه عليه السلام من الشعر (على ما فى نهج البلاغة) و هو قوله:

فان كنت بالشورى ملكت امورهم فكيف بهذا و المشيرون غيب

و ان كنت بالقربى حججت خصيمهم فغيرك أولى بالنبي و أقرب و لكن أحمد أمين المصرى فى كتابه: ضحى الاسلام ج ٣ ص

٢٦١، و ص ٣٠٠، و ص ٢٢٢، و ص ٢٣٥. و كذلك سعد محمد حسن فى كتابه: المهديه فى الاسلام ص ٥

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٥٧

و الخضرى فى محاضراته ج ١ ص ١٦٦: إن هؤلاء ينسبون إلى الشيعة القول: بأن منصب الخلافة يدور مدار القربى النسبية منه (ص) و حسب ... رغم اعتراف أحمد أمين فى نفس الكتاب، و بالتحديد فى ص ٢٠٨، ٢١٢: بأن الشيعة يحتجون بالنص فى خصوص الخليفة بعد الرسول ... بل و الخضرى يعترف بذلك أيضا حيث قال: «أما الانتخاب عند أهل التنصيص على البيت العلوى، فانه كان منظورا فيه إلى الوراثه الخ» ...

و هى نسبة غريبه حقا- بعد هذا الاعتراف الصريح منهم، و من غيرهم- فان عقيدة الشيعة- تبعا لأئمتهم هى ما ذكرنا، أى ليس منصب الخلافة دائرا مدار القربى النسبية منه (ص)، و أدلة الشيعة تنطق و تصرح بأن القربى النسبية وحدها لا توجب بأى حال من الأحوال استحقاق الخلافة، و إنما لا بد من النص المعين لذلك الشخص الذى يمتلك الجدارة و الأهلية و الاستعداد الذاتى لها ...

إنهم يستدلون على خلافة على عليه السلام بالنصوص القرآنية، و النبوية المتواترة عند جميع الفرق الاسلامية، و لا يستدلون بالقربى إلا من باب: ألزومهم ... أو من باب تكثير الأدلة، أو فى مقابل استدلال أبى بكر و عمر بها، و إذا ما شذ واحد منهم، و استدل بذلك، معتقدا بخلاف ما قلناه عن قصور نظر، و قلة معرفه، أو لفهمه- خطأ- ما ورد عنهم عليهم السلام، من أن عندهم ميراث رسول الله (ص)؛ فلا يجب، بل لا يجوز أن يحسب على الشيعة، و من ثم القول بأن ذلك هو قولهم، و أن تلك هى عقيدتهم ...

و لعل أحمد أمين لم يراجع أدلة الشيعة!! أو أنه راجعها، و اشتبه عليه الأمر!! أو أنه ... لا هذا ... و لا ذاك ... و إنما أراد التشنيع عليهم؛ فنسب إليهم ما ليس من مذهبهم! و يدلنا على صحة هذا الاحتمال الأخير، اعترافه المشار إليه، بأن الشيعة يستدلون على إمامه على عليه السلام بالنص، لا بالقربى!! ...

و خلاصة القول هنا: إن القربى النسبية ليست هى الملاك فى استحقاق الخلافة. و لم تكن دعوى أنها كذلك، لا من الأئمة، و لا من شيعتهم. و إنما كانت من قبل أبى بكر، و عمر، ثم الامويين، فالعباسيين.

و إذا كان أهل السنة- تبعا لأئمتهم- قد جعلوا كون الإمامة فى قريش من عقائدهم.

و إذا كان غير أهل البيت هم الذين ادعوا هذه الدعوى، و هللوا و كبروا لها ... فمن الحق لنا إذن أن نقول:

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٥٨

و عند ما ذهب داود بن على إلى مكة، واليا عليها، من قبل أخيه السفاح، و أراد أن يخطب فى مكة خطبته الأولى، طلب منه سديف بن ميمون أن يأذن له فى الكلام؛ فأذن له؛ فوقف؛ و قال من جملة ما قال:

«... أترعم الضلال: أن غير آل الرسول أولى بترائه؟! و لم؟! و بم؟! معاشر الناس؟! ألهم الفضل بالصحابه، دون ذوى القرابه؟

الشركاء فى النسب، و الورثه للسلب ...» «١».

و يقول داود بن على فى نفس المناسبة، أعنى فى أول خطبه له:

«لم يقيم فيكم إمام بعد رسول الله (ص)، إلا على بن أبى طالب، و هذا القائم فيكم ...» و أشار إلى السفاح «٢».

«رمتى بدائها و انسلت».

و أخيرا ... فلقد كان من أبسط نتائج هذه العقيدة لدى أهل السنة، و قبولهم أن القربى النسبية تجعل لمدعيها الحق فى الخلافة ... أن



سنتح الفرصة لأن يصل أشخاص إلى الحكم من أبرز مميزاتهم، وخصائصهم جهلهم بتعاليم الدين، و انسياقهم وراء شهواتهم، أينما كانت، وحيثما وجدت، جاعلين الحكم والسلطان وسيلة إليها، مسدلين على حماقاتهم هنا، و تفاهاتهم هناك ستارا من القربى النسبية منه (ص) ... و هو من هؤلاء و أمثالهم برىء ...

و لما لم يعد ذلك الستار يقوى على المنع من استكناه واقعهم، و حقيقة نواياهم و تصرفاتهم، كان لا بد لهم من الالتجاء إلى أساليب اخرى، تبرر لهم واقعهم، و تحمي تصرفاتهم، و تؤمن لهم الاستمرار فى الحكم. و لعل بيعة المأمون للامام الرضا عليه السلام بولاية العهد هي من تلك الأساليب، كما سيتضح إن شاء الله تعالى ...

(١) تاريخ اليعقوبى ج ٣ ص ٨٩، و العقد الفريد، طبع دار الكتاب ج ٤ ص ٤٨٥

(٢) مروج الذهب ج ٣ ص ٢٣٧ و ٢٥٦، و الطبرى ج ١٠ ص ٣٣ و ٣٧، و عيون الأخبار لابن قتيبة ج ٢ ص ٢٥٢، و تاريخ اليعقوبى ج ٣ ص ٨٧، ٨٨، و الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٣٢٦، و تاريخ ابن خلدون ج ٣ ص ١٢٩ و ١٧٣، و امبراطورية العرب ص ٤٢٢، و البداية و النهاية ج ١٠ ص ٤٢، و شرح النهج للمعتزلى ج ٧ ص ١٥٥، و فيه: «إنه لم يخطب على منبركم هذا خليفة حق إلخ» ... و برواية اخرى فيه: «اقسم بالله قسما برا، ما قام هذا المقام أحد بعد رسول الله صلى الله عليه و آله، أحق به من على بن أبى طالب، و أمير المؤمنين هذا» ...

الحياة السياسية للامام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٥٩

و قال المنصور فى خطبة له: «و أكرمنا من خلفته، ميراثنا من نبيه ...» (١).

و لكنهم بعد المنصور- بل و حتى من زمن المنصور نفسه كما سيتضح- قد غيروا سلسلة الارث هذه، و جعلوها عن طريق العباس، و ولده عبد الله، و لكنهم أجازوا بيعة على؛ لأن العباس نفسه كان قد أجازها ... كما سيأتى بيانه .. فكانت استدلالات الخلفاء ابتداء من المنصور ناظرة إلى الارث عن هذا الطريق ... فترى المنصور يبين فى رسالته منه لمحمد بن عبد الله بن الحسن: أن الخلافة قد ورثها العباس فى جملة ما ورثه من النبى (ص)، و أنها فى ولده «٢» ...

و كان الرشيد يقول: «ورثنا رسول الله، و بقيت فىنا خلافة الله «٣»».

و قال الأمين عند ما بويع له، بعد موت أبيه الرشيد: «... و أفضت خلافة الله، و ميراث نبيه إلى أمير المؤمنين الرشيد «٤»»...

و مدح البعض المأمون، و عرض بأخيه الذى غدر به، فقال فى جملة أبيات له:

إن تغدروا جهلا بوارث أحمد و وصى كل مسدد و موفق «٥»

(١) مروج الذهب ج ٣ ص ٣٠١، و الطبرى ج ١٠ ص ٤٣٢.

(٢) الطبرى ج ١٠ ص ٢١٥، و العقد الفريد طبع دار الكتاب ج ٥ ص ٨١، إلى ٨٥، و صبح الأعشى ج ١ ص ٣٣٣، فما بعد، و الكامل للمبرد، و طبيعة الدعوة العباسية ...

(٣) البداية و النهاية ج ١٠ ص ٢١٧.

(٤) تاريخ اليعقوبى ج ٣ ص ١٦٣.

(٥) مروج الذهب ج ٣ ص ٣٩٩.

الحياة السياسية للامام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٦٠

إلى غير ذلك مما لا مجال لنا لتتبعه ... و لنعد إلى ما كنا فيه أولا، فنقول:

و أما ادعائهم: أنهم إنما خرجوا للأخذ بثارات العلويين، و استمرارهم على ربط الثورة بأهل البيت، حتى بعد نجاح ثورتهم، و تسلمهم لأزمة الحكم و السلطان- و هذه هي الناحية الثانية من المرحلة الرابعة- فذلك أوضح من أن يخفى ... و قد تقدم قول محمد بن علي لبيكر بن ماهان:

«و سنأخذ بثارهم ...» يعنى بثارات العلويين. و تقدم أيضا قول داود ابن علي: «و انما أخرجنا الانفة من ابتزازهم حقنا، و الغضب لبني عمنا ...»

و يقول السفاح، عند ما أتى برأس مروان: «ما أبالي متى طرقتى الموت، فقد قتلت بالحسين، و بنى أبيه من بنى أمية مائتين، و أحرقت شلو هشام بابن عمى زيد بن علي، و قتلت مروان بأخى ابراهيم ...» (١).

و يقول صالح بن علي لبنات مروان: «ألم يقتل هشام بن عبد الملك، زيد بن علي بن الحسين، و صلبه فى كناسة الكوفة؟. و قتل امرأة زيد بالحيرة، على يد يوسف بن عمرو الثقفى؟! ألم يقتل الوليد بن يزيد يحيى بن زيد، و صلبه بخراسان!؟»

(١) مروج الذهب ج ٣ ص ٢٥٧، و فى شرح النهج للمعتزلى ج ٧ ص ١٣١، و حياة الامام موسى بن جعفر للقرشى ج ١ ص ٣٣٧، نقلا عن مختصر أخبار الخلفاء، هكذا ... «... و قد قتلت بالحسين ألفا من بنى أمية ... إلى أن قال: و قتلنا سائر بنى أمية بحسين، و من قتل معه، و بعده من بنى عمنا أبى طالب ...»

الحياة السياسية للإمام (الرضا)(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٦١

ألم يقتل الدعى عبيد الله بن زياد، مسلم بن عقيل بن أبى طالب بالكوفة؟! ألم يقتل يزيد بن معاوية الحسين «١»؟! ... و برواية ابن أبى الحديد، أنه قال لهن: «... إذن، لا نستبقى منكم أحدا؛ لأنكم قد قتلتم ابراهيم الإمام، و زيد بن علي، و يحيى بن زيد، و مسلم بن عقيل.

و قتلتم خير أهل الأرض حسينا، و إخوته، و بنيه، و أهل بيته، و سقتم نساءه سبايا- كما يساق ذرارى الروم- على الأقتاب إلى الشام ...» (٢).

و لا بأس بمراجعة ما قاله داود بن علي عند ما قتل ثمانين أمويا مرة واحدة «٣».

و كذلك فانهم ما لقبوا أبى سلمة الخلال، أول وزير فى الدولة العباسية ب «وزير آل محمد»، و أبى مسلم الخراسانى ب «أمين، أو أمير آل محمد «٤» ... إلا من أجل الحفاظ على ربط الدعوة بأهل البيت عليهم السلام، و لتبقى - من ثم - محتفظة بقوتها، و حيويتها ... و أخيرا ... فلم يكن اتخاذهم السواد شعارا إلا تعبيرا عن الحزن و الاسى

(١) الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٣٣٢، و مروج الذهب ج ٣ ص ٢٤٧، و لا بأس بمراجعة خطبة السفاح فى مروج الذهب أيضا ج ٣ ص ٢٥٧.

(٢) شرح النهج للمعتزلى ج ٧ ص ١٢٩.

(٣) تاريخ اليعقوبى ج ٣ ص ٩٢.

(٤) الفخرى فى الآداب السلطانية ص ١٥٥، و مروج الذهب ج ٣ ص ٢٧١، و البداية و النهاية ج ١٠ ص ٥٤، و الطبرى ج ١٠ ص ٦٠، و تاريخ التمدن الاسلامى، المجلد الأول، جزء ١ ص ١٥٢، و غيرهم. فانه مما نص عليه أكثر المؤرخين ...

الحياة السياسية للإمام (الرضا)(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٦٢

لما نال أهل البيت فى عهد بنى أمية «١» ...

و هكذا ... يتضح، بما لا مجال معه للشك: أنهم كانوا يستغلون سمعة العلويين، و دماءهم الزكية في محاولاتهم للوصول إلى الحكم، و تثبيت أقدامهم فيه ...

بل إن من الملاحظ أن كثيرا من الثورات التي قامت بعد ثورة بني العباس، كانت تحاول ذلك- بطريقة أو بأخرى- أي أنها كانت تظهر للناس ارتباطها بأهل البيت عليهم السلام، و أنها تحظى بتأييدهم، و موافقتهم، و كثير منها كان يرفع شعار: «الرضا من آل محمد».

### نهاية المطاف ...

و بعد كل ما تقدم ... يتضح لنا بجلاء، الاسلوب الذي انتهجه

(١) هذا يصح بالنسبة للملابس السوداء ... و أما كون الرايات سوداء؛ فيحتمل أن يكون لأجل ذلك، حسبما صرح به ابن خلدون ص ٢٥٩، و يحتمل أن يكون لما ورد من أن راية على عليه السلام يوم صفين كانت سوداء، على ما نص عليه فان فلوتن في هامش: ص ١٢٦ من كتابه السيادة العربية. أو لأن رايات النبي (ص) في حروبه مع الكفار كانت سوداء؛ يقول الكمي مشيرا إلى ذلك: و إلا- فارتفعوا الرايات سودا على أهل الضلالة و التعدي و في صبح الأعشى ج ٣ ص ٣٧٠، نقلا- عن القاضي الماوردي في كتابه: «الحاوي الكبير»: أن السبب في اختيارهم السواد هو أن النبي (ص) قد عقد في يوم حنين و يوم الفتح لعمه العباس راية سوداء ... و في صبح الأعشى أيضا ج ٣ ص ٣٧١ نقل عن أبي هلال العسكري في كتابه «الأوائل» أن سبب ذلك هو قتل مروان لإبراهيم الامام، حيث لبس شيعته السواد حدادا عليه؛ فلزمهم ذلك، و صار شعارا لهم ...

و نرجح أن حادثة قتل يحيى بن زيد، و لبس الخراسانيين السواد عليه سبعة أيام، هي التي شجعت العباسيين على اتخاذ السواد شعارا لهم؛ إظهارا للحزن و الأسى لما نال أهل البيت في الدولة الاموية. و يذهب إلى هذا الرأي السيد عباس المكي في نزهة المجلس ج ١ ص ٣١٦. بل صرح البلاذري في أنساب الأشراف ج ٣ ص ٢٦٤ بما يدل على ذلك فراجع.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ٦٣

العباسيون، و الخطة التي اتبعوها، من أجل كسب ثقة الناس بهم، و تأييدهم لهم، و صرف أنظار الحكام عنهم ... و أيضا الطريقة التي اتبعوها في ابعاد العلويين عن مجال السياسة، و أن بيعتهم لهم ما كانت إلا- خداعا و تمويهها، من أجل تنفيذ خطتهم، و انجاح دعوتهم ...

كما و ظهر أن كون الدعوة- في بادئ الأمر- باسم العلويين، لم يكن أمرا عفويا، و تلقائيا ... و انما كان ضمن خطة دقيقة، و مدروسة، و وضعت بعناية فائقة، كما توضحه لنا النصوص المتقدمة ...

و ظهر أيضا: كيف أن العباسيين قد حرصوا كل الحرص على ربط الثورة بأهل البيت عليهم السلام، و كانوا يعتمدون على هذا الربط كل الاعتماد، و يصرون، و يؤكدون عليه، كلما سنحت لهم الفرصة، و اتاهم الظرف، حتى عند ما وصلوا إلى الحكم، و فازوا بالسلطان ...

و قد انقاد الناس لهم في البداية، و استقامت لهم الأمور، ظنا منهم بحسن نيتهم، و سلامة طويتهم ...

و لكن ... ما ذا كانت النتيجة بعد ذلك، بالنسبة للناس عامة، و بشكل خاص بالنسبة للعلويين، الذين قامت الثورة باسمهم و نجحت بفضلهم؟! و ما ذا كان نصيبهم، و مصيرهم، من هذه الثورة و معها؟! هذا ... ما سوف نحاول الاجابة عليه فيما يأتي من الفصول.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ٦٤

**العلويون هم مصدر الخطر:**

قد تقدم معنا: أن الدولة العباسية إنما قامت - في بداية أمرها - على الدعوة لخصوص العلويين، ثم لأهل البيت، ثم إلى الرضا من آل محمد ... و أن سر نجاحها ليس إلا ربطها بأهل البيت عليهم السلام ...  
و إن كانت قد انحرفت فيما بعد، حيث تحكم العباسيون و تسلطوا على الأمة بدعوى القربى النسبية من الرسول الاكرم (ص).  
و من هنا ... فان من الطبيعي، أن يكون الخطر الحقيقي الذي يتهدد العباسيين، و خلافتهم، هو من جهة أبناء عمهم العلويين، الذين كانوا أقوى منهم حجة، و أقرب إلى النبي (ص) منهم، باعتراف العباسيين أنفسهم «١» ...

(١) سيأتي اعتراف عيسى بن موسى بذلك، و اعتراف الرشيد للكواظم عليه السلام و المأمون للرضا عليه السلام في الكتاب الذي سنورده في أواخر هذا الكتاب، و أيضا قوله للرضا عليه السلام: أنتم و الله أمس برسول الله رحما، و بيعه السفاح و المنصور و غيرهم لمحمد بن عبد الله العلوي و كلام المنصور في مجلس البيعة يدل على ذلك أيضا، إلى غير ذلك مما لا مجال لنا هنا لتتبعه و استقصائه ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ٦٥

فادعائهم الخلافة إذن، له مبرراته الكاملة، و لا سيما و أن من بينهم من له الجدارة و الأهلية، و يتمتع بأفضل الصفات و المؤهلات لهذا المنصب من العلم، و العقل، و الحكمة، و بعد النظر في الدين و السياسة ... هذا بالإضافة إلى ما كان يكنه الناس لهم، من مختلف الفئات و الطبقات، من الاحترام و التقدير، الذي نالوه بفضل تلك المميزات و الصفات، و بفضل سلوكهم المثالي، و ترفعهم عن كل المشينات، و الموبقات ...

أضف إلى ذلك كله ... أن رجالات الاسلام، و أبطاله، كانوا هم آل أبي طالب «رضى الله تعالى عنه»؛ فأبو طالب مربي النبي (ص) و كفيله، و على عليه السلام وصيه و ظهيره، و كذلك الحسن، و الحسين، و على زين العابدين، و باقى الأئمة. و منهم زيد بن على الخارج على بنى أمية، و غيرهم، ممن يطول المقام بذكرهم، رضوان الله عليهم أجمعين.  
و لقد كانت بطولات العلويين، و مواقفهم على كل شفة و لسان، و فى كل قلب و فؤاد، حتى لقد ألفت الكتب الكثيرة فى وصف تلك البطولات، و بيان هاتيك المواقف ...

و خلاصة الأمر: إنه لم يكن هناك مجال لانكار نفوذ العلويين الواسع فى تلك الفترة، أو تجاهله؛ فان ذلك إما أن يكون عن قصر نظر، و قلة معرفة، أو مكابرة و عنادا ...

**تخوف العباسيين من العلويين:**

و قد كان الخلفاء من بنى العباس يدركون جيدا مقدار هذا النفوذ، للعلويين، و يتخوفون منه، منذ أيامهم الأولى فى السلطة. و مما يدل على ذلك:

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ٦٦

أن السفاح، من أول عهده كان قد وضع الجواسيس على بنى الحسن؛ حيث قال لبعض ثقافته، و قد خرج وفد بنى الحسن من عنده: «قم بانزالهم و لا تأل فى الطافهم. و كلما خلوت معهم؛ فأظهر الميل إليهم، و التحامل علينا، و على ناحيتنا، و أنهم أحق بالأمر منا، و أحص لى ما يقولون، و ما يكون منهم فى مسيرهم، و مقدمهم «١» ...».

و قد تنوعت هذه المراقبة، و تعددت أساليبها بعد عهد السفاح، يظهر ذلك لكل من راجع كتب التاريخ «٢» ...

## خوف المنصور من العلويين

و مما يدل على مدى تخوف العباسيين من العلويين وصية المنصور لولده المهدي، التي يحثه فيها على القبض على عيسى بن زيد العلوي، يقول المنصور:

«... يا بني، إنني قد جمعت لك من الأموال ما لم يجمعه خليفه قبلي، و جمعت لك من الموالى ما لم يجمعه خليفه قبلي، و بنيت لك مدينة لم يكن في الاسلام مثلها. و لست أخاف عليك إلا أحد رجلين:

عيسى بن موسى، و عيسى بن زيد. فأما عيسى بن موسى، فقد أعطاني من العهود و الموائيق ما قبلته، و والله، لو لم يكن إلا أن يقول قولاً لما خفته عليك؛ فأخرجه من قلبك. و أما عيسى بن زيد؛ فانفق هذه الأموال، و اقتل هؤلاء الموالى، و اهدم هذه المدينة، حتى تظفر به،

(١) الطبري، طبع ليدن ج ١١ ص ٧٥٢، و العقد الفريد، طبع دار الكتاب العربي ج ٥ ص ٧٤، و تاريخ التمدن الاسلامي، و غير ذلك

...

(٢) و قد اعترف المنصور نفسه بهذه المراقبة في بعض خطبه؛ فراجع: الطبري ج ١٠ ص ٤٣٢، و مروج الذهب ج ٣ ص ٣٠١.

الحياة السياسية للإمام (الرضا) (ع)، مرتضى العاملى، ص: ٦٧

ثم لا ألومك «١»...».

و ليس تخوف المنصور إلى هذا الحد من عيسى بن زيد لعظمه خارقة في عيسى هذا، و انما كل ما فى الأمر أن المجتمع الاسلامي كان قد قبل - فى تلك الفترة من الزمن - أن الخلافة الشرعية إنما هى فى ولد على عليه السلام ... و إذا ما قام عيسى بن زيد بثورة، فانه سوف يلقى تأييداً واسعاً؛ فهو من جهة ابن زيد الشهيد، الثائر على بنى أمية ...

و من جهة أخرى. كان من معاونين لمحمد بن عبد الله العلوي - قتيلا المدينة - الذى كان السفاح و المنصور قد بايعاه، حسبما تقدم، و الذى ادعى على نطاق واسع - باستثناء الامام الصادق عليه السلام - أنه مهدي هذه الأمة ... كما أنه - أى عيسى بن زيد - كان من معاونين لإبراهيم أخى محمد بن عبد الله الآنف الذكر، و الذى خرج بالبصرة، و قتل بباهمري ...

و مما يدل على مدى خوف المنصور من العلويين أنه:

عند ما كان مشغولاً بحرب محمد بن عبد الله، و أخيه إبراهيم، كان لا - ينام الليل فى تلك الايام. و أهديت له جاريتان؛ فلم ينظر إليهما؛ فكلّم فى ذلك؛ فنهز المتكلمة، و قال: «... ليست هذه الايام من أيام النساء، لا سبيل لى إليهما، حتى أعلم: أ رأس إبراهيم لى، أم رأسى لإبراهيم؟» (٢).

(١) الطبري طبع ليدن ج ١٠ ص ٤٤٨.

و تحسن الاشارة هنا إلى أن الأموال التى خلفها المنصور للمهدى تبلغ ٦٠٠ مليون درهم، و ١٤ مليون دينار ... راجع امراء الشعر العربى فى العصر العباسي ص ٣٥.

(٢) تاريخ ابن خلدون ج ٣ ص ١٩٥، و الطبري ج ١٠ ص ٣٠٦، و تاريخ يعقوبى ج ٣ ص ١١٤، و البداية و النهاية ج ١٠ ص ٩٣، و الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٨.

و أنساب الأشراف ج ٣ ص ١١٨، و لكنه يذكر أنهما امرأتان من قريش كانتا قد خطبتا للمنصور.

الحياة السياسية للإمام (الرضا) (ع)، مرتضى العاملى، ص: ٦٨

و هيئت له آتذ عجة من مخ و سكر، فاستطابها، فقال: «أراد إبراهيم أن يحرمنى هذا و أمثاله «١»».

و أرسل إلى كل باب من أبواب عاصمته- و هي الكوفة آنثذ- إبلا و دوابا، حتى إذا أتى إبراهيم و جيشه من ناحية، هرب هو إلى الرى من الناحية الأخرى «٢» ...

و فى حربه- أى المنصور- مع محمد بن عبد الله اتسخت ثيابه جدا، حيث لم ينزعها عن بدنه أكثر من خمسين يوما «٣» ... و كان لا- يستطيع أن يتابع كلامه من كثرة همه «٤» ... الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ٦٨ خوف المنصور من العلويين ..... ص : ٦٦

أخيرا ... فكلم من مرة رأيناه يجلب الامام الصادق عليه السلام، و يتهدده و يتوعده، و يتهمه بأنه يدبر للخروج عليه و على سلطانه. فكل ذلك يدل دلالة واضحة على مدى رعب المنصور، و خوفه من العلويين، و ما ذلك إلا لإدراكه مدى ما يتمتعون به من التأيد، فى مختلف الطبقات، و عند جميع الفئات ...

(١) مروج الذهب ج ٣ ص ٢٩٨ و هذا يعبر بوضوح عن نوعية تفكير خليفة المسلمين و نوعية طموحاته ...  
(٢) الطبرى ج ١٠ ص ٣١٧، طبع ليدن، و تاريخ اليعقوبى ج ٣ ص ١١٣، و مرآة الجنان ج ١ ص ٢٩٩، و شرح ميمية أبى فراس ص ١١٦، و فرج المهموم فى تاريخ علماء النجوم ص ٢١٠، نقلا عن تجارب الامم لابن مسكويه ج ٤ ...  
(٣) الطبرى ج ١٠ ص ٣٠٦، و تاريخ ابن خلدون ج ٣ ص ١٩٥، و الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٨، و المحاسن و المساوى ص ٣٧٣، و البداية و النهاية ج ١٠ ص ٩٣، و أنساب الأشراف للبلاذرى ج ٣ ص ١١٨.  
(٤) البداية و النهاية ج ١٠ ص ٩٣. و قال الياضى فى مرآة الجنان ج ١ ص ٢٩٨، ٢٩٩:  
«... و لم يَأْ إلى فراش خمسين ليلة، و كان كل يوم يَأْتيه فتق من ناحية ... هذا، و مائة ألف سيف كامنة له بالكوفة؛ قالوا: و لولا السعادة لسئل عرشه بدون ذلك» ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٦٩  
حتى إنه عند ما سئل عن المبايعين لمحمد بن عبد الله أجاب: «...»  
ولد على، و ولد جعفر، و عقيل، و ولد عمر بن الخطاب، و ولد الزبير بن العوام، و سائر قريش، و أولاد الانصار «١»...  
و سيمر معنا أن المنصور ادعى أن ولده هو المهدي، عند ما رأى أن الناس- ما عدا الامام الصادق عليه السلام- قد قبلوا بمهدوية محمد بن عبد الله العلوى ... و سيمر معنا أيضا طرف من معاملته للعلويين فيما يأتى إن شاء الله تعالى ...

### خوف المهدي من العلويين:

و أما خوف المهدي من العلويين، فذلك لعله من أوضح الواضحات، فمثلا- نرى أنه: عند ما أخرج الامام الكاظم عليه السلام من السجن، يطلب منه أن لا يخرج عليه، و لا على أحد من ولده «٢»...  
كما أنه قد مكث مدة يطلب عيسى بن زيد، و الحسن بن إبراهيم، بعد هربه من السجن ... فقال المهدي يوما لجلسائه: «لو وجدت رجلا من الزيدية، له معرفة بآل حسن، و بعيسى بن زيد، و له فقه؛ فاجتلبه عن طريق الفقه؛ فيدخل بينى و بين آل حسن، و عيسى بن زيد؛ فدلله الربيع على يعقوب بن داود؛ فلم يزل أمره يرتفع عند الخليفة المهدي، حتى استوزره، و فوضه جميع أمور الخلافة، و خرج كتابه على الدواوين

(١) مروج الذهب ج ٣ ص ٢٩٤، ٢٩٥.

(٢) راجع: مروج الذهب، و ابن خلكان، ترجمة الامام الكاظم، و فصل الخطاب، و ينابيع المودة، و كشف الغمة، و مرآة الجنان، و

صفه الصفوة.

و صرح فى ینابیع الموده ص ٣٨٢، ٣٨٣ باتفاق المؤرخین علی ذلك.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمی، ص: ٧٠

بأنه: قد آخاه «١» ... كل ذلك من أجل أن يدلّه علی الحسن بن ابراهيم، و عيسى بن زيد، مع أن يعقوب هذا كان قد سجنه المنصور، لخروجه عليه مع ابراهيم بن عبد الله بن الحسن، و المهدي هو الذى أطلقه ... و لكنه لما لم يدلّه علی عيسى بن زيد اتهمه بأنه: يمالئ الطالبين فسجنه «٢»، و بقى فى السجن إلى زمن الرشيد؛ فأخرجه، و قد كف بصره و صار شعره كالانعام ...

### خوف الرشيد من العلويين:

و أما الرشيد «الذى ثارت الفتن فى زمنه بين أهل السنة و الرافضة «٣»،

(١) الطبرى، طبع ليدن ج ١٠ ص ٤٦٤، ٥٠٧، ٥٠٨، و مروج الذهب ج ٣ ص ٣١٢، و الفخرى فى الآداب السلطانية ص ١٨٤، ١٨٥، و ليراجع: الوزراء و الكتاب ص ١٥٥ و غير ذلك. و سيأتى فى فصل: ظروف البيعة المزيد من الكلام حول نفوذ يعقوب هذا ... و نكتفى هنا بالقول: إنه قد بلغ من نفوذه، أن جاز لبشار أن يقول آياته المشهورة:

بنى أمية هبوا طال نومكم إن الخليفة يعقوب بن داود

ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا خليفة الله بين الزرق و العود

(٢) مروج الذهب ج ٣ ص ٣١٢، و ضحى الاسلام ج ٣ ص ٢٩٢، و الطبرى، و غير ذلك ... و فى مرآة الجنان ج ١ ص ٤١٩ و غيره: أنه حبسه فى بئر، و بنى عليه قبة، و ليراجع الوزراء و الكتاب ص ١٥٥ أيضا. و قد دخل مروان بن أبى حفصة على المهدي بعد أن سجن يعقوب، و قال له: «إن يعقوب رجل رافضى» ...

و مع ذلك ... فاننا نرى البعض يتهم يعقوب هذا بأنه هو الذى وشى للرشيد بالامام موسى ابن جعفر عليه السلام، فراجع عيون أخبار الرضا ج ١ ص ٧٣، و غيره ...

(٣) النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٧٧.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمی، ص: ٧١

فقد كان معنيا بالمسألة عن آل على، و كل من كان ذا نباهة و شأن منهم. كما سيأتى.

و قضيته مع يحيى بن عبد الله بن الحسن، الذى كان قد خرج فى الديلم، و حالته السيئة، و همومه فى أيام خروجه، أشهر من أن تحتاج إلى بيان ... و كيف لا تأخذه الهموم، و تذهب به الوسوس، و قد اتبع يحيى «خلق كثير، و جم غفير، و قويت شوكته، و ارتحل إليه الناس من الكور و الأمصار؛ فانزعج لذلك الرشيد، و قلق من أمره» ... و كان الساعى بالصلح بينه و بين يحيى هو الفضل بن يحيى، و بسبب تمكنه من إخماد ثورة يحيى عظمت منزلته عند الرشيد جدا، و فرح بذلك الصلح فرحا عظيما «١». و إن كان قد غدر بيحيى بعد ذلك، كما هو معروف و مشهور ...

كما انه عند ما ذهب إلى المدينة لم يعط الامام موسى بن جعفر عليه السلام، سوى مائتى دينار، رغم أنه كان يعطى من لا يقاسون به الآلاف منها، و كان اعتذاره عن ذلك لولده المأمون: أنه لو أعطاه اكثر من ذلك لم يأمن أن يخرج عليه من الغد مائة الف سيف من شيعته، و محبيه صلوات الله و سلامه عليه «٢» ...

(١) راجع فى ذلك كله: البداية و النهاية ج ١٠ ص ١٦٧، و عمدة الطالب، طبع بيروت ص ١٢٤، و شرح ميمية أبى فراس ص ١٩٠.

(٢) عيون أخبار الرضا ج ١ ص ٩٢، و البحار ج ٤٨ ص ١٣١، ١٣٢.

و قد رأينا أن العباسيين ابتداء من المنصور، بل السفاح- مع الامام الصادق عليه السلام- كانوا دائما يتهددون الأئمة- الذين ما كانوا يجدون الفرصة لأى تحرك، و من أى نوع، كما سنوضحه- و يتهمونهم بأنهم كانوا يدبرون فى الخفاء للخروج عليهم؛ ليجدوا الوسيلة من ثم- للتضييق عليهم، و المبرر لسجنهم، و مصادرة أموالهم و ...

و كان الأئمة ينفون ذلك، و يدحضون تلك التهم باستمرار ... لكنهم ما كانوا يقبلون منهم ذلك!!

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٧٢

ثم عاد و سجنه بعد ذلك بحجة أنه كان يجبى إليه الخراج، ثم يدس إليه السم، و يتخلص منه، و ذلك هو مصير اكثر الائمة على يد الخلفاء قبله و بعده ...

### و أما فى زمن المأمون!!

و أما فى زمن المأمون: فقد كان الأمر أعظم، و أمر، و أدهى؛ حيث قد شملت الثورات و الفتن الكثير من الولايات و الأمصار، حتى لم يعد يعرف المأمون من أين يبدأ، و لا كيف يعالج. و أصبح يرى، و يؤلمه أن يرى مصيره، و مصير خلفته فى مهب الريح، تتقاذفه الانواء، و يضرى به الإعصار.

### عقدة الحقارة لدى العباسيين:

و كان ذلك بطبيعة الحال يزيد من رعب العباسيين، و يضاعف من مخاوفهم ...

لا سيما بملاحظة أنهم كانوا يعيشون عقدة الحقارة و المهانة ...

يقول أبو فراس مشيراً إلى ذلك:

ثم ادعاها بنو العباس ملكهم و مالهم قد فيها و لا قدم

لا يذكرون إذا ما معشر ذكروا و لا يحكم فى أمر لهم حكم

و لا رأهم أبو بكر و صاحبه اهلا لما طلبوا منها و ما زعموا

فهل هم يدعوها غير واجبة أم هل أئمتهم فى أخذها ظلموا و قد كتب ابو مسلم للمنصور، من جملة رسالة له: «... و أظهركم الله بعد

الاخفاء، و الحقارة و الذل، ثم استنقذنى بالتوبة الخ «١»...».

(١) البداية و النهاية ج ١٠ ص ٦٤. و غيره.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٧٣

و فى رسالة أخرى: «... حتى عرفكم من كان جهلكم «١»».

بل لقد صرح المنصور بذلك لعنه عبد الصمد بن على؛ حيث قال له: «نحن بين قوم رأونا بالأمس سوقة، و اليوم خلفاء؛ فليس تتمهد

هيبتنا إلا باستعمال العقوبة، و نسيان العفو...» كما سيأتى ...

### فى مواجهة الخطر:



و إذا كان العباسيون يدركون: أن الخطر الحقيقي الذي يتهددهم، إنما هو من قبل أبناء عمهم العلويين، فإن عليهم إذن ... أن يتحركوا ...  
 أن يفعلوا شيئاً ... أن يواجهوا الخطر المحدق بهم بكل وسيلة، و بأى أسلوب كان ... سيما و هم يشهدون عن كثب سرعة استجابة الناس للعلويين، و تأييدهم، و مساندتهم لكل دعوة من قبلهم ...  
 فكيف عالج العباسيون الموقف؟! ...  
 و ما هو مدى نجاحهم فى ذلك؟ إن كان قدر لهم النجاح!!.

(١) البداية و النهاية ج ١٠ ص ٦٩، و الامامة و السياسة ج ٢ ص ١٣٣، و غير ذلك.  
 الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٧٤

### سياسة العباسيين ضد العلويين:

#### مما سبق:

قد تقدم معنا بعض ما يدل على مدى نفوذ العلويين، و على المكانة التى كانوا يتمتعون بها على العموم ... و أنهم هم الذين كانوا يشكلون الخطر الحقيقى على العباسيين، و مركزهم فى الحكم ...  
 و قد كان العباسيون يدركون بالفعل هذه الحقيقة، فكان عليهم أن يبعدهم عن مجال السياسة بأى وسيلة كانت و أن يحدوا ما استطاعوا من نفوذهم، و يضعفوا ما أمكنهم من قوتهم ...  
 و قد اتبعوا من أجل ذلك أساليب شتى، و طرقاً متنوعة:  
 فحاولوا فى بادئ الأمر أن يقارعوهم الحجج بالحجج ...

#### تطوير نظرية الأثر:

و كان من جملة أساليبهم فى ذلك أنهم غيروا و بدلوا فى السلسلة، التى كانوا يواجهون بها الناس فى تقريرهم لشرعية خلافتهم من النبى (ص) ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٧٥

و ذلك لأنهم كانوا فى بداية أمرهم يصلون جبل وصايتهم بأمر المؤمنين عليه السلام، ثم منه إلى ولده محمد بن الحنفية، ثم إلى ابنه أبى هاشم، ثم إلى على بن عبد الله بن العباس، فإلى ولده محمد بن على، فإبراهيم الامام، ثم منه إلى أخيه السفاح «١» و هكذا ... هذا ... مع إنكارهم لشرعية خلافة أبى بكر و عمر، و عثمان، و غيرهم من خلفاء الامويين، و غيرهم ...  
 و يتضح انكارهم و تبرؤهم هذا من كثير من النصوص التاريخية ... فمن ذلك قصة أبى عون مع المهدي، التى ستأتى فى بعض هوامش هذا الفصل ...

و من ذلك أيضاً قول أبى مسلم فى خطبته فى أهل المدينة فى السنة التى حج فيها فى عهد السفاح، قال: «... و ما زلت بعد نبيه تختارون تيمياً مرة، و عدوياً مرة، و أسدياً مرة و سفينياً مرة، و مروانيا مرة، حتى جاءكم من لا تعرفون اسمه، و لا بيته [يعنى نفسه] يضربكم بسيفه؛ فأعطيتموها عنوة، و أنتم صاغرون، ألا و إن آل محمد أئمة الهدى، و منار سبيل التقى، القادة الذادة السادة الخ «٢» ...». و تقدم قول داود ابن على: «لم يقم فيكم امام بعد رسول الله الخ ...»

و روى أبو سليمان الناجي، قال: «جلس المهدي يوما يعطي قريشا صلوات لهم، و هو ولي عهد، فبدأ ببني هاشم، ثم بسائر قريش. فجاء السيد [أى الحميرى]؛ فرفع إلى الربيع حاجب المنصور رقعة مختومة، و قال: ان فيها نصيحة للامير؛ فأوصلها إليه. فأوصلها؛ فإذا فيها:

(١) تاريخ ابن خلدون ج ٣ ص ١٧٣، و مروج الذهب ج ٣ ص ٢٣٨، و وفيات الأعيان ج ١ ص ٤٥٤، ٤٥٥، طبع سنة ١٣١٠، و امبراطورية العرب ص ٤٠٦، و غير ذلك، و قد أشرنا إلى أن هذه هي عقيدة الكيسانية، فراجع ...  
(٢) شرح النهج للمعتزلى ج ٧ ص ١٦١، ١٦٢.

الحياة السياسية للإمام (الرضا)ع، مرتضى العاملى، ص: ٧٦ قل لابن عباس سمي محمدا تعطين بنى عدى درهما  
احرم بنى تيم بن مرة انهم شر البرية آخرا، و مقدما  
إن تعطهم لا يشكروا لك نعمه و يكافئوك بأن تدم و تشتما  
و إن ائتمنتهم أو استعملتهم خانوك، و اتخذوا خراجك مغنما  
و لئن منعتهم لقد بدءوكم بالمنع؛ إذ ملكوا و كانوا أظلما  
منعوا تراث محمد أعمامه و ابنه، و ابنته عديلة مريما  
و تأمروا من غير ان يستخلفوا و كفى بما فعلوا هنالك مأثما  
لم يشكروا لمحمد انعامه أفيشكرون لغيره إن أنعمنا  
و الله من عليهم بمحمد و هداهم، و كسا الجنوب، و أطعنا  
ثم انبروا لوصيه و وليه بالمنكرات، فجرعوه العلقما قال: فرمى بها إلى عبد الله معاوية بن يسار، الكاتب للمهدي، ثم قال: اقطع العطاء؛  
فقطعه. و انصرف الناس. و دخل السيد إليه؛ فلما رآه ضحك، و قال: قد قبلنا نصيحتك يا إسماعيل ... و لم يعطهم شيئا «١» ...».  
و نرى السيد الحميرى فى مناسبة أخرى ينشد المنصور أبياتا يهجو بها سوارا القاضى، من جملتها:  
إن سوار بن عبد الله من شر القضاة  
نعتلى، جملى، لكم غير مواتى «٢»

(١) الأغاني ج ٧ ص ١٦، طبع دار الفكر، و الغدير ج ٢ ص ٢٥٤، ٢٥٥، و الأدب فى ظل التشيع ص ٢٠٧، و مستدرک أخبار السيد  
الحميرى للمرزبانى ص ٥٨، باختصار و ديوان السيد الحميرى ص ٣٧٧، ٣٧٨، نقلا عن الأولين، و عن:  
أعيان الشيعة ج ١٢ ص ١٧٨، و تاريخ الاسلام ج ٢ ص ١٤٧، و تاريخ آداب اللغة العربية ج ٢ ص ٦٧، ٦٨.  
(٢) طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٣٤، و الأغاني ج ٧ ص ٢٦١، و الغدير ج ٢ ص ٢٥٦  
الحياة السياسية للإمام (الرضا)ع، مرتضى العاملى، ص: ٧٧  
و يقول القاسم بن يوسف:

هاشم فخر قصى كلها أين تيم وعدى و الفخر  
لهم أيد طوال فى العلى و لمن ساماهم أيد قصار  
لهم الوحى و فيهم بعده أمر الحق و فى الحق منار  
و هم أولى بأرحامهم فى كتاب الله إن كان اعتبار  
ما بعيد كقريب سبيلا و لا يعدل بالطرف الحمار إلى أن قال:

خسر الآخذ ما ليس له عمد عين و الشريك المستشار  
و لفيف ألفوا بينهم بيعة فيها اختلاط و انتشار  
و رسول الله لم يدفن فمأشغل القوم اغتمام و انتظار  
كان منهم قبل آل المصطفى أن يلوا الأمر حذار و نفار «١» إلى آخر الايات ...  
و القاسم بن يوسف معاصر لكل من الرشيد و المأمون، و توفي سنة ٢١٣ هـ .  
و كل ما ذكرناه يدل على انكار العباسيين لشرعية خلافة أبي بكر و عمر ...  
و مثل ذلك كثير لا مجال لنا هنا لاستقصائه، و حسبنا هنا أقوال المؤرخين، فانها القول الفصل، و الحكم العدل ...  
هذا ما كان في بداية الأمر ... أى أنهم كانوا يصلون حبل و صايتهم بعلى عليه السلام، و ينكرون شرعية خلافة الثلاثة، ثم عدلوا عن  
ذلك بعد فترة ... و ذلك لما يتضمنه من الاعتراف بأن الوصاية كانت في ولد على عليه السلام.

(١) الأوراق للصولي ص ١٨٠، و أخبار شعراء الشيعة للمرزباني ص ١٠٨ - ١٠٩.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٧٨

فأسس المهدي فرقة «١» تدعى: أن الامام بعد رسول الله (ص) هو العباس بن عبد المطلب، ثم ابنه عبد الله، ثم ابنه على، ثم ابنه  
محمد ... و هكذا إلى أن ينتهى الأمر إليهم ... هذا ... مع الاستمرار على البراءة من أبي بكر، و عمر، و عثمان. و لكنهم أجازوا بيعة  
على ابن أبي طالب؛ لأن العباس نفسه كان قد أجازها «٢». و تسمى هذه الفرقة ب: «الراوندية و الشيعة العباسية».  
و لكننا لا نجد لهذه الفرقة أثرا في عصر المأمون، لأن سياسة الخليفة قد اقتضت تجميد هذه المقالة، و لو لفترة من الزمان كما  
سنوضحه و على كل حال فيقول منصور النمري يمدح الرشيد و يشير الى ذلك:  
لو لا عدى و تيم لم تكن وصلت إلى أمية تمرىها و ترتضع  
إن الخلافة كانت إرث والدكم من دون تيم، و عفو الله متسع «٣»

(١) هذا ... و لكن الذى يبدو هو أن صاحب الفكرة الحقيقى هو المنصور. كما يظهر من رسالته لمحمد بن عبد الله بن الحسن، و من  
كثير من كلماته، و خطبه ... و المهدي كان هو المنفذ لها، و المخرج من عالم القوة إلى عالم الفعل ... بل لقد سار المنصور فى إشاعة  
هذه الفكرة، و تركيزها شوطا بعيدا، حتى لقد تقرب إليه بها الشعراء؛ فهذا السيد الحميرى يقول - على ما يرويه لنا المرزباني فى أخباره  
ص ٣٧ و يروى أيضا مكافأة المنصور المهمة له على ذلك - يقول السيد:

يا رهط أحمد إن من أعطاكم ملك الورى و عطاؤه أقسام

رد الخلافة و الوراثة فيكم و بنو أمية صاغرون رغام

لمتمم لكم الذى أعطاكم و لكم لديه زيادة و تمام

أنتم بنو عم النبى عليكم من ذى الجلال تحية و سلام

و ورثتموه و كنتم أولى به إن الولاء تحوزه الأرحام إلى غير ذلك مما لا مجال لنا لتبعه و استقصائه.

(٢) فرق الشيعة للنوبختى ص ٤٨، ٤٩، و تاريخ ابن خلدون ج ٣ ص ١٧٣، و مروج الذهب للمسعودى ج ٣ ص ٢٣٦، إلا أن النوبختى  
ذكر أنهم لم يجيزوا حتى بيعة على أيضا.

(٣) طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٤٤، و الشعر و الشعراء ص ٥٤٦.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٧٩

## تشجيع الخلفاء لهذا الاتجاه:

وقد شجع الخلفاء هذه النحلة، أو قل هذا الاتجاه. واستمروا يناصرونه إلى زمن هارون ...  
وقد حصل مروان ابن أبي حفصة من الخليفة العباسي «المهدى» على أعظم جائزة تعطى لشاعر في تلك الفترة، على قوله مخاطبا آل علي:

هل تطمسون من السماء نجومها بأكفكم أو تسترون هلالها

أو تدفون مقالة عن ربكم جبريل بلغها النبي فقالها

نزلت من الأنفال آخر آية بترائهم، فأردتم ابطالها يشير إلى آية: «أولو الأرحام...».

فزحف المهدي من صدر مصلاه إعجابا، وأعطاه مائة ألف درهم، لكل بيت ألف درهم. وكانت هذه أول مائة ألف تعطى لشاعر في دولة بني العباس «١».

وأعطاه هارون بدوره على هذه الأبيات، بعد أن أصبح خليفة مائة ألف أيضا.

كما أن المهدي قد أعطى مروان هذا على قوله:

أنى يكون و ليس ذاك بكائن لبني البنات وراثه الأعمام أعطاه ثلاثين ألفا من صلب ماله، و كساه جبء، و مطرفا، و فرض على أهله و مواليه ثلاثين ألفا أيضا «٢».

(١) تاريخ بغداد ج ١٣ ص ١٤٤، ١٤٥، و مرآة الجنان ج ١ ص ٣٢١.

(٢) ولكن في العقد الفريد ج ١ ص ٣١٢، الطبعة الثالثة، و المحاسن و المساوى ص ٢١٩:

أنه أخذ منه ثلاثين، و من أهل بيته سبعين. و لعل هذا هو الأقرب إلى الواقع؛ فقد

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٨٠

و ينسب هذا الشعر لبشار بن برد كذلك ...

و بعد ذلك يقف مروان بن أبي الجنوب (و يقال: بل مروان بن أبي حفصة، و قد أنشدها المتوكل، على ما فى الغدير ج ٤ ص ١٧٥)،  
و ينشد الخليفة قصيدته التى مطلعها:

لكم تراث محمدو بعدلكم تشفى الظلامه إلى أن يقول:

ما للذين تحلوا ميراثكم إلا الندامة فيخلع عليه أربع خلع، و ينثر ثلاثة آلاف دينار، يأمره بالتقاطها، و يعطيه عشرة آلاف درهم، ... ثم  
يعقد له - مع ذلك كله - ولاية على البحرين و اليمامة «١» بل لقد تهادى هارون، و أراد أن يذهب إلى أبعد من ذلك، حيث أراد أن  
ينكر حتى شرعية خلافة الامام على عليه السلام، فأحضر «أبا معاوية الضير» و هو أحد محدثي المرجئة «٢»، و قال له: «هممت أنه من  
يثبت خلافة على فعلت به و فعلت ...». فنهاه أبو معاوية عن ذلك، و استدلل له بما أعجبه، فارتدع، و انصرف عما كان عزم عليه «٣» ...

ذكر فى المحاسن و المساوى ص ٢٢٠: أن مروان هذا قال فى هذه المناسبة:

بسبعين ألفا راشي من جبايه و ما نالها فى الناس من شاعر قبلى بل هذا البيت يدل على أن السبعين كانت منه، لا من أهل بيته ...

و فى طبقات الشعراء ص ٥١ اكتفى بالقول: أنه أخذ بهذا البيت مالا عظيما ...

(١) راجع: الكامل لابن الأثير ج ٧ ص ٣٨، و الامام الصادق و المذاهب الأربعة، المجلد الثانى، جزء ٣ ص ٢٢٨.

(٢) المرجئة الاولى كانوا لا يتولون عثمان و لا عليا، و لا يتبرءون منهما.

(٣) راجع تفصيل ذلك في تاريخ بغداد ج ٥ ص ٢٤٤، و نكت الهميان في نكت العميان ص ٢٤٧.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ٨١

بل إن بعض النصوص التاريخية تفيد أن المهدي أيضا كان لا يريد أن يجيز بيعه على عليه السلام «١».

### الإمام علي في ميزان الاعتبار:

و إذا ما عرفنا أن اظهارة المأمون حبه لعلي بن أبي طالب، و ولده، ليس إلا لظروف سياسية معينة كما سيأتي توضيحه ... فاننا سوف نرى أنفسنا مقتنعين بأن تأرجح الامام علي عليه السلام في ميزان الاعتبار في تلك الفترة و التي بعدها عند العباسيين، لم يكن إلا أمرا ظاهريا أملتة الظروف السياسية، و الاجتهادات المختلفة في أساليب مواجهة العلويين ... و لهذا نرى ارتباكهم في ذلك ظاهرا للعيان من وقت لآخر، و من فترة لأخرى ... و هكذا ... نجد أن الإمام عليا لم يكن معتبرا عند المأمون،

(١) فقد ذكر ابن الأثير في الكامل ج ٥ ص ٧٢، و الطبري في تاريخه حوادث سنة ١٦٩ هـ: أن المهدي عند ما رأى في وصية القاسم بن مجاشع التميمي المروزي عبارة:

«... و يشهد أن محمدا عبده و رسوله، و أن علي بن أبي طالب وصي رسول الله، و وارث الامامة من بعده ... الخ» ... رماها من يده، و لم ينظر في باقيها ...

كما أنه عند ما ذهب لعيادة أبي عون، الذي كان من كبار رجال الدعوة، و الذي أرسله أبو مسلم في ثلاثين ألفا في طلب مروان بن محمد، و كان هو الذي أنهى أمره في مصر علي ما في الامامة و السياسة ج ٢ ص ١١٦، ١١٩، ١٢٠. عند ما ذهب المهدي لعيادته، و طلب منه أبو عون أن يرضى عن ولده، الذي كان يرى رأى الشيعة في الخلافة، أجاب: أنه على غير الطريق، و على خلاف رأينا. فقال له أبو عون: هو و الله يا أمير المؤمنين، على الأمر الذي خرجنا عليه، و دعونا إليه؛ فان كان قد بدا لكم، فمرونا، حتى نطيعكم ... راجع الامام الصادق و المذاهب الأربعة، المجلد الأول، جزء ٢ ص ٥٦٩، و قاموس الرجال ج ٥ ص ٣٧٣، و الطبري، و غير ذلك ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ٨٢

غير معتبر عند المنصور و الرشيد، بل هو غير معتبر عندهم جميعا.

و لسنا هنا في صدد تحقيق هذا الأمر، و لكن قد تكفي الاشارة في كثير من الأحيان.

### استغلال لقب المهدي:

هذا ... و نلاحظ: أن المنصور أيضا قد حاول أن يقارع العلويين بالحجة، و لكن بنحو آخر، و أسلوب آخر ...

فانه عند ما رأى أن الناس قد قبلوا على نطاق واسع (ما عدا الإمام الصادق عليه السلام) بأن محمد بن عبد الله العلوي هو المهدي ... حاول أن يموه هو بدوره على الناس، فلقب ولده، و الخليفة بعده ب «المهدي»، من أجل أن يصرف الناس عن محمد بن عبد الله هذا ...

فقد أرسل مولى له إلى مجلس محمد بن عبد الله، و قال له:

«اجلس عند المنبر، فاسمع ما يقول محمد»، قال: فسمعتة يقول:

«إنكم لا تشكون أنى أنا المهدي، و أنا هو» فأخبرت بذلك أبا جعفر، فقال: «كذب عدو الله، بل هو ابني «١» ...

ثم ... و من أجل اقناع الناس بهذا الأمر، وجد المنصور من يضع له الاحاديث، و يكذب على النبي صلى الله عليه و آله و سلم، و طبق

واضعوها «مهدى الامة» على ولده الخليفة «المهدى» (٢). و يقول القاضى النعمان الاسماعيلى فى أرجوزته:

(١) مقاتل الطالبين ص ٢٤٠، و المهديّة فى الاسلام ص ١١٧.

(٢) تجد بعض هذه الأحاديث فى: الصواعق المحرقة ٩٨، ٩٩، و تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٧٢، و البداية و النهاية ج ٦ ص ٢٤٦، ٢٤٧، و غير ذلك.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٨٣ من انتظاره و قد تسمى بهذه الاسماء ناس لما

تغلبوا ليجعلوها حجة فعدلوا عن واضح المحجة

إذ مثلوا الجوهر بالاشباه منهم محمد بن عبد الله

ابن على من بنى العباس ذوى التعدى الزمرة الارجاس

إذ وافق الاسم تسمى مهدى و هذه من الدواهى عندى «١» و قد أقر أحمد أمين المصرى بكذب هذه الاحاديث، و وضعها «٢»، كما أقر غيره بذلك ...

بل إن المنصور نفسه- الذى كان قد اعترف بمهدوية محمد بن عبد الله العلوى، و تبجح، و افتخر بها «٣»- قد كذب نفسه فى ذلك، و كذبها فى مهدوية ولده أيضا ...

يقول مسلم بن قتيبة: «أرسل إلى أبو جعفر، فدخلت عليه، فقال: قد خرج محمد بن عبد الله، و تسمى بالمهدى، و والله، ما هو به، و أخرى أقولها لك، لم أقلها لأحد قبلك، و لا أقولها لأحد بعدك ... و ابني و الله، ما هو بالمهدى، الذى جاءت به الرواية. و لكنى تيمنت به، و تفاءلت به «٤»...». و الخليفة المهدي نفسه يقر بأن أباه فقط يروى أنه المهدي الذى بعده فى الناس «٥».

و أما اتخاذهم الزندقة ذريعة للقضاء على خصومهم، سواء من العلويين، أو من غيرهم ... فسيأتى توضيحه إن شاء الله تعالى ...

(١) الارجوزة المختارة ص ٣١.

(٢) ضحى الاسلام ج ٣ ص ٢٤٠.

(٣) مقاتل الطالبين ص ٢٣٩، ٢٤٠، و المهديّة فى الاسلام ص ١١٦، و جعفر بن محمد لعبد العزيز سيد الأهل ص ١١٦.

(٤) مقاتل الطالبين ص ٢٤٧، و المهديّة فى الاسلام ص ١١٧.

(٥) الوزراء و الكتاب ص ١٢٧.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٨٤

### و كل ذلك لم يكفهم:

و لكن العباسيين قد وجدوا أن ذلك كله لم يكن ينظلى على أحد.

و أن الامور- مع ذلك- تسير فى غير صالحهم؛ و لهذا فان من الافضل و الأجدى لهم أن لا- يفسحوا المجال للعلويين للمنطق و الحجاج؛ فان ذلك من شأنه أن يظهر كل ما كان يتمتع به العلويون من خصائص و مميزات عليهم. هذا إن لم ينته الأمر بفضيحة ساحقة للعباسيين، و كشف حقيقتهم و واقعهم أمام الملأ، الأمر الذى كان يزعجهم، و يقض مضاجعهم إلى حد كبير ...

و إذن ... فإن من الحكمة أن يتبعوا أساليب أخرى من أجل القضاء على العلويين ...

و لم تكفهم مراقبتهم لهم، حتى لم يكونوا يغفلون عنهم طرفة عين أبدا، من أجل التعرف على أحوالهم، و إحصاء كل حركاتهم، ابتداء من السفاح، ثم اتبعه الخلفاء على ذلك من بعده ...

كما لم يكفهم ... التهديد والوعيد الذى كانوا يواجهونهم به؛ بهدف إضعاف شخصياتهم، و تحطيم معنوياتهم ...  
 كما لم يكفهم مصادرة أموالهم، و هدم بيوتهم، و منعهم من السعى من أجل الحصول على لقمة العيش، حتى لقد بلغ البؤس بهم أن:  
 العلويات كن يتداولن الثوب الواحد من أجل الصلاة «١».

و كذلك لم يكفهم ... عزلهم عن الناس، و منع كل أحد من الوصول إليهم، تمهيدا لتشويه سمعتهم بما أمكنهم من أساليب الكذب و الافتراء،

(١) كان ذلك فى زمن المتوكل، راجع: بند تاريخ ج ١ ص ٧٢، و مقاتل الطالبين ص ٥٩٩.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٨٥

و إن كانت سيرتهم الحميدة، و خصوصا أهل البيت منهم، كانت تدفع كل شائعة، و سلوكهم المثالى يدحض كل افتراء ...  
 و أما الاضطهاد و التشريد، و زج العشرات و المئات منهم فى السجون الرهيبة، التى كان من يدخل إليها لا يأمل بالخروج منها؛ حيث إن دخول السجن إنما كان يعنى فى الحقيقة دخول القبر ... و أما دسهم السم لكل شخصية لا يستطيعون الاعتداء عليها جهارا- أما ذلك- فلم يكن ليكفيهم أيضا، و لا يقنعهم قطعا ... حيث انهم إنما كانوا متعطين إلى الولوغ فى دمائهم، و مشتاقين إلى التفتن فى تعذيبهم، و اختراع أساليب جديدة فى ذلك؛ فسمروا بالحيطان من سمروا، و أماتوا جوعا من أماتوا، و وضعوا فى الاسطوانات منهم من وضعوا ... إلى غير ذلك مما يظهر لكل من له أدنى اطلاع على تاريخهم، و تاريخ سلوكهم مع أبناء عمهم العلويين ...  
 و أما قتلهم لهم جماعات، فأشهر من أن يحتاج إلى بيان ... و قضية المنصور مع بنى حسن لا- يكاد يخلو منها كتاب تاريخى ... و كذلك قضية الستين علويا، الذين قتلوا بأمر من الخليفة «المنصور» باستثناء غلام منهم، لا نبات بعارضية «١».

(١) هذا ما نقله فى شرح شافية أبى فراس ص ١٧٤ عن الدر النظيم، عن أحمد بن حنبل، الذى رأى رجلا متعلقا بأستار الكعبة، يضرع إلى الله بالمغفرة، و أقر له بأنه بنى على هؤلاء ما عدا الغلام المذكور بأمر من المنصور ... و فى عيون أخبار الرضا ج ١ ص ١٠٨، فما بعدها، و شرح ميمية أبى فراس ص ١٧٦، ١٧٧، و البحار ج ٤٨ ص ١٧٦ فما بعدها ... قصة شبيهة بهذه ينقلها عن حميد بن قحطبة الذى كان يفطر فى شهر رمضان، لياسه من مغفرة الله، لأنه قتل ستين علويا فى ليلة واحدة بأمر من الرشيد ... و لكن الظاهر أن ذكر الرشيد اشتباه من الراوى، و لعله عمدى؛ لأن حميدا قد مات سنة ١٥٨، على ما صرح به فى البحار ج ٤٨ ص ٣٢٢، و خلافة هارون الرشيد إنما بدأت سنة ١٧٠، و لعل القصة الحقيقية هى ما عن أحمد بن حنبل، و انما حرفها المحرفون لحاجة فى نفس يعقوب، لا تخفى على المتتبع الخبير، و الناقد البصير.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٨٦

### موقف كل خليفة منهم على حدة:

#### إشارة

و إننا من أجل أن نلم بموقف كل خليفة منهم على حدة من أبناء عمهم العلويين، نقول:

#### أما السفاح:

فقد قال عنه أحمد أمين: «... و كانت حياته حياة سفك للدماء، و قضاء على المعارضين «١» ...».

وقال عنه الجنرال جلوب: «... و كان السفاح و المنصور قد نشئا نشأة المتآمرين، و لذا وطدا ملكهما- بعد نجاح الثورة- بكثير من سفك الدماء، و لا سيما من دماء أولاد أعمامهم، من بنى أمية، و بنى على بن أبى طالب «٢»...».

و يقول الخوارزمي عن السفاح: «... و سلط عليهم (يعنى على العلويين) أبا مجرم، لا أبا مسلم، يقتلهم تحت كل حجر و مدر، و يطلبهم فى كل سهل، و جبل «٣»...».

و من ذلك يعلم أن اظهاره اللين تجاههم أمام الناس ما كان إلا من أجل تثبيت دعائم حكمه، و تحكيم قواعد سلطانه، لكنه لم يغفل لحظة واحدة عن مراقبتهم، و التجسس على أحوالهم، بل و قتلهم، إذا ما سنحت الفرصة له لذلك، كما قدمنا ...

(١) ضحى الاسلام ج ١ ص ١٠٥.

(٢) امبراطورية العرب ص ٤٩٩.

(٣) رسائل الخوارزمي ص ١٣٠، و ضحى الاسلام ج ٣ ص ٢٩٦، ٢٩٧، و سيأتى شطر من هذه الرسالة ... راجع ما علقناه على هذه الفقرة فى فصل: قيام الدولة العباسية.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٨٧

### و أما المنصور:

الذى لم يتورع عن قتل ابن أخيه السفاح «١»، و عمه عبد الله بن على ...

و أبى مسلم، مؤسس دولته ... و الذى سافر سنة ١٤٨ هـ. إلى الحج، و عزم على القبض على الامام الصادق (ع)، و إن كان لم يتم له ذلك «٢» ...

و الذى سمي نفسه المنصور بعد انتصاره على العلويين «٣».

أما المنصور هذا ... فهو أول من أوقع الفتنة بين العباسيين و العلويين «٤».

و قد اعترف عند ما عزم على قتل الإمام الصادق عليه السلام، بعدد ضخم من ضحاياه من العلويين، حيث قال:

«... قتلت من ذرية فاطمة ألفا، أو يزيدون، و تركت سيدهم، و مولاهم، و إمامهم، جعفر بن محمد ...» «٥».

و لقد كان هذا القول منه فى حياة الإمام الصادق عليه السلام، أى فى صدر خلافة المنصور ... فكيف بمن قتلهم بعد ذلك!! و قد ترك خزانه رءوس ميراثا لولده المهدي، كلها من العلويين، و قد علق بكل رأس ورقة كتب فيها ما يستدل به على صاحبه، و من بينها رءوس شيوخ، و شبان، و أطفال «٦».

(١) تاريخ التمدن الاسلامى المجلد الثانى جزء ٤ ص ٤٩٤، نقلا عن: نفع الطيب ج ٢ ص ٧١٥.

(٢) النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٦

(٣) التنبيه و الاشراف ص ٢٩٥، و طبيعة الدعوة العباسية ص ١١٩.

(٤) تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٢٦١، و مروج الذهب ج ٤ ص ٢٢٢. و شرح ميمية أبى فراس ص ١١٧، و مشاكلة الناس لزمانهم لليعقوبى ص ٢٢، ٢٣.

(٥) شرح ميمية أبى فراس ص ١٥٩، و الأدب فى ظل التشيع ص ٦٨.

(٦) تاريخ الطبرى ج ١٠ ص ٤٤٦، و النزاع و التخاصم للمقرئى ص ٥٢، و غير ذلك.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٨٨



و هو الذى يقول لعنه عبد الصمد بن على، عند ما لامه على أنه يعاجل بالعقوبة، حتى كأنه لم يسمع بالعفو- يقول له:- «إن بنى مروان لم تبل رممهم، و آل أبى طالب لم تغمد سيوفهم- ونحن بين قوم رأونا بالأمس سوقة، و اليوم خلفاء، فليس تتمهد هيبتنا الا بنسيان العفو، و استعمال العقوبة «١»...».

و هو الذى يقول للامام الصادق عليه السلام: «لأقتلنك، و لأقتلنك، حتى لا أبقى على الأرض منكم قامة سوط «٢»...». و عند ما قال المنصور للمسيب بن زهرة: إنه رأى أن الحجاج أنصح لبنى مروان ... أجابه المسيب: «يا أمير المؤمنين، ما سبقنا الحجاج إلى أمر، فتخلفنا عنه، و الله، ما خلق الله على جديد الأرض خلقا أعز علينا من نبينا (ص)، و قد أمرتنا بقتل أولاده، فأطعناك، و فعلنا، فهل نصحناك؟! «٣».

و هو أول من سن هدم قبر الحسين عليه السلام فى كربلاء «٤»... و هو الذى كان يضع العلويين فى الاسطوانات، و يسمرهم فى الحيطان- كما نص عليه اليعقوبى، و غيره- و يتركهم يموتون فى المطبق جوعا، و تقتلهم الروائح الكريهة، حيث لم يكن لهم مكان يخرجون إليه لازالة الضرورة. و كان يموت أحدهم، فيترك معهم، حتى يبلى من غير دفن، ثم يهدم المطبق على من تبقى منهم حيا، و هم فى أغلالهم- كما فعل بنى حسن، كما هو معروف و مشهور.

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٢٦٧، و امبراطورية العرب ص ٤٩١، و الامام الصادق و المذاهب الأربعة، المجلد الأول جزء ٢ ص ٥٣٤.

(٢) مناقب ابن شهر آشوب ج ٣ ص ٣٥٧، و البحار ج ٤٧ ص ١٧٨.

(٣) مروج الذهب ج ٣ ص ٢٢٤.

(٤) تاريخ كربلاء، لعبد الجواد الكلیدار آل طعمه ص ١٩٣.

الحياة السياسية للامام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٨٩

و لقد قال أحد العلويين، و هو أبو القاسم الرسى بن ابراهيم بن طباطبا، اسماعيل الديباج، عند ما هرب من المنصور إلى السند:

لم يروه ما أراق البغى من دمنافى كل أرض فلم يقصر من الطلب

و ليس يشفى غليلا- فى حشاه سوى أن لا- يرى فوقها ابن لبنت نبى «١» و على كل: فإن معاملة المنصور لأولاد على، تعتبر من أسوأ

صفحات التاريخ العباسى «٢» ...

و ستأتى عبارة الخضرى عنه عن قريب ...

## و أما المهدي:

الذى حبس وزيره يعقوب بن داود، و بنى على المطبق الذى هو فيه قبة، و بقى فيه حتى عمى، و طال شعر بدنه، حتى صار كالأنعام-

حبسه- لاتهامه إياه بأنه يماليء الطالبيين، كما قدمنا ...

المهدى الذى عرفنا فيما تقدم موقفه من أبى عون، و ولده، الذى كان يذهب مذهب الشيعة فى الخلافة ... و كذلك موقفه من وصية

القاسم ابن مجاشع ...

أما المهدي هذا فقد اتخذ الزندقة ذريعة للقضاء على كل مناوئيه، و خصوصا العلويين، و المتشيعين لهم:

قال الدكتور أحمد شلبى: «إن الرمى بالزندقة اتخذ وسيلة للإيقاع بالأبرياء فى كثير من الأحيان ...» «٣».

(١) النزاع و التخاصم للمقرزى ص ٥١.

(٢) مختصر تاريخ العرب، للسيد أمير على ص ١٨٤.

(٣) التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية ج ٣ ص ٢٠٠.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ٩٠

وقال الدكتور أحمد أمين المصري: «الحق أن بعض الناس اتخذوا الزندقة ذريعة للانتقام من خصومهم. سواء في ذلك: الشعراء، و العلماء، و الأمراء، و الخلفاء» (١).

وقد ألف له- أي للمهدى- ابن المفضل كتابا في الفرق، اخترع فيه فرقا من عند نفسه، و نسبها لأولئك الذين يريد المهدي أن يتتبعهم، و يقضى عليهم. مع أنهم لم يكونوا أصحاب فرق أصلا... كزرارة، و عمار الساباطي، و ابن أبي يعفور، و أمثالهم؛ فاخترع فرقة سماها «الزرارية»، نسبة لزرارة. و فرقة سماها «العمارية» نسبة لعمار، و فرقة سماها «اليعفورية»، و أخرى سماها «الجواليقية»، و أصحاب سليمان الأقطع ...

و هكذا ... إلا أنه لم يذكر «الهشامية» نسبة لهشام بن الحكم (٢) ...

(١) ضحى الاسلام ج ١ ص ١٥٧ ... هذا ...

وقد اتهم شريك بن عبد الله القاضي بالزندقة، لأنه لم يكن يرى الصلاة خلف الخليفة المهدي؛ فراجع: البداية و النهاية ج ١٠ ص ١٥٣، و حياة الامام موسى بن جعفر ج ٢ ص ١٣٧، و الامام الصادق و المذاهب الأربعة المجلد الثاني جزء ٣ ص ٢٣٢.

و أيضا ... فقد أراد هارون أن يقتل عمه، الذي قال: كيف لقي آدم موسى؟ عند ما ذكرت رواية مفادها ذلك ... و ذلك بتهمة الزندقة. راجع: تاريخ بغداد ج ١٤ ص ٧، ٨ و البداية و النهاية ج ١٠ ص ٢١٥، و حياة الامام موسى بن جعفر ج ٢ ص ١٣٨، و تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٨٥، و البصائر و الذخائر ص ٨١ ...

و هذا يعني أن لفظ الزنديق قد اطلق على كل من يناقش في أحاديث الصحابة، و على كل من يعارض نظام الحكم، و الحكام و أهواءهم، و اطلق أيضا على كل ماجن خليع كما يبدو لمن راجع رواية شريك القاضي في مظانها و غيرها ...

و لا بأس بمراجعة عبارة هامة لأحمد أمين تتعلق بهذا الموضوع في كتاب الامام الصادق و المذاهب الأربعة، المجلد الثاني جزء ٣ ص ٢٣٢.

(٢) رجال المامقاني ج ٣ ص ٢٩٦، و قاموس الرجال ج ٩ ص ٣٢٤، و البحار ج ٤٨ ص ١٩٥، ١٩٦، و رجال الكشي ص ٢٧ طبع كربلاء ... و أشار إلى ذلك المسعودي أيضا؛ فراجع: ضحى الإسلام ج ١ ص ١٤١. و يعقوبى في كتابه مشاكلة الناس لزمانهم ص ٢٤.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ٩١

وقال عبد الرحمن بدوى: «إن الاتهام بالزندقة في ذلك العصر، كان يسير جنبا إلى جنب مع الانتساب إلى مذهب الرافضة، كما لاحظ ذلك الاستاذ (فيدا) ...» (١).

يقول أبو حنيفة أو الطغراني في جملة أبيات له:

و متى تولى آل أحمد مسلم قتلوه أو و صموه بالإلحاد (٢) إلى غير ذلك مما لا يمكننا تتبعه و استقصاؤه في مثل هذه العجالة ...

## و أما الهادي:

«فقد أخاف الطالبين خوفا شديدا، و ألح في طلبهم، و قطع أرزاقهم و اعطياتهم. و كتب إلى الآفاق بطلبهم (٣) ...».

و لم تكن واقعة فخر المشهورة إلا بسبب الاضطهاد الذي لحق العلويين، و المعاملة القاسية لهم، حسبما نص عليه المؤرخون ... و التي

بلغ عدد الرؤوس فيها مائة و نيفا، و سببت فيها النساء و الأطفال، و قتل السبي حتى الاطفال منهم على ما قيل ...

### و أما الرشيد:

«الذى حصد شجرة النبوة، و اقتلع غرس الامامة»، على حد تعبير الخوارزمي ...

- (١) من تاريخ الإلحاد فى الاسلام ص ٣٧.
- (٢) نسبه إلى الأول فى ملحقات احقاق الحق ج ٩ ص ٦٨٨ نقلا عن مفتاح النجا فى مناقب آل العبا للعلامة البدخشى ص ١٢ مخطوط و عن قلندر الهندي الحنفى فى روض الأزهر ص ٣٥٩ طبع حيدرآباد و هو منسوب للطغرائى أيضا و هو مثبت فى احدى قصائده فى ديوانه فلعله أخذه على سبيل الاستشهاد على عادة الشعراء فى ذلك ...
- (٣) تاريخ اليعقوبى ج ٣ ص ١٣٦، ١٣٧.
- الحياة السياسية للإمام (الرضاع)، مرتضى العالمى، ص: ٩٢
- و الذى «لم يكن يخاف الله، و أفعاله بأعيان آل على (ع)، و هم أولاد بنت نبيه، لغير جرم، تدل على عدم خوفه من الله تعالى «١» ...».
- و الذى كان على حد تعبير أحمد شلى: «يكره الشيعة و يقتلهم «٢» ...»
- و الذى بلغ من كرهه لهم: أن الشعراء كانوا يتقربون إليه بهجاء آل على عليه السلام، كما يظهر بأدنى مراجعة للتاريخ ...
- أما الرشيد هذا ...

فقد أقسم على استئصالهم، و كل من يتشيع لهم، فقال: «... حتام أصبر على آل بنى أبى طالب، و الله لأقتلنهم، و لأقتلن شيعتهم، و لأفعلن و أفعلن «٣» ...».

و عند ما تولى الخلافة أمر بإخراج الطالبين جميعا من بغداد، إلى المدينة «٤»، كرها لهم و مقتا ...

«و كان شديد الوطأة على العلويين يتتبع خطواتهم، و يقتلهم «٥» ...».

«... و أمر عامله على المدينة بأن يضمن العلويون بعضهم بعضا «٦» ...».

و كان: «يقتل أولاد فاطمة و شيعتهم «٧» ...»

- (١) الفخرى فى الآداب السلطانية ص ٢٠.
- (٢) التاريخ الاسلامى و الحضارة الاسلامية ج ٣ ص ٣٥٢.
- (٣) الأغانى، طبع دار الكتب بالقاهرة ج ٥ ص ٢٢٥.
- (٤) الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ٨٥، و الطبرى ج ١٠ ص ٦٠٦، و غير ذلك.
- (٥) العقد الفريد ج ١ ص ١٤٢.
- (٦) الولاة و القضاة للكندى ص ١٩٨، و ليراجع: تاريخ كربلاء، لعبد الجواد الكلیدار ص ١٩٦.
- (٧) العقد الفريد، طبع دار الكتاب العربى ج ٢ ص ١٨٠.
- الحياة السياسية للإمام (الرضاع)، مرتضى العالمى، ص: ٩٣
- و كان «مغرى بالمسألة عن آل أبى طالب، و عمن له ذكر و نباهة منهم «١» ...».
- و عند ما أرسل الجلودى لحرب محمد بن جعفر بن محمد، أمره أن يغير على دور آل أبى طالب فى المدينة، و يسلب ما على نسائهم من ثياب، و حلى، و لا يدع على واحدة منهن إلا ثوبا واحدا «٢» ...

و عند ما حضرته الوفاة كان يقول: «... وا سواتاه من رسول الله «٣»».

و هدم قبر الحسين، و حرث أرض كربلاء، و قطع السدرة التي كان يستظل بها الزائرون لتلك البقعة المباركة، و ذلك على يد عامله على الكوفة، موسى بن عيسى بن موسى العباسي «٤».

ثم توج موبقاته كلها، و فضائعه تلك، بقتل سيد العلويين، و قائدهم، الامام موسى بن جعفر، صلوات الله و سلامه عليه ...

(١) مقاتل الطالبين ص ٤٩٣، و بعد ذلك قال: «فسأل يوما الفضل بن يحيى - بعد أن عاد من خراسان- هل سمعت ذكرا لأحد منهم؟ قال: لا و الله، و لقد جهدت فما ذكر لي أحد منهم، إلا أني سمعت رجلا إلخ» ...

(٢) أعيان الشيعة، طبعه ثالثة، ج ٤ قسم ٢ ص ١٠٨، و عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٦١، و البحار ج ٤٩ ص ١٦٦.

(٣) الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٣٠، و يلاحظ هنا: أن الانسان غالبا ما ينكشف على حقيقته حين موته. و قول الرشيد هذا يكشف لنا الرشيد على حقيقته، و يبين لنا مدى ما فعله الرشيد مع ذرية رسول الله صلى الله عليه و آله ...

(٤) تاريخ الشيعة ص ٨٩، و أمالي الشيخ، طبع النجف ص ٣٣٠، و الكنى و الالقاب ج ١ ص ٢٧ و شرح ميمية أبي فراس ص ٢٠٩، و المناقب لابن شهر آشوب ج ٢ ص ١٩، و تاريخ كربلاء، لعبد الجواد الكلیدار ص ١٩٧، ١٩٨، نقلا عن:

نزهة أهل الحرمين ص ١٦، و البحار ج ١٠ ص ٢٩٧، و تظلم الزهراء ص ٢١٨، و مجالى اللطف ص ٣٩، و أعيان الشيعة ج ٤ ص ٣٠٤، و تسلية المجالس، لمحمد بن أبي طالب، و غير ذلك ...

الحياة السياسية للإمام (الرضاع)، مرتضى العاملی، ص: ٩٤

و لقد خاطبه العقاد مشيرا إلى نبشه لقبر الحسين عليه السلام، فقال:

«... و كأنهم خافوا على قبرك أن ينشه أشياخ على، رضى الله عنه، فدفنوك فى قبر الامام العلوى، لتأمن فيه النبش و المهانة بعد الممات ...

فمن عجب أن يلوذ أبناء على بملكك الطويل العريض، فيضيق بهم، و أن يبحث أتباعك عن ملاذ يحتمى به جثمان صاحب الملك الطويل العريض بعد مماته، فيجدوه فى قبر واحد من أولئك الحائرين اللائذين بأكناف البلدان، من غير قرار، و لا اطمينان «١» ...».

يشير بذلك إلى قبر على بن موسى الرضا عليهما السلام؛ حيث إن الرشيد مدفون إلى جانبه كأنه يريد أن يقول: إن دفن المأمون للرضا عليه السلام إلى جانب أبيه الرشيد كان لأجل الحفاظ على قبر أبيه من النبش.

و لكن من المعلوم: ان العلويين و شيعتهم ما كانوا ليقدموا على امر كهذا، مهما بلغ بهم الحقد و الغضب بسبب اضطهاد الحكام لهم ...؛ يقول محمد بن حبيب الضبى، رحمه الله مشيرا إلى ذلك:

قبران فى طوس الهدى فى واحد و الغى فى لحد تراه ضرام

قرب الغوى من الزكى مضاعف لعذابه، و لأنفه الارغام و يقول دعبل رحمه الله:

قبران فى طوس خير الناس كلهم و قبر شرهم هذا من العبر

ما ينفع الرجس من قرب الزكى و ما على الزكى بقرب الرجس من ضرر و لقد بلغ من ظلم الرشيد للعلويين أن جعل الناس يعتقدون فيه بغض على عليه السلام، حتى اضطر إلى أن يقف موقف الدفاع عن نفسه،

(١) راجع: تاريخ كربلاء، لعبد الجواد الكلیدار ص ١٩٩، نقلا عن: مجلة «الهلال»، عدد اكتوبر سنة ١٩٤٧ م. ص ٢٥، من مقال بعنوان:

«حديث مع هارون الرشيد» للاستاذ العقاد

الحياة السياسية للإمام (الرضاع)، مرتضى العاملی، ص: ٩٥

و يقسم على أنه يحبه، قال اسحاق الهاشمي: «كنا عند الرشيد، فقال:

بلغنى أن العامة يظنون في بغض على بن أبي طالب. و والله، ما أحب أحدا حبي له، و لكن هؤلاء (يعنى العلويين) أشد الناس إلخ ...»  
«١».

ثم يلقى التبعة في ذلك عليهم، و يقول: إنهم إلى بنى أمية أميل منهم إلى بنى العباس إلخ كلامه ...

بل لقد رأينا يعلن أمام أعظم العلماء عن توبته مما كان منه من أمر الطالبيين و نسلهم «٢» ...

و ذلك أمر طبعي بعد أن كان يتبع خطواتهم و يقتلهم «و بعد أن كانت سجون العباسيين، و خصوصا المنصور و الرشيد، قد امتلأت

من العلويين، و كل من يتشيع لهم» على حد تعبير أحمد أمين «٣» ...

و أخيرا ... فقد بلغ من ظلم الرشيد للعلويين أن توهم البعض أن المأمون إنما بايع للرضا بولاية العهد؛ من أجل أن يمحو ما كان من

أمر الرشيد في آل علي عليه السلام، كما عن البيهقي، عن الصولي «٤»

### و أما المأمون:

فستأتى الإشارة إلى بعض ما فعله في آل علي في تضاعيف الفصول الآتية إن شاء الله تعالى ...

### و الشعراء أيضا قد قالوا الحقيقة:

و هكذا ... يتضح لنا كيف أن العباسيين قد انقلبوا- بدافع من

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٩٣.

(٢) شرح ميمية أبي فراس ص ١٢٧.

(٣) راجع: ضحى الاسلام ج ٣ ص ٢٩٦، ٢٩٧.

(٤) عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٤٧، و البحار ج ٤٩ ص ١٣٢، و غير ذلك ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العامل، ص: ٩٦

خوفهم- على العلويين يوسعونهم قتلا، و عسفا و تشريدا، و أذاقوهم مختلف أنواع العذاب، التي لم تكن لتخطر على قلب بشر؛ بهدف

استئصالهم من الوجود، و محو آثارهم؛ ليصفو لهم الجو، و لا- يبقى من يستطيع أن ينازعهم سلطانهم، الذي يجب أن يكون لهم

وحدهم ... أو بالأحرى حتى لا يبقى من من شأنه ذلك ... حتى لقد نسي الناس فعال بنى أمية معهم، عند ما رأوا فعال بنى العباس بهم

... و حتى لقد رأينا أحد شعراء ذلك الوقت يقول:

تالله ما فعلت أمية فيهم معشار ما فعلت بنو العباس «١» و قال آخر- و هو أبو عطاء، أفلح بن يسار السندي، المتوفى سنة ١٨٠ هـ. و هو

من مخضرمى الدولتين: الاموية و العباسية: قال في زمن السفاح.

يا ليت جور بنى مروان دام لناو ليت عدل بنى العباس فى النار «٢» و قال منصور بن الزبرقان النمري، المتوفى فى خلافة الرشيد:

آل النبى و من يحبهم يتطامنون مخافة القتل

أمن النصارى و اليهود و هم من أمة التوحيد فى أزل «٣» و قد أنشد الرشيد هذين البيتين بعد موت منصور هذا، فقال الرشيد، بعد أن

أرسل إليه من يقتله، فوجده قد مات: «لقد هممت أن انبش

(١) شرح ميمية أبي فراس ص ١١٩.

(٢) المحاسن و المساوى ص ٢٤٦، و الشعر و الشعراء ص ٤٨٤، و نظرية الإمامة ص ٣٨٢، و المهدية في الاسلام ص ٥٥، و طبيعة الدعوة العباسية ص ٢٧٢.

(٣) الأزل: الضيق و الشدة.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ٩٧

عظامه فأحرقها «١» ... بل في رسالة الخوارزمي، الآتي شطر منها:

أن قبره قد نبش بالفعل.

و يقول ابو حنيفة أو الطغرائي على اختلاف النسبة في جملة أبيات له:

و متى تولى آل أحمد مسلم قتلوه أو وسموه بالإلحاد و يقول إبراهيم بن عبد الله بن الحسن، يذكر العلويين، الذين قتلهم المنصور، و يقال: إن القائل هو غالب الهمداني.

أصبح آل الرسول أحمد في الناس كذى عرة به جرب و يقول دعبل بن علي الخزاعي في رثاء الرضا، و هو شعر معروف، و مشهور، و قد أنشده للمأمون نفسه:

و ليس حي من الأحياء نعلمه من ذى يمان، و لا بكر، و لا مضر

إلا و هم شركاء في دمائهم كما تشارك أيسار على جزر

قتلا، و أسرا، و تحريقا، و منهبة فعل الغزاة بأهل الروم و الخزر

أرى أمية معذورين إن فعلوا لا أرى لبني العباس من عذر أما أبو فراس الحمداني فيقول:

(١) زهر الآداب ج ٢ ص ٧٠٥ و الشعر و الشعراء ص ٥٤٧، و الامام الصادق و المذاهب الاربعه، المجلد الاول جزء ١ ص ٢٥٤، و طبقات الشعراء ص ٢٤٦، و فيه في ص ٢٤٤: أن الرشيد بعد سماعه لمذائح النمري في اهل البيت، أمر أبا عصمة الشيعي بأن يخرج من ساعته إلى الرقة؛ ليسل لسان منصور من قفاه، و يقطع يده، و رجله، ثم يضرب عنقه. و يحمل إليه رأسه، بعد أن يصلب بدنه. فخرج أبو عصمة لذلك. فلما صار بباب الرقة استقبلته جنازة النمري؛ فرجع إلى الرشيد فأعلمه؛ فقال له الرشيد «و يلي عليك يا ابن الفاعلة؛ فألا إذا صادفته ميتا فأحرقته بالنار»!!

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ٩٨ ما نال منهم بنو حرب و إن عظمت تلك الجرائر إلا دون نيلكم «١» و يقول على بن العباس، الشاعر المعروف بابن الرومي، مولى المعتصم من قصيدة له:

بنى المصطفى كم يأكل الناس شلوكم لبلواكم عما قليل مفرج

أكل أوان للنبي محمديتيل زكي بالدماء مضرج إلى أن قال مخاطبا لنبي العباس:

أ في الحق أن يمساو خماسا و أنتم يكاد أخوكم بطنه يتبعج

و تمشون مختالين في حجراتكم ثقال الخطى اكفالكم تترجرج

وليدهم بادى الطوى و وليدكم من الريف ريان العظام خدلج

و لم تقنعوا حتى استثارت قبورهم كلابكم فيها بهيم و ديزج و القصيدة طويلة جدا، من أرادها فليراجعها ...

### نصوص اخرى:

يقول فان فلوتن: «... و لا غرو، فإن العلويين لم يلقوا من الاضطهاد مثل ما لقوا في عهد الأولين من خلفاء بني العباس ...» «٢».

و يقول الخضرى: «... فكان نصيب آل على في خلافة بني هاشم، أشد و أفسى مما لاقوه في عهد خصومهم من بني أمية، فقتلوا، و

شردوا كل مشرد، و خصوصا في زمن المنصور، و الرشيد، و المتوكل من بنى العباس. و كان اتهام شخص في هذه الدولة بالميل إلى واحد من

(١) سوف نورد قصيدة أبى فراس، و هى المعروفة ب «الشافية» و كذلك شطرا من قصيدة دعبل، فى أواخر هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

(٢) السيادة العربية و الشيعة و الاسرائيليات ص ١٣٣.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٩٩

بنى على كافيا لاتلاف نفسه، و مصادره ماله. و قد حصل فعلا لبعض الوزراء، و غيرهم الخ .. «١».

و لما دخل ابراهيم بن هرمه، المعاصر للمنصور المدينة، أتاه رجل من العلويين؛ فسلم عليه؛ فقال له إبراهيم: «تنح عنى، لا تشط بدمى ..» «٢».

بل يظهر من قضية أخرى لابن هرمه أن العباسيين كانوا يعاقبون حتى على حب أهل البيت عليهم السلام فى زمن الامويين؛ فإنه- أعنى ابن هرمه- عند ما سئل فى عهد المنصور عن قوله فى عهد الامويين:

و مهما ألام على حبهم فإنى أحب بنى فاطمة أجا: «من عض يبظر أمه».

فقال له ابنه: أ لست قائلها؟! قال: بلى ...

قال: فلم تشتم نفسك؟! قال: «أ ليس يعرض الرجل ببظر أمه خير له من أن يأخذه ابن قحطبة؟ ...» «٣».

بل إن الجلودى الذى أمره الرشيد بالاغارة على دور آل أبى طالب- كما قدمنا- قد قال للمأمون، عند ما جعل ولاية العهد للرضا:

(١) محاضرات تاريخ الامم الاسلامية ج ١ ص ١٦١.

(٢) تاريخ بغداد ج ٦ ص ١٢٩، و حياة الامام موسى بن جعفر ج ٢ ص ١٨٤.

(٣) طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٠، ٢١، و الأغانى ج ٤ ص ١١٠، و قاموس الرجال ج ١٠ ص ٢٦٩، نقلا عن تنبيه البكرى. و ملحقات احقاق الحق ج ٩ ص ٦٩٠ نقلا عن الحضرمى فى رشفة الصادى ص ٥٦ طبع القاهرة.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ١٠٠

«اعيدك بالله يا أمير المؤمنين أن تخرج هذا الأمر الذى جعله الله لكم، و خصكم به، و تجعله فى أيدي أعدائكم، و من كان آباؤك يقتلونهم، و يشردونهم فى البلاد ...» «١».

و أمر الرشيد عامله على المدينة: بأن يضمن العلويون بعضهم بعضا ...» «٢»

و كانوا يعرضون على السلطات؛ فمن غاب منهم عوقب!!

### و المأمون أيضا يعترف:

و جاء فى كتاب المأمون، الذى أرسله إلى العباسيين، بعد ما ذكر حسن سياسة الإمام على عليه السلام مع ولد العباس ما يلى: «... حتى قضى الله بالأمر إلينا؛ فأخفناهم، و ضيقنا عليهم، و قتلناهم أكثر من قتل بنى أمية إياهم. و يحكم، إن بنى أمية قتلوا من سل سيفنا، و انا معشر بنى العباس قتلناهم جملا ... فلتسألن أعظم الهاشمية بأى ذنب قتلت، و لتسألن نفوس القيت فى دجلة و الفرات، و نفوس دفنت ببغداد، و الكوفة أحياء الخ ...». و سنورد الرواية، و نذكر مصادرها فى أواخر هذا الكتاب إن شاء الله ...

و حسب القارئ أن يرجع إلى مقاتل الطالبين لابي الفرج الأصفهاني،

(١) بحار الأنوار ج ٤٩ ص ١٦٦، و عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٢٦٧.

(٢) لقد كان ذلك قبل الرشيد أيضا فراجع تاريخ ابن خلدون ج ٣ ص ٢١٥، فانه قال:

«... و ما زال آل أبي طالب يكفل بعضهم بعضا، و يعرضون؛ فغاب إلخ» ...

ثم يسوق واقعة فخر المشهورة، و بعض أسبابها ... و لا بأس بمراجعة الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ٧٥ و غيره ...

الحياة السياسية للإمام (الرضا)ع، مرتضى العاملی، ص: ١٠١

مع أنه لم يستوف كل شيء، و إنما اكتفى بذكر بعض منهم ... و كذلك إلى ما ذكره ابن الساعي في مختصر أخبار الخلفاء ص ٢٦، و غيرها.

و غير ذلك من كتب التاريخ و الرواية، ليعلم مقدار الظلم و العسف الذي حاق بأبناء علي، و شيعتهم في تلك الحقبة من الزمن ... و حسينا هنا بعد كل الذي قدمناه، أن نذكر فقرات من رسالة أبي بكر الخوارزمي، التي أرسلها إلى أهل نيشابور، يقول أبو بكر، بعد أن ذكر كثيرا من الطالبين، الذين قتلهم الامويون، و العباسيون- و منهم الرضا الذي سم ييد المأمون:-

«فلما انتهكوا ذلك الحريم، و اقترفوا ذلك الاثم العظيم، غضب الله عليهم، و انتزع الملك منهم، فبعث عليهم «أبا مجرم»، لا أبا مسلم، فنظر لانظر الله إليه إلى صلابه العلوية، و إلى لين العباسية، فترك تقاه، و اتبع هواه، و باع آخرته بدنياه، بقتله عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب. و سلط طواغيت خراسان، و اكراد أصفهان، و خوارج سجستان على آل أبي طالب، يقتلهم تحت كل حجر و مدر، و يطلبهم في كل سهل و جبل، حتى سلط عليه أحب الناس إليه، فقتله كما قتل الناس في طاعته، و أخذه بما أخذ الناس في بيعته، و لم ينفعه:

أن أسخط الله برضاه، و أن ركب ما لا يهواه. و خلت من الدوانيقي «١» الدنيا، فخطب فيها عسفا، و تقضى فيها جورا و حيفا. و قد امتلأت سجونه بأهل بيت الرسالة، و معدن الطيب و الطهارة، قد تتبع غائبهم، و تلتقط حاضرهم، حتى قتل عبد الله بن محمد بن عبد الله الحسنی بالسند، على يد عمر بن هشام الثعلبي، فما ظنك بمن قرب متناوله عليه، و لان مسه على يديه.

(١) في مجمع الفوائد: «و خلت إلى الدوانيقي» و لعله هو الصواب.

الحياة السياسية للإمام (الرضا)ع، مرتضى العاملی، ص: ١٠٢

و هذا قليل في جنب ما قتله هارون منهم، و فعله موسى قبله بهم، فقد عرفتم ما توجه على الحسن «١» بن علي بفخر من موسى، و ما اتفق على علي بن الافطس الحسيني من هارون، و ما جرى على احمد بن علي الزيدي، و علي القاسم بن علي الحسيني من حبسه، و على غسان بن حاضر الخزاعي، حين أخذ من قبله، و الجملة أن هارون مات و قد حصد شجرة النبوة، و اقتلع غرس الإمامة. و أنتم أصلحكم الله، أعظم نصيبا في الدين من الأعمش، فقد شتموه، و من شريك، فقد عزلوه، و من هشام بن الحكم، فقد أخافوه، و من علي بن يقطين، فقد اتهموه ...».

إلى أن يقول، بعد كلام له عن بني أمية:

«... و قل في بني العباس، فإنك ستجد بحمد الله مقالا، و جل في عجائبهم، فانك ترى ما شئت مجالا.

يجبى فيؤهم، فيفرق على الديلمي، و التركي، و يحمل إلى المغربي، و الفرغاني. و يموت إمام من أئمة الهدى، و سيد من سادات بيت المصطفى، فلا تتبع جنازته، و لا تجصص مقبرته، و يموت (ضراط) لهم، أو لاعب أو مسخرة، أو ضارب، فتحضر جنازته العدول و



القضاء، و يعمر مسجد التعزية عنه القواد و الولاة ...

و يسلم فيهم من يعرفونه دهريا، أو سوفسطائيا، و لا يتعرضون لمن يدرس كتابا فلسفيا و مانويا، و يقتلون من عرفوه شيعيا، و يسفكون دم من سمى ابنه عليا ...

و لو لم يقتل من شيعه أهل البيت غير المعلى بن خنيس، قتيل داود

(١) الظاهر أن الصحيح هو: «الحسين» كما في مجمع الفوائد.

الحياة السياسية للإمام (الرضا) (ع)، مرتضى العالمى، ص: ١٠٣

ابن علي، و لو لم يحبس فيهم غير أبي تراب المروزي، لكان ذلك جرحا لا يبرأ، و ثائرة لا تطفأ، و صدعا لا يلتئم، و جرحا لا يلتحم. و كفاهم أن شعراء قريش قالوا فى الجاهلية أشعارا يهجون بها أمير المؤمنين عليه السلام، و يعارضون فيها أشعار المسلمين، فحملت أشعارهم، و دونت أخبارهم، و رواها الرواة، مثل: الواقدي، و وهب بن منبه التميمي، و مثل الكلبي، و الشرقي ابن القطامي، و الهيثم بن عدي، و دأب بن الكنانى. و أن بعض شعراء الشيعة يتكلم فى ذكر مناقب الوصى، بل ذكر معجزات النبى صلى الله عليه و آله و سلم؛ فيقطع لسانه، و يمزق ديوانه، كما فعل بعبد الله بن عمار البرقي، و كما أريد بالكميت بن زيد الأسدي، و كما نبش قبر منصور بن الزبرقان النمري، و كما دمر على دعبل بن على الخزاعي. مع رفقتهم من مروان بن أبى حفصة اليمامى، و من على بن الجهم الشامى؛ ليس إلا لغلوهما فى النصب، و استيجابهما مقت الرب؛ حتى إن هارون بن الخيزران، و جعفر المتوكل على الشيطان، لا على الرحمن، كانا لا يعطيان مالا، و لا يبذلان نوالا، إلا لمن شتم آل أبى طالب، و نصر مذهب النواصب، مثل: عبد الله ابن مصعب الزبيرى، و وهب بن وهب البخترى، و من الشعراء مثل:

مروان بن أبى حفصة الاموى، و من الادباء مثل: عبد الملك بن قريب الأصمعى. فأما فى أيام جعفر فمثل: بكار بن عبد الله الزبيرى، و أبى السمط ابن أبى الجون الاموى، و ابن أبى الشوارب العبشمى ...»  
و بعد كلام له عن بنى أمية أيضا قال:

«و ما هذا بأعجب من صياح شعراء بنى العباس على رءوسهم بالحق، و إن كرهوه، و بتفضيل من نقصوه و قتلوه، قال المنصور بن الزبرقان على بساط هارون:

الحياة السياسية للإمام (الرضا) (ع)، مرتضى العالمى، ص: ١٠٤ آل النبى و من يحبهم يتظامنون مخافة القتل

أمن النصارى و اليهود و هم من أمه التوحيد فى أزل و قال دعبل، و هو صنيعة بنى العباس و شاعرهم:

ألم تر أنى مذ ثمانين حجة أروح، و أعدو دائم الحسرات

أرى فيهم فى غيرهم متقسما و أيديهم من فيهم صفرات و قال على بن العباس الرومى، و هو مولى المعتصم:

تأليت أن لا يبرح المرء منكم يشل على حر الجبين فيعفج

كذاك بنى العباس تصبر منكم و يصبر للسيف الكمى المدجج (١)

لكل أوان للنبي محمد قتيل زكى بالدماء مضرج (٢) و قال ابراهيم بن العباس الصولى - و هو كاتب القوم و عاملهم - فى الرضا لما قربته المأمون:

يمن عليكم بأموالكم و تعطون من مائه واحدا و كيف لا ينتقصون قوما يقتلون بنى عمهم جوعا و سغبا و يملئون ديار الترك و الديلم

فضة و ذهبا، يستنصرون المغربى و الفرغانى، و يجفون المهاجرى و الأنصارى، و يولون أنباط السواد و زراتهم، و تلف العجم و

الطماطم قيادتهم، و يمنعون آل أبى طالب ميراث أمهم، و فىء جدهم.

يشتهى العلوى الاكلة، فيحرمها، و يقترح على الايام الشهوة فلا يطعمها، و خراج مصر و الاهواز، و صدقات الحرمين و الحجاز، تصرف

إلى ابن أبي مريم المديني، وإلى إبراهيم الموصلي، وإلى ابن جامع السهمي، وإلى زلزل الضارب، و برصوما الزامر، و أقطاع بختيشوع النصراني قوت أهل

(١) في مقاتل الطالبين: «لذاك بنى العباس يصبر مثلكم و يصبر للموت».

(٢) في مقاتل الطالبين: «أكل أوان» ...

الحياة السياسية للإمام (الرضا) (ع)، مرتضى العاملی، ص: ١٠٥

بلد، و جاری بغا التركي، و الافشين الأشروسني كفاية أمة ذات عدد ...

و المتوكل زعموا يتسرى باثني عشر الف سرية، و السيد من سادات أهل البيت يتعفف بزنجية، أو سنديّة. و صفوة مال الخراج مقصورة على أرزاق الصفاعنة، و على موائد المخاتنة، و على طعمة الكلابيين، و رسوم القرايين، و على مخارق و علوية المغني، و زرزر، و عمر بن بانه المهلبی، و يخلون على الفاطمي بأكله أو شربه، و يصارفونه على دائق و حبه، و يشترون العوادة بالبدر، و يجرون لها ما يفي برزق عسكر.

و القوم الذين أحل لهم الخمس، و حرمت عليهم الصدقة، و فرضت لهم الكرامة و المحبة، يتكفون ضرا، و يهلكون فقرا، و يرهن أحدهم سيفه، و يبيع ثوبه، و ينظر إلى فيئه بعين مريضة، و يتشدد على دهره بنفس ضعيفة. ليس له ذنب إلا- أن جده النبي، و أبوه الوصي، و أمه فاطمة، و جدته خديجة، و مذهبه الايمان، و إمامه القرآن ... و حقوقه مصروفة إلى القهرمانه و المضرطة و إلى المعمره، إلى المزرة، و خمسه مقسوم على نقار الديكة الدمية، و القردة، و على رءوس اللبنة و اللبنة، و على مريّة الرحلة ...

و ما ذا أقول في قوم حملوا الوحوش على النساء المسلمات، و أجروا لعبادة و ذويه الجرايات، و حرثوا تربة الحسين عليه السلام بالفدان، و نفوا زواره إلى البلدان. و ما أصف من قوم هم: نطف السكارى في أرحام القيان؟ و ما ذا يقال في أهل بيت منهم نبع البغا، و فيهم راح التخنيث و غدا، و بهم عرف اللواط؟! كان ابراهيم بن المهدي مغنيا، و كان المتوكل مؤثنا موضعا، و كان المعتز مخثنا، و كان ابن زبيدة معتوها مفركا، و قتل المأمون أخاه، و قتل المنتصر أباه، و سم موسى بن المهدي أمه، و سم المعتضد عمه. و لقد كان في بني أمية مخازي تذكر، و معايب تؤثر ...».

الحياة السياسية للإمام (الرضا) (ع)، مرتضى العاملی، ص: ١٠٦

و بعد أن عدد بعض مخازي بني أمية، و معايبهم قال:

«... و هذه المثالب مع عظمتها و كثرتها، و مع قبحتها و شنعتها، صغيرة و قليلة في جنب مثالب بني العباس، الذين بنوا مدينة الجبارين، و فرقوا في الملاهي و المعاصي أموال المسلمين ... إلى آخر ما قال ...» (١).

هذا جانب من رسالة الخوارزمي، و قد كنت أود أن أثبتها بتمامها، لكنني رأيت أن المجال لا يتسع لذلك ... و على كل فإن:

ذلك كله غيظ من فيض ... و لعل فيما ذكرناه كفاية ...

(١) راجع: رسائل الخوارزمي طبع القسطنطينية سنة ١٢٩٧ من ص ١٣٠، إلى ص ١٤٠. و نقل شطرا كبيرا منها: سعد محمد حسن في كتابه: المهدية في الاسلام ابتداء من ص ٥٨ و ذكر شطرا منها أيضا الدكتور احمد امين في كتابه ضحى الاسلام ج ٣ ص ٢٩٧ فما بعدها؛ فراجع. و هي موجودة بتمامها في مجموعة خطية من تأليف سيدي الوالد أيده الله، سماها: «مجمع الفوائد، و مجمل العوائد» ابتداء من ص ٤٥ ...

الحياة السياسية للإمام (الرضا) (ع)، مرتضى العاملی، ص: ١٠٧

## نظرة عامة:

لا نريد في هذا الفصل أن نعرض لأنواع القبائح، التي كان العباسيون يمارسونها؛ فإن ذلك مما لا يمكن الإمام به و استقصاؤه في هذه العجالة.

و إنما نريد فقط أن نعطي لمحة سريعة عن سيرتهم السيئة في الناس، و مدى اضطهادهم و ظلمهم لهم، و جورهم عليهم، الأمر الذي أسهم إسهاما كبيرا في كشف حقيقتهم، و بيان واقعهم أمام الملاء ... حتى لقد قال الشعراء في وصف الحالة العامة في زمن خلفائهم الشيء الكثير؛ فمن ذلك قول سليم العدوي في الثورة على الوضع القائم:

حتى متى لا نرى عدلا نسرّ به و لا نرى لولاء الحق أعوانا

مستمسكين بحق قائمين به إذا تلون أهل الجور ألوانا

يا للرجال لداء لا دواء له و قائد ذى عمى يقتاد عميانا «١» و قال سديف:

(١) المستطرف ج ١ ص ٩٧، و طبيعة الدعوة العباسية ص ٢٧٢، و ضحى الاسلام ج ٢ ص ٣٧.

الحياة السياسية للإمام (الرضا ع)، مرتضى العاملى، ص: ١٠٨ إنا. لتأمل أن تتردد ألفتنا بعد التباعد و الشحاء و الإحن

و تنقضى دولة أحكام قاداتنا كحكام قوم عابدى و ثن فكتب المنصور إلى عبد الصمد بن على بأن: يدفنه حيا؛ ففعل «١».

و قد ذكر أبو الفرج أيباتا كثيرة بالاضافة الى هذين البيتين، و نسبها يحيى بن عبد الله بن الحسن، بحضرة الرشيد، إلى عبد الله بن مصعب الزبيرى، و من جملتها قوله:

فطالما قد بروا في الجور اعظمنابرى الصناعات قذاح النبع بالسفن «٢» و قال آخر، و هو أحمد بن أبى نعيم، الذى نفاه المأمون بسبب هذا البيت إلى السند:

ما أحسب الجور ينقضى و على الناس أمير من آل عباس «٣» و قد تقدم قول أبى عطاء السندى، المتوفى سنة ١٨٠ هـ:

يا ليت جور بنى مروان دام لنا و ليت عدل بنى العباس فى النار و قال الدكتور أحمد محمود صبحى: «... لكن ذلك المثل الاعلى للعدالة، و المساواة الذى انتظره الناس من العباسيين، قد أصبح و هما من الاوهام، فحراسة المنصور و الرشيد، و جشعهم، و جور أولاد على بن

(١) راجع: العمدة لابن رشيق ج ١ ص ٧٥، ٧٦، و العقد الفريد، طبع دار الكتاب العربى ج ٥ ص ٨٧ و هامش طبقات الشعراء ص ٤١.

(٢) مقاتل الطالبين ص ٤٧٦، ٤٧٧.

(٣) راجع: وفيات الأعيان، ترجمه يحيى بن أكتم، و مروج الذهب ج ٣ ص ٤٣٥، و ضحى الاسلام ج ٢ ص ٣٨، و نهاية الارب ج ٨

ص ١٧٥، و طبيعة الدعوة العباسية ص ٢٧٣، و طبقات الشعراء ص ٣٧٨، لكنه نسبة لابن أبى خالد، لكن فى العقد الفريد ج ٦ ص ٤١٨، قد نسب يحيى بن أكتم هذا البيت إلى دعبل.

و فيه: أنه هو الذى نفى إلى السند ...

الحياة السياسية للإمام (الرضا ع)، مرتضى العاملى، ص: ١٠٩

عيسى، و عبثهم بأموال المسلمين، يذكرنا بالحجاج، و هشام، و يوسف ابن عمرو الثقفى، و عم الاستياء أفراد الشعب، بعد أن استفتح أبو عبد الله، المعروف ب «السفاح»، و كذلك المنصور بالاسراف فى سفك الدماء، على نحو لم يعرف من قبل «١» ...».

و يقول صاحب امبراطورية العرب: «... إنه بالرغم من أن جيش خراسان هو الذى أوصل العباسيين إلى الملك، فان الفتن فى خراسان

ظلت قائمة في عهد العباسيين، كما كانت في عهد الامويين. و كان شعار الذي رفعه الخراسانيون الآن: أنهم هم الذين أوصلوا «آل البيت» إلى الحكم، لإقامة عهد من الرحمة و العدل، لا لإقامة عهد آخر من الطغيان، المتعطش إلى سفك الدماء ... إلى أن يقول: لكن الشيء الذي لا ريب فيه: هو أن الاحلام باقامة عهد السلام و العدل، التي كانت السبب في الثورة العامة ضد الامويين قد تبخرت الآن، و لو لم يكن العباسيون أسوأ حالا من الامويين، فانهم لم يكونوا- على أى حال- خيرا منهم «٢» ... و قريب منه كلام غيره «٣» و ستأتى في فصل: آمال المأمون إلخ ... عبارة فان فلوتن الهامة، و القيمة عن الحكم العباسى، و سياساته مع الرعية ... فانظر ... و لعل قصيدة أبى العتاهية، التي مطلعها:

من مبلغ عنى الامام نصائح متواليه

(١) نظرية الامامة ص ٣٨١. لكن كنية السفاح هي: «أبو العباس»، لا أبو عبد الله. و عبد الله هو: اسمه، و اسم المنصور أيضا، الذي كان أكبر من السفاح.

(٢) امبراطورية العرب ص ٤٥٢.

(٣) راجع: حياة الامام موسى بن جعفر ج ٢ ص ١٦٢ عن كتاب: «الذكبات» للريحاني، و ضحى الاسلام ج ١ ص ١٢٧ حتى ١٣١. الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ١١٠

تعبير تعبيراً صادقاً عن الحالة العامة، التي كانت سائدة آنذاك، و هي معروفة و مشهورة، و مذكورة في ديوانه ص ٣٠٤. و هي بحق من الوثائق الهامة، المعبرة عن واقع الحياة في تلك الفترة من الزمن ...

### تفصيل مواقف الخلفاء مع الرعية:

### إشارة

و بعد هذا ... و إذا ما أردنا أن نقف عند بعض جنایات و جرائم كل واحد منهم فإننا نقول:

### أما السفاح:

الذي أظهر نفسه في صورة مهدي «١» ... فهو الذي يقول عنه المؤرخون: إنه: «كان سريعا إلى سفك الدماء؛ فاتبعه عماله في ذلك، في المشرق و المغرب، و استنوا بسيرته، مثل: محمد بن الأشعث بالمغرب، و صالح بن على بمصر، و خازم بن خزيمه، و حميد بن قحطبه، و غيرهم ...» «٢».

حتى لقد خرج عليه شريك بن شيخ المهري، الذي كان- على ما يظهر- من دعاة العباسيين- خرج عليه- ببخارا، في أكثر من ثلاثين ألفا؛ فقال: «ما على هذا بايعنا آل محمد، تسفك الدماء،

(١) البداية و النهاية ج ١٠ ص ٦٩، و التنبية و الاشراف ص ٢٩٢.

(٢) مروج الذهب للمسعودى ج ٣ ص ٢٢٢، و تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٢٥٩.

و مشاكله الناس لزمانهم لليعقوبى ص ٢٢، و ليراجع امبراطورية العرب ص ٤٣٥.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ١١١

و يعمل بغير الحق «١» ...، فوجه إليه السفاح أبا مسلم، فقتله، و من معه ...

وقضية عامل السفاح- وهو أخوه، وقيل: ابن أخيه، يحيى- مع أهل الموصل، حيث ذبح الآلاف الكثيرة منهم في المسجد ... هذه القضية معروفة ومشهورة.

وينص المؤرخون، على أنه: لم يبق من أهل الموصل على كثرتهم إلا- أربع مائة إنسان، صدموا الجند، فأفرجوا لهم ... كما أنه أمر جنده، فبقوا ثلاثة أيام يقتلون النساء، لأنه سمع أنهن يبكين رجالهن ... وينص المؤرخون أيضا: على أن نفوس أهل الموصل قد ذلت بعد تلك المذبحة، ولم يسمع لهم بعدها صوت، و لا قامت لهم قائمة «٢» ...

و عند ما سألت السفاح زوجته أم سلمة، بنت يعقوب بن سلمة:

«لأى شيء استعرض ابن أخيك أهل الموصل بالسيف؟! قال لها:

و حياتك ما أدري «٣» «...»!!

و قد تقدمت عبارة الدكتور أحمد محمود صبحي عن السفاح والمنصور معا عن قريب ...

(١) الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٣٤٢، و الامامة و السياسة ج ٢ ص ١٣٩، و تاريخ يعقوبى ج ٢ ص ٣٥٤ طبع صادر، و البداية و النهاية ج ١٠ ص ٥٦، و تاريخ التمدن الاسلامى ج ٢ ص ٤٠٢، و غيرهم ... و فى كتاب طبيعة الدعوة العباسية ص ٢٣٠ قال: إنه «لذلك نقل ولاءه للعلويين، و ثار ببخارا، و انضم إليه أنصار العلويين فى خراسان، و كذلك ولاء العباسيين على بخارا، و برزم، و كانت حركته شعبية».

و جابه أبو مسلم صعوبات كبيرة فى القضاء عليها ... انتهى.

(٢) راجع تفاصيل هذه القضية فى: النزاع و التخاصم للمقرزى ص ٤٨، ٤٩، و الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ٢١٢، حوادث سنة ١٣٢، و تاريخ ابن خلدون ج ٣ ص ١٧٧، و غاية المرام للموصلى ص ١١٥، و تاريخ يعقوبى، طبع صادر ج ٢ ص ٣٥٧، و شرح ميمية أبى فراس ص ٢١٦.

(٣) النزاع و التخاصم للمقرزى ص ٤٩، و غير ذلك ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ١١٢

## و أما المنصور:

## إشارة

الذى أظهر نفسه فى صورة مهدي كما يظهر من قول أبى دلامة مخاطبا أبا مسلم الذى قتله المنصور:

أبا مجرم ما غير الله نعمه على عبده حتى يغيرها العبد

أ فى دولة المهدي حاولت غدرة ألا إن أهل الغدر آباؤك الكرد «١» و الذى قتل خلقا كثيرا حتى استقام له الأمر «٢» ...

فأمره فى الظلم و الجور و انتهاك الحرمات أشهر من أن يذكر، حتى لقد أنكر عليه ذلك: «... رجل من أعظم الدعاة قدرا، و أعظمهم غناء. و هو أبو الجهم بن عطية، مولى باهلة. و هو الذى أخرج أبا العباس السفاح من موضعه الذى أخفاه فيه أبو سلمة، حفص بن

سليمان الخلال، و حرسه، و قام بأمره حتى بويع بالخلافة؛ فكان أبو العباس يعرف له ذلك. و كان أبو مسلم يثق به، و يكاثبه ...

فلما استخلف أبو جعفر المنصور، و جار فى أحكامه؛ قال أبو الجهم:

ما على هذا بايعناهم، إنما بايعناهم على العدل؛ فأسرها أبو جعفر فى نفسه، و دعاه ذات يوم؛ فتغدى عنده، ثم سقاه شربة من سويق

اللوز؛ فلما وقعت في جوفه هاج به وجع؛ فتوهم: أنه قد سم؛ فوثب، فقال له المنصور: إلى أين يا أبا الجهم؟! فقال: إلى حيث أرسلتني. و مات بعد يوم أو يومين فقال:

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة ج ١ ص ٢٦ و الكنى والألقاب ج ١ ص ١٥٨. و يحتمل أن يقصد بالمهدى هنا: السفاح.  
 (٢) فوات الوفيات ج ١ ص ٢٣٢، و تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٢٥٩، و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٣٢٤.  
 الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ١١٣ احذر سوق اللوز لا تشربنه فان سوق اللوز أردى أبا الجهم «١».  
 و أنكر عليه ذلك أيضا- بالاضافة إلى عمه كما تقدم- جماعة من قواده، فقاموا عليه، و دعوا الناس إلى موالاة أهل البيت، فحاربهم عبد الرحمن الأزدي سنة ١٤٠ هـ. فقتل طائفة منهم، و حبس آخرين «٢»...  
 و قال الطبرى فى حوادث سنة ١٤٠ هـ. أيضا: «... و فيها ولى أبو جعفر عبد الجبار بن عبد الرحمن خراسان، فقدمها، فأخذ بها ناسا من القواد، و ذكر أنه اتهمهم بالدعاء إلى ولد على بن أبى طالب، منهم:  
 مجاشع بن حريث الانصارى، و أبو المغيرة، مولى لبنى تميم، و اسمه خالد ابن كثير، و هو صاحب قوهستان، و الحريش بن محمد الدهلى، ابن عم داود، فقتلهم و حبس الجنيد بن خالد بن هريم التغلى، و معبد بن الخليل المزنى، بعد ما ضربهما ضربا مبرحا، و حبس عدة من وجوه قواد أهل خراسان «٣»..»  
 و لعل من الامور الجديرة بالملاحظة هنا: أن المنصور كان يعاشر الراونديّة القائلين بالوهيته، و لا ينهاهم و لا يردعهم عن مقاتلتهم تلك، و عند ما سأله أحد المسلمين عن ذلك قال له- على ما فى تاريخ الطبرى:-  
 «لأن يكونوا فى معصية الله و طاعتنا، أحب إلّى من أن يكونوا فى طاعة الله و معصيتنا».  
 و لكنه عند ما ثاروا عليه فى الهاشمية، وضع فيهم السيف و قتلهم، و لكن لا لاجل مقاتلتهم الشنيعة تلك، و إنما لأجل عدم طاعتهم له!! ...

(١) النزاع و التخاصم للمقريزى ص ٥٢، و ليراجع: الوزراء و الكتاب ص ١٣٦-١٣٧ و فيه: أن أبا الجهم كان وزيرا للسفاح.  
 (٢) البداية و النهاية ج ١٠ ص ٧٥.  
 (٣) الطبرى، طبع ليدن ج ١٠ ص ١٢٨.  
 الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ١١٤  
 هذا ... و عند ما قال لعبد الرحمن الافريقى، رفيق صباه:  
 «كيف رأيت سلطانى من سلطان بنى أمية؟»  
 أجابه عبد الرحمن: «ما رأيت فى سلطانهم شيئا من الجور إلا رأيت فى سلطانك...» «١».  
 و عند ما قدم عليه عبد الرحمن هذا من إفريقياء، و دخل عليه، بعد أن بقى ببابه شهرا، لا يستطيع الوصول إليه، قال له عبد الرحمن:  
 «ظهر الجور ببلادنا، فجتت لا علمك؛ فإذا الجور يخرج من دارك. و رأيت أعمالا سيئة، و ظلما فاشيا، ظننته لبعده البلاد منك، فجعلت كلما دنوت منك كان الأمر أعظم».  
 فغضب المنصور، و أمر باخراجه «٢»...  
 و قال لابن أبى ذؤيب: «أى الرجال أنا؟».  
 فأجابه: «أنت و الله عندى شر الرجال، استأثرت بمال الله، و رسوله، و سهم ذوى القربى، و اليتامى. و المساكين، و أهلكت الضعيف، و أتعبت القوى، و أمسكت أموالهم...» «٣»... و حجج أبو جعفر فدعا ابن أبى ذئب، فقال: نشدتك الله، أ لست أعمل بالحق؟ أ ليس

ترانى أعدل؟ فقال ابن أبي ذئب: أما إذ نشدتنى بالله فأقول: اللهم لا، ما أراك تعدل، وإنك لجائر، وإنك لتستعمل الظلمة، و تترك أهل الخير «٤».

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٢٦٨، وغيره.

(٢) تاريخ بغداد ج ١٠ ص ٢١٥، و الامام الصادق، و المذاهب الأربعة المجلد الأول جزء ٢ ص ٤٧٩.

(٣) الامامة و السياسة ج ٢ ص ١٤٥.

(٤) صفة الصفوة ج ٢ ص ١٧٥.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ١١٥

و عند ما كان يطوف بالبيت سمع أعرابيا يقول: «اللهم إنى أشكو إليك ظهور الفساد، و ما يحول بين الحق و أهله، من الطمع.»؛ فطلبه المنصور، فأتى به، فاستمع المنصور منه إلى شرح واف عن الظلم، و الجور، و الفساد، الذى كان فاشيا آنذاك، و هى قصة طويلة لا مجال لذكرها، و على مرئدها المراجعة إلى مظانها «١».

و لا بأس بمراجعة ما قاله له عمرو بن عبيد، فى موعظته الطويلة له، و من جملتها: «... إن وراء بابك نيرانا تتأجج من الجور، و الله، ما يحكم وراء بابك بكتاب الله، و لا بسنة نبيه إلخ...» «٢».

و قد لقي أعرابيا بالشام؛ فقال له المنصور: «احمد الله يا أعرابى، الذى رفع عنكم الطاعون بولايتنا أهل البيت».

فأجابته الاعرابى: «إن الله أعدل من أن يجمعكم علينا و الطاعون».

فسكت، و لم يزل يطلب له العلل حتى قتله «٣».

(١) المحاسن و المساوى من ص ٣٣٩، إلى ص ٣٤١، و العقد الفريد للملك السعيد ص ١١٦، ١١٧، ١١٨، و حياة الحيوان للدميرى ج ٢ ص ١٩٠، ١٩١، طبع سنة ١٣١٩، و عيون الأخبار، لابن قتيبة ج ٢ ص ٣٣٣، إلى ص ٣٣٦، و العقد الفريد ج ٢ ص ١٠٤، ١٠٥، طبع سنة ١٣٤٦، و ضحى الاسلام ج ٢ ص ٤٠، و الامام الصادق و المذاهب الأربعة ج ٢ ص ٤٨٠، نقلا عن: تاريخ ابن الساعى ص ١٩، و الفتوحات الاسلامية لدحلان ج ٢ ص ٤٤٥ حتى ٤٤٨ مطبعة مصطفى محمد. و الموقيات ص ٣٩٢، ٣٩٣.

(٢) مرآة الجنان لليافعى ج ١ ص ٣٣٦، ٣٣٧، و المحاسن و المساوى، طبع صادر ص ٣٣٨، ٣٣٩، و عيون الأخبار، لابن قتيبة باختصار ج ٢ ص ٣٣٧، و نور القبس ص ٤٤.

(٣) روض الأختيار المنتخب من ربيع الأبرار ص ٨٦ و أساس الاقتباس، و البداية و النهاية ج ١٠ ص ١٢٣، تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٢٦٥، و فى كتاب ربيع الابراج ج ١ ص ٦٨٨، طبيعة الدعوة العباسية ص ٢٧٣، نقلا عن تاريخ دمشق لابن عساكر III ص ٣٩١: أن الذى قال للمنصور ذلك هو منصور بن جعونة الكلابى: و أن قوله له هو: «إن الله أعدل من أن يسلط علينا الطاعون و العباسيين معا...».

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ١١٦

و قد كتب له سديف، الذى كان من المتحمسين للدولة العباسية:

أسرفت فى قتل الرعية ظالما فكف يديك اظلمها «مهديها» «١» و يريد ب «مهديها» محمد بن عبد الله بن الحسن على ما يظهر ... و قضية الرجل الهمدانى، الذى أراد عامل المنصور أن يسلبه ضيعته؛ فأبى عليه ذلك؛ فكلبه بالحديد، و سيره إلى المنصور، فأودعه السجن أربعة أعوام، لا يسأل عنه أحد، هذه القضية معروفة، و مشهورة «٢» ...

و عند ما بنى مدينة: «المصيبة» قد أخذ أموال الناس، حتى ما ترك عند أحد فضلا «٣»، و عند ما أراد أن يبني مدينة أخرى ثار الناس

عليه و وقع القتال؛ لأنهم علموا أنه سوف لا يبقى عندهم فضلا أيضا.  
و أما ما فعله عبد الوهاب ابن أخي المنصور في أهل فلسطين؛ فذلك يفوق كل وصف و يتجاوز كل بيان «٤».

### بعض ما يقال عن المنصور:

و أخيرا ... فقد قال عنه البيهقي إنه: «كان يعلق الناس من أرجلهم، حتى يؤدوا ما عليهم...» «٥».

(١) العقد الفريد، طبع دار الكتاب العربي ج ٨٨ / ٥. و يقال: إن هذا هو سبب قتل سديف ...

(٢) شرح قصيدة ابن عبدون لابن بدرون ص ٢٨١، ٢٨٢، و مروج الذهب ج ٣ ص ٢٨٨.

(٣) تاريخ اليعقوبي ج ٣ / ١٢١.

(٤) الوزراء و الكتاب ص ١٣٧.

(٥) المحاسن و المساوى ص ٣٣٩.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ١١٧

هذا ... و قد وصف اليافعى و الذهبي المنصور بأنه كان: «فيه جبروت و ظلم» «١».

و وصفه السيد أمير على بأنه: «كان غادرا خداعا، لا يتردد البتة في سفك الدماء ... إلى أن قال: و على الجملة: كان أبو جعفر سادرا

في بطشه، مستهترا في فتكه، و تعتبر معاملته لأولاد على من أسوأ صفحات التاريخ العباسى» «٢».

و لا بأس بمراجعة ما قاله الريان، مولى المنصور لجعفر بن أبى جعفر، حيث ينص على أنه قتل أهل الدنيا، ممن لا يعد و لا يحصى، و

ان فرعون لا يقاس به «٣».

### و أما المهدي.

الذى اتخذ الزندقة ذريعة للفتك بالأبرياء ... فقد كفانا الجهشياري مؤونة الحديث عنه؛ حيث قال: إنه في زمن المهدي هذا:

«كان أهل الخراج يعذبون بصنوف من العذاب، من السباع، و الزناير و السنابير ...» «٤» ... و قد خرج عليه يوسف البرم بخراسان،

منكرا عليه أحواله، و سيرته، و ما يتعاطاه «٥».

(١) العبر للذهبي ج ١ / ٢٣٠، و مرآة الجنان لليافعى ج ١ / ٣٣٤.

(٢) مختصر تاريخ العرب و التمدن الاسلامى ص ١٨٤. و ليراجع تاريخ التمدن الاسلامى ج ٤ / ٣٩٩، و التاريخ الإسلامى و الحضارة

الاسلامية ج ٣ / ٦١.

(٣) الوزراء و الكتاب ص ١٣٠.

(٤) الوزراء و الكتاب ص ١٤٢.

(٥) البداية و النهاية ج ١٠ / ١٣١.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ١١٨

### و أما الهادي:



فقد كان: «يتناول المسكر، و يجب اللهو و الطرب، و كان ذا ظلم و جبروت» (١).  
 و كان «سَيِّئ الأخلاق، قاسى القلب، جبارا، يتناول المسكر، و يلعب.» (٢).  
 و قد قال عنه الجاحظ: «كان الهادى شكس الأخلاق، صعب المرام، سَيِّئ الظن. قل من توقاه، و عرف أخلاقه إلا أغناه، و ما كان شىء أبغض إليه من ابتدائه بسؤال. و كان يأمر للمغنى بالمال الخطير الجزيل ...» (٣).  
 و قال الجهشيارى: «كان فظا قاسيا، غير مأمون على وفاء بوعد» (٤).  
 نعم ... لقد كان يأمر للمغنى بالمال الجزيل الخطير- من بيت مال المسلمين- كما يقول الجاحظ ... و قد بلغ من إسرافه فى إجازة الخلعاء و المغنين، أن دفع إسحاق الموصلى لأن يقول: «لو عاش لنا الهادى لبينا حيطان دورنا بالذهب و الفضة» (٥).  
 و أخيرا ... فقد قال عنه الذهبي: «قد كان جبارا ظالم النفس» (٦).  
 إلى آخر ما هنالك مما لا مجال لنا هنا لتتبعه ...

(١) تاريخ الخميس ج ٢ / ٣٣١.

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٢٧٩، و غيره.

(٣) التاج للجاحظ ص ٨١.

(٤) الوزراء و الكتاب ص ١٧٤.

(٥) الأغاني، طبع دار الكتب بالقاهرة ج ٥ / ١٦٣.

(٦) العبر للذهبي ج ١ / ٢٥٨. و لا بأس بمراجعة: مشاكلة الناس لزمانهم ص ٢٤.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ١١٩.

### و أما الرشيد:

فسيرته تكفى عن كل بيان ... و يكفيه أنه- كما ينص المؤرخون- يشبه المنصور فى كل شىء إلا فى بذل المال (١)؛ حيث يقولون إن المنصور كان بخيلا ...

و قد تسلط - كالمصور- بعد مدة من خلافته على الامور؛ فأفسد الصنائع، و أحب جمع الأموال (٢).

«و كان جبارا سفاكا للدماء، على نمط من ملوك الشرق المستبدين» (٣).

و قد عسف عامله أهل خراسان، و قتل ملوكها، و وجوه أهلها و أشرفها و صناديدها، و أخذ أموالهم، فأرسلها إلى الرشيد، الأمر الذى كان سببا فى انتقاضها عليه (٤).

و كان يعذب الناس فى الخراج؛ حيث: «أخذ العمال، و التناء، و الدهاقين، و أصحاب الصنائع، و المبتاعين للغلات، و المقبلين. و كان عليهم أموال مجتمعة؛ فولى مطالبتهم عبد الله بن الهيثم بن سام، فطالبهم بصنوف من العذاب ... إلى أن دخل عليه ابن عياض؛ فرأى الناس يعذبون فى الخراج؛ فقال: ارفعوا عنهم؛ إنى سمعت عن رسول الله (ص) يقول: من عذب الناس فى الدنيا عذبه الله يوم القيامة؛ فأمر بأن يرفع العذاب عن الناس؛ فرفع ...» (٥).

(١) و لكن لا- فى سبيل الله، و إنما على ملذاته و شهواته، و على المغنين و المضرطين كما فى رسالة الخوارزمى المتقدمة، و كما ينص عليه أى كتاب تاريخى يتحدث عن سيرته و أفعاله.

(٢) التنبه والإشراف ص ٢٩٩.

(٣) هذا قول الأمير شكيب أرسلان، في تعليقه على: حاضر العالم الإسلامي، نقلها عنه:

محمد بن عقيل هامش ص ٢٠ من كتابه: العتب الجميل ... و هو من منشورات هيئة البحوث الإسلامية في اندونيسيا.

(٤) الوزراء و الكتاب ص ٢٢٨.

(٥) تاريخ اليعقوبي ج ٣ / ١٤٦.

الحياة السياسية للإمام (الرضا)(ع)، مرتضى العاملى، ص: ١٢٠

و كان قد ولي رجلا يضرب الناس، و يجبسهم، ليؤدوا ما عليهم من الخراج «١».

و قال أبو يوسف، في عرض وصيته للرشيد بشأن عمال الخراج:

«بلغنى أنه: قد يكون فى حاشية العامل، أو الوالى جماعة، منهم من له حرمة، و منهم من له إليه وسيلة، ليسوا بأبرار و لا- صالحين، يستعين بهم، و يوجههم فى أعماله، يقتضى بذلك الذمامات. فليس يحفظون ما يوكلون بحفظه، و لا- ينصفون من يعاملونه. إنما مذهبهم أخذ شىء، من الخراج كان، أو من أموال الرعية. ثم انهم يأخذون ذلك كله- فيما بلغنى- بالعسف، و الظلم، و التعدى «٢» ... و قال: و بلغنى أنهم يقيمون أهل الخراج فى الشمس، و يضربونهم الضرب الشديد، و يعلقون عليهم الجرار، و يقيدونهم بما يمنعهم من الصلاة، و هذا عظيم عند الله، شنيع فى الاسلام ...» «٣».

و بعد ... فقد كان فى قصره أربعة آلاف امرأة: من الجوارى و الحظايا «٤» و كان على حد تعبير بعضهم: «حريصا على اللذات المحرمة، و سفك

(١) البداية و النهاية ج ١٠ / ١٨٤.

(٢) الخراج لأبى يوسف ص ١١٦ ط سنة ١٣٩٢ هـ.

(٣) المصدر نفسه ص ١١٨.

(٤) البداية و النهاية ج ١٠ / ٢٢٠، نقلًا- عن الطبرى ... و فى نفس الجزء من البداية و النهاية ص ٢٢٢ قال: «قال بعضهم: إنه كان فى داره أربعة آلاف جارية سرارى حسان» ...

و جاء فى ضحى الاسلام ج ١ / ٩. أنه: «كان للرشيد زهاء ألفى جارية: من المغنيات، و الخدمة فى الشراب فى أحسن زى، من كل نوع من أنواع الثياب و الجواهر ...». و إذن فكيف بالسراى الذين هم أربعة آلاف، و بقية الجوارى، اللواتى يحتاج إليهن فى كثير من الشؤون ... فالرقم الحقيقى أكثر من أربعة آلاف بكثير، بل لعله يزيد عما كان عند المتوكل، الذى كان يتسرى باثنى عشر ألف سرية، كما نص عليه الخوارزمى فيما تقدم، و جبور عبد النور فى كتاب الجوارى ص ٣٦ من سلسلة اقرأ.

الحياة السياسية للإمام (الرضا)(ع)، مرتضى العاملى، ص: ١٢١

الدماء، و غضب حقوق الناس، و كان ظالما لأهل البيت (ع)، و كانت جوائزها خاصة لأهل اللهو، و اللعب، و المغنين، و الراقصات ...».

و ستأتى عبارة فان فلوتن عنه فى فصل: آمال المأمون الخ ... فانتظر ...

و حسب الرشيد ... رسالة سفيان، التى أرسلها إليه من غير طى، و لا ختم. و التى تلقى لنا ضوءا على جانب من سيرته و سلوكه ... و لسوف نثبتها- نظرا لا همتها- مع الوثائق الهامة فى أواخر هذا الكتاب إن شاء الله تعالى ...

**و أما الأمين.**

«... الذى رفض النساء، و اشتغل بالخصيان، و وجه إلى البلدان فى طلب الملهين، و استخف حتى بوزرائه، و أهل بيته ...» «١».

فقد كان: «قبيح السيرة، ضعيف الرأي، سفاكا للدماء، يركب هواه، و يهمل أمره، و يتكل في جليلات الامور على غيره الخ ...» (٢).  
 و يضيف هنا القلقشندی قوله: منهمكا في اللذات و اللهو ...» (٣).  
 و يكفيه أن كلا من العبرى، و ابن الاثير الجزرى يقول عنه: إنه:  
 «لم يجد للأمين شيئا من سيرته يستحسنه، فيذكره ...» (٤).  
 و لقد كانت أيامه على الناس، أيام حروب، و ويلات، و سلب

(١) مآثر الانافة ج ١ / ٢٠٥، و تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٢٠١، و مختصر تاريخ الدول ص ١٣٤، و الكامل لابن الأثير، طبع دار الكتاب العربى ج ٥ / ١٧٠، و الطبرى، و غير ذلك.  
 (٢) التنبيه و الاشراف ص ٣٠٢.  
 (٣) مآثر الانافة فى معالم الخلافة للقلقشندی ج ١ / ٢٠٤.  
 (٤) مختصر أخبار الدول ص ١٣٤، و الفخرى فى الآداب السلطانية ص ٢١٢.  
 الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ١٢٢  
 و نهى، و ما إلى ذلك، مما لا تقره شريعة، و لا يرضى به خلق كريم ...

### و أما المأمون:

فإنه لم يكن فى كل ما ذكرناه أفضل من أسلافه، و لا كانت أيامه بدعا من تلك الأيام، كما سنوضح ذلك فى أواخر فصل: آمال المأمون و آلامه، حيث سيتضح أن حال الرعية فى أيامه كان قد تنهى فى السوء، و بلغ الغاية فى التدهور. الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ١٢٢ وصية ابراهيم الإمام: ..... ص : ١٢٢

### وصية ابراهيم الإمام:

و بعد كل الذى قدمناه، لم يعد يخفى على أحد، كم سفك العباسيون من الدماء البريئة- عدا عما سفكوه من دماء بنى عمهم العلويين- و نزيد هنا: أن إبراهيم الامام أرسل إلى أبى مسلم يأمره: «بقتل كل من شك فيه، أو وقع فى نفسه شىء منه، و إن استطاع أن لا يدع بخراسان من يتكلم بالعربية إلا قتله فليفعل، و أى غلام بلغ خمسة أشبار يتهمه فليقتله، و أن لا يخلى من مضر ديارا» (١).  
 و لعل سر أمره له بقتل كل عربى يرجع إلى أنه كان يعلم أن ذلك يرضى الخراسانيين، الذين كانوا مضطهدين على أيدي العرب ... كما أنه كان يعلم أن العرب لن يستجيبوا له استجابة واسعة ضد الامويين، لأن الدولة الاموية كانت ترضى غرور العربى، و تؤكد اعتزازه بجنسه و محتده ...

(١) الطبرى، طبع ليدن ج ٩ / ص ١٩٧٤، و ج ١٠ / ٢٥، و الكامل لابن الأثير، ج ٤ / ٢٩٥، و البداية و النهاية ج ١٠ / ٢٨، و ص ٦٤، و الإمامة و السياسة ج ٢ ص ١١٤، و النزاع و التخاصم للمقريزى ص ٤٥، و العقد الفريد، طبع دار الكتاب ج ٤ / ٤٧٩، و شرح النهج للمعتزلى ج ٣ / ٢٦٧، و ضحى الاسلام ج ١ ص ٣٢.  
 الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ١٢٣

يضاف إلى ذلك ما كان يعانيه العرب من الانقسامات الداخلية، التى كانت تمزق صفوفهم و توهن قوتهم ...  
 و أما المضربة فقد كانوا جماعة نصر بن سيار الموالى للامويين، و اليمانية كانوا جماعة ابن الكرمانى المناهض لنصر (١) ...

## أبو مسلم ينفذ الوصية:

وقد حرص أبو مسلم على تنفيذ وصية ابراهيم الامام كل الحرص ... حتى لقد قتل - كما يقول الذهبي و اليافعي -: «خلقا لا يحصون محاربة و صبورا، و كان حجاج زمانه (٢) ...». و يقول المؤرخون: إن من قتلهم أبو مسلم صبورا قد بلغ «ست مائة الف نفس» من المسلمين، من المعروفين، سوى من لم يعرف، و من قتل في الحروب، و تحت سنابك الخيل (٣) ... و قد اعترف المنصور نفسه بذلك، عند ما عاتب أبا مسلم، ثم قتله، فكان من جملة ما عاتبه به قوله: «فأخبرني عن ست مائة الف من المسلمين، قتلهم صبورا؟!» ... و لم ينكر أبو مسلم ذلك، و إنما أجابه بقوله:

(١) راجع: تاريخ الجنس العربي ج ٨ / ٤١٧.  
 (٢) العبر للذهبي ج ١ / ١٨٦، و مرآة الجنان ج ١ / ٢٨٥.  
 (٣) البداية و النهاية ج ١٠ / ٧٢، و وفيات الأعيان ج ١ / ٢٨١، طبع سنة ١٣١٠ هـ.  
 و مختصر تاريخ الدول ص ١٢١، و الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٣٥٤، و شرح شافية أبي فراس ص ٢١١، و غاية المرام في محاسن بغداد دار السلام للعمري الموصلي ص ١١٦ و تاريخ ابن الوردي ج ١ / ٢٦١، و مآثر الانافة في معالم الخلافة ج ١ / ١٧٨، و النزاع و التخاصم للمقريزي ص ٤٦.  
 الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العامل، ص: ١٢٤  
 «لتستقيم دولتكم» (١)!!  
 و اعترف جعفر البرمكي بذلك أيضا (٢).  
 و أبو مسلم نفسه نراه قد اعترف بمائة الف منها أيضا في مناسبة أخرى (٣).  
 و أما من قتلهم في حروبه مع بني أمية و قوادهم، فقد أحصوا فوجدوا: ألف ألف و ستمائة ألف (٤) ...  
 و كل ذلك غير بعيد ... إذا ما عرفنا أن ثورة أبي السرايا قد كلفت جيش المأمون فقط (٢٠٠) الف جندي، كما سيأتي ... و كذلك إذا ما لاحظنا ما يذكره المؤرخون عن عدد القتلى في الوقائع المختلفة، التي خاضها أبو مسلم ...  
 و بعد هذا ... فاننا نرى أبا مسلم نفسه يقول في رسالته منه للمنصور:  
 «فوترت أهل الدنيا في طاعتكم، و توطئة سلطانكم ...» (٥).  
 و في رسالته أخرى منه له أيضا يقول: «... إن أخاك أمرني أن أجرد السيف، و آخذ بالظنة، و أقتل على التهمة، و لا أقبل المعذرة، فهتكت بأمره حرمت حتم الله صونها، و سفكت دماء فرض الله حقنها، و زويت الأمر عن أهله، و وضعت في غير محله ...» (٦).  
 يقصد ب «أهله»: أهل البيت (ع)، و قد أوضح ذلك في رسالته

- (١) طبيعة الدعوة العباسية ص ٢٤٥، نقلا عن العيني في: دولة بني العباس و الطولونيين و الاخشيديين ص ٣٠، فما بعدها ...  
 (٢) تاريخ التمدن الاسلامي ج ٢ / ٤٣٥، نقلا عن: زينة المجالس (فارسي).  
 (٣) تاريخ اليعقوبي ج ٣ / ١٠٢، و تاريخ ابن خلدون ج ٣ / ١٠٣.  
 (٤) شرح قصيدة ابن عبدون لابن بدرون ص ٢١٤، و ليراجع صبح الأعشى ج ١ / ٤٤٥ أيضا.  
 (٥) البداية و النهاية ج ١٠ / ٦٩.

(٦) تاريخ بغداد ج ١٠ / ٢٠٨، و البداية و النهاية ج ١٠ / ١٤، و لا بأس بمراجعة ص ٦٩، و النزاع و التخاصم ص ٥٣، و الإمام الصادق و المذاهب الأربعة جلد ١ ج ٢ / ٥٣٣.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ١٢٥

الآخرى للمنصور التي يقول فيها: أن أخاه قد استخف بالقرآن و حرفه.

و أنه أوطأه في غيرهم من أهل بيتهم العشوة، بالإفك و العدوان، و أنه ظهر له بصورة مهدي ...

أى أن أخا المنصور قد حرف الآيات الواردة في أهل البيت (ع) لتطبق على العباسيين، و أنه بذلك تمكن من إغراء أبى مسلم بالعلويين؛ ففعل بهم ما فعل بالإفك و العدوان ... و يصرح بذلك في رسالة أخرى للمنصور؛ فيقول: «و أوطات غيركم من كان فوقكم من آل رسول الله بالذل و الهوان، و الإثم و العدوان ...» يشير بذلك إلى العلويين «١».

و على كل فإننا سوف لا نستغرب إذا رأينا أنه قد بلغ من ظلم أبى مسلم أنه عند ما حج: «هربت الأعراب عن المناهل، التي يمر بها ذهابا و إيابا؛ فلم يبق منهم أحد؛ لما كانوا يسمعون منه سفكه للدماء» «٢».

و قال المقرئى: «و قتل (يعنى أبو مسلم) زياد بن صالح؛ من أجل أنه بلغه عنه أنه يقول: إنما بايعنا على إقامة العدل، و إحياء السنن، و هذا جائر ظالم، يسير بسيرة الجابرة، و إنه مخالف.

و كان لزياد بلاء في إقامة الدولة؛ فلم يرع له؛ فغضب عيسى ابن ماهان، مولى خزاعة لقتل زياد، و دعا لحرب أبى مسلم سرا؛ فاحتال عليه بأن دس إلى بعض ثقاته إلخ ...» ثم ذكر كيفية احتيال أبى مسلم عليه و قتله إياه «٣» ...

(١) طبيعة الدعوة العباسية ص ٣٣، الفتوح لابن أعمش الكوفى، ج ٨ ص ٢٢٣ ... و لا بأس بمراجعة الرسائل المختلفة المعبرة عن ذلك فيما تقدم من المراجع، و فى النزاع و التخاصم ص ٥٢، ٥٣، و الإمام الصادق و المذاهب الأربعة جلد ١ ج ٢ / ٥٣٣، ٥٣٤، و البداية و النهاية ج ١٠ / ٦٩، و الإمامة و السياسة ج ٢ / ١٣٢، ١٣٣، و غير ذلك.

(٢) النزاع و التخاصم ص ٤٦.

(٣) نفس المصدر و الصفحة.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ١٢٦

و قد قال أبو مسلم ليونس بن عاصم عند ما قال له: هذا جزائى؟! «و من جازيناه بجزائه؛ وضعت سيفى فلم يبق بر و لا فاجر إلا قتلته» «١».

و قال أبو مسلم أيضا: «إنى أطفيت من بنى أمية جمره، و ألهبت من بنى العباس نيرانا، فإن أفرح بالاطفاء، فوا حزنا من الالهاب» «٢».

و قال أبو مسلم أيضا: «إنى نسجت ثوبا من الظلم لا يبلى ما دامت الدولة لبنى العباس، فكم من صارخ الخ.» «٣».

### و لا مجال ثمة للشك:

كل ذلك يدل دلالة قاطعة على مدى الظلم الذى كان يمارسه العباسيون مع الناس بصورة عامة، و مع العلويين بشكل خاص ... و المتتبع للأحداث التاريخية يرى أن الامه كانت تعيش فى رعب دائم و مستمر، خصوصا و أن كل أحد كان يرى و يعلم: كيف أن الآلاف من الناس، كانوا يذبحون لأتفه الأسباب و أحقرها ...

و أعود فأذكر القارئ ببعض ما أوردناه من رسالة الخوارزمى، التي تعتبر بحق من الوثائق الهامة، كما اعترف به غير واحد من الباحثين

...

و بعد فلا بد لنا من كلمة أخرى:

كانت تلك- كما قلنا- لمحعة خاطفة عن حالة العباسيين مع الناس عامة، و مع العلويين خاصة ... و لعل من الظلم للحقيقة و للتاريخ هنا،

(١) النزاع و التخاصم ص ٤٧.

(٢) المحاسن و المساوى للبيهقى ص ٢٩٨، طبع صادر و شرح ميمية أبى فراس ص ٢١٤.

(٣) المحاسن و المساوى طبع مصر ج ١/ ٤٨٢، و الكنى و الألقاب ج ١/ ١٥٧/ ١٥٨ نقلا عن ربيع الأبرار للزمخشري.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ١٢٧

أن نمضى و لا نعطى للقارئ لمحعة عن حياتهم الخاصة، و سلوكهم الخلقى.

و لذا نرى لزاما علينا: أن نلم المامة سريعة ببعض ما يحدثنا به التاريخ فى هذا الموضوع، فنقول:

### العباسيون فى حياتهم الخاصة:

أما حياتهم الخاصة، و ما كان يمر بها من رذائل و قبائح، يندى لها جبين الانسان الحر الما و خجلا، و يقطر قلبه لها دما و ألما، فتلك حدث عنها و لا حرج ... و قد تقدم فى رسالة الخوارزمى بعض ما يشير إلى ذلك ...

و حيث أن الاستقصاء فى هذا الموضوع مما تنوء به العصبه أولو القوة، فاننا لن نحاول التصدى لذلك، و لا سيما و أن هذا الكتاب غير معد لبحث هذا الموضوع فعلا.

و لعل الكلمة التى تجمع صفات بنى العباس الخلقىة هى الكلمة التى كتبها المأمون، و هو فى مرو فى رسالة منه للعباسيين، بنى أبيه فى بغداد، و التى قلنا إننا سوف نوردتها فى أواخر هذا الكتاب مع الوثائق الهامة، إن شاء الله تعالى ...

و المأمون: هو من أهل ذلك البيت، الذين هم أدرى من كل أحد بما فيه؛ لأنهم عاشورا فى خضم الأحداث، و شاهدوا كل شىء، و كل القضايا عن كتب ... يقول المأمون فى تلك الرسالة:

«... و ليس منكم إلا- لا-ع ب نفسه، مأفون فى عقله، و تدبيره، إما مغن، أو ضارب دف، أو زامر ... و الله، لو أن بنى أمية الذين قتلتموهم بالأمس نشروا؛ فليل لهم: لا تأنفوا من معائب تنالوهم بها، لما زادوا على ما صيرتموه لكم شعارا و دثارا، و صناعة و أخلاقا.

ليس منكم إلا من إذا مسه الشر جزع، و إذا مسه الخير منع. و لا

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ١٢٨

تأنفون، و لا ترجعون إلا خشية؛ و كيف يأنف من يبيت مركوبا، و يصبح باثمه معجبا، كأنه قد اكتسب حمدا، غايته بطنه و فرجه، لا يبالى أن ينال شهوته بقتل ألف نبي مرسل، أو ملك مقرب. أحب الناس إليه من زين له معصية، أو أعانه فى فاحشة، تنظفه المخمورة الخ ...».

فهذه القطعة تبين لنا بجلاء- كما يتبين من كثير أمثالها- كيف كان خلفاء العباسيين منغمرين فى الملذات و الشهوات ... و تبين لنا نظرتهم للحياة و أهدافهم منها ... و لو لا- أن المقام يطول لأوردنا سيلا من الشواهد و الدلائل على مدى استهتارهم، و انتهاكهم للحرمت، و ارتكابهم للموبقات، ليعلم أن أقوال المأمون هذه، و كذلك أقوال الخوارزمى، و غيرها مما تقدم غير مبالغ فيها، و أن الحقيقة هى أعظم من ذلك بكثير و أن ذلك ليس إلا غيضا من فيض ... و كتب التاريخ و الأدب خير شاهد على ذلك، و إن حاولت بعض الأيدى الأثيمة تشويه الحقيقة، و التستر على واقعهم ذاك المزرى و المهين ...

### و فى نهاية المطاف:

و إذا كانت تلك هي سيرة العباسيين في حياتهم الخاصة، و تلك هي سياساتهم مع الناس و مع خصومهم، فماذا يمكن أن تكون حالة وزراءهم و قوادهم، و سائر رجال دولتهم؟! التاريخ وحده هو الذى يتولى الاجابة على هذا السؤال ... أما نحن ... فنكتفى بهذا القدر، و ننتقل إلى الحديث عن بعض نتائج سياسات العباسيين تلك ... و خصوصا ما كان منها يتعلق بالعلويين ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ١٢٩

## فشل سياسة العباسيين ضد العلويين

### سؤال لا بد منه:

و الآن ... و بعد أن عرفنا موقف العباسيين من العلويين، و قدمنا لمحة عن معاملتهم للرعية، التى لم تكن أحسن حالا، و لا أهدأ بالا من العلويين. سيما و أنهم من أول يوم من حكمهم سلطوا على الناس فئة لا تفقه للرحمة معنى، و لا تجد الشفقة إلى قلوبها أى سبيل، همها الدنيا، و غايتها الاستئثار بكل شىء، و تتمتع بحماية مطلقة من قبل الخلفاء، حتى عند ما كانت تعبت بأموال الناس، و حتى فى دمائهم و أعراضهم ...

و كيف لا!! و الخلفاء أنفسهم ما كانوا أحسن حالا من تلك الفئة، و لا أقل انحرافا، و بعدا عن تعاليم السماء، و الخلق الانسانى منها ... بعد أن عرفنا ذلك ... و غيره مما تقدم؛ فإن السؤال الذى يفرض نفسه هو:

ما هى نتائج و آثار سياسات العباسيين تلك؟ ... و هل استطاعوا أن يجعلوا الناس راضين عن تلك السياسات؟ و عما كانوا يرونه منهم من تميعهم، و استهتارهم بكل القيم، و الفضائل الأخلاقية؟ ...

و هل استطاعوا أن يكتسبوا عطف الامة، بعد أن فعلوا بها، و بأهل بيت نبيها ما فعلوا؟! ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ١٣٠

### أما الجواب:

الواقع ... أن نتيجة ذلك كانت وبالا على العباسيين: «و لا يحق المكر السيئ إلا بأهله ...». فقد كان الناس مستائين جدا من سيرتهم السيئة و سيرة ولاتهم مع الرعية، و كان من الطبيعى جدا أيضا: أن يثير الناس و يسوؤهم ما كانوا يرونه من تميعهم الشديد فى حياتهم الخاصة، و إيثارهم للذات المحرمة على كل شىء، حتى قد يبلغ الأمر بالخليفة منهم أن يحتج عن الناس منهمكا بلذاته و شهواته ... و قد كان الرشيد يحمد الله على أن أراحه البرامكة من أعباء الحكم «١»، و تركوه ينصرف إلى ما يندى له جبين الانسان الحر ألما و خجلا، و كذلك كانت حال والده المهدي من قبل، و على ذلك جرى ولده الأمين من بعد ...

و غيرهم و غيرهم ممن لا نرى ضرورة لتعداد أسمائهم ... و حسبنا تلك الشواهد الكثيرة فى التاريخ، الذى قد لا تمر بصفحة منه، فيها حديث عن الخلفاء، إلا و تجد فيها ما لا يسر، و ما لا يغبط عليه أحد ...

و كان مما ساعد على إدراك الناس لحقيقة نوايا العباسيين، و واقعهم، الذى طالما جهدوا فى التستر عليه، و اخفائه، بحيث لم يعد ثمة شك فى انهم ليسوا بأفضل من الامويين، إن لم يكونوا أكثر منهم سوءا ... هو ما كانوا يرونه من معاملتهم لبنى عمهم آل أبى طالب، الذين ضحوا بكل شىء فى سبيل هذا الدين، و أعطوا و بذلوا حتى أرواحهم فى سبيل هذه الامة ... و الذين كانوا هم الأمل الحى لهذه الامة المضطهدة، و المغلوبة على أمرها، التى كانت ترى فيهم كل الفضائل، و الكمالات الانسانية ...

و الذين كان من الواضح لدى كل أحد أن وجود العباسيين فى الحكم مدين لهم، أكثر من غيرهم على الاطلاق ...

(١) الوزراء و الكتاب ص ٢٢٥.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ١٣١

لقد رأوهم جميعا متفقين - حتى المأمون كما سيتضح - على العداة لهم، و وجوب التخلص منهم، لكن الفرق هو أن الخلفاء الذين سبقوا المأمون كانت أساليبهم تجاههم، تتميز - عموما - بالعنف و القسوة، بخلافه هو، فإنه اتبع أسلوبا جديدا، و فريدا في القضاء عليهم، و التخلص منهم ...

و لقد كان هذا الموقف مفاجأة للامة، و صدمة لها، و لذا فمن الطبيعي أن يتسبب في ردود فعل عنيفة في ضمير الامة و وجدانها، و بخيبة أمل قاسية لها في العباسيين ...

بل لقد كان ذلك سببا في زيادة تعاطفها مع آل علي، و مضاعفة احترامها لهم - و لو بدافع انساني بحث - و من هنا نلاحظ أنهم كثيرا ما يذكرون في سبب نكبات الوزراء، و العمال، بل و العلماء أيضا - صدقا كان ذلك أو كذبا - أنه أجاز علويا، أو أطلقه من السجن، و دله على طريق النجاة. و قد ذكرت هذه المنقبة للإمام أحمد بن حنبل أيضا «١»، و أما موقف أبي حنيفة، و الشافعي، و غيرهم من العلماء؛ فهو أشهر من أن يذكر.

### و لعل الأهم من ذلك كله:

و لعل الأهم من ذلك كله أن الناس الذين كانوا يرون سلوك العباسيين مع العلويين، و مع الناس عامة، و أيضا سلوكهم للأخلاق في حياتهم الخاصة ... كانوا يرون في مقابل ذلك: زهد العلويين، و ورعهم، و ترفعهم عن كل الموبقات و المشينات، و خصوصا الأئمة منهم عليهم السلام.

و قد جعلهم ذلك ينساقون معهم لا إراديا؛ حيث رأوا أنهم هم الذين يمتلكون كل المؤهلات، و يتمتعون بكافة الفضائل و المزايا، التي

(١) راجع كتاب: شيخ الامة، الإمام أحمد بن حنبل، لعبد العزيز سيد الأهل.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ١٣٢

تجعلهم جديرين بخلافه محمد (ص)، و أهلا لقيادة الامة، قيادة سالحة و سليمة، كما كان النبي (ص) يقودها من قبل ...

و واضح أن تلك الخصائص: و هاتيكن المؤهلات و المميزات لأئمة أهل البيت (ع)، و ذلك السلوك المثالي لهم - كل ذلك - كان يغري العباسيين بمضايقتهم، و ملاحتهم أشد الاغراء، و كان أيضا يدفع الحساد للوشاية بهم، و تحريض الخلفاء على الايقاع و التنكيل فيهم.

و لهذا نرى أن الخلفاء!! لم يكونوا يألون جهدا، أو يدخرون وسعا في ملاحقتهم، و اضطهادهم، و سجنهم. حتى إذا تمكنوا منهم قضاوا عليهم، بالوسائل التي تضمن - بنظرهم - عدم إثارة شكوك الناس و ظنونهم ...

### التشيع للعلويين:

و بعد كل الذي قدمناه، فإن من الطبيعي أن نرى العلويين يتمتعون بالاحترام و التقدير من مختلف الفئات و الطبقات، و أن نرى ازدياد احترام الناس، و تقديرهم لهم باستمرار ... حتى لقد كان لهم في نفوسهم من عميق الحب، و صادق المودة، ما أربه العباسيين، و أربهم ... و حتى لقد رأينا الرشيد نفسه - و هو طاغية بنى العباس بلا منازع - يشكو لعظيم البرامكة، يحيى بن خالد غمه و حيرته في



أمر الإمام موسى (ع)، رغم أنه (ع) كان في السجن. و نرى يحيى بن خالد يعترف بدوره بأن: الإمام «المسجون» قد أفسد عليهم قلوب شيعتهم!! «١» و لا يجب أن نستغرب شكوى الرشيد تلك، و لا اعتراف يحيى هذا بعد أن كان التشيع «٢» بحد سبيله الى كل قلب، و كل فؤاد، حتى

(١) الغيبة للشيخ الطوسي ص ٢٠، و البحار.

(٢) كلمة «التشيع» التي ترد في هذا الكتاب، لا أقصد بها غالبا- التشيع بمفهومه الأخص.

و المذهب المعروف، و إنما أقصد بها مجرد الولاء و الحب للعلويين، و تأييدهم ضد خصومهم، سواء أ كان ذلك من الشيعة بالمعنى المعروف، أو من غيرهم من أهل الفرق الإسلامية الأخرى.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ١٣٣

وزراء العباسيين، و قوادهم، بل و حتى نساء الخلفاء أنفسهم ...

فهذه أم الخليفة المهدي تقيم خادما لقبر الحسين (ع)، و تجرى عليه كل شهر ثلاثين درهما، دون أن يعلم بها أحد «٢».

و هذه بنت عم المأمون، التي كان لها نفوذ قوى عنده، يذكر المؤرخون أنها كانت تميل إلى الإمام الرضا (ع) ...

بل و حتى «زبيدة»، زوجة الرشيد، و حفيدة المنصور، و أعظم عباسية على الإطلاق، يقال: إنها كانت تشيع، و عند ما علم الرشيد

بذلك حلف أن يطلقها «٣» ... و لعل لهذا السبب أحرق أهل السنة قبرها مع ما أحرقوا من قبور بنى بويه و قبر الكاظم (ع) و ذلك عند

ما وقعت الفتنة العظيمة بين السنة و الشيعة سنة ٤٤٣ هـ «٤» و أما وزراء العباسيين، فأمرهم أظهر من أن يحتاج الى بيان، فإن التاريخ

يحدثنا: أن العباسيين، ابتداء من السفاح، كانوا غالبا يبطشون بوزرائهم؛ بسبب اطلاعهم على تشيعهم، و مما ألأتهم للعلويين. ابتداء بأبي

سلمة، فأبى مسلم، فيعقوب بن داوود ... و هكذا الى أن ينتهى الأمر بالفضل بن سهل، و غيره من بعده، بل و حتى نكبة البرامكة يقال:

إن سببها هو تشيعهم للعلويين!! و ان كان يقال: إن الرضا عليه السلام دعا عليهم، لأنهم كانوا سبب قتل أبيه ...

إلا إذا كان تظاهرهم بمحبة العلويين مجارة للرأى العام، و سياسة منهم؛ فاستغل ذلك الرشيد ضدهم نعم ... لقد بلغ الامر حدا اصبح

معه:

(٢) الطبرى ج ١١ / ٧٥٢، طبع ليدن ...

(٣) ذكر ذلك الصدوق فى المجالس؛ فراجع: رجال المامقانى، مادة: «زبيدة».

(٤) الكنى و الألقاب ج ٢ / ٢٨٩ نقلا عن ابن شحنة فى روضة المناظر.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ١٣٤

التسمى ب «الوزير» يعتبر شؤما: و ينفر الناس منه كل النفور، كما سنشير إليه فيما يأتى إن شاء الله تعالى ...

و أما عن امرائهم و قوادهم، فالأمر فيهم أوضح و أجلى؛ حيث إنهم ما كانوا يرون إلا واليا أو قائدا يخرج عليهم داعيا للعلويين، أو

آخر قد خلع طاعتهم، و استجاب لدعوة خصومهم آل على، أو ثالث يخشى أن يميل إليهم، و يتعاطف معهم ... و قد بدأ قوادهم

بالخروج عليهم من زمن السفاح، الذى خرج عليه ابن شيخ المهري، داعيا لآل على، و بعد ذلك كانت ثورة القواد على المنصور

داعين إلى موالاة أهل البيت، و قامت ثورة ضد المنصور، و داعية للعلويين فى نفس خراسان، و ذلك فى سنة (١٤٠ هـ). و بعد ذلك و

فى زمن المهدي العباسى قامت ثورة اخرى فى خراسان تدعو الى آل أبى طالب بقيادة صالح بن أبى حبال ... و عظم شأنه جدا، و لم

يمكنهم القضاء عليه إلا بإعمال الحيلة «١» و أما فى زمن الرشيد، فقد تارت الفتن بين أهل السنة و الرافضة، على حد تعبير النجوم

الزاهرة ...

**الخطر الحقيقي:**

و أما الذى كان يمكن فيه الخطر الحقيقى، و كان يهز الدولة، و يززع من أركانها ... فهو ثورات العلويين أنفسهم؛ حتى ليقال: إنه قد بويح لمحمد بن عبد الله بن الحسن، و أخيه ابراهيم فى أكثر الأمصار، و ذلك فى سنة ١٤٥ هـ. و بعد ذلك كانت واقعة فخ المشهورة، ثم استمر الحال على ذلك، فلم يكن العباسيون يرون، إلا علويًا تائرا، أو أنه يدبر للثورة، حتى أوائل زمن المأمون؛ حيث بلغت الحالة فيه

(١) راجع: لطف التدبير ص ١٠٥.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ١٣٥

فى السوء و التدهور الغاية، و أوفت على النهاية ... حتى ليقال: إن الثورات العلوية، التى قامت فيما بين عهد السفاح، و أوائل عهد المأمون، و بالتحديد إلى حوالى سنة ٢٠٠ هـ أى فيما يقل عن سبعين عاما، قد قاربت الثلاثين ثورة، هذا بغض النظر عن الثورات الاخرى التى كانت تدعو لهم، و إلى موالاتهم ...

و ستأتى الإشارة إلى بعض الثورات العلوية التى قامت ضد المأمون بالخصوص، و إلى أنه حتى قائده العظيم، طاهر بن الحسين، - بل و جميع آل طاهر «١»- و كذلك وزيره الفضل بن سهل، و هرثمة بن أعين، و غيرهم، و غيرهم، كانوا يتهمون بالتشيع للعلويين ... و لسوف يتضح أن الوضع فى عهده قد أصبح إلى حد كبير شبيها بالوضع الذى كان سائدا فى أواخر عهد الامويين، بفارق واحد بسيط، لو استمر الحال لتسارع لذلك الفارق الضعف و الوهن، و هو: أنه لا يزال كثير من الناس المخدوعين بدعايات العباسيين يعتبرون تلك المنازعات طبيعية بين من يستحقون الخلافة!!!.

**و يبقى هنا سؤال:**

لما ذا لم تكن ثورات العلويين، أو الثورات الداعية لهم، تصادف النجاح، مع أنها كانت تحظى بالتأييد الواسع، فى مختلف فئات الشعب، و طبقاته؟! ...

و جوابنا عن هذا السؤال هو: أن الذى يراجع التاريخ يرى- بما لا مجال معه للشك-: أن تلك الثورات لم يكن يسبقها التخطيط،

(١) راجع: الكامل لابن الأثير، حوادث سنة ٢٥٠ هـ.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ١٣٦

و الاعداد الكافيان، و ما كان العباسيون ليعطوها الفرصة لتخطيط و اعداد يمكن أن يصل إلى درجة تمكنه من أن يذهب بدولة الجبارين ...

هذا بالاضافة إلى فساد القيادة القبيلة آنذاك، و التى كانت السبب الأول و الأخير لنجاح أية ثورة أو فشلها ... و سيأتى تفصيل ذلك على النحو الكافى و الشافى، فى فصل: مدى جدية العرض، إن شاء الله.

**و نتيجة كل ذلك:**

و هكذا ... يتضح: أن سياسات العباسيين، لم تستطع أن تحقق لهم الأهداف التى كانوا يتوخون تحقيقها، و إنما كانت نتائجها عكسية بالنسبة إليهم، و دمارا و وبالا عليهم، قبل أن تكون وبالا على أى من خصومهم ...

و بالأخص أبناء عمهم العلويين ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ١٣٧

## القسم الثانى ظروف البيعة و أسبابها:

### إشارة

١- شخصية الإمام الرضا (ع).

٢- من هو المأمون؟.

٣- آمال المأمون، و آلامه ...

٤- ظروف البيعة و أسبابها.

٥- أسباب البيعة لدى الآخرين.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ١٣٩

## شخصية الامام الرضا عليه السلام

### لمحات:

الإمام الرضا (ع)، هو ثامن الأئمة الاثني عشر، الذين نص عليهم النبى (ص): على بن موسى، بن جعفر، بن محمد، بن على، ابن الحسين، بن على، بن أبى طالب، صلوات الله عليهم أجمعين ...  
سته آباؤه من هم أفضل من يشرب صوب الغمام كنيته: أبو الحسن ...  
و من ألقابه: الرضا، و الصابر، و الزكى، و الولى ...  
نقش خاتمه: حسبى الله ...  
و قيل: بل نقشه: ما شاء الله، لا قوة إلا بالله «١» ...  
ولد فى المدينة سنة ١٤٨ هـ. أى: فى نفس السنة التى توفى فيها

(١) لنا رأى بالنسبة للقب، و نقش الخاتم: و هو أنه كثيرا ما يعبر عن ظاهرة من نوع معين، و ظروف اجتماعية، و سياسية، و نفسية، و غير ذلك ... و كذلك عن مميزات، و ملكات شخصية خاصة. و نأمل أن نوفق لبحث هذا الموضوع مستوفى فى فرصة اخرى إن شاء الله.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ١٤٠

جده الإمام الصادق (ع) على قول أكثر العلماء و المؤرخين مثل:

المفيد فى الارشاد، و الشبراوى فى الانحاف بحب الاشراف، و الكلينى فى الكافى، و الكفعمى فى المصباح، و الشهيد فى الدروس، و الطبرسى فى أعلام الورى، و الفتال النيسابورى فى روضة الواعظين، و الصدوق فى علل الشرائع، و تاج الدين محمد بن زهرة فى غاية الاختصار، و ابن الصباغ المالكى فى الفصول المهمة، و الاردبيلى فى جامع الرواة، و المسعودى فى مروج الذهب، و إن كان فى كلامه اضطراب، و أبو الفداء فى تاريخه، و الكنجى الشافعى فى كفاية الطالب، و ابن الأثير فى كامله، و ابن حجر فى صواعقه، و الشبلنجى فى نور الأبصار، و البغدادى فى سبائك الذهب، و ابن الجوزى فى تذكرة الخواص، و ابن الوردى فى تاريخه، و نقل عن

تاريخ الغفاري، والنوبختي. وكان عتاب بن أسد يقول: إنه سمع جماعة من أهل المدينة يقولون ذلك، وغير هؤلاء كثير وذهب آخرون - وهم الأقل - إلى أن ولادته (ع)، كانت سنة ١٥٣ هـ. منهم: الأربلي في كشف الغمة، وابن شهر آشوب في المناقب، والصدوق في عيون الأخبار، وإن كان في كلامه اضطراب، والمسعودي في إثبات الوصية، وابن خلكان في وفيات الأعيان، وابن عبد الوهاب في عيون المعجزات، والياضي في مرآة الجنان ...

وقيل: إن ولادته كانت سنة ١٥١ هـ.

والقول الأول هو الأقوى والأشهر ... ولم يذهب إلى القولين الأخيرين إلا قلة ...

وتوفي (ع) في طوس سنة ٢٠٣ هـ. على قول معظم العلماء، والمؤرخين، والشاذ النادر لا يلتفت إليه ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ١٤١

و بعد:

### فأما علمه، و ورعه و تقواه:

فذلك مما اتفق عليه المؤرخون أجمع، يعلم ذلك بأدنى مراجعة للكتب التاريخية؛ ويكفى هنا أن نذكر أن نفس المأمون قد اعترف بذلك، أكثر من مرة، وفي أكثر من مناسبة ... بل في كلامه: أن الرضا (ع) أعلم أهل الأرض، وأعبدتهم ... ولقد قال لرجاء بن أبي الضحاك:

«... بلى يا ابن أبي الضحاك؛ هذا خير أهل الأرض، وأعلمهم، وأعبدتهم ...» (١).

وقد قال أيضا للعباسيين، عند ما جمعهم، في سنة ٢٠٠ هـ. وهم أكثر من ثلاثة و ثلاثين ألفا (٢):

«إنه نظر في ولد العباس، و ولد على رضى الله عنهم، فلم يجد أحدا أفضل، ولا أروع، ولا أدين، ولا أصلح، ولا أحق بهذا الأمر من على بن موسى الرضا (ع)» (٣) ...

(١) راجع: البحار ج ٤٩ ص ٩٥، و عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٨٣، وغير ذلك ...

(٢) مروج الذهب ج ٣ ص ٤٤٠، و النجوم الزاهرة ج ٢ ص ١٦٦، و غاية المرام للعمري الموصلى ص ١٢١، و مآثر الانافه في معالم الخلافة ج ١ ص ٢١٢، و الطبرى، طبع ليدن ج ١١ ص ١٠٠٠، و تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٣٣٣، وغير ذلك ...

و ورد ذلك أيضا في رسالة الحسن بن سهل، لعيسى بن أبي خالد؛ فراجع: الطبرى ج ١١ ص ١٠١٢، و تجارب الامم ج ٦ المطبوع مع العيون و الحدائق ص ٤٣٠.

هذا ... و لكن في تاريخ التمدن الاسلامى، ج ١ ص ١٧٦ و يؤيده ما فى وفيات الأعيان لابن خلكان، طبع سنة ١٣١٠ ج ١ ص ٣٢١، و يساعد عليه الاعتبار أيضا: أن الذين أحصوا آتذهم: العباسيون خاصة المأمون، دون غيرهم من سائر بنى العباس.

(٣) راجع: مروج الذهب ج ٣ ص ٤٤١، و الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٨٣، و الفخرى فى الآداب السلطانية ص ٢١٧، و الطبرى، طبع ليدن ج ١١ ص ١٠١٣، و مختصر تاريخ الدول ص ١٣٤، و تجارب الامم ج ٦ ص ٤٣٦.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ١٤٢

قال عبد الله بن المبارك:

هذا على و الهدى يقوده من خير فتیان قريش عوده «١» و لوضوح هذا الأمر نكتفى هنا بهذا المقدار، و ننتقل إلى الحديث عن امور هامة اخرى، و ما يهمننا فى المقام هو إعطاء لمحة سريعة عن مكانته، و شخصيته (ع)، فنقول:

### و أما مركزه و شخصيته (ع):

فهو من الامور البديهية، التي لا يكاد يجهلها أحد، وقد ساعده سوء الأحوال بين الأمين و المأمون على القيام بأعباء الرسالة، و على زيادة جهوده، و مضاعفة نشاطاته؛ حيث قد فسح المجال لشيئته للاتصال به، و الاستفادة من توجيهاته؛ مما أدى بالتالي - مع ما كان يتمتع به (ع) من مزايا فريدة، و ما كان ينتهجه من سلوك مثالي - إلى تحكيم مركزه، و بسط نفوذه في مختلف أرجاء الدولة الإسلامية، يقول الصولي:

ألا إن خير الناس نفسا و الداو رهطا و أجدادا على المعظم

اتينا به للحلم و العلم ثامنا إماما يؤدي حجة الله يكتم «٢» بل لقد قال هو نفسه (ع) مرة للمأمون. و هو يتحدث عن ولاية

و في مرآة الجنان ج ٢ ص ١١، قال: إنه لم يجد في وقته أفضل، و لا أحق بالخلافه، من على بن موسى الرضا ... و نحو ذلك ما في البداية و النهاية ج ١٠ ص ٢٤٧، و ينابيع المودة للحنفى ص ٣٨٥، و نظرية الامامة ص ٣٨٦ و وفيات الاعيان طبع سنة ١٣١٠ هـ. ج ١ ص ٣٢١، و امبراطورية العرب، و غير ذلك.

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣٦٢.

(٢) نفس المصدر ج ٤ ص ٣٣٢، و هي في مقتبس الاثر ج ٢٢، ص ٣٢٨، لكنه لم يذكر قائلها ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ١٤٣

العهد: «... و ما زادنى هذا الأمر، الذى دخلت فيه فى النعمة عندى شيئا، و لقد كنت فى المدينة، و كتابى ينفذ فى المشرق و المغرب، و لقد كنت أركب حمارى، و أمر فى سكك المدينة، و ما بها أعز منى ...» «١».

و يكفى أن نذكر هنا قول ابن مؤنس - عدو الإمام (ع)، و قد أسر (ع) للمأمون بشيء، قال ابن مؤنس:

«... يا أمير المؤمنين، هذا الذى بجنبك و الله صنم يعبد دون الله» «٢» ...

و فى الكتاب الذى طلب المأمون فيه من الرضا أن يجمع له أصول الدين، و فروعه، قال المأمون: إن الإمام: «حجة الله على خلقه، و معدن العلم، و مفترض الطاعة ...» «٣». كما أن المأمون كان يعبر عن الرضا (ع) ب: «أخيه»، و يخاطبه ب «يا سيدى».

و كتب للعباسيين يصف الرضا، و يقول: «... و أما ما كنت أردته من البيعة لعلى بن موسى، بعد استحقاق منه لها فى نفسه، و اختيار منى له ... إلى أن قال: و أما ما ذكرتم من استبصار المأمون فى البيعة لأبى الحسن، فما بايع له إلا مستبصرا فى أمره، عالما بأنه لم يبق على ظهرها أئين فضلا، و لا أظهر عفة، و لا أروع ورعا، و لا أزهد زهدا فى الدنيا، و لا أطلق نفسا، و لا أرضى فى الخاصة و العامة، و لا أشد فى ذات الله منه ...» «٤».

(١) البحار ج ٤٩ ص ١٥٥، و ص ١٤٤، و الكافى ج ٨ ص ١٥١، و عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٦٧.

(٢) البحار ج ٤٩ ص ١٦٦، و أعيان الشيعة ج ٤ قسم ٢ ص ١٣٨، و عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٦١، و مسند الامام الرضا ج ١ ص ٨٦.

(٣) نظرية الامامة ص ٣٨٨.

(٤) الرسالة مذكورة فى أواخر هذا الكتاب.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ١٤٤

و فى كل ما قدمناه دلالة واضحة على سجايا الإمام، و مركزه، و شخصيته. و كما يقولون: «و الفضل ما شهدت به الأعداء» ...

و مما يدل على مكانته و هيئته ما ورد فى رواية أخرى، يقول فيها المتحدث: «... دخلنا (أى هو و الرضا «ع») على المأمون، فإذا

المجلس غاص بأهله، و محمد بن جعفر في جماعة الطالبين و الهاشميين، و القواد حضور. فلما دخلنا قام المأمون، و قام محمد بن جعفر، و جميع بنى هاشم، فما زالوا وقوا و الرضا جالس مع المأمون، حتى أمرهم بالجلوس؛ فجلسوا؛ فلم يزل المأمون مقبلا عليه ساعة الخ «١».

### و أما ما جرى في نيسابور:

فلا يكاد يخلو منه كتاب يتعرض لأحوال الرضا (ع)، و مسيره إلى مرو، فإنه عند ما دخل نيسابور تعرض له الحافظان: أبو زرعة الرازي، و محمد بن أسلم الطوسي، و معهما من طلبة العلم ما لا يحصى، و تضرعوا إليه أن يريهم وجهه؛ فأقرّ عيون الخلائق بطلعته، و الناس على طبقاتهم قيام كلهم. و كانوا بين صارخ، و باك، و ممزق ثوبه، و متمرغ في التراب، و مقبل لحافر بقلته، و مطول عنقه الى مظلة المهدي، إلى أن انتصف النهار، و جرت الدموع كالأنهار، و صاحت الأئمة:

«معاشر الناس، أنصتوا، و عوا، و لا تؤذوا رسول الله (ص) في عترته ...»

فأملى صلوات الله عليه، عليهم، بعد أن ذكر السلسلة الذهبية الشهيرة

(١) مسند الامام الرضا ج ٢ ص ٧٦، و البحار ج ٤٩ ص ١٧٥، و عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٥٦.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ١٤٥

للسند، قوله: «لا إله إلا الله حصني؛ فمن دخل حصني أمن من عذابي ...»

فلما مرت الراحلة أخرج رأسه مرة ثانية إليهم، و قال: «بشروطها، و أنا من شروطها».

فعد أهل المحابر و الدوى، فأنافوا على العشرين ألفا. كذلك وصف المؤرخون هذه الحادثة الشهيرة «١» ... و لسوف نتحدث عن هذه القضية بالتفصيل في فصل: «خطئة الإمام» إن شاء الله تعالى ...

و عن أسناد هذه الرواية، الذي أورده الإمام (ع)، يقول الإمام أحمد بن حنبل: «لو قرأت هذا الاسناد على مجنون لبرئ من جنته».

على ما في الصواعق المحرقة، و نزهة المجالس «٢»، و غير ذلك ...

و نقل أن بعض أمراء السامانية بلغه هذا الحديث بسنده؛ فكتبه بالذهب، و أوصى أن يدفن معه.

(١) نقله في مجلة مدينة العلم، السنة الاولى ص ٤١٥ عن صاحب تاريخ نيسابور، و عن المناوي في شرح الجامع الصغير، و هي أيضا في الصواعق المحرقة ص ١٢٢، و حلية الأولياء ج ٣ ص ١٩٢، و عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٣٥، و أمالي الصدوق ص ٢٠٨، و ينابيع المودة ص ٣٦٤، و ص ٣٨٥، و قد ذكر قوله عليه السلام:

و انا من شروطها، في الموضوع الثاني فقط. و البحار ج ٤٩ ص ١٢٣، ١٢٦، ١٢٧، و الفصول المهمة لابن الصباغ ص ٢٤٠، و نور الأبصار ص ١٤١، و نقلها في مسند الامام الرضا ج ١ ص ٤٣ و ٤٤ عن التوحيد و معاني الاخبار ص ٣٥٢/٣٥٣ و كشف الغمة ج ٣ ص ٩٨.

و هي موجودة في مراجع كثيرة اخرى. لكن يلاحظ أن بعض هؤلاء قد حذف قوله عليه السلام: «بشروطها، و أنا من شروطها»، و لا يخفى السبب في ذلك.

(٢) و فيه في ج ١ ص ٢٢، قال: «إنه (أى الامام أحمد) قرأها على مصروع فأفاق».

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ١٤٦

### و ها نحن أمام نصوص اخرى:

و كذلك نرى هيبه الإمام (ع)، و قوة شخصيته، في موقفه مع الفضل ابن سهل - أعظم رجل في البلاط العباسي - و ذلك عند ما طلب منه الفضل كتاب الضمان، و الأمان؛ حيث أوقفه ساعة، ثم رفع رأسه إليه، و سأله عن حاجته؛ فقال: «يا سيدي ... إلى أن قال الراوى: ثم أمره بقراءة الكتاب - و كان كتابا في أكبر جلد - فلم يزل قائما حتى قرأه!! الخ ...» (١).

ثم رأينا المأمون عند ما قتل الفضل بن سهل ذا الرئاستين، و شغب عليه القواد و الجند، و من كان من رجال ذى الرئاستين. و قد جاءوا بالنيران ليحرقوا الباب عليه، ليصلوا إليه - قد رأينا - كيف هرع إلى الإمام، يطلب منه أن يتدخل لانقاذه؛ فخرج (ع) إليهم، و أمرهم بالتفرق؛ فتفرقوا ... يقول ياسر الخادم: «فأقبل الناس و الله، يقع بعضهم على بعض، و ما أشار لأحد إلا ركض، و مر، و لم يقف ...» (٢).

و نجا المأمون بذلك بجلده، و احتفظ بحياته ...

و في كتاب العهد الذى كتبه المأمون بخط يده - كما صرح به كل من تعرض له - فقرات تدل على سجايا الإمام، و على مركزه، و شخصيته، يقول المأمون عنه: «... لما رأى من فضله البارع، و علمه

(١) أعيان الشيعة ج ٤ قسم ٢ ص ١٣٩، و عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٦٢، ١٦٣ و البحار ج ٤٩ ص ١٦٨، و مسند الامام الرضا ج ١ ص ٨٨.

(٢) المناقب ج ٤ ص ٣٤٧، و روضة الواعظين ج ١ ص ٢٧٣، و كشف الغمة ج ٣ ص ٧٠، و الكافي ج ١ ص ٤٩٠، ٤٩١، و أعلام الورى ص ٣٢٤، و أعيان الشيعة ج ٤ قسم ٢ ص ١١٠، ١٤٠، طبعة ثالثة، و عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٦٤، و ارشاد المفيد ص ٣١٤، و البحار ج ٤٩ ص ١٦٩، و معادن الحكمة ص ١٨٣، و شرح ميمية أبى فراس ص ١٩٨، ١٩٩.

الحياة السياسية للإمام (ع)، مرتضى العالمى، ص: ١٤٧  
الناصع، و ورعه الظاهر، و زهده الخالص، و تخليه من الدنيا، و تسلمه من الناس.  
و قد استبان له ما لم تزل الأخبار عليه متواطيه، و الألسن عليه متفقه، و الكلمة فيه جامعة، و لما لم يزل يعرفه به من الفضل يافعا، و ناشيا، و حدثا، و مكتهلا الخ ...» و كتاب العهد المذكور فى أواخر هذا الكتاب ...

### و فى نهاية المطاف:

فإن الإمام (ع) هو أحد العشرة، الذين هم على حد تعبير الجاحظ:  
«كل واحد منهم: عالم، زاهد، ناسك، شجاع، جواد، طاهر، زاك، و الذين هم بين خليفة، أو مرشح لها ...» (١).  
و هو على ما فى النجوم الزاهرة: «سيد بنى هاشم فى زمانه، و أجلهم.  
و كان المأمون يعظمه، و يجله، و يخضع له، و يتفانى فيه ...» (٢).  
و مثله ما عن سنن ابن ماجه، على فى خلاصة تذهيب تذهيب الكمال ص ٢٧٨ ...  
و قال عنه (ع) عارف تامر: «يعتبر من الأئمة الذين لعبوا دورا كبيرا على مسرح الأحداث الإسلامية فى عصره ...» (٣).  
و أخيرا ... فقد وصفه أبو الصلت، و رجاء بن أبى الضحاك، و إبراهيم ابن العباس، و غيرهم، و غيرهم ... بما لو أردنا نقله لطلال بنا المقام ...

و حسبنا ما ذكرنا؛ فإننا إذا أردنا أن نلم بما قيل فى حق الإمام (ع) لاحتجنا إلى تأليف خاص، و وقت طويل ...

(١) آثار الجاحظ ص ٢٣٥.

(٢) النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٧٤.

(٣) الامامة فى الاسلام ص ١٢٥.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ١٤٨

## من هو المأمون؟

### لمحات:

هو عبد الله بن هارون الرشيد.

أبوه: خامس خلفاء بنى العباس ... و هو سابعهم، بعد أخيه الأمين ...

أمه: جارية خراسانية، اسمها: «مراجل». و قد ماتت بعد ولادتها إياه، و هى ما تزال نفساء ... فنشأ يتيم الام.

و قد كانت أمه - كما يقول المؤرخون - أشوه، و أقدر جاريه فى مطبخ الرشيد.

و ذلك هو الذى يجعلنا نصدق القصة التى تقال عن السبب فى حملها به «١» ...

(١) و تحكى هذه القصة على النحو التالى: أن زبيدة لاعت الرشيد بالشرنج على الحكم و الرضا؛ فغلبته؛ فحكمت عليه أن يطأ أقيح

و أقدر و أشوه جارية فى المطبخ؛ فبذل لها خراج مصر و العراق لتعفيه من ذلك؛ فلم تقبل، و لم تجد جارية تجمع الصفات المذكورة

غير مراجل؛ فطلبت إليه أن يطأها، فجاء المأمون ... راجع حياة الحيوان للدميرى ج ١ ص ٧٢. و أعلام الناس فى أخبار البرامكة، و بنى

العباس للتليدى ص ١٠٦، ١٠٧، و عيون التواريخ. و أشار إليها اشارة واضحة: الاسحاقى فى

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ١٤٩

دفعه أبوه إلى جعفر بن يحيى البرمكى؛ فنشأ فى حجره.

كانت ولادته فى سنة ١٧٠ هـ. فى نفس الليلة التى تولى فيها أبوه الخلافة ...

و كانت وفاته سنة ٢١٨ هـ.

و كان مريه الفضل بن سهل، ثم أصبح وزيره، و هو المعروف بذى الرئاستين ...

و كان قائده: طاهر بن الحسين ذو اليمينين ...

### ميزات و خصائص:

و قد كانت حياته حياة جد و نشاط، و تقشف، على العكس من أخيه الأمين، الذى نشأ فى كنف «زبيدة»، و ما أدراك ما «زبيدة»؛ فقد

كانت حياته حياة نعمه و ترف، يميل إلى اللعب و البطالة، أكثر منه إلى الجد و الحزم ... يظهر ذلك لكل من راجع تاريخ حياة

الأخوين ...

و لعل سر ذلك يعود إلى أن المأمون لم يكن كأخيه، يشعر بأصالة محتده، و لا كان مطمئنا إلى مستقبله، و إلى رضا العباسيين به. بل

كان يقطع بعدم رضاهم به خليفة و حاكما؛ و لهذا ... فقد وجد أنه ليس لديه أى رصيد يعتمد عليه غير نفسه؛ فشمّر عن ساعد الجلد،

و بدأ يخطط لمستقبله منذ اللحظة الاولى التى أدرك فيها واقعه، و المميزات التى كان يتمتع بها أخوه الأمين عليه ...



لطائف أخبار الاول ص ٧٤، و كذلك فى روض الأختيار المنتخب من ربيع الأبرار ص ١٥٧. و لا ينافى ذلك أنه ولد فى الليلة التى تولى فيها أبوه الخلافة؛ فان أولياء العهد كانوا يتولون أعظم الولايات من قبل الخلفاء؛ و قد قسم الرشيد الدولة كلها بين أولاده الثلاثة: الأمين، و المأمون و القاسم، و لم يبق لنفسه شيئاً، و هو على قيد الحياة ...

الحياة السياسية للإمام (الرضا)(ع)، مرتضى العاملى، ص: ١٥٠

بل نلاحظ: أنه كان يستفيد من أخطاء أخيه الأمين؛ فان: «الفضل عند ما رأى اشتغال الأمين باللهو و اللعب، أشار على المأمون بإظهار الورع و الدين، و حسن السيرة؛ فأظهر المأمون ذلك ... و كان كلما اعتمد الأمين حركة ناقصة اعتمد المأمون حركة شديدة» (١). و من هنا نعرف السر فيما يظهر من رسالته للعباسيين؛ حيث نصب فيها نفسه واعظاً تقياً، و أضفى عليها هالة من التقى و الورع!! و الزهد فى الدنيا!! و الالتزام بأحكام الشريعة، و تعاليم الدين!! ... ليروه و يراه الناس نوعياً أخرى تفضل نوعياً أخيه الأمين، و تزيد عليها ...

### ما يقال عن المأمون:

و على كل حال ... فان المأمون كان قد برع فى العلوم و الفنون، حتى فاق أقرانه، بل فاق جميع خلفاء بنى العباس ... و قد قال بعضهم: «لم يكن فى بنى العباس أعلم من المأمون» (٢). و قال عنه ابن النديم انه: «أعلم الخلفاء بالفقه و الكلام» (٣). و قال عنه محمد فريد و جدى: «لم يل الخلافة بعد الخلفاء الراشدين أكفاً منه» (٤). و فى الأخبار الطوال: «و كان شهماً، بعيد الهممة، أبى النفس، و كان نجم بنى العباس فى العلم و الحكمة ...»

(١) الفخرى فى الآداب السلطانية ص ٢١٢. و لكن سيأتى أن المأمون هو الذى طلب من الفضل: أن يشيع عنه الزهد و التقوى، و ليس الفضل هو المشير عليه بذلك ...

(٢) حياة الحيوان للدميرى ج ١ ص ٧٢.

(٣) فهرست ابن النديم، طبع مطبعة الاستقامة فى القاهرة ص ١٧٤.

(٤) دائرة المعارف الاسلامية ج ١ ص ٦٢٠.

الحياة السياسية للإمام (الرضا)(ع)، مرتضى العاملى، ص: ١٥١

بل لقد روى عن الإمام على (ع)، أنه قال- و هو يصف خلفاء بنى العباس-: «سابعهم أعلمهم» (١).

و قد وصفه السيوطى و ابن تغرى بردى، و ابن شاکر الكتبى؛ فقالوا:

«و كان أفضل رجال بنى العباس: حزماً، و عزماء، و حلماً، و علماً، و رأياً، و دهاءً» (٢)، و هيبه، و شجاعه، و سؤدداً، و سماحةً،

(١) مناقب آل أبى طالب ج ٢ ص ٢٧٦، و سفينة البحار ج ٢ ص ٣٣٢، مادة: «غيب».

(٢) دهاء المأمون، و حنكته، و سياسته من المسلمات، و الأمثلة على ذلك كثيرة؛ فقد روى لنا ابن عبد ربه فى العقد الفريد ج ١ ص ١٢٣، و الجهشيارى فى الوزراء و الكتاب ص ٣١١: كيف أنه بين للفضل بن سهل: أن أخاه الأمين كان يستطيع أن ينتصر عليه، لو أنه أرسل إلى أهل البلاد التى يحكمها المأمون يخبرهم: أنه قد وضع عنهم الخراج إلى سنة ... فحينئذ، إن لم يقبل المأمون، قامت البلاد ضده، و إن قبل لم يجد ما يعطى الجند، فيقومون ضده، و فى كلا الحالتين يكون النصر للأمين، لو وقعت بينهما الحرب؛ فحمد الفضل ربه، على أن لم يهتد الأمين، و اتباعه إلى هذا رأى ... و إن كان فى العقد الفريد للملك السعيد، ص ٥٠ ينسب هذا رأى إلى الشيخ أبى الحسن القطيفى، و أنه أشار به على الأمين؛ فلم يقبله. و فى المحاسن و المساوى طبع مصر ج ٢ ص ٧٧، ٧٨ نسبة إلى شيخ مسن

أشار به على الأمين فلم يقبل منه.

وقد رأينا أيضا: أنه عند ما تسلم زمام الحكم قد طلب من الفضل: أن يشيع عنه الزهد والتقوى والورع؛ ففعل ... راجع تاريخ التمدن الاسلامي ج ٤ ص ٢٦١.

ورأينا كذلك: أنه يقتل الفضل، ويبيكى عليه، ويقتل قتلته، ويقتل الرضا، ثم يبكي عليه ... ويقتل طاهرا، ويولى أبناءه مكانه. ورأينا أيضا: أنه يولى الرضا العهد، ويوهم العباسيين: أن ذلك كان من تدبير الفضل، ويقتل أخاه، ويوهمهم أن الذنب في ذلك على الفضل وطاهر ... إلى آخر ما هنالك، مما سيأتي، وغيره، مما يدل على عمقه، ودهائه، وحنكته، وسياسته ... وأن الفضل وغيره، ما كانوا إلا دمي له، يلهو ويلعب بها، ويحركها كيف شاء، وحيثما أراد ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العامل، ص: ١٥٢

لولا أنه شان ذلك كله ... بالقول بخلق القرآن «١»، ولم يل الخلافة من بنى العباس أعلم منه ... «٢».

### شهادة ذات أهمية:

وقد شهد له أبوه نفسه بالتقدم على أخيه الأمين؛ قال: «... وقد عنيت بتصحيح هذا العهد، وتصييره إلى من أَرْضَى سيرته، وأحمد طريقته، وأثق بحسن سياسته، وآمن ضعفه ووهنه، وهو: عبد الله.

وبنو هاشم - يعنى العباسيين - مائلون إلى محمد باهوائهم، وفيه ما فيه من الانقياد لهواه، والتصرف مع طويته، والتبذير لما حوته يده، ومشاركة النساء، والاماء في رأيه. وعبد الله المرضى الطريقة، الأصيل الرأي، الموثوق به في الأمر العظيم؛ فإن ملت إلى عبد الله، أسخطت بنى هاشم، وإن أفردت محمدا بالأمر، لم آمن تخليطه على الرعية ... «٣».

وقال أيضا: «إني لأعرف في عبد الله حزم المنصور، ونسك المهدي، وعزة الهادي، ولو شئت أن أنسبه إلى الرابع - يعنى نفسه - لنسبته، وقد قدمت محمدا عليه، وإني لأعلم أنه متقاد لهواه، مبذر

(١) قال القلقشندى في كتابه: مآثر الانافة في معالم الخلافة ج ١ ص ٢١٣: إنه قد طعن الناس!! على المأمون ثلاثة أشياء: الأول: القول بخلق القرآن!! الثاني: التشيع، الثالث: بث علوم الفلاسفة بين المسلمين ...

فتأمل، بالله عليك بهذه الامور، التي عدوها من المطاعن، وبعد ذلك: فاضحك، أو فابك على عقول هؤلاء الجهلاء، الذين يسميهم الناس، أو يسمون أنفسهم علماء!!! والعلم من هؤلاء وأمثالهم برىء ...

(٢) تاريخ الخلفاء ص ٣٠٦، وفوات الوفيات ج ١ ص ٢٣٩، والنجوم الزاهرة، و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٣٣٤.

(٣) مروج الذهب طبع بيروت ج ٣ ص ٣٥٢، ٣٥٣.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العامل، ص: ١٥٣

لما حوته يده، يشاركه في رأيه الاماء والنساء، ولو لا أم جعفر - يعنى زبيدة - وميل بنى هاشم، لقدمت عبد الله عليه ... «١». يعنى في ولاية العهد.

(١) راجع شرح قصيدة ابن عبدون لابن بدرون ص ٢٤٥، و تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٣٠٧، وقريب منه ما في الأخبار الطوال ص ٤٠١، والاتحاف بحب الأشراف ص ٩٦، و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٣٣٤.

هذا ... والرشيدي هنا يدعى النسك للمهدي مع أن كتب التاريخ زاخرة بأخبار بذخه، ولهوه ولعبه؛ ويكفى أن نذكر هنا: أنه قد سلم الأمر ليعقوب بن داود، وانصرف إلى ملذاته وشهواته، حتى قال فيه بشار بن برد أبياته المشهورة:

بنى أمية هبوا طال نومكم إن للخليفة يعقوب بن داود

ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا خليفة الله بين الزرق والعود فراجع: الفخرى فى الآداب السلطانية ص ١٨٤، ١٨٥، و تاريخ التمدن الاسلامى المجلد الأول جزء ٢ ص ٤٠٧، و البداية و النهاية، و أى كتاب تاريخى شئت ... هذا ... و لعل ما ينسب إليه من الزهد و الورع إنما كان بلحاظ ما قدمناه: من تسمية أبيه له ب «المهدى»؛ لكى يكون مهدى الامة الذى يملأ الأرض قسطا، و عدلا.

و اخترع أحاديث كثيرة لتأييد مدعاه هذا ...

و لكن الحقيقة هى ما قدمناه، من أنه لم يكن يقل فى تهتكه و استهتاره عن غيره من الخلفاء؛ حتى لقد ذكر الطبرى فى تاريخه، طبع مطبعة الاستقامة ج ٦ ص ٤٠٥:

أنه ألبس ابنته «البانوفة» لباس الفتيان، لتمشى فى مقدمة الجند و القواد، و قد رفع القباء ثديها الناهدين، و كانت سمراء، حسنة القد، حلوة، على حد تعبير الطبرى ...

فما ذا كان يقصد «المهدى المنتظر»!! من تصرفه هذا!! فهل كان يريد بذلك أن يملأ الأرض قسطا و عدلا؟! ...

و لما ذا كان الزاهد الورع!! و «المهدى المنتظر» يعذب الناس بالسنانير و الزنابير؟، لبيتز منهم أموالهم، و يتخذ الاتهام بالزندقة ذريعة للقضاء على خصومه، كما قدمنا، و أيضا يثرب الخمر، و يسمع الغناء، حتى بلغ فى ذلك حدا جعل يعقوب بن داود يلومه على ذلك، و يقول له: «ما على هذا استوزرتنى، و لا على هذا صحبتك الخ...».

و فى ذلك يقول بعض الشعراء، يعرض بيعقوب، و يحث المهدي على الاستمرار فى

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ١٥٤

و على كل حال ... فان كل من تعرض من المؤرخين و غيرهم، لشرح حال المأمون، قد شهد له بالتقدم، و بأنه رجل خلفاء بنى العباس و واحداهم ...

و ما يهمننا هنا، هو مجرد الاشارة إلى حال المأمون، و ما كان عليه من الدهاء و السياسة، و حسن التدبير ... و لسنا هنا فى صدد تحقيق أحواله، و الاحاطة بكافة شؤونه؛ فان ذلك لا يناسب الغرض الذى وضع من أجله هذا الكتاب.

و سيمر معنا فى الفصول الآتية المزيد من الكلام عن المأمون و ظروفه، مما له نحو ارتباط بالموضوع الذى نحن بصدد تحقيقه من قريب، أو من بعيد، إن شاء الله تعالى ...

ذلك على ما فى البداية و النهاية ج ١٠ ص ١٤٨، ١٤٩- يقول فى ذلك:-

فدع عنك يعقوب بن داود جانبوا اقبل على صهباء طيبة النشر و أخيرا ... فاننا لا نعرف أحدا يقول بأن المهدي العباسى، هو المهدي الموعود، إلا سلم الخاسر؛ فقد نقل ذلك عنه ابن المعتز فى طبقات الشعراء ص ١٠٤، و يدل على ذلك قول الخاسر فى قصيدة له يمدح بها المهدي العباسى على ما فى الأغاني ج ٢١ ص ١٨٧، طبع دار الفكر:

له شيم عند بذل العطاء لا يعرف الناس مقدارها

و «مهدى امتنا» و الذى حماها و أدرك أوتارها و السيد الحميرى أيضا ممن كان قد ظن أنه المهدي حقا لكن فعاله قد بينت: أنه ليس هو، و لذلك يقول السيد حسبما يروى المرزبانى فى أخبار السيد الحميرى (المستدرک) ص ٥٨:

ظننا أنه «المهدى» حقا و لا تقع الامور كما ظننا

و لا و الله، ما المهدي إلا إماما فضله أعلى و أسنى و لا بأس بالاشارة هنا إلى ما ذكره، من أن سبب تسميته بالخاسر: أنه كان عنده مصحف؛ فباعه، و اشترى بثمنه طنهورا، فبقيت من ثمنه بقية، فاشترى بها خمرا!! ...

فبورك من مهدي أتباعه أمثال هذا!! و بوركت امه تعترف بمهدي له تلکم الصفات!!.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ١٥٥

## آمال المأمون و آلامه

### العباسيون لا يرضون بالمأمون!!

لا يشك المؤرخون بأن المأمون كان أجدر من الأمين، و أحق بالخلافة (١) ... بل لقد مر اعتراف الرشيد نفسه بذلك، لكنه اعتذر عن إسناده الأمر للأمين: بأن العباسيين، لا يرضون بالمأمون خليفه، و حاكما؛ رغم سنه و فضله و كياسته، و أنهم يرجحون أخاه الأمين عليه؛ قال الرشيد، حسبما تقدم: «و بنو هاشم مائلون إلى محمد بأهوائهم، و فيه ما فيه ... إلى أن قال: فان ملت إلى ابني عبد الله، أسخطت بني هاشم، و إن أفردت محمدا بالأمر، لم آمن تخليطه على الرعية الخ!!» و مر أيضا قول الرشيد: «... و لو لا أم جعفر، و ميل بني هاشم إليه (أى إلى الأمين) لقدمت عبد الله عليه ...».

كما أن المأمون نفسه يقول في رسالته للعباسيين، المذكورة في أواخر هذا الكتاب: «... و أما ما ذكرتم، مما مسكم من الجفاء في ولايتي؛ فلعمري ما كان ذلك إلا منكم: بمظافرتكم عليه، و مما يلتكم إياه

(١) ليس المراد هنا: الجدارة الحقيقية، التي قررها الله، و بينها محمد صلى الله عليه و آله، و إنما المراد الجدارة التي يفهمها هؤلاء، و اعتاضوا بها عن حكم الله، و سنه نبيه ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ١٥٦

(أى الأمين)؛ فلما قتله، تفرقت عبايد؛ فطورا أتباعا لابن أبي خالد، و طورا أتباعا لاعرابي، و طورا أتباعا لابن شكلة، ثم لكل من سل سيفا على. و لو لا أن شيمتى العفو، و طبيعتى التجاوز، ما تركت على وجهها منكم أحدا؛ فكلكم حلال الدم الخ ...».

و سوف يأتي قول الفضل بن سهل للمأمون: «... و بنو أبيك معادون لك، و أهل بيتك الخ ...».

### سؤال قد تصعب الاجابة عليه:

فما هو السر يا ترى؟ فى عدم رضا العباسيين بالمأمون؟! و لما ذا يفضلون أخاه الأمين عليه؟! مع أنه هو الأليق و الأجدر و الأحق بالخلافة!!.

إن الإجابة على هذا السؤال ربما تبدو لأول وهلة صعبة، و شاقّة.

و لكننا لن نستسلم لهذا الشعور، و لسوف نحاول الاجابة عليه، معتمدين على بعض ما بأيدينا من النصوص التاريخية، التي تلقى لنا ضوءا كاشفا على حقيقة القضية، و واقع الأمر: فنقول:

### الجواب عن السؤال:

لعل سر انحراف العباسيين عن المأمون إلى أخيه الأمين يرجع إلى أن الأمين كان عباسيا، بكل ما لهذه الكلمة من معنى:

فأبوه: هارون ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ١٥٧

و أمه: «زبيدة»، حفيده المنصور، هاشمية «١»، و التي لو نشرت شعرها، لما تعلقتم - على ما قبل - «٢» إلا بخليفة، أو ولي عهد، و التي كانت أعظم عباسية على الإطلاق ...

و كان في حجر الفضل بن يحيى البرمكي، أخى الرشيد من الرضا، و أعظم رجل نفوذا في بلاط الرشيد ...  
و كان يشرف على مصالحه الفضل بن الربيع، العربى، الذى كان جده من طلقاء عثمان، و الذى لم يكن ثمة من شك في ولاءه للعباسيين.

### أما المأمون:

فقد كان في حجر جعفر بن يحيى، الذى كان أقل نفوذا من أخيه الفضل.  
و كان مؤدبه، و الذى يشرف على مصالحه، ذلك الرجل الذى لم يكن العباسيون يرتاحون إليه بشكل خاص؛ لأنه كان متهما بالميل إلى العلويين. و الذى كانت العداوة بينه و بين مربى الأمين، الفضل بن الربيع على أشدها، ذلك الرجل الذى أصبح فيما بعد وزيرا للمأمون، و مدبرا لأموره، و أعنى به: «الفضل بن سهل الفارسى»، و قد

(١) و فى الفخرى فى الآداب السلطانية ص ٢١٢، و مروج الذهب ج ٣ ص ٣٩٦، و النجوم الزاهرة ج ٢ ص ١٥٩، و تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٣٠٣، و تاريخ يعقوبى ج ٣ ص ١٦٢: «أنه لم يتفق لخليفة عباسى أن يكون عباسى الأب و الام، غير الأمين» ... و لا بأس أيضا بمراجعة: مختصر التاريخ ص ١٣٠، و مآثر الانافة فى معالم الخلافة ج ١ ص ٢٠٣، و ابن بدرون فى شرح قصيدة ابن عبدون ص ٢٤٣، و زهر الآداب ج ٢ ص ٩٩٣، طبع دار الجيل.

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٣٠٦.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ١٥٨  
مل العباسيون الفرس، و خافوهم؛ و لذا سرعان ما استبدلوهم بالأتراك و غيرهم ...  
أما أم المأمون ... فقد كانت خراسانية غير عربية، و قد ماتت أيام نفاسها به، و حتى لو كانت على قيد الحياة، فإنها - و هى أشوه، و أقبح، و أقدر جارية فى مطبخ الرشيد - لن تستطيع أن تكون مثل زبيدة عظمة، و نفوذا و لو قلنا إن موتها كان فى مصلحة المأمون لما عدونا الحقيقة؛ كيف و قد بلغ من مهانتها - فى نظر الناس - أن كان المأمون يعير بها ...  
فهذه زينب بنت سليمان، التى كانت عند بنى العباس بمنزلة عظيمة، عند ما لم يحضر المأمون جنازة ابنها، و اكتفى بارسال أخيه صالح من قبله، تغضب، و تقول لصالح: «قل له: يا ابن مراجل، أما لو كان يحيى بن الحسين بن زيد، لوضعت ذيلك على فيك، و عدوت خلف جنازته ...» (١).

و الرقاشى الشاعر يمدح الأمين، و يعرض بهجاء المأمون، فيقول:

لم تلد أمه تعرف فى السوق التجارالا - ولا حد، و لا خان، و لا فى الخزى جارا «٢» يعرض بالمأمون، و أن أمه كانت أمه تبع، و تشرى فى الأسواق ...

بل إن نفس الأمين قد عير أخاه بأمه، فقال:

و إذا تطاولت الرجال بفضلها فإربع فانك لست بالمتناول

(١) الكامل لابن الأثير، طبع دار الكتاب العربى ج ٥ ص ٢٣٠، و الامام الصادق و المذاهب الأربعة المجلد الثانى جزء ٤ ص ٤٩٣.

(٢) المعارف لابن قتيبة، طبع سنة ١٣٠٠، و الفخرى فى الآداب السلطانية ص ٢١٢.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ١٥٩ أعطاك ربك ما هويت و إنما تلقى خلاف هواك عند «مراجل»  
تعلو المنابر كل يوم آملا ما لست من بعدى إليه بواصل «١» و قد أقدع فى هجائه، حين كتب إليه أيام الفتنة بينهما بقوله:  
يا بن التى بيعت بأبخس قيمة بين الملا فى السوق هل من زائد  
ما فىك موضع غرزة من ابره إلا و فيه نطفة من واحد فأجابه المأمون:  
و إنما أمهات الناس أوعية مستودعات و للآماء أكفاء  
فرب معربة لست بمنجبه و طالما أنجبت فى الخدر عجماء «٢» و أخيرا ... فإن خير ما يصور لنا الحالة المعنوية التى كان يعانى منها  
المأمون، هو قول دعبل مخاطبا له:  
إنى من القوم الذين سيوفهم قتلت أخاك، و شرفتك بمقعد  
شادوا بذكرك بعد طول خموله و استنقذوك من الحضيض الأوهده «٣»

### مركز الأمين هو الأقوى:

و بعد كل ما تقدم، فإن ما لا بد لنا من الإشارة إليه هنا، هو:

- (١) تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٣٠٤.
- (٢) غاية المرام فى محاسن بغداد دار السلام للعمري الموصلى ص ١٢١.
- (٣) معاهد التنصيص ج ١ ص ٢٠٢، و وفيات الأعيان، طبع سنة ١٣١٠ هـ. ج ١ ص ١٧٩، و تاريخ الخلفاء ص ٣٢٤، و الشعر و الشعراء ص ٥٣٩، ٥٤٠، و الغدير ج ٢ ص ٣٧٦، و العقد الفريد، طبع دار الكتاب العربى ج ٢ ص ١٩٦، و تاريخ التمدن الاسلامى، المجلد الثانى جزء ٣ ص ١١٥، و زهر الآداب طبع دار الجيل ج ١ ص ١٣٤ و الكنى و الألقاب ج ١ ص ٣٣١ و ربيع الأبرار ج ١ ص ٧٤٣.
- الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ١٦٠
- قوة مركز الأمين، بالنسبة إلى أخيه المأمون؛ حيث قد كان للأمين حزب قوى جدا، و أنصار يستطيع أن يعتمد عليهم، يعملون من أجله، و فى سبيل تأمين السلطة له، و هم: أخواله، و الفضل بن يحيى البرمكى، و أكثر البرامكة، إن لم يكن كلهم، و أمه: زبيدة، بل و العرب أيضا، كما سيأتى ...
- و إذا ما عرفنا أن هؤلاء هم الذين كانوا يؤثرون على الرشيد كل التأثير، و كان لهم دور كبير فى توجيه سياسة الدولة ... فلسوف نرى أنه كان من الطبيعى أن يضعف الرشيد أمام هذه القوة، و ينصاع لها، و من ثم ... لتؤثر مساعيها أثرها، و تعطى نتيجتها فى الوقت المناسب؛ فيجعل ولاية العهد من بعده لولده الأصغر سنا، و هو الأمين، و يترك الأكبر - المأمون - ليكون ولى العهد الثانى بعد الأصغر ...
- و لعل تعصب بنى هاشم، و جلاله عيسى بن جعفر قد لعبا دورا كبيرا فى فوز الأمين بالمركز الأول فى ولاية عهد أبيه الرشيد «١». هذا عدا عن الدور الرئيسى، الذى لعبته «زبيدة» فى تكريس الأمر لصالح ولدها «٢».
- فيحدثنا المؤرخون: أن عيسى بن جعفر بن المنصور، خال الأمين جاء إلى الفضل بن يحيى، و هو متوجه إلى خراسان على رأس جيش، و قال له: «انشدك الله، لما عملت بالبيعة لابن أختى؛ فإنه ولدك، و خلافته لك، و إن أختى زبيدة تسألك ذلك ... فوعده الفضل أن يفعل، و عند ما انتصر على الخارجين هناك، بايع هو و من معه من القواد و الجند لمحمد «٣»،

(١) ابن بدرون فى شرح قصيدة ابن عبدون ص ٢٤٥، و الإتحاف بحب الاشراف ص ٩٦.

(٢) زهر الآداب طبع دار الجيل ج ٢ ص ٥٨١.

(٣) راجع تفصيل ذلك فى: الطبرى ج ١٠ ص ٦١١، و النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٧٦، و الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ٨٨، و أشار إلى ذلك أيضا ابن خلدون فى تاريخه ج ٣ ص ٢١٨.

الحياة السياسية للإمام (الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ١٦١

رغم أن المأمون كان أسن من الأمين بستة أشهر، و على أقل الأقوال بشهر واحد ...

و أصبح الرشيد حينئذ أمام الأمر الواقع، حيث إن الذى أقدم على هذا الأمر، هو ذلك الرجل، الذى لا يمكن رد كلمته، و الذى له من النفوذ و السلطان، و الخدمات الجللى، و الأيدى البيضاء عليه، ما لا يمكن له، و لا لأحد غيره أن يجحده أو أن يتجاهله ...

و يلاحظ هنا: أن عيسى بن جعفر قد ذكر أن أخته زبيدة، تسأله أن يقدم على هذا الأمر، و زبيدة التى تحظى باحترام كبير عند العباسيين، و لها نفوذ واسع، و تأثير كبير على الرشيد- زبيدة هذه- يهتم البرامكة جدا بأن تكون معهم، و إلى جانبهم؛ و ذلك لبقى لهم سلطانهم، و يدوم لهم حكمهم، الذى أشار إليه عيسى بقوله: «فانه ولدك، و خلافته لك» فإن فى هذا القول دليلا واضحا للفضل على سلامة و صحة ما يقدم عليه بالنسبة لمصالحه هو، و مصالح البرامكة بشكل عام، و بالنسبة لدورهم فى مستقبل الخلافة العباسية ... و هو فى الحقيقة يشتمل على إغراء و ترغيب واضح بالعمل لهذا الأمر، و فى سبيله ...

كما أن قول عيسى الآنف الذكر يلقى لنا ضوءا على الدور الذى لعبته زبيدة فى مسألة البيعة لولدها بولاية العهد ... فهو يشير إلى أنها كانت قد استخدمت نفوذها فى اقناع رجال الدولة بتقديم ولدها ... هذا بالإضافة إلى أنها كانت تحرض الرشيد على ذلك باستمرار «١»، حتى لقد صرح الرشيد نفسه بأنه: «لو لا أم جعفر و ميل بنى هاشم لقدم عبد الله على محمد، كما أشرنا إليه» ...

قال محمد فريد و جدى مشيرا إلى أن الرشيد لم يكن يريد جرح عاطفة

(١) النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٨١، و تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٢٩٠.

الحياة السياسية للإمام (الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ١٦٢

زبيدة: «كانت ولاية الأمين بعهد من أبيه، قدمه على إخوته لمكان والدته. و كان الأحق بالتقديم المأمون لعلمه و فضله و سنه ...» «١». و بعد ... فإننا لا نستبعد أنها كانت بالإضافة إلى ذلك قد استخدمت أموالها، من أجل ضمان ولاية العهد لولدها الأمين، و لعل مما يشير إلى ذلك قول الفضل بن سهل للمأمون: «و هو ابن زبيدة، و أخواله بنو هاشم، و زبيدة و أموالها ...» ...

و أخيرا ... فإن من المحتمل جدا أن يكون الرشيد- بملاحظة الدور الذى كانت تلعبه الأنساب فى التفكير العربى- قد لاحظ سمو نسب الأمين على المأمون، و كان لذلك أثر فى تقديمه له عليه، و قد ألمح بعض المؤرخين إلى ذلك فقال: «و فيها (أى فى سنة ١٧٦ هـ) عقد الرشيد لابنه المأمون عبد الله العهد بعد أخيه الأمين ... إلى أن قال:

و كان المأمون أسن من الأمين بشهر واحد، غير أن الأمين أمه زبيدة بنت جعفر هاشمية، و المأمون أمه أم ولد اسمها «مراجل» ماتت أيام نفاسها به ...» «٢».

### محاولات الرشيد لصالح المأمون:

و من كل ما تقدم يتضح لنا حقيقة موقف العباسيين، و أهل بيت المأمون، و رجال الدولة من المأمون ... و يظهر إلى أى حد كان مركز أخيه قويا، و نجمه عاليا، و أنه لم يكن له مثل ذلك الحظ الذى كان لأخيه الأمين.

(١) دائرة المعارف الاسلامية ج ١ ص ٦٠٦.

(٢) النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٨٤، و قريب منه ما فى تاريخ الخلفاء للسيوطى.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ١٦٣

إلا أن أباه الرشيد، الذى كان يدرك حقيقة الموقف كل الادراك، قد حاول أن يضمن له نصيبه من الخلافة، فجعله ولى العهد بعد أخيه الأمين، و كتب بذلك اليهود و الموثيق، و أشهد عليها، و علقها فى جوف الكعبة، و لا نعلم خليفة، قبله و لا بعده فعل ذلك مع أولياء عهده، من أولاده أو من غيرهم، رغم أن غيره من الخلفاء قد أخذوا البيعة لأكثر من واحد بعدهم. كما أنه قد حاول بطرق شتى أن يشد من عضد المأمون، و يقوى مركزه فى مقابل أخيه الأمين؛ لأنه كان يخاف منه على أخيه المأمون؛ فنراه يجدد أخذ البيعة للمأمون أكثر من مرة، و يوليه الحرب، و يولى أخاه السلم «١» و يهب المأمون كل ما فى العسكر من كراع و سلاح، و يأمر الفضل بن الربيع، الذى كان يعرف أنه سوف يتآمر مع الأمين - يأمره - بالبقاء مع المأمون فى خراسان. إلى غير ذلك من مواقف، التى لا نرى حاجة لتبعتها و استقصائها.

### مركز المأمون ظل فى خطر:

و لكن رغم كل محاولات الرشيد فقد ظل مركز المأمون فى خطر و الكل كان يشعر بذلك، و كيف لا يعرف الجميع ذلك، و لا يشعرون به، و هم يرون الأمين يصرح بعد أن أعطى اليهود و الموثيق، و حلف الايمان، بأنه: كان يضم الخيانة لأخيه المأمون «٢». لقد كان الكثيرون يرون بأن هذا الأمر لا يتم، و أن الرشيد قد أسس العداة و الفرقة بين أولاده، «و ألقى بأسهم بينهم، و عاقبه ما صنع

(١) مروج الذهب ج ٣ ص ٣٥٣، و الطبرى حوادث سنة ١٨٦ هـ.

(٢) الوزراء و الكتاب ص ٢٢٢.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ١٦٤

فى ذلك مخوفة على الرعية»، و قالت الشعراء فى ذلك الشئ الكثير.

و من ذلك قول بعضهم:

أقول لغمة فى النفس منى و دمع العين يطرد اطرادا

خذى للهول عدته بحزم ستلقى ما سيمنعك الرقادا

فإنك إن بقيت رأيت أمرا يطيل لك الكآبة و السهادا

رأى الملك المهذب شر رأى بقسمته الخلافة و البلادا

رأى ما لو تعقبه بعلم لبيض من مفارقه السوادا

أراد به ليقطع عن بنيه خلافهم و يتدلوا الودادا

فقد غرس العداوة غير آل و أورث شمل الفتهم بدادا

و القح بينهم حربا عوانا و سلس لاجتنابهم القيادا

فويل للرعية عن قليل لقد أهدى لها الكرب الشدادا

و ألبسها بلاء غير فان و ألزمها التضضع و الفسادا

ستجرى من دمائهم بحور زواخر لا يرون لها نفاذا

فوزر بلائهم أبدا عليه أ غيا كان ذلك أم رشادا «١»

**و المأمون و حزبه كانوا يدركون ذلك:**



و بعد ... فإنه من الطبيعي جدا أن نرى أن المأمون و حزبه كانوا يدركون أن مركز المأمون كان في خطر، و أن الأمين كان ينوى الخيانة لأخيه. و لقد رأينا الفضل بن سهل عند ما عزم الرشيد على الذهاب إلى خراسان، و أمر المأمون بالمقام في بغداد- رأينا- يقول للمأمون:

«لست تدري ما يحدث بالرشيد، و خراسان ولايتك، و الأمين مقدم عليك. و إن أحسن ما يصنع بك أن يخلعك؛ و هو ابن زبيدة، و أخواله

(١) الطبرى حوادث سنة ١٨٦ هـ.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ١٦٥

بنو هاشم، و زبيدة، و أموالها...» «١» ... و تقدم أيضا قوله له: إن أهل بيته و بنى أبيه، و العرب معادون له ...

### و الرشيد أيضا كان فى قلق:

بل لقد صرح الرشيد نفسه بأنه كان يخشى من الأمين على المأمون؛ فإنه قال لزبيدة، عند ما عاتبته على اعطائه الكراع و السلاح للمأمون:

«إنا نتخوف ابنك على عبد الله، و لا نتخوف عبد الله على ابنك إن بويج ...» «٢».

هذا بالاضافة إلى تصريحات الرشيد السابقة، و التى لا نرى حاجة إلى اعاتها ...

و لقد قال الرشيد، عند ما بلغه ما يتهدد به محمد الأمين:

محمد لا تظلم أخاك فإنه عليك يعود البغى إن كنت باغيا

و لا تعجلن الدهر فيه فإنه إذا مال بالأقوام لم يبق باقيا «٣» و مهما يكن من أمر، فإن الحقيقة التى لا يمكن الجدل فيها، هى أن الرشيد كان فى قضية ولاية العهد مغلوبا على أمره، من مختلف الجهات ...

و كان يشعر أن ما أبرمه سوف يكون عرضة للانتفاض بين لحظة و أخرى، و كم كان يؤلمه شعوره هذا، و يحز فى نفسه ... حتى لقد ترجم مشاعره هذه شعرا فقال:

(١) تاريخ ابن خلدون ج ٣ ص ٢٢٩، و النجوم الزاهرة ج ٢ ص ١٠٢، و الكامل لابن الأثير، طبعه ثالثه ج ٥ ص ١٢٧، و الوزراء و الكتاب ص ٢٦٦.

(٢) مروج الذهب ج ٣ ص ٣٥٣. و لعله إنما فعل ذلك أيضا، من أجل أن يطيب خاطر المأمون، و يذهب ما فى نفسه- و هو الأفضل، و الأكبر سنا من أخيه- من غل و حقد و ضغينة ...

(٣) ابن بدرون فى شرح قصيدة ابن عبدون ص ٢٤٥، و فوات الوفيات ج ٢ ص ٢٦٩.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ١٦٦ لقد بان وجه الرأى لى غير أننى غلبت على الأمر الذى كان أحزما

و كيف يرد الدّر فى الضرع بعد ما توزع حتى صار نهبا مقسما

أخاف التواء الأمر بعد استوائه و أن ينقض الجبل الذى كان أبرما «١»

### على من يعتمد المأمون؟

وهكذا ... و إذا كان أبوه قد استطاع أن يضمن له المركز الثاني بعد أخيه الأمين، و إذا كان ذلك لا يكفي لأن يجعل المأمون يطمئن إلى مستقبله في الحكم، و أن يأمن أخاه و بنى أبيه العباسيين، أن لا يحلوا العقدة، و ينكثوا العهد؛ فهل يستطيع المأمون أن يعتمد على غيرهم، لو تعرض مركزه و وجوده للتهديد في وقت ما؟! و من هم أولئك الذين يستطيع أن يعتمد عليهم؟! و كيف؟ ... و ما هو موقفهم فعلا منه؟! و كيف يستطيع أن يصل الى الحكم، و السلطان؟! و من ثم ...

كيف يستطيع أن يحتفظ به، و يقوى من دعائمه؟! إن نظرة شاملة على الفئات الاخرى في تلك الفترة من الزمن، لكفيلة بأن تظهر لنا أنه لم يبق أمام المأمون غير العلويين، و العرب، و الايرانيين ...

فما هو موقف هؤلاء منه، و أى الفئات تلك هي التي يستطيع أن يعتمد عليها؟. و كيف يستطيع أن يغير ماجريات الامور لتكون في صالحه، و على وفق مراده؟! ...

هذا هو السؤال الذي لا بد للمأمون من أن يضع الحل و الاجابة عليه، بكل دقة و وعى و إدراك، و أن يتحرك من ثم على وفق تلك الاجابة،

(١) ابن بدرون أيضا ص ٢٤٥، و زهر الآداب، طبع دار الجيل ج ٢ ص ٥٨١، و فوات الوفيات ج ٢ ص ٢٦٩.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ١٦٧

و على مقتضى ذلك الحل ... و لنلق أولا نظرة سريعة على مواقف كل من هؤلاء من المأمون، و لنخلص من ثم إلى معرفة الفئة التي يستطيع المأمون أن يعتمد عليها في مواجهة الأخطار و التحديات، التي تنتظره، و تنتظر نظام حكمه، بصورة عامة ... فنقول:

### موقف العلويين من المأمون:

أما العلويون ... فإنهم - بالطبع - لن يرضوا بالمأمون - كما لن يرضوا بغيره من العباسيين، خليفة و حاكما لأن من بينهم من هو أجدر من كل العباسيين، و أحق بهذا الأمر، و لأن المأمون، و غيره، كانوا من تلك السلالة، التي لا يمكن أن تصفو لها قلوب آل علي؛ لأنها قد فعلت بهم أكثر من فعل بنى أمية معهم، كما تقدم ... فقد سفكت دماءهم، و سلبتهم أموالهم، و شردتهم عن ديارهم، و أذاقتهم شتى صنوف العذاب و الاضطهاد ... و يكفي المأمون عندهم: أنه ابن الرشيد، الذي حصد شجرة النبوة، و اجتث غرس الإمامة، و الذي قد عرفت طرفا من سيرته السيئة معهم فيما تقدم من الفصول ...

### موقف العرب من المأمون، و نظام حكمه:

و أما العرب: فإنهم لا يرضون بالمأمون خليفة و حاكما أيضا، كما أشار إليه الفضل بن سهل فيما تقدم ...

أما أولا: فلأن أمه، و مؤدبه، و القائم بأمره، غير عربيين.

و لقد عانى العرب ما الله أعلم به، من تقديم أسلافه للموالي، حتى لم يعد لهم معهم أى شأن يذكر، و أصبح العربى أذل من نعجة، و أحقر من الحيوان ...

قال المسعودى: «... و كان (أى المنصور) أول خليفة استعمل

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ١٦٨

مواليه و غلماناه فى أعماله، و صرفهم فى مهماته، و قدمهم على العرب؛ فامتثل ذلك الخلفاء من بعده، من ولده، فسقطت، و بادت العرب، و زالت رئاستها، و ذهبت مراتبها ...» (١).

و قال ابن حزم، و هو يتحدث عن العباسيين: «... فكانت دولتهم أعجمية، سقطت فيها دواوين العرب، و غلبت عجم خراسان على

الأمر، و عاد الأمر كسرويا، إلا- أنهم لم يعلنوا بسبب أحد من الصحابة رضوان الله عليهم ... و افترت في دولة بني العباس كلمة المسلمين «٢» ...».

و يقول الجاحظ: «... دولة بني العباس أعجمية، خراسانية، و دولة بني مروان عربية «٣» ...».

إلى آخر ما هنالك، مما يدل على سقوط العرب في تلك الفترة، و امتهانهم. و يبدو أن ذلك من المسلمات. و قد استوفى الباحثون- و منهم أحمد أمين، في الجزء الأول من ضحى الاسلام- البحث في هذا الموضوع؛ فمن أراد فليراجع مظان وجوده ... و إذا ما عرفنا: أن من الطبيعي أن يكون ذهاب رئاسة العرب، و إبادتها، و اضطهادها على يد الفرس، الذين كانوا هم أصحاب القدرة و السلطان آنذاك ... فلسوف نجد أن من الطبيعي أن يحقد العرب، الذين كانوا في وقت ما هم أصحاب الجبروت و القوة، على الفرس، و على كل من يتصل بهم، و يمت إليهم بسبب؛ من قريب أو من بعيد ...

(١) مروج الذهب، طبع بيروت ج ٤ ص ٢٢٣، و تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٤، و ص ٢٦٩، ٢٧٠، و ص ٢٥٨، و في طبيعة الدعوة العباسية ص ٢٧٩، نقلا عن المقرئ في: السلوك لمعرفة دول الملوك ج ١ ص ١٤ مثل ذلك. و ليراجع أيضا كتاب: مشاكلة الناس لزمانهم لليقوي ص ٢٣.

(٢) البيان المغرب، طبع صادر ص ٧١.

(٣) البيان و التبيين ج ٣ ص ٣٦٦.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العامل، ص: ١٦٩

و أما ثانيا: فلسيرة أسلافه، و أبيه الرشيد بالخصوص، في الناس عامة، و مع أهل بيت نبهم خاصة، و التي قدمنا شطرا منها في الفصول التي سبقت.

أما الأمين: فقد كان له- إلى حد ما- شافع عندهم؛ حيث إنه كان من أب و أم عربيين من جهة. و كان قد منحهم ثقته و حبه، و قربهم إليه، حتى كان وزيره الفضل بن الربيع منهم ... من جهة ثانية؛ فتوسموا فيه أن يجعل لهم، شأنا و أن ينظر إليهم بغير العين، التي كان أبوه و أسلافه ينظرون إليهم بها. أو على الأقل: سوف لا- تكون نظرتهم إليهم، على حد نظرة المأمون نحوهم. و ذلك ما يجعلهم يرجحونه- على الأقل- على أخيه المأمون، و إن كان المأمون أفضل، و أسن منه؛ فلقد كان عليهم أن يختاروا أهون الشرين، و أقل الضررين ...

حتى إن نصر بن سبث، الذي كان هواه مع العباسيين، لم يقد بثورته ضد المأمون، التي بدأت سنة ١٩٨ هـ. و استمرت حتى سنة ٢١٠ هـ. إلا انتصارا للعرب، و محاماة عنهم؛ لأن العباسيين كانوا يفضلون عليهم العجم، حسب تصريحات نصر بن سبث نفسه «١».

و حتى في مصر أيضا، قد ثارت الفتن بين القيسية، المناصرة للأمين، و اليمانية المناصرة للمأمون ...

و قال أحمد أمين: «... إن أغلب الفرس تعصب للمأمون، و أغلب العرب تعصبوا للأمين ...» «٢».

كما أننا نكاد لا نشك في أن تعصب العرب للأمين ليس إلا للسببين المتقدمين، الذين أشرنا إليهما، و أشار إلى أحدهما نصر بن سبث ...

(١) التاريخ الاسلامي و الحضارة الاسلامية ج ٣ ص ١٠٤.

(٢) ضحى الاسلام ج ١ ص ٤٣.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العامل، ص: ١٧٠

و لكن فردينان توتل يرى في منجد الاعلام: أن تعصب العرب للأمين يرجع إلى أن: «المأمون لم يستطع أن يجعل العرب يحبونه؛

حيث إنه كان يظهر ميلا للإيرانيين، و يقربهم إليه. و قد أعانه الإيرانيون في مبارزاته، و حروبه، و خصوصا الخراسانيين منهم ...». و لكن الذى يبدو لى هو أن تعصب العرب للأمين لم يكن نتيجة تقرب المأمون للإيرانيين، و تحببه للخراسانيين، و انما عكس ذلك هو الصحيح؛ فإن المأمون لم يتقرب من الخراسانيين إلا بعد أن فرغت يده من العرب، و أهل بيته، و العلويين ...

### لا بد من اختيار خراسان:

و بعد أن فرغت يد المأمون من بنى أبيه، و البرامكة «١»، و العرب، و العلويين، اضطر أن يلتجئ إلى جهات أخرى لتمد له يد العون و المساعدة، و تكون سلما لأغراضه، و اداة لتحقيق أهدافه و مآربه ... و لم يبق أمامه غير خراسان؛ فاختارها، كما اختارها محمد بن على العباسى من قبل. فأظهر لهم الميل و الحب، و تقرب إليهم، و قربهم إليه، و أراهم: أنه محب لما و لمن يحبون، و كاره لما و لمن يكرهون. حتى إنه عند ما علم منهم الميل إلى العلويين، و التشيع لهم، أظهر هو بدوره أنه محب للعلويين، و متشيع لهم ... كما أنه كان من جهة ثانية قد قطع لهم على نفسه الوعود و العهود، بأن يرفع

(١) ذكرنا للبرامكة هنا ليس عفويا؛ فان محط نظرنا يشمل حتى الأيام الاولى، التى فتح بها المأمون عينيه، و عرف واقعه، و أدرك الأخطار، التى تتهدده، و تتهدد مستقبله فى الخلافة مع أخيه الأمين؛ فلا يرد علينا: أن البرامكة قد نكبهم الرشيد قبل خلافة المأمون بزمان ... مضافا إلى الدور الكبير الذى لعبه البرامكة فى تقديم أخيه الأمين عليه، حسبما قدمنا ...

الحياة السياسية للإمام (الرضا) (ع)، مرتضى العاملى، ص: ١٧١

الظلم و الحيف عنهم، و يرد عنهم الكيد، الأمر الذى جعلهم يتقون به، و يطمنون إليه، و يعلقون كل آمالهم عليه ...

### تشيع الإيرانيين:

هذا ... و ليس تشيع «١» الإيرانيين بالأمر الذى يحتاج إلى اثبات، بعد أن تقدم معنا: أن دولة العباسيين ما قامت إلا على أساس الدعوة للعلويين، و أهل البيت ... و بعد أن رأينا الخراسانيين يظهرن النياحة على «يحيى بن زيد» سبعة أيام، و كل مولود ولد فى خراسان فى سنة قتل يحيى سمى ب «يحيى» «٢» ... بل يذكر البلاذرى: أنه لما استشار المنصور عيسى بن موسى فى أمر محمد و ابراهيم ابني عبد الله بن الحسن، فأشار عليه بأن يولى المدينة رجلا- خراسانيا، قال له المنصور: «يا أبا موسى إن محبة آل أبى طالب فى قلوب أهل خراسان ممتزجة بمحبتنا، و إن و لیت أمرها رجلا من أهل خراسان حالت محبته لهما بينه و بين طلبهما، و الفحص عنهما، و لكن أهل الشام قاتلوا عليا على أن لا يتأمر عليهم لبغضهم إياه الخ ...» «٣».

و قد تقدم معنا: كيف وصف المؤرخون ما جرى فى نيشابور، حين دخلها الإمام الرضا، و سيأتى فى فصل: خطة الإمام، و صف ما جرى فى مرو حينما خرج الإمام ليصلى بالناس ... و لقد عرفنا أيضا: كيف فرق الإمام الرضا الناس عن المأمون. عند ما أرادوا قتله، انتقاما للفضل بن سهل ...

(١) قد تقدم منا ما نقصده بكلمة «التشيع» فى هذا الكتاب؛ فلا نعيد.

(٢) مروج الذهب ج ٣ ص ٢١٣، و شرح ميمية أبى فراس ص ١٥٧، و ليراجع أيضا نزهة الجليس ج ١ ص ٣١٦؛ فان فيه ما يشير إلى ذلك ...

(٣) أنساب الأشراف للبلاذرى ج ٣ ص ١١٥.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ١٧٢

بل لقد بلغ من حب الايرانيين لأهل البيت أن المأمون كان يخشى على نفسه أن يقتلوه، لو أنه أراد أن يرجع عن البيعة للإمام الرضا بولاية العهد «١».

و يقول جرجى زيدان: «و كان الخراسانيون، و من والاهم من أهل طبرستان و الديلم، قبل قيام الدولة العباسية، من شيعة على؛ و إنما بايعوا للعباسيين مجاراةً لأبى مسلم أو خوفاً منه ...» «٢».

و قال أحمد أمين: «... إن الفرس يجرى فى عروقهم التشيع ...» «٣».

و يقول الدكتور الشيبى: «... إن الفرس قد عادوا إلى التشيع، بعد أن نزلت بهم ضربة السفاح أولاً، ثم المنصور، ثم الرشيد ...» «٤».

و يقول أحمد شلبى: «... إنه ربما كان سبب أخذ المأمون للرضا العهد، هو أنه يريد أن يحقق آمال الخراسانيين، الذين كانوا إلى أولاد على أميل ...» «٥».

### ما هو سرّ تشيع الايرانيين؟

يقول السيد أمير على، و هو يتحدث عن سر ارتباط الفرس بقضية بنى فاطمة: «... و قد أظهر الامام على منذ بداية الدعوة الاسلامية

(١) تاريخ التمدن الاسلامى المجلد الثانى، جزء ٤ ص ٤٤٠.

(٢) نفس المصدر و المجلد، و الجزء ص ٢٣٢. و لا يهمنى هنا مناقشة جرجى زيدان فيما جعله سببا لبيعتهم للعباسيين، و لعل ما قدمناه فى فصل: قيام الدولة العباسية كاف فى ذلك ...

(٣) ضحى الاسلام ج ٣ ص ٢٩٥.

(٤) الصلة بين التصوف و التشيع ص ١٠١.

(٥) التاريخ الاسلامى و الحضارة الاسلامية ج ٣ ص ١٠٧.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ١٧٣

كل تقدير، و مودة نحو الفرس، الذين اعتنقوا الاسلام. لقد كان سلمان الفارسى، و هو أحد مشاهير أصحاب الرسول، رفيق على و صديقه، و كان من عادة الإمام أن يخصص نصيبه «التقدي» فى الانفال لافتداء الأسرى. و كثيرا ما أفنح الخليفة عمر بمشورته؛ فعمد إلى تخفيف عبء الرعية فى فارس. و هكذا كان ولاء الفرس لأحفاده واضحا تمام الوضوح ...» «١».

و يرى فان فلوتن: ان من أسباب ميل الخراسانيين، و غيرهم من الايرانيين للعلويين، هو أنهم لم يعاملوا معاملة حسنة، و لا رأوا عدلا إلا فى زمن حكم الإمام على (ع) «٢» ...

أما الاستاذ على غفورى فىرى «٣»: أن الايرانيين كانوا قبل الاسلام يعاملون بمنطق: أن الناس قد خلقوا لخدمة الطبقة الحاكمة، و أن عليهم أن ينفذوا الأوامر من دون: كيف؟ و لما ذا؟. فجاء الإسلام بتعاليمه الفطرية السهلة السمحاء؛ فاعتنقوه بكل رضى و أمل، و بدأ جهادهم فى سبيل اقامة حكومة اسلامية حقيقية.

و بما أن أولئك الذين تسلموا زمام الامور- باستثناء الإمام على طبعاً- كانوا منحرفين [المقصود هنا بالطبع هو خلفاء الامويين] عن الاسلام، و تعاليمه، و يحاولون تلبس عاداتهم الجاهلية، حتى التمييز القبلى، و العرقى بلباس الاسلام، و اعطائها صفة القانونية و الشرعية ...

فان الايرانيين لم يجدوا أهداف الاسلام، و تعاليمه فى تلك الحكومات؛ و لهذا كان من الطبيعى أن يتوجهوا إلى على، و الأئمة من ولده، الذين تعدى الآخرون على حقوقهم بالخلافة، و الذين كان سلوكهم المثالى هو

(١) روح الاسلام ص ٣٠٦.

(٢) السيادة العربية و الشيعة و الاسرائيليات ...

(٣) يادبود هشتمين امام «فارسي».

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ١٧٤

المرآة الصافية، التي تنعكس عليها تعاليم الإسلام و أهدافه، و يمثلون الصورة الحقيقية للإسلام على مدى التاريخ، و كان صدى علمهم، و زهدهم، و استقامتهم يطبق الخافقين، و خصوصا الصادق و الرضا، الذي اهتبل و الفرصة إبان الخلاف بين الأمين و المأمون لنشر تعاليم الإسلام، و تعريف الناس على الحقائق، التي شاء الآخرون أن لا يعرفها أحد.

لكن لم يكن يروق للقوى الحاكمة، أن تظهر تلك الوجوه الطاهرة على الصعيد العام، و تتعرف عليها الامة الإسلامية، و على فضائلها، و كمالاتها؛ لأن الناس حينئذ سوف يدركون الواقع المزرى لأولئك الحكام، و المترلفين لهم. و الذين كانوا يتحكمون بمقدرات الامة، و امكاناتها؛ و إذا أدركوا ذلك فان من الطبيعي أن لا يترددوا في تأييد الأئمة، و مساعدة أية نهضة، أو ثورة من قبلهم؛ و لهذا فقد جهد الحكام في أن يزوهم و يبعدهم ما أمكنهم عن الناس، و وضعهم تحت الرقابة الشديدة، و في أحيان كثيرة في غياب السجون ... حتى إذا ما سنحت لهم فرصة، تخلصوا منهم بالطريقة التي كانوا يرون أنها لا تثير الكثير من الشكوك و الظنون ...

### عود على بدء:

و على كل حال ... فان ما يهمنا هنا هو مجرد الاشارة إلى تشيع الايرانيين، الذي حاول المأمون أن يستغله لمصالحه و أهدافه ... حيث قد أثمرت و عود المأمون للخراسانيين، و تحببه لهم، و تقربه منهم، و تظايره بالحب لعلی (ع) و ذريته، الثمار المرجوة منها؛ لأن الخراسانيين كانوا يريدون التخلص من أولئك الحكام الذين انقلبوا عليهم يقتلون، و يضطهدون كل من عرفوه مواليا لأهل البيت محبا لهم، ابتداء من المنصور، بل السفاح، و انتهاء بالرشيد، الذي لم يستطع يحيى بن خالد البرمكي أن

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ١٧٥

يسمع لعلوی ذكرا في خراسان في زمانه ... رغم أنه جهد كل الجهد من أجل ذلك، و في سبيله، حسبما تقدم ...

كما أنهم - أعنى الخراسانيين - قد توسموا في المأمون أن يكون المنقذ لهم من أولئك الولاة، الذين ساموهم شتى ضروب العسف، و الظلم و العذاب. و الذين لم يكن يهمهم غير مصالحهم، و ارضاء شهواتهم و ملذاتهم، يعلم ذلك بأدنى مراجعة للتاريخ ... قد وثقوا إلى حد ما بعود المأمون تلك، التي كان يغدقها عليهم، و على غيرهم بدون حساب، و أمنوا جانبه؛ فكانوا جنده، و قواده، و وزراء المخلصين، الذين اخضعوا له البلاد، و أدلوا له العباد، و بسطوا نفوذهم و سلطانه على كثير من الولايات و الأمصار، التي كان يطمح إلى الوصول إليها، و السيطرة عليها ...

### كيف يثق العرب بالمأمون؟!

و هكذا إذن ... يتضح أن ميل المأمون للايرانيين ما كان إلا دهاء منه و سياسة، استغلها المأمون أحسن ما يكون الاستغلال، حتى استطاع أن يصل إلى الحكم، و يتربع على عرش الخلافة، بعد أن قتل أخاه العزيز على العباسيين و العرب، و قضى على اشياعه بسيف غير العرب، و ذلك ذنب آخر لن يسهل على العرب الاغضاء عنه أو غفرانه.

ثم ولي على بغداد رجلا غير عربي، هو الحسن بن سهل، أخو الفضل بن سهل، الذي تكرهه بغداد و العرب كل الكره ...

ثم إنه بعد هذا كله جعل مقر حكمه مروا الفارسية، و ليس بغداد العاصمة العربية الاولى التي خربها و دمرها ... و كان ذلك من شأنه

أن يثير المخاوف لدى العرب في أن تتحول الإمبراطورية العربية إلى إمبراطورية

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ١٧٦

فارسية، وخصوصا إذا لاحظنا: أن الفرس هم الذين أوصلوا المأمون إلى الحكم ... وقد اثبتوا جدارتهم، و أهليتهم في مختلف المجالات، و خصوصا السياسة، و شؤون الحكم.

### قتل الأمين و خيبة الأمل:

و إن قتل الأمين، و إن كان يمثل - في ظاهره - انتصارا عسكريا للمأمون إلا أنه كان في الحقيقة ذا نتائج سلبية و عكسية بالنسبة للمأمون، و أهدافه، و مخططاته ... سيما بملاحظة الأساليب التي اتبعها المأمون للتشفي من أخيه الأمين، الذي كان قد أصدر الأمر لظاهر بالأمس بأن يقتله «١» ... حيث رأينا قد أعطى الذي جاءه برأس أخيه - بعد أن سجد لله شكرا!! - ألف ألف «أى مليون» درهم «٢» ... ثم أمر ب نصب رأس أخيه على خشبة في صحن الدار، و أمر كل من قبض رزقه أن يلعنه؛ فكان الرجل يقبض، و يلعن الرأس، و لم ينزله حتى جاء رجل فلعن الرأس، و لعن والديه، و ما ولدا، و أدخلهم في «كذا و كذا» من أمهاتهم. و ذلك بحيث يسمعه المأمون؛ فتبسم، و تغافل؛ و أمر بحط الرأس «٣»!!.

و ياليتي اكتفى بكل ذلك ... بل إنه بعد أن طيف برأس الأمين بخراسان «٤»

(١) لقد نص بعض المؤلفين في كتابه الفارسي «يادبود هشتمين إمام» ص ٢٩ على أن المأمون: «لم يرض بقتل الأمين فحسب، بل أنه هو الذي أمر بقتله ...».

(٢) فوات الوفيات ج ٢ ص ٢٦٩، و الطبري، طبع دار القاموس الحديث ج ١٠ ص ٢٠٢، و البداية و النهاية ج ١٠ ص ٢٤٣، و حياة الحيوان ج ١ ص ٧٢، و تجارب الامم ج ٦ ص ٤١٦ المطبوع مع العيون و الحدائق.

(٣) مروج الذهب ج ٣ ص ٤١٤، و تتمه المنتهى ص ١٨٦ و الموفقيات ص ١٤٠.

(٤) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٩٨.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ١٧٧

أرسل إلى ابراهيم بن المهدي يعنفه و يلومه على أنه أسف على قتل الأمين، و رثاه «١»!! فما ذا نتظر بعد هذا كله، و بعد ما قدمناه: أن يكون موقف العباسيين، و العرب، بل و سائر الناس منه ...

إن أيسر ما نستطيع أن نقوله هنا هو: أنه كان لقتله أخاه، و فعاله الشائنة تلك ... أثر سيئ على سمعته، و من أسباب زعزعة ثقة الناس، به، و تأكيد نفورهم منه، سواء في ذلك العرب، أو غيرهم ...

و قد استمر ذلك الأثر أعواما كثيرة، حتى بعد أن هدأت ثائرة الناس، و رجع إلى بغداد ...

فقد جلس مرة يستاك على دجلة، من وراء ستر؛ فمر ملاح، و هو يقول: «أ تظنون أن هذا المأمون ينبل في عيني، و قد قتل أخاه؟!».

قال: فسمعه المأمون؛ فما زاد على أن تبسم، و قال لجلسائه:

«ما الحيلة عندكم، حتى أنبل في عين هذا الرجل الجليل ...» «٢».

و قال له الفضل بن سهل، عند ما عزم على الذهاب إلى بغداد:

«ما هذا بصواب؛ قتلت بالأمس أخاك، و أزلت الخلافة عنه، و بنو أبيك معادون لك؛ و أهل بيتك و العرب ... إلى أن قال: و الرأي،

(٢) تاريخ بغداد ج ١٠ ص ١٨٩، و البداية و النهاية ج ١٠ ص ٢٧٧، و تاريخ الخلفاء ص ٣٢٠، و روض الأختيار فى منتخب ربيع الأبرار ص ١٨٦، و فوات الوفيات ج ١ ص ٢٤٠.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ١٧٨  
أن تقيم بخراسان، حتى تسكن قلوب الناس على هذا، و يتناسوا ما كان من أمر أخيك ...» (١).

### المأمون فى الحكم:

و إذا ما أردنا أن نعطف نظرنا على ناحية أخرى فى سياسة النظام المأمونى؛ فإننا سوف نرى أنه لم يكن موفقا فى سياسته مع الناس، سواء فى ذلك العرب أو الإيرانيون، بالأخص أهل خراسان؛ حيث لم يحاول أن يتجنب سياسة الظلم و العسف و الاضطهاد، التى كان يمارسها أسلافه مع الرعية ... بل لعله زاد عليهم، و سبقهم أشواط بعيدة فى ذلك.

### أما سياسته مع العرب:

فالمأمون، و ان استطاع أن يصل الى الحكم إلا أنه فشل فى مهمة الفوز بثقة العرب، خصوصا إذا لاحظنا بالاضافة إلى ما قدمناه تحت عنوان «كيف يثق العرب بالمأمون». ما نالهم منه، و من عماله، من صنوف العسف و الظلم - عدا عما فعلته فيهم تلك الحروب الطاحنة، التى شنّها ضد أخيه الأمين - فان ذلك يفوق كل وصف، و يتجاوز كل تقدير؛

(١) البحار ج ٤٩ ص ١٦٦، و مسند الامام الرضا ج ١ ص ٨٥، و أعيان الشيعة ج ٤ قسم ٢ ص ١٣٨، و عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٦٠.

هذا ... و تجدر الإشارة هنا: إلى أن بعض المحققين يرى: أن قتل الأخ فى سبيل الملك، لم يكن من الامور التى يهتم لها الناس كثيرا فى تلك الفترة، و لا سيما إذا كان المقتول هو المعتدى أولا، و الأمين هنا هو المعتدى على المأمون، بخلعه أولا، ثم بارساله جيشا إلى إيران لمحاربتة، و الذى هزم على يد طاهر بن الحسين.

و لكننا مع ذلك ... لا نزال نصر على رأينا فى هذا المجال؛ سيما و أننا نرى فى النصوص التاريخية ما يدعم هذا الرأى و يقويه ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ١٧٩  
حتى لقد وصف: «ديونيسيوس» جباه الخراج فى العراق فى سنة (٢٠٠ هـ). بأنهم: «قوم من العراق، و البصرة، و العاقولاء. و هم عتاء، ليس فى قلوبهم رحمة، و لا إيمان، شر من الأفاعى. يضربون الناس، و يحبسونهم. و يعلقون الرجل البدين من ذراع واحد، حتى يكاد يموت» (١).

### و الإيرانيون أيضا لم يكونوا أحسن حالا:

و لم يكن حال الإيرانيين من هذه الجهة بأفضل من حال أهل العراق.

و يذكره الجاحظ: أن المأمون ولى محمود بن عبد الكريم التصنيف «فتحامل على الناس، و استعمل فيهم الأحقاد و الدمن؛ فخفض الأرزاق، و أسقط الخواص، و بعث فى الكور، و أنحى على أهل الشرف و البيوتات، حسدا لهم، و إشفاء لغيل صاحبهم منهم، فقصد لهم بالمكروه و التعنت فامتنت طائفة من الناس من التقدم إلى العطاء، و تركوا أسماءهم، و طائفة انتدبوا مع طاهر بن الحسين بخراسان، فسقط بذلك السبب بشر كثير ...» (٢).

يقول الجنرال جلوب و هو يتحدث عن المأمون: «... و راح يلقي خطبته الاولى فى الناس؛ فيعدهم بأن يكون حكمه فيهم طبقا للشرع،



و أن يكرس نفسه لخدمة الله وحده. وقد أثارت هذه الوعود التقيية حماسة عند الناس. و كانت من أهم أسباب انتصاره. لكن هذه الوعود ما لبثت أن تحولت إلى فجيعة نزلت بالناس؛ إذ أن الخليفة ما لبث أن نسيها...» (٣).

(١) الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى، لآدم مترج ١ ص ٢٣٢.

(٢) رسائل الجاحظ ج ٢ ص ٢٠٧-٢٠٨.

(٣) امبراطورية العرب، ترجمه، و تعليق خيرى حماد ص ٥٧٠.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ١٨٠

و يكفى أن نشير هنا إلى المجاعة التي أصابت أهل خراسان، و الرى، و أصبهان، و عزّ الطعام، و وقع الموت، و ذلك فى سنة ٢٠١ للهجرة ...

### المأمون مع الرعية عموماً:

و عن حالة المأمون العامة مع الناس يقول فان فلوتن:

«... و لم يكن جور النظام العباسى و عسفه، منذ قيام الدولة العباسية بأقل من النظام الاموى المختل. و تذكرنا شراهة المنصور، و الرشيد، و المأمون، و جشعهم، و جور أولاد على بن عيسى، و عبثهم بأموال المسلمين بزمان الحجاج، و هشام، و يوسف بن عمر الثقفى. و لدينا البراهين الكثيرة على فجيعة الناس فى هذا العرش الجديد، و مقدار انخداعهم به...»، ثم يضرب أمثلة من الخارجيين على سياسات العباسيين تلك، ثم يقول: «... كل ذلك يبين أن ما كان يشكو منه المسلمون من الجور و العسف لم يزل على ما كان عليه فى عهد بنى أمية الأول...» (١).

قال ابن الجراح: إن ابراهيم بن المهدي كان: «يرمى المأمون بأمه (٢)»، و إخوته، و أخواته، و من أيسر ذلك قوله:

صدّ عن توبه و عن إخبارات و لها بالمجون و القينات  
ما يبالي إذا خلا بأبى عيسى و سرب من بدّن أخوات  
أن يغص المظلوم فى حومة الجور بداء بين الحشا و اللهاة (٣)

(١) السيادة العربية و الشيعة و الاسرائيليات ص ١٣٢.

(٢) و لكن أمه كانت قد ماتت أيام نفاسها به!! و لعله يريد أن أمه كانت متهمه، فكان يعير بها ...

(٣) الورقة، لابن الجراح ص ٢١، و لا بأس بمراجعته كتاب: أشعار أولاد الخلفاء.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ١٨١

و ما يهمننا هنا هو البيت الأخير، أما ما قبله، فلا نملك إلا أن نقول: «أهل البيت أدري بالذى فيه...» ...

و على كل حال... فإننا لا نستغرب على المأمون صفة الظلم و العسف و الجور... بعد أن رأينا أنه عند ما عرضت عليه سيرة أبى بكر، و عمر، و عثمان، و على (ع)، يابى أن يأخذ بها جميعاً، لأنه كان يجد فى آخر كل منها: أنهم كانوا يأخذون الأموال من وجوهها، و يضعونها فى حقوقها. لكنه قبل سيرة معاوية، الذى أراد الاعلان ببراءة الذمة ممن يذكره بخير؛ لأن فى آخرها يقول: إنه كان يأخذ الأموال من وجوهها، و يضعها كيف شاء...، و قال المأمون حينئذ: «إن كان فهذا (١)!!» و فى رساله عبد الله بن موسى للمأمون نفسه ما فيه الكفاية فلتراجع فى أواخر هذا الكتاب.

و ما ذا بعد الوصول إلى الحكم:

و هكذا... فإن المأمون كان يحسب أنه إذا قتل أخاه، و تخلص من من أشياعه و مساعديه، و بعد أن توتى الحملة الدعائية ضدهم ثمارها- كان يحسب و يقدر- أن الطريق يكون قد مهد له للاستقرار فى الحكم، و أنه سوف يستطيع بعد هذا أن يطمئن، و ينال قريير العين.

و لكن فآله قد خاب، و انقلبت ماجريات الامور فى غير صالحه؛ فإن الايرانيين قد: «انفضوا بعد الحرب الأهلية المفجعة بين الأمين و المأمون، عن

(١) المحاسن و المساوى للبيهقى ص ٤٩٥.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ١٨٢

تأييد العباسيين ..» (١). انفضوا عنه ليمنحوا العلويين عطفهم و محبتهم، و تأييدهم؛ لأنهم يعرفون أنهم هم الذين يقيمون العدل، و يعملون بشريعة الله- و ما موقف نيسابور، و صلاتى العيد، إلا الدليل الواضح و القاطع على تلك العاطفة، و ذلك الحب و التقدير. و أيضا انفضوا عنه لأنه قد كشف لهم عن وجهه الحقيقى، و عرفهم بواقعه الأنانى البشع، و خصوصا بعد أن عانوا ما عانوا هم و غيرهم من صنوف الظلم و الجور و الاضطهاد، فى ظل نظام الحكم الذى طالما عملوا من أجله، و ضحوا فى سبيله ... و حتى لو أنهم كانوا لا يزالون على تأييدهم له، فإنه لا يستطيع بعد هذا أن يعتمد على ذلك التأييد، و على ثقته به طويلا؛ فإنه كان من السهل- بعد أن فعل بأخيه و أشياعه، و غيرهم، ما فعل- أن يكتشفوا أن ذلك منه ما كان إلا سياسة و دهاء ... كما أنه أصبح من الصعب عليهم- بعد تجربتهم الاولى معه، و مع و عوده، التى ما أسرع ما نسيها- أن يقتنعوا منه بالأقوال التى لا تدعمها الأفعال، و لسوف لا يطمثون إليه، و لن ينقادوا له- بعد هذا- بالسهولة التى كان يتوقعها ...

### الموقف الصعب:

كانت تلك لمحة خاطفة عن موقف العباسيين، و العرب تجاه المأمون.

ذلك الموقف، الذى كان يزداد حساسية و تعقيدا، يوما عن يوم.

أضف إلى ذلك أيضا الخطر الذى كان يكمن فى موقف الخراسانيين، الذين رفعوا المأمون على العرش، و سلموا إليه أزمه الحكم و السلطان ...

و إذا ما أضفنا إلى ذلك كله، موقف العلويين، الذين اغتتموا فرصة

(١) امبراطورية العرب ص ٦٤٩.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ١٨٣

الصدام بينه و بين أخيه، لتجميع صفوفهم، و مضاعفة نشاطاتهم، فلسوف تكتمل أمامنا ملامح الصورة لحقيقة الوضع و الظروف، التى كان يعانى منها المأمون، و نظام حكمه آنذاك ... سيما و نحن نراه فى مواجهة تلك الثورات العارمة، و بالأخص ثورات العلويين أقوى خصوم الدولة العباسية، و التى كانت تظهر من كل جانب و مكان، و كل ناحية من نواحي مملكته ...

### ثورات العلويين ... و غيرهم:

فأبو السرايا- الذى كان يوما ما من حزب المأمون «١»- خرج بالكوفة. و كان هو و أتباعه لا يلقون جيشا إلا هزموه، و لا يتوجهون إلى

بلدة إلا دخلوها «٢».

و يقال: إنه قد قتل من أصحاب السلطان، في حرب أبي السرايا فقط، مائتا ألف رجل، مع أن مدته من يوم خروجه إلى يوم ضربت عنقه لم تزد على العشرة أشهر «٣».

و حتى البصرة، معقل العثمانية «٤»، قد أيدت العلويين، و نصرتهم؛

(١) ففي الطبري ج ١٠ ص ٢٣٦، و تاريخ ابن خلدون ج ٣ ص ٢٤٥، و الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٧٩، طبعه ثالثة: أن المأمون قال لهزيمة: «مالات أهل الكوفة، و العلويين، و داهنت، و دستت إلى أبي السرايا، حتى خرج، و عمل ما عمل، و كان رجلا من أصحابك إلخ...». و اتهام هرثمة بهذا مهم فيما نحن فيه أيضا.

(٢) ضحى الاسلام ج ٣ ص ٢٩٤، و مقاتل الطالبين ص ٥٣٥.

(٣) مقاتل الطالبين ص ٥٥٠، و البداية و النهاية ج ١٠ ص ٣٤٥.

(٤) الصلة بين التصوف و التشيع ص ١٧٣، و سيأتي كلام محمد بن علي العباسي، المتعلق بهذا الموضوع، عن قريب ... الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ١٨٤ ثورات العلويين... و غيرهم: ..... ص : ١٨٣

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ١٨٤

فقد خرج فيها زيد النار «١»، و معه علي بن محمد، كما خرج منها من قبل علي المنصور ابراهيم بن عبد الله ...

و فى مكة، و نواحي الحجاز: خرج محمد بن جعفر، الذى كان يلقب ب: «الديباج» و تسمى ب: «أمير المؤمنين» «٢» ...

و فى اليمن: ابراهيم بن موسى بن جعفر ...

و فى المدينة: خرج محمد بن سليمان بن داود، بن الحسن بن الحسين، ابن علي بن أبي طالب ...

و فى واسط: التى كان قسم كبير منها يميل إلى العثمانية- خرج جعفر ابن محمد، بن زيد بن علي. و الحسين بن ابراهيم، بن الحسن بن علي ...

و فى المدائن: محمد بن اسماعيل بن محمد ...

بل إنك قد لا تجد قطرا، إلا و فيه علوى يمنى نفسه، أو يمينه الناس بالثورة ضد العباسيين - حسبما نص عليه بعض المؤرخين - حتى لقد اتجه أهل الجزيرة، و الشام، المعروفة بتعاطفها مع الامويين،

(١) سمي بذلك؛ لانه حرق دور العباسيين فى البصرة بالنار، و كان إذا اتى برجل من المسودة، أحرقه بثيابه ... على ما ذكره الطبرى ج ١١ ص ٩٨٦، طبع ليدن، و الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٧٧، و تاريخ ابن خلدون ج ٣ ص ٢٤٤، و البداية و النهاية ج ١٠ ص ٣٤٦.

و فى الروايات أن الرضا عليه السلام أظهر الاستياء من فعل أخيه زيد. و لعل سبب ذلك أنه بالاضافة إلى أنه أقدم فى ثورته على أعمال تنافى أحكام الدين، و تضرر إضرارا بالغا بقضية العلويين العادلة ... كان يمالئ الزيدية، ... أو لأنه أراد إبعاد شر المأمون عن زيد، و ابعاد التهمة عن نفسه؛ بأنه هو المدبر لأمر أخيه أو لعل كل ذلك قد قصد ...

(٢) و ليس فى العلويين - باستثناء الامام علي (ع) طبعاً - قبله، و لا بعده، من تسمى ب «أمير المؤمنين» غيره؛ كما فى مروج الذهب ج ٣ ص ٤٣٩.

و «الديباجة» لقب لأكثر من واحد من العلويين ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ١٨٥

و آل مروان ... إلى محمد بن محمد العلوى، صاحب أبي السرايا؛ فكتبوا إليه: أنهم ينتظرون أن يوجه إليهم رسولا؛ ليسمعوا له، و

يطيعوا» (١) ...

و أما ثورات غير العلويين، فكثيرة أيضا، وقد كان من بينها ما يدعو إلى: «الرضا من آل محمد»، كثورة الحسن الهرش سنة ١٩٨ «٢» هـ. و سواها و لا مجال لنا هنا للتعرض إليها. و من أرادها فعليه بمراجعة الكتب التاريخية المعترضة لها «٣» ...

### الزعيم العباسي الأول يعترف:

هذا مع أن أكثر تلك الأقطار لم تكن تؤيد العلويين، و لا تدين لهم بالولاء باعتراف الزعيم العباسي الأول: محمد بن علي بن عبد الله، والد إبراهيم الامام، حيث قال لدعاته:

«... أما الكوفة و سوادها: فهناك شيعه علي، و ولده. و أما البصرة، و سوادها: فعثمانية، تدين بالكف. و أما الجزيرة: فحرورية مارقة،

(١) مقاتل الطالبين ص ٥٣٤ ... راجع في بيان ثورات العلويين: البداية و النهاية ج ١٠ ص ٢٤٤، إلى ص ٢٤٧، و اليعقوبي ج ٣ ص ١٧٣، ١٧٤، و مروج الذهب ج ٣ ص ٤٣٩، ٤٤٠، و مقاتل الطالبين، و الطبري، و ابن الأثير، و أي كتاب تاريخي شئت؛ لترى كيف أن الثورات في الفترة الاولى من عهد المأمون، قد عمت جميع الأقطار و الامصار ...

(٢) البداية و النهاية ج ١٠ ص ٢٤٤، و الطبري ج ١١ ص ٩٧٥، طبع ليدن.

(٣) و قد تغلب حاتم بن هرثمة على أرمينية، و كان هو السبب في خروج بابك الخرمي.

و تغلب نصر بن شبث على كيسوم، و سميساط، و ما جاورها، و عبر الفرات إلى الجانب الشرقي، و كثرت جموعه، و لم يستسلم إلا في سنة ٢٠٧ هـ. و هناك أيضا حركات الزط. و ثورة بابك، و ثورة المصريين التي كانت بين القيسية المناصرة للأمين و اليمانية المناصرة للمأمون. إلى غير ذلك مما لا مجال لنا هنا لتتبعه ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العامل، ص: ١٨٦

و أعراب كأعلاج، و مسلمون أخلاقهم كأخلاق النصارى. و أما الشام:

فليس يعرفون إلا آل أبي سفيان، و طاعة بنى مروان، عداوة راسخه، و جهل متراكم. و أما مكة و المدينة: فغلب عليهما أبو بكر، و عمر؛ و لكن عليكم بأهل خراسان الخ ... «١».

و نقل عن الأصمعي أيضا كلام قريب من هذا «٢» ...

### دلالة هامة:

و من بعض ما قدمناه في الفصول المتقدمة، سيما فصل: موقف العباسيين من العلويين، و أيضا مما ذكرناه هنا نستطيع أن نستكشف أن حق العلويين بالخلافة و الحكم، قد أصبح من الامور المسلمة لدى الناس، في القرن الثاني، الذي يعد من خير القرون ... حيث لم تكن عقيدة عامة الناس قد استقرت بعد على هذه العقيدة المتداولة لدى أهل السنة اليوم، و التي أشرنا إلى أنها العقيدة التي وضع أسسها معاوية ... و عليه ...

فما يدعيه أهل السنة اليوم من أن عقيدتهم في الخلافة قد وصلت إليهم يدا بيد، إلى عصر النبي (ص) غير صحيح على الاطلاق. بل إن الشيخ محمد عبده يرى: ان رسوخ عقيدة «ان حق الخلافة لأهل البيت، و شيوع ذلك في العرب خاصة». هو الذي دعا المعتصم إلى تشييد ملكه على الترك، و غيرهم من العجم، يقول الشيخ محمد عبده: «كان الإسلام دينا عربيا، ثم لحقه العلم فصار علما عربيا، بعد أن كان

(١) البلدان للهمداني ج ٢ ص ٣٥٢، و أحسن التقاسيم للمقدسي ص ٢٩٣، و عيون الأخبار لابن قتيبة ج ١ ص ٢٠٤، و السيادة العربية، و الشيعة و الاسرائيليات ص ٩٣، و لا بأس بمراجعة: الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ج ١ ص ١٠٢.

(٢) روض الأختيار، المنتخب من ربيع الأبرار ص ٦٧، و العقد الفريد، طبع دار الكتاب العربى ج ٦ ص ٢٤٨.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ١٨٧

يونانيا، ثم أخطأ خليفة فى السياسة، فاتخذ من سعة الإسلام سبيلا إلى ما كان يظنه خيرا: ظن أن الجيش العربى قد يكون عوناً لخليفة علوى؛ لأن العلوى الصق بيت النبى (ص)؛ فأراد أن يتخذ له جيشاً أجنبياً من الترك و الديلم و غيرهم من الامم التى ظن أنه يستعبد بها بسلطانه، و يصطنعها باحسانه؛ فلا تساعد الخارج عليه، و لا تعين طالب مكانه من الملك...» (١).

### عود على بدء:

و على كل حال ... فإننا إذا أردنا تقييم تلك الثورات، التى كانت تواجه الحكم العباسى، فإننا سوف نجد: أن ما كان يكمن فيه الخطر الحقيقى هو ثورات العلويين، لأنها كانت تظهر فى مناطق حساسة جدا فى الدولة؛ و لأنها كانت بقيادة أولئك الذين يمتلكون من قوة الحجوة، و الجدارة الحقيقية، ما ليس لبنى العباس فى أدنى نصيب ...

و كان فى تأييد الناس لهم، و استجابتهم السريعة لدعوتهم دلالة واضحة على شعور الامة، بمختلف طبقاتها، و فئاتها تجاه حكم العباسيين، و نوعية تفكيرها تجاه خلافتهم، و على مدى الغضب الذى كان يستبد بالنفوس؛ نتيجة استهتار العباسيين، و ظلمهم، و سياساتهم الرعناء، مع الناس عامة، و مع العلويين بشكل خاص ...

و قد كان المأمون يعلم أكثر من أى شخص آخر، كم سوف يكون حجم الكارثة، لو تحرك الإمام الرضا- الذى اهتبل فرصة الحرب بينه و بين أخيه، لتحكيم مركزه، و بسط نفوذه ضد الحكم القائم ...

(١) الاسلام و النصرانية للشيخ محمد عبده.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ١٨٨

### الناس لم يبايعوا المأمون كلهم بعد:

و بعد كل ما تقدم ... فإن من الأهمية بمكان، أن نشير هنا، إلى أن العلويين، و قسما كبيرا من الناس، بل و عامة المسلمين، لم يكونوا قد بايعوا المأمون أصلا:

فأما أهل بغداد؛ فحالهم فى الخلاف عليه أشهر من أن يذكر، و قد قدمنا فى أول هذا الفصل عبارته فى رسالته، التى كان قد أرسلها للعباسيين فى بغداد ...

و أما أهل الكوفة- التى كانت دائما شيعة على و ولده- فلم يبايعوا له، بل بقوا على الخلاف عليه، إلى أن ذهب أخو الإمام الرضا (ع)!! العباس بن موسى، يدعوهم، فعدوا عنه، و لم يجبه إلا البعض منهم؛ و قالوا: «إن كنت تدعو للمأمون، ثم من بعده لأخيك؛ فلا حاجة لنا فى دعوتك، و إن كنت تدعو إلى أخيك، أو بعض أهل بيتك، أو إلى نفسك؛ أجنبناك...» (١).

و يلاحظ هنا: كيف قد اختير رجل علوى، و أخو الإمام الرضا (ع) بالذات؛ ليرسل إلى الكوفة، المعروفة بالتشيع للعلويين ... و يلاحظ أيضا:

أن رفضهم الاستجابة له، إنما كان لأجل أن الدعوة تتضمن الدعوة للمأمون العباسى.

و أما أهل المدينة، و مكة، و البصرة، و سائر المناطق الحساسة فى

(١) الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٩٠، و تجارب الامم ج ٦ المطبوع مع العيون و الحدائق ص ٤٣٩. و فى تاريخ الطبرى ج ١١ ص ١٠٢٠، طبع ليدن، و تاريخ ابن خلدون ج ٣ ص ٢٤٨: أنه قد أجابه قوم كثير منهم، و لكن قعد عنه الشيعة و آخرون ... لكن ظاهر حال الكوفة التى كانت دائما شيعة على و ولده هو أن المجيبين له كانوا قلة ... كما ذكر ابن الأثير.

الحياة السياسية للإمام (الرضا(ع))، مرتضى العالمى، ص: ١٨٩  
الدولة، فقد تقدم ما يدل على حقيقة موقفهم منه، و من نظام حكمه ...  
و قد كتب المأمون نفسه بخط يده، فى وثيقة العهد للإمام يقول:  
«... و دعا أمير المؤمنين ولده، و أهل بيته، و قواده، و خدمه؛ فبايعوا مسارعين ... إلى أن قال: فبايعوا معشر أهل بيت أمير المؤمنين، و من بالمدينة المحروسة، من قواده، و جنده، و عامه المسلمين لأمر المؤمنين، و للرضا من بعده، على بن موسى ...» و الوثيقة مذكورة فى أواخر هذا الكتاب.

فقله: «لأمر المؤمنين، و للرضا من بعده ...» يدل دلالة واضحة على أن عامه المسلمين ما كانوا قد بايعوا بعد: «لأمر المؤمنين»، فضلا عن: «أهل المدينة المحروسة ...».

و حتى لو أنهم كانوا قد بايعوا له؛ فان بيعتهم هذه، وجودها كعدمها؛ إذ أن عصيانهم، و تمردهم عليه، و على حكمه، لم يكن ليخفى على أحد ... بعد ما قدمناه من ثوراتهم تلك، التى كانت تظهر من كل جانب و مكان، و كان كلما قضى على واحدة منها تظهر أخرى داعية لما كانت تدعو إليه تلك، أى إلى: «الرضا من آل محمد»، أو إلى أحد العلويين، الذين يشاهد المأمون عن كتب قدرتهم، و قوتهم، و نفوذهم الذى كان يتزايد باستمرار يوما عن يوم ... و لم تستقم له فى الحقيقة سوى خراسان ...  
نعم بعد أن عاد إلى بغداد، و كان قد قوى أمره، و اتسع نفوذه، بدأ الناس يبايعونه فى الاقطار، و يتعللون بأن امتناعهم إنما كان ظاهريا، و أنهم كانوا فى السر معه، و على ولائه، على ما صرح به يعقوبى فى تاريخه ...

الحياة السياسية للإمام (الرضا(ع))، مرتضى العالمى، ص: ١٩٠

### المأمون يدرك حرجة الموقف:

تلك هى باختصار حالة الحكم العباسى بشكل عام، و حالة المأمون، و ظروفه فى الحكم بشكل خاص ... فى تلك الفترة من الزمن ... و قد اتضح لنا بجلاء: أن الوضع كان بالنسبة إلى المأمون، و نظام حكمه، قد ازداد سوءا، بعد وصول المأمون إلى الحكم، و تضاعفت الأخطار، التى كان يواجهها، و أصبح - هو و عرشه - فى مهب الريح، و تحت رحمة الأنواء ... و إذا كان ليس من الصعب علينا: أن نتصور مدى الخطر الذى كان يتهدد المأمون، و خلافته، و بالتالى مستقبل الخلافة العباسية بشكل عام ... فإنه من الطبيعى أن لا يكون من الصعب على المأمون أفعى الدهاء و السياسة أن يدرك - بعمق، إلى أى حد كان مركزه ضعيفا، و موقفه حرجا؛ حيث إنه هو الذى كان يعيش - أكثر من أى إنسان آخر - فى ذلك الخضم الزاخر بالمشاكل، و المتاعب، و الأخطار.

و خصوصا و هو يواجه الثورات، و بالأخص ثورات العلويين، أقوى خصوم الدولة العباسية، تظهر من كل جانب و مكان، و كل ناحية من نواحي مملكته ... كما أنه لم يكن ليصعب عليه أن يدرك أن الكثير من المشاكل التى يعانى منها إنما كان نتيجة السياسات الرعناء، التى انتهجها اسلافه، مع الناس عامة، و مع العلويين خاصة. و أن يدرك أن الاستمرار فى تلك السياسة. أو حتى مجرد الإهمال، و التوانى فى علاج الوضع، سوف يكون من ابسط نتائج أن تلقى خلافة العباسيين على ايدى العلويين نفس المصير الذى لقيه خلافة الامويين على ايدى أسلافه من قبل ...

**ما ذا يمكن للمأمون أن يفعل:**

و لكن ... و بعد أن نجح المأمون في الوصول إلى ما كان يتمناه، و هو الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: 191 الحكم و السلطان، و إذا كان لا يرضى به بنو أبيه، و لا العلويون، و لا العرب، و إذا كان حتى غير العرب، ضعفت ثقتهم به، و تزعزع مركزه في نفوسهم.

و أيضا ... إذا كانت ثورات العلويين، فضلا عن غيرهم ... تظهر من كل جانب و مكان ... و إذا كان الكثيرون، بل عامة المسلمين لم يبايعوا له بعد ... و هكذا إلى آخر ما تقدم ... فهل يمكن للمأمون أن يقف تجاه كل تلك العواصف، و الانواء التي تتهدده، و نظام حكمه، مكتوف اليدين؟!.

و ما ذا يمكن للمأمون بعد هذا أن يفعل، ليبقى محتفظا بالحكم و السلطان، الذي هو أعز ما في الوجود عليه؟! ... هذا- ما سوف نحاول الاجابة عليه في الفصل التالي.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: 192

**ظروف البيعة و أسبابها****إنقاذ الموقف!! كيف!؟**

قد قدمنا في الفصل السابق لمحة عن ظروف المأمون في الحكم، و أشرنا إلى أن الوضع كان يزداد سوءا يوما عن يوم ... و إلى أنه كان لا بد للمأمون من التحرك، و العمل بسرعة، شرط أن لا يزيد الفتق اتساعا، و الطين بلة ... و أن يستعمل كل ما لديه من حنكة و دهاء، في سبيل انقاذ نفسه، و نظام حكمه، و خلافة العباسيين بشكل عام ... و كان المأمون يدرك: أن إنقاذ الموقف يتوقف على:

1- إخماد ثورات العلويين، الذين كانوا يتمتعون بالاحترام و التقدير، و لهم نفوذ واسع في جميع الفئات و الطبقات ...  
2- أن يحصل من العلويين على اعتراف بشرعية خلافة العباسيين، و ليكون بذلك قد افقدهم سلاحا قويا، لن يقر له قرار، إلا إذا افقدهم إياه ...

3- استئصال هذا العطف، و ذلك التقدير و الاحترام، الذي كانوا يتمتعون به، و كان يزداد يوما عن يوم- استئصاله- من نفوس الناس نهائيا، و العمل على تشويهم أمام الرأي العام، بالطرق، و الأساليب

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: 193

التي لا تثير الكثير من الشكوك و الشبهات؛ حتى لا يقدرّون بعد ذلك على أي تحرك؛ و لا يجدون المؤيدين لأية دعوة لهم؛ و ليكون القضاء عليهم بعد ذلك نهائيا- سهلا و ميسورا ...

4- اكتساب ثقة العرب و محبتهم ...

5- استمرار تأييد الخراسانيين، و عامة الايرانيين له.

6- إرضاء العباسيين، و المتشيعين لهم، من أعداء العلويين.

7- تعزيز ثقة الناس بشخص المأمون، الذي كان لقتله أخاه أثر سيئ على سمعته، و ثقة الناس به ...

8- و أخيرا ... أن يأمن الخطر الذي كان يتهدده من تلك الشخصية الفذة، التي كانت تملأ جوانبه فرقا، و رعبا. و أن يتحاشى الصدام المسلح معها. ألا و هي شخصية الإمام الرضا(ع)، و أن يمهد الطريق للتخلص منها، و القضاء عليها، قضاء مبرما، و نهائيا ...

## لابد من الاعتماد على النفس:

و بعد هذا ... فإن من الواضح أن المأمون كان يعلم قبل كل أحد، أنه:  
 لم يكن يستطيع أن يستعين في مواجهة تلك المشاكل بالعباسيين، بنى أبيه، بعد أن كانوا ينقمون عليه، قتله أخاه، العزيز عليهم، و على العرب، و بعد موافقه، التي تقدم بيان جانب منها تجاههم ... و أيضا ...  
 بعد أن كانوا لا يثقون به، و لا يأمنون جانبه، بسبب موقفهم السابق منه ...  
 و الأهم من ذلك أنه لم يكن فيهم الرجال الكفاء، الذين يستطيع  
 الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ١٩٤  
 أن يعتمد عليهم «١». يدلنا على ذلك أنهم بعد أن ثاروا على المأمون، بسبب بيعته للرضا عليه السلام، لم يجدوا فيهم شخصا أعظم، و  
 أكفأ من ابن شكلة المغنى، فبايعوه، مع أنه من أصحاب المزامير و البرابط ...  
 و فيه يقول دعبل:

نعر ابن شكلة بالعراق و أهله فهفا إليه كل أطلس مائق  
 إن كان ابراهيم مضطلعا بها فلتصلحن من بعده لمخارق  
 و لتصلحن من بعد ذاك لزلزل و لتصلحن من بعده للمارق  
 أنى يكون، و ليس ذاك بكائن يرث الخلافة فاسق عن فاسق «٢» كما أنه عند ما أصبح ابراهيم هذا خليفة، قال بعض الأعراب، عند ما  
 جاء الخبر بأنه: لا مال عند الخليفة ليعطى الجند، الذين ألحوا فى طلب اعطياتهم، قال: «فليخرج الخليفة إلينا، فليغن لأهل هذا الجانب  
 ثلاثة أصوات، فتكون عطاءهم، و لأهل هذا الجانب مثلها ...»  
 فقال فى ذلك دعبل - شاعر المأمون - يذم ابراهيم بن المهدي:  
 يا معشر الاجناد لا تقنطواخذوا عطاياكم، و لا تسخطوا  
 فسوف يعطيكم حنينية لا تدخل الكيس، و لا تربط  
 و المعبديات لقوادكم و ما بها من أحد يغبط  
 فهكذا يرزق أصحابه خليفة مصحفه البربط «٣»

(١) و قد كان بينهم الكثيرون فى أول عهد الدولة العباسية ... و نقصد ب «الكفاءة» هنا:  
 الكفاءة الظاهرية، التي يقرها منطق الجبارين المتغترسين. لا الكفاءة الحقيقية التي يريد الله، و جاء بها محمد. و قد أشرنا إلى ذلك  
 من قبل.

(٢) وفيات الأعيان، طبع سنة ١٣١٠ هـ ج ١ ص ٨، و الورقة لابن الجراح ص ٢٢، و معاهد التنصيص ج ١ ص ٢٠٥، و الشعر و الشعراء  
 ص ٥٤١، و الكنى و الألقاب ج ١ ص ٣٣٠، و الأطلس: هو الرجل يرمى بالقبيح ...  
 (٣) معاهد التنصيص ج ١ ص ٢٠٥، ٢٠٦، و شرح ميمية أبى فراس ص ٢٨١، و البداية و النهاية ج ١٠ ص ٢٩٠، و البحار ج ٤٩ ص  
 ١٤٣، و الغدير ج ٢ ص

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ١٩٥  
 و إذا كان لا يستطيع أن يستعين بنى أبيه العباسيين، فبالأحرى أن لا يستطيع أن يستعين على حل مشاكله بالعلويين، و المتشيعين لهم،  
 بعد أن كانوا هم أساس البلاء و العناء له، و الذين يخلقون له أعظم المشاكل، و يضعون فى طريق حكمه أشق العقبات ...



و أما العرب: فهو أعرف الناس بحقيقته موقفهم منه ...

والخراسانيون: لا- يستطيع أن يعتمد على ثقتهم به طويلا، بعد أن كشف لهم عن حقيقته و واقعه الانانى البشع، بقتله أخاه، و إبعاده طاهرا بن الحسين، مشيد أركان حكمه، عن مسرح السياسة: «و لقد ذكره الرضا بذلك، عند ما استعرض معه حقيقة الوضع القائم آنذاك ...».

ثم هناك ما تعرضوا له من ظلم و حيف

### أى الاساليب أنجع:

و بعد ذلك ... فانه من الواضح أنه:

لم يكن لينقذ الموقف القسوة و العنف، و هو الذى يعانى المأمون من نتائج السيئة ما يعانى ...  
و لا المنطق و الحجاج، لأن العلويين - بناء على ما شاع عند الامة، بتشجيع من خلفائها، من أن السبب فى استحقاق الخلافة، هو القربى النسبية منه (ص)- إن العلويين بناء على هذا: أقوى حجة من العباسيين، لأنهم يمتلكون اعترافا صريحا منهم بأن المستحق للخلافة هو

٣٧٧، و الأغاني ج ١٨ ص ٤٨، و ص ١٠١ طبع دار الفكر، و الورقة لابن الجراح ص ٢٢، و نزهة الجليس ج ١ ص ٤٠٤، و عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٦٦.

والحنينيات: منسوبة إلى حنين النجفى العبادى، المغنى المشهور. و المعبديات:

منسوبة إلى معبد المغنى المشهور. و البربط: ملهأة، تشبه العود. و هو فارسى معرب. و أصله: بربت؛ لأن الضارب يضعه على صدره ... انتهى عن نزهة الجليس ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ١٩٦

الأقرب نسبا إلى النبى (ص) ...

هذا ... و إذا ما أراد العباسيون، أو غيرهم الاحتجاج بالأهلية و الجدارة لقيادة الامة، فان العلويين لا يدانيهم أحد فى ذلك، و ذلك لما كانوا يتمتعون به من الجدارة و الاهلية الذاتية لقيادة الامة قيادةً صالحةً و سليمةً ...

و أما النص فمن هو ذلك الذى يجراً على الاستدلال به، و هو يرى أنه كله فى صالح آل على، و أئمة أهل البيت منهم بالخصوص. و هكذا ... نرى و يرى المأمون: أنه لم يكن لينقذ الموقف أى من تلك الأساليب، و لا- غيرها من الطرق و الاساليب الملتوية، و اللاإنسانية، التى اتبعها أسلافه من قبل ...

و إذن ... فلا بد و أن يعود السؤال الأول لي طرح نفسه بكل جدياً.

و السؤال هو: ما ذا يمكن للمأمون إذن أن يفعل؟! و كيف يقوى من دعائم حكمه، الذى هو بالنسبة إليه كل شىء، و ليس قبله، و لا بعده شىء ... حتى لا يطمع فيه طامع، و لا تزعزعه العواصف، و لا تنال منه الأنواء، مهما كانت هو جاء و عاتية؟! ...

### خطة المأمون:

#### إشارة

و كان أن اتبع المأمون من أجل انقاذ موقفه، الذى عرفت أنه يتوقف على نقاط ثمانية ... و من أجل الاحتفاظ بالخلافة لنفسه، و أن تبقى فى بنى أبيه - كان أن اتبع - أسلوبا جديدا، و غريبا، لم يكن مألوفاً، و لا معروفاً من قبل ... و أحسب أنه لم يتوصل إليه إلا بعد

تفكير طويل، و تقييم عام و شامل للوضع الذى كان يعيشه، و المشاكل التى كان يواجهها ...  
لقد كانت خطته غريبة و فريدة من نوعها، و كانت فى غاية الاتقان، و الاحكام فى نظره ...  
الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ١٩٧  
فبينما نراه من جهة:

لا يذكر أحدا من الخلفاء، و لا غيرهم من الصحابة بسوء، بل هو يتخرج حتى من المساس بغير الصحابة، و حتى بأولئك الذين كان حالهم فى الخروج على الدين، و تعاليم الشريعة، معروفا و مشهورا «كالحجاج ابن يوسف»! و ذلك من أجل أن لا- يثير عواطف أولئك الذين يلتقى معهم فكريا و سياسيا، و مصلحيا. و الذين سوف يكونون له فى المستقبل الدرع الواقى، و الحصن الحصين ... فاستمع إليه يقول- كما يروى لنا التغلبى المعاصر له: «... و ظنوا أنه لا- يجوز تفضيل على إلا- بانتقاص غيره من السلف! و الله، ما أستجيز أن أنتقص الحجاج بن يوسف؛ فكيف بالسلف الطيب؟!» «١».

و كذلك نراه يركن إلى رأى يحيى بن أكثم، الذى قال له- عند ما أراد الاعلان بسبب معاوية على المنابر:- «و الرأى أن تدع الناس كلهم على ما هم عليه، و لا تظهر أنك تميل إلى فرقة من الفرق؛ فإن ذلك أصلح فى السياسة، و أحرى فى التدبير ...»، ثم يدخل عليه ثمامة؛ فيقول له المأمون: «يا ثمامة، قد علمت ما كنا دبرناه فى معاوية.  
و قد عارضنا رأى هو أصلح فى تدبير المملكة، و أبقى ذكرا فى العامة الخ ...» «٢».

و أيضا ... نرى شعره الذى يرويه لنا غير واحد:

أصبح دينى الذى أدين به و لست منه الغداة معتذرا  
حب على بعد النبى و لأشتم صديقا و لا عمرا

(١) عصر المأمون ج ١ ص ٣٦٩، نقلا عن: تاريخ بغداد، لابن طيفور ج ٦ ص ٧٥.

(٢) المحاسن و المساوى ص ١٤١، و ضحى الاسلام ج ٢ ص ٥٨، و ج ٣ ص ١٥٢، ١٥٦، و عصر المأمون ج ١ ص ٣٧١، و الموفقيات ص ٤١، و كتاب بغداد ص ٥٤.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ١٩٨ ثم ابن عفان فى الجنان مع الابرار ذاك القليل مصطبرا  
ألا و لا أشتم الزبير و لاطلحه إن قال قائل غدرا

و عائش الام لست أشتمها من يفترها فنحن منه برا «١» و نراه أيضا يتجسس على عبد الله بن طاهر؛ ليعلم: هل له ميل إلى آل أبى طالب أولا «٢».

و نراه يقدم على قتل الرضا (ع)، و إخوته، و آلاف من العلويين غيرهم، و يصدر أمرا لامرائه، و قواده بالقضاء عليهم، و فض جمعهم، بعد أن منعهم من ملاقاته، و من الدخول عليه كما سيأتى.

و نراه كذلك ... يرسل إلى عامله على مصر، يأمره بغسل المنابر، التى دعى عليها لعلوى (هو الإمام الرضا (ع)) ... إلى غير ذلك مما لا مجال لنا هنا لاستقصائه ...  
بينما نراه كذلك ...

### نراه من جهة ثانية

يقدم على الاعلان ببراءة الذمة ممن يذكر معاوية بن أبى سفيان بخير أى أنه أراد أن يجعل تفضيل على (ع)، و البراءة من معاوية دينا رسميا، يحمل الناس كلهم عليه، كما كان الحال بالنسبة لقضية خلق القرآن ...

و الاعلان بسب معاوية، و إن كان الاقدام عليه فى سنة ٢١٢ هـ.  
لكن تفضيله عليا، على جميع الخلق، و تقربه لولده، و إظهاره التشيع

(١) البداية و النهاية ج ١٠ ص ٢٧٧، و فوات الوفيات ج ١ ص ٢٤١، ما عدا البيت الرابع.  
(٢) الطبرى ج ١١ ص ١٠٩٤، طبع ليدن، و العقد الفريد للملك السعيد ص ٨٤، ٨٥.  
و تجارب الامم ج ٦ المطبوع مع العيون و الحدائق ص ٤٦١.  
الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ١٩٩  
و الحب لهم «١» إنما كان من أول أيامه ... يدلنا على ذلك أمور كثيرة، و يكفى هجاء ابن شكلة له، و هجاؤه لابن شكلة شاهدا على ذلك ...  
فضلا عن الكثير من الامور الاخرى غيره.  
ثم نراه بعد ذلك يبيح المتعة، و يصف الخليفة الثانى، عمر بن

(١) قال فى النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٢٠١، ٢٠٢، و مثله فى تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٣٠٨، و غيرهما: «أن المأمون كان يباليغ فى التشيع، و يقول: إن أفضل الخلق بعد النبى على بن أبى طالب. و أمر أن ينادى ببراءة الدمة ممن يذكر معاوية بخير، لكنه لم يتكلم فى الشيخين بسوء بل كان يترضى عنهما، و يعتقد إمامتهما...»  
و هذا بعينه هو مذهب معتزلة بغداد ابتداء من بشر بن المعتمر، و بشر بن غياث المريسى و غيرهما من معتزلة بغداد، حتى لقد قال بشر المريسى المعتزلى المعروف على ما فى البداية و النهاية ج ١٠ ص ٢٧٩:  
قد قال مأمونا و سيدنا قولاً له فى الكتب تصديق  
إن عليا أعنى أبا حسن خير من قد أقلت النوق  
بعد نبى الهدى، و إن لنا أعمالنا و القرآن مخلوق و صرح بأنه يذهب مذهب المعتزلة كثيرين، فليراجع: البداية و النهاية ج ١٠ ص ٢٧٥، و ضحى الاسلام ج ٣ ص ٢٩٥، و امبراطورية العرب ص ٦٠٠، و غيرهم، بل لقد قال خيرى حماد، فى تعليقه على ص ٦٠١ من امبراطورية العرب:

«أجمعت كتب التاريخ العربى على أن المأمون مال إلى الأخذ بمذهب المعتزلة، فقرب أتباع هذا المذهب إليه الخ...» و يدل على ذلك أيضا أقوال. و أشعار المأمون المتقدمة... و لعل وصف بعض المؤرخين له بالتشيع هو الذى أوهم البعض بأن المأمون كان يتشيع بالمعنى المعروف للتشيع، فجزم بذلك، و بدأ يحشد الدلائل، و الشواهد، التى لا تسمن، و لا تغنى من جوع، و قد غفل عن أنهم يقصدون بكلمة «التشيع» المعنى اللغوى، لا المعنى الخاص المعروف الآن...  
و بعد... فان من الواضح: أن عقيدة المأمون تلك، لم تكن تثمر على الصعيد العملى العام؛ فانه كان من السياسيين، الذين لا ينطلقون فى سلوكهم، و مواقفهم الخارجيه من منطلقات عقائديه، و مفاهيم انسانية... و انما يكون المنطلق لهم فى مواقفهم، و تصرفاتهم، هو- فقط- مصالحهم الشخصية، و ما له مساس فى استمرار فرض سلطتهم، و تأكيد سيطرتهم...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٢٠٠  
الخطاب ب «جعل» «١»، أو نحو ذلك ...

و نراه أيضا أنه عند ما سأل أصحابه عن: أنبل من يعلمون نبلا، و أعفهم عفة، فقال له على بن صالح: «أعرف القصة فى عمر بن الخطاب، فأشاح بوجهه، و أعرض، و ذكر كلاما ليس من جنس هذا الكتاب، فنذكره، الخ...» «٢» على حد تعبير البيهقى... و ذكر

طيفور: أن أبا عمر الخطابي دخل على المأمون؛ فتذاكروا عمر بن الخطاب فقال المأمون: إلا- أنه غضبنا، فقال له أبو عمر يا أمير المؤمنين، يكون الغضب الا بحق يد فهل كانت لكم يد، قال فسكت المأمون عنه، و احتملها له «٣».

و لكن اعتراض الخطابي اعتراض بارد و توجيه فاسد فهل الخلافة من الأموال؟ أم هي حق جعله الله لهم؟ و لا ندرى سر سكون المأمون عنه، و احتمالاه منه، إلا ما قدمناه ...

بل إن الأهم من ذلك كله ... أننا نراه يصف الخلفاء الثلاثة، و غيرهم من الصحابة بأنهم: «ملحدين»، ناسيا، أو متناسيا كل أقواله السابقة، و خصوصا شعره، و قوله: إنه يتحرج حتى من تنقص

(١) وفيات الأعيان ترجمة يحيى بن أكثم ج ٢/ ٢١٨ ط سنة ١٣١٠ هـ. و السيرة الحلبية ج ٣/ ٤٦ و النص و الاجتهاد ص ١٩٣، و في قاموس الرجال ج ٩/ ٣٩٧، نقلا- عن الخطيب في تاريخ بغداد: أنه كان يقول: «و من أنت يا أحول الخ ...»، و لا يخفى أنهم أرادوا تلطيف العبارة بقدر المستطاع؛ فحرفوها إلى ما ترى ...

هذا ... و قد يرى البعض: أن تفضيله عليا، و إعلانه بسبب معاوية، و إباحته المتعة، و قوله بخلق القرآن، ليس إلا لإشغال الناس بعضهم ببعض، و صرف الناس عن التفكير بالخلافة، التي هي أعز ما في الوجود عليه، و التي ضحى من أجلها بأخيه، و أشياعه، و وزرائه، و قواده ... و كذلك من أجل صرف الناس عن أهل البيت عليهم السلام، و ابعادهم عنهم ... و لعل هذا الرأي لا يعدم بعض الشواهد التاريخية، التي تؤيده، و تدعمه.

(٢) المحاسن و المساوى ص ١٥٠.

(٣) كتاب بغداد ص ٥١.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٢٠١

الحجاج، فكيف بالسلف الطيب، فاستمع إليه يقول، على ما يرويه لنا البيهقي، و الظاهر انها جواب على ابيات ابن شكلة لانها على نفس الروى، و الوزن، و الموضوع- يقول المأمون:

و من غاو يغص على غيظا إذا أدنيت أولاد الوصي

يحاول أن نور الله يطفى و نور الله في حصن أبي

فقلت: أليس قد أوتيت علما و بان لك الرشيد من الغوى

و عرفت احتجاجي بالمتاني و بالمعقول و الأثر الجلى «١»

بأية خلء، و بأى معنى تفضل «ملحدين» على «علّي»

على أعظم الثقلين حقاو أفضلهم سوى حق النبي «٢» بل و زاد على ذلك و ضرب العقيدة التي تقدم أن العباسيين قد اتوا بها لمقابلة العلويين و روجوا لها من أن الحق كان للعباس، و انه أجاز عليا، فصحت خلافته و ذلك بأن اظهر تقديم على على العباس فقد قال السندی بن شاهك للفضل بن الربيع يوما عن المأمون:

«سمعت اليوم قدم على بن أبي طالب على العباس بن عبد المطلب، و ما ظننت أنى أعيش حتى اسمع عباسيا يقول هذا، فقال الفضل له: تعجب من هذا؟ هذا و الله كان قول أبيه قبله» «٣». و لكن الظاهر:

أن أباه كان يكتفم ذلك حتى خفى على مثل السندی المقرب، لكن الآن قد اضطرت السياسة المأمون إلى الجهر بذلك، و إظهاره.

و هكذا ... فإن المأمون لم يكن يرى أن بين كل تصرفاته المتقدمة أى تناقض، أو منافاة، بل كانت كلها في نظره صحيحة، و منطقية؛ لأنها كانت في ظروف مختلفة، و كان لا بد له من مسايرة تلك

(١) القوى خ ل.

(٢) المحاسن و المساوى، طبع دار صادر ص ٦٨. و طبع مصر ج ١ / ١٠٥.

(٣) كتاب بغداد ص ٧.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٢٠٢

الظروف، و الانسجام معها، فلا- مانع عنده، من أن يقرب العلويين إليه، و يتظاهر باكرامهم، و تقديرهم ... فى يوم ... ثم منعهم من الدخول عليه، و اضطهادهم، و قتلهم بالسم تارة، و بالسيف أخرى فى يوم آخر ... و هكذا ...

### و أيضا ... لا بد من خطوة أخرى.

و لكن ذلك وحده لم يكن كافيا لإخماد ثورات العلويين، و لا لتحقيق كافة الأهداف، التى قدمنا، و سيأتى شطر منها ... فكانت خطوته التالية غريبة و مثيرة فى نفس الوقت، لكنها إذا ما أخذت الظروف آنذاك بنظر الاعتبار يتضح أنها كانت طبيعية للغاية. ألجأته إليها الظروف و الأحداث ... و تلك الخطوة هى:

«أخذ البيعة للإمام على الرضا عليه السلام بولاية العهد بعده ...»

و جعله أمير بنى هاشم طرا، عباسيهم، و طاليهم «١»، و ليس الخضره ...

### لم يبق إلا خيار واحد:

و من نافله القول هنا: أن نقول: إن ذلك يدل على فهم المأمون للداء؛ مما ساعده على معرفة الدواء، الذى تجرعه المأمون- رغم مرارته القاسية، التى لم تكن لتقاس أبدا بما سوف يعقبها من راحة و طمأنينة و هناء- تجرعه- بكل رضا، و رجولة، و شجاعة ... إن المأمون- على ما أعتقد- و إن كان قد ثقل عليه أمر البيعة لرجل غريب، و من أسرة هى أقوى و أخطر المنافسين للحكم العباسى فى

(١) غاية الاختصار ص ٦٨.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٢٠٣

تلك الفترة ... و لكن ما الحيلة له بعد أن لم يعد أمامه أى خيار فى ذلك ...

إلا- إذا أراد أن يتغابى أو يتعامى عن ذلك الواقع المزرى الذى وصلت إليه خلافته، التى أصبحت ظلا، لا يلبث أن تلتهمه أشعة الشمس المشرقة، فتحوله إلى سراب ...

ما الحيلة له ... بعد أن رأى أنه لن تنقاد له الرعية و القواد، و لن تستقيم له الامور إلا إذا أقدم على مثل تلك اللعبة الجريئة ...

و لقد صرح المأمون نفسه للريان، بعد أن أخبره الريان بأن الناس يقولون: بأن البيعة للإمام كانت من تدبير الفضل بن سهل- صرح بقوله: (... و يحك يا ريان، أ يجسر أحد أن يجيء إلى خليفة، قد استقامت له الرعية، و القواد. و استوت له الخلافة؛ فيقول له: ادفع الخلافة من يدك الى غيرك؟. أ يجوز هذا فى العقل؟! «١» ...).

### مع رسالة الفضل بن سهل للإمام:

و كاتب الامام، و ألح عليه، و كاتبه الفضل بن سهل أيضا ... و بما أن فى رسالة الفضل مواضع جديرة بالملاحظة؛ فقد أحببت أن أشير- باختصار- إلى بعض ما يمكن استخلاصه من هذه الرسالة ...

كما أنى أوردت نص هذه الرسالة بتمامه مع الوثائق الهامة فى أواخر هذا الكتاب؛ ليطلع القارئ عليها بنفسه، و يستخلص منها ما يراه مناسباً و ضرورياً ...

أما الملاحظات التى رأيت أن من الضرورى الإشارة إليها هنا؛ فتتلخص بما يلى:

(١) أعيان الشيعة ج ٤ قسم ٢ ص ١١٣، و البحار ج ٤٩ / ١٣٧، و عيون أخبار الرضا ج ٢ / ١٥١، و مسند الإمام الرضا ج ١ / ٧٥. الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٢٠٤.

### ملاحظات لا بد منها:

أول ما يطالعنا فى هذه الرسالة هو استعمال الفضل لكلمة: «الرضا»، التى تنص وثيقة العهد، و غيرها: على أن المأمون هو الذى جعلها لقباً للإمام (ع) - كما سيأتى - ... فإطلاق الفضل بن سهل لكلمة «الرضا» عليه (ع) يجعلنا نقول - إن لم نقل أنه كان لقباً مشهوراً و معروفاً له -: إن جعل المأمون هذا اللفظ لقباً رسمياً للإمام (ع) كان بوحى من ذى الرئاستين نفسه ... و إن كان يمكن أن يقال عكس ذلك تماماً: أى أن استعمال الفضل لهذه الكلمة كان بايحاء من المأمون و لا أقل من كونهما قد اتفقا على ذلك.

و ثانياً: إننا بينما نرى الرسالة تشتمل على تظمين الإمام (ع): بأن قضية ولاية العهد ليست لعبة من المأمون، و إنما هى من آثار سعى ذى الرئاستين، الأمر الذى لا داعى معه للخوف و الوجع على الإطلاق - بينما الرسالة تشتمل على ذلك - نراها تنص على أن قضية ولاية العهد أمر قد قضى بلىل. و على أن هناك تصميم من ذى الرئاستين و المأمون على امضاء هذا الأمر، و هذا يعنى: أن الممانعة و المقاومة لا تجدى و لا تفيد؛ و لذا فإن من الأفضل له (ع) أن يكف عن ذلك، و يتمتع عنه ...

و هذا ما أشار إليه الفضل بقوله: «... و ان كتابى هذا عن إزماع من أمير المؤمنين، عبد الله الإمام المأمون و منى الخ ...».

و ثالثاً: يلاحظ: أن الرسالة تتناسب فى صياغتها، و انتقاء جملها و ألفاظها مع ذوق الإمام (ع)، و مذهبه العقائدى، و مذهب شيعته. و تنسجم مع ما يدعيه هو، و يدعيه آباؤه، و كان قد اشتهر و شاع بين الناس: من أن الحق فى خلافة النبى (ص) لهم دون غيرهم، و أن الغير - أيا كانوا - ظالمون لهم، و معتدون عليهم فى هذا الحق ...

ثم يحاول الفضل أن يفهم الإمام: أنه و إن كان هو و المأمون

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٢٠٥.

قد صمما على توليته العهد، لكنه يقول له، لكن السر فى ذلك مختلف بينى و بين المأمون؛ فأنا أقول فيك: أنك ابن رسول الله، و أنك المهتدى، و المقتدى، و أرى أن ذلك إرجاع لحقك إليك، و ردّ لمظلمتك عليك.

أما المأمون: فهو يراك شريكاً فى أمره، و شقيقاً فى نسبه، و أولى الناس بما تحت يده.

فالفضل يحاول بهذا أن يتقرب من الإمام، و يكتسب محبته و ثقته ...

و لعل إظهار هذا الاختلاف، مما اتفق عليه كل من المأمون و الفضل ...

و هكذا كان السياسيون، و ما زالوا يتكلمون مع أندادهم باللغوة، التى يرون أنها توصلهم إلى أهدافهم، و تحقق لهم مآربهم.

و رابعاً: و أخيراً ... إنه بعد أن يطلب منه أن لا يضع الرسالة من يده، حتى يصير إلى باب المأمون!! ... نراه يضمن الرسالة إشارة واضحة:

إلى أن ذلك منه (ع) يوجب صلاح الأمة به ... و ما ذلك إلا لأنه كان يعلم، كما كان الكل يعلم: أنه إذا تأكد لدى الإمام (ع): أن صلاح الأمة متوقف على عمل ما من جهته؛ فإنه لا يتوانى، و لا يألو جهداً فى العمل بوظيفته، و القيام بواجبه ... هذا بالإضافة إلى أن فى ذلك إشارة للحالة العامة، التى وصفناها فى بعض فصول هذا الكتاب ...

## ملاحظات هامة:

## إشارة

هذا ... و قبل الخوض فى تفصيل أسباب البيعة، لا بد من ملاحظة:

## أ-:

إن من الطبيعى أن يثير تصرفه هذا حفيظة العباسيين، الذين ناصبوه العدا، و شجعوا أخاه الأمين عليه، و لسوف يزيد من حنقهم، و غضبهم: حتى إنهم رضوا بإبراهيم بن شكلة المغنى خليفة عليهم، عند ما سمعوا بهذا النبأ الذى كان له وقع الصاعقة عليهم ... كما أن من الطبيعى أن يثير دهشتهم، و يذهلهم ... بعد أن لم يكن الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٢٠٦ بينهم رجالات كفاء، يدركون الأعبى السياسة، و دهاء و مكر الرجال. و قد عبر عن دهشتهم هذه نفس الخليفة الذى اختاروه، و استعاضوا به عن المأمون ... فلقد قال ابن شكلة معاتباً للعباسيين: فلا جزيت بنو العباس خير اعلى رعى و لا اغتبطت برى أتونى مهطعين، و قد أتاهم بوار الدهر بالخبر الجلى و قد ذهل الحواضن عن بنيهاو صد التدى عن فم الصبى و حل عصابب الاملاك منهافشدت فى رقاب بنى على فضجت أن تشد على رءوس تطالبها بميراث النبى (١)»

## ب-:

و لكن دهشتهم و غضبهم لا قيمة لهما، فى جانب ذهاب الخلافة عنهم بالكلية، و سفك دمائهم ... و قد أوضح لهم ذلك فى رسالة منه إليهم، حيث قال: «... و أما ما كنت أردته من البيعة لعلى بن موسى، بعد استحقاق منه لها فى نفسه، فما كان ذلك منى إلا أن اكون الحاقن لدمائكم، و الذائد عنكم، باستدامة المودة بيننا و بينهم...». و الرسالة مذكورة فى أواخر هذا الكتاب. و قريب من ذلك ما جاء فى وثيقة العهد، مخاطباً «أهل بيت أمير المؤمنين» حيث قال لهم: «... راجين عائدتة فى ذلك (أى فى البيعة للرضا عليه السلام) فى جمع الفتكم، و حقن دمائكم، و لم شعثكم، و سد ثغوركم...» فليغضبوا إذن قليلا، فإنهم سوف يفرحون فى نهاية الأمر كثيرا، و ذلك عند ما يعرفون الاهداف الحقيقية، التى كانت تكمن وراء تلك اللعبة، و أنها لم تكن إلا من أجل الابقاء عليهم، و استمرار وجودهم

(١) التنبيه و الإشراف ص ٣٠٣. و الولاية و القضاء للكندى ص ١٦٨.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٢٠٧

فى الحكم، و القضاء على اخطر خصومهم، الذين لن يكون الصدام المسلح معهم فى صالحهم.

إنهم دون شك عند ما تؤتى تلك اللعبة ثمارها سوف يشكرونه، و يعترفون له بالجميل، و يعتبرون أنفسهم مدينين له مدى الحياة. و لسوف يذكرون دائما قوله لهم فى رسالته المشار إليها آنفا: «... فان تزعموا أنى أردت أن يؤول إليهم (يعنى للعلويين) عاقبة و منفعة،

فانى فى تدبيركم، و النظر لكم، و لعقبكم، و لابنائكم من بعدكم ...» ...

و مضمون هذه العبارة بعينه- تقريباً- قد جاء فى وثيقة العهد، حيث قال فيها، موجهها كلامه للعباسيين، رجاء أن يلتفتوا لما يرمى إليه من لعبته تلك ... فبعد أن طلب منهم بيعه منشرحه لها صدورهم- قال:- «... عالمين بما أراد أمير المؤمنين بها، و أثر طاعة الله، و النظر لنفسه، و لكم فيها، شاكرين الله على ما ألهم أمير المؤمنين، من قضاء حقه فى رعايتكم، و حرصه على رشدكم، و صلاحكم، راجين عائنته فى ذلك فى جمع ألفتكم، و حقن دمائكم إلخ. ما قدمناه ...».

لا شك أنه إذا غضب عليه العباسيون؛ فانه يقدر على ارضائهم فى المستقبل، «و قد حدث ذلك بالفعل»، عند ما يطلعهم على حقيقة نواياه، و مخططاته، و أهدافه، و لكنه إذا خسر مركزه، و خلافته، فانه لا يستطيع- فيما بعد- أن يستعيدها بسهولة، أو أن يعتاض عنها بشيء ذى بال ...

### ج:-

إن من الانصاف هنا أن نقول: إن اختيار المأمون للرضا (ع) و ليا للعهد، كان اختياراً موفقاً للغاية، كما سيتضح، و إنه لخير دليل على حنكته و دهائه السياسى، و إدراكه للأسباب الحقيقية للمشاكل التى كان يواجهها المأمون، و يعانى منها ما يعانى ...

### د:-

إن من الامور الجديرة بالملاحظة هنا هو أن اختيار المأمون

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٢٠٨

لولى عهده، الذى لم يقبل إلا بعد التهديد بالقتل ... كان ينطوى فى بادئ الرأى على مغامرة لا تنسجم مع ما هو معروف عن المأمون من الدهاء و السياسة؛ إذا ما أخذت مكانة الإمام (ع)، و نفوذه بنظر الاعتبار، سيما مع ملاحظة: أنه هو الذى كان يشكل أكبر مصدر للخطر على المأمون، و نظام حكمه؛ حيث إنه كان يحظى بالاحترام و التقدير، و التأييد الواسع فى مختلف الفئات و الطبقات فى الامة الاسلامية.

و لكننا إذا دققنا الملاحظة نجد أن المأمون لم يقدم على اختيار الإمام و ليا للعهد، إلا و هو على ثقة من استمرار الخلافة فى بنى أبيه؛ حيث كان الإمام (ع) يكبره ب «٢٢» سنة؛ و عليه فجعل ولاية العهد لرجل بينه، و بين الخليفة الفعلى هذا الفارق الكبير بالسن، لم يكن يشكل خطراً على الخلافة؛ إذ لم يكن من المعروف، و لا المألوف أن يعيش و لى العهد- و هو بهذه السن المتقدمة- لو فرض سلامته من الدسائس و المؤامرات!! ... إلى ما بعد الخليفة الفعلى، فإن ذلك من الامور التى يبعد احتمالها جدا ...

### ه:-

و لهذا ... و لأن ما أقدم عليه لم يكن منتظراً من مثله؛ و هو الذى قتل أخاه من أجل الخلافة و الملك، و لأنه من تلك السلالة المعادية لأهل البيت عليهم السلام ... احتاج المأمون إلى أن يثبت صدقه، و اخلاصه فيما أقدم عليه، و أن يقنع الناس بصفاء نيته، و سلامة طويته ... فأقدم لذلك ... على عدة أعمال:

فأولاً: أقدم على نزع السواد شعار العباسيين، و لبس الخضرة شعار العلويين و كان يقول: انه لباس أهل الجنة «١». حتى إذا ما انتهى دور هذه الظاهرة بوفاء الإمام الرضا (ع)، و تمكنه هو من دخول بغداد



(١) الإمام الرضا ولى عهد المأمون ص ٦٢ عن ابن الأثير.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٢٠٩

عاد إلى لبس السواد شعار العباسيين، بعد ثمانية أيام فقط من وصوله، على حد قول أكثر المؤرخين، وقيل: بل بقى ثلاثة أشهر ... نزع الخضرة رغم أن العباسيين، تابعوه، وأطاعوه فى لبسها، وجعلوا يحرقون كل ملبوس يروونه من السواد، على ما صرح به فى مآثر الإنافه، و البداية و النهاية، و غير ذلك ...

و ثانيا: و لنفس السبب «١» أيضا نراه قد ضرب النقود باسم الإمام الرضا (ع).

و ثالثا: أقدم للسبب نفسه على تزويج الإمام الرضا (ع) ابنته، رغم أنها كانت بمثابة حفيده له، حيث كان يكبرها الإمام (ع) بحوالى أربعين سنة. كما أنه زوج ابنته الاخرى للإمام الجواد (ع)، الذى كان لا يزال صغيرا، أى ابن سبع سنين «٢».

و من يدرى: فلعله كان يهدف من تزويجهما أيضا إلى أن يجعل عليهما رقابة داخلية. و أن يمهد السبيل، لكى تكون الأداة الفعالة، التى

(١) التربية الدينية ص ١٠٠.

(٢) راجع مروج الذهب ج ٣ / ٤٤١، و غيره من كتب التاريخ. و فى الطبرى ج ١١ / ١١٠٣، طبع ليدن، و البداية و النهاية ج ١٠ / ٢٦٩: أنه (ع) لم يدخل بها إلا فى سنة ٢١٥ للهجرة، و لكن يظهر من يعقوبى ج ٢ / ٤٥٤ ط صادر: أنه زوج الجواد ابنته بعد وصوله الى بغداد، و أمر له بألفى الف درهم، و قال: إنى أحببت أن أكون جدا لامرئ، ولده رسول الله، و على بن أبى طالب، فلم تلد منه انتهى. و هذا يدل على أنه قد بادر إلى تزويج الجواد بعد قتل أبيه الرضا (ع) ليبرئ نفسه من الاتهام بقتل الرضا (ع)؛ حيث إن الناس كانوا مقتنعين تقريبا بذلك و مطمئنين إليه، و سيأتى فى أواخر الكتاب البحث عن ظروف و ملابسات وفاته (ع).

و يلاحظ: أن كلمة المأمون هذه تشبه الى حد بعيد كلمة عمر بن الخطاب حينما أراد أن يبرر اصراره غير الطبيعى على الزواج بام كلثوم بنت على (ع)، حتى لقد استعمل اسلوبا غير مألوف فى التهديد و الوعيد من أجل الوصول إلى ما يريد ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٢١٠

يستعملها فى القضاء على الإمام (ع)، كما كان الحال بالنسبة لولده الإمام الجواد، الذى قتل بالسم الذى دسته إليه ابنة المأمون، بأمر من عمها المعتصم «١»؛ فيكون بذلك قد أصاب عدة عصافير بحجر واحد ...

كما يقولون ... و يجب أن نتذكر هنا: أن المأمون كان قد حاول أن يلعب نفس هذه اللعبة مع وزيره الفضل بن سهل؛ فألح عليه أن يزوجه ابنته فرفض، و كان رأى العام معه، فلم يستطع المأمون أن يفعل شيئا، كما سنشير إليه ... لكن الإمام (ع) لم يكن له إلى الرفض سبيل، و لم يكن يستطيع أن يصرح بمجبريته على مثل هكذا زواج؛ لأن رأى العام لا يقبل ذلك منه بسهولة ... بل ربما كان ذلك الرفض سببا فى تقليل ثقة الناس بالإمام، حيث يرون حينئذ أنه لا مبرر لشكوكه تلك، التى تجاوزت - بنظرهم حينئذ - كل الحدود المألوفة و المعروفة ...

و على كل حال: فإن كل الشواهد و الدلائل تشير إلى أن زواج الإمام من ابنة المأمون كان سياسيا، مفروضا إلى حد ما ... كما أننا لا نستبعد أن يكون زواج المأمون من بوران بنت الحسن بن سهل سياسيا أيضا، حيث أراد بذلك أن يوثق علاقاته مع الايرانيين، و يجعلهم يطمئنون إليه، خصوصا بعد عودته إلى بغداد، و تركه مروا، و ليبرئ نفسه من دم الفضل بن سهل، و يكتسب ثقة أخيه الحسن بن سهل، المعروف بثرائه و نفوذه ...

و رابعا: و للسبب نفسه أيضا كان يظهر الاحترام و التبجيل للإمام (ع) - و إن كان يضيق عليه فى الباطن «٢» - و كذلك كانت الحال بالنسبة لآكرامه

(١) ولعله قد استفاد ذلك من سلفه معاوية، و ما جرى له مع الإمام الحسن السبط عليه السلام.  
 (٢) وقد سبقه الى مثل ذلك سليمان عم الرشيد، عند ما أرسل غلمانه؛ فأخذوا جنازة الكاظم عليه السلام من غلمان الرشيد، و طردوهم. ثم نادوا عليه بذلك النداء المعروف، اللائق بشأنه؛ فمدحه الرشيد، و اعتذر إليه، و لام نفسه، حيث لم يأخذ في اعتباره ما يترتب

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ٢١١

للعلمين، حيث قد صرح هو نفسه بأن إكرامه لهم ما كان إلا سياسة منه و دهاء، و من أجل الوصول إلى أهداف سياسية معينة؛ فقد قال في رسالته للعباسيين، المذكورة في أواخر هذا الكتاب: «... و أما ما كنت أردته من البيعة لعلي بن موسى ... فما كان ذلك مني، إلا أن اكون الحاقن لدمائكم، و الذائد عنكم؛ باستدامة المودة بيننا و بينهم. و هي الطريق أسلكها في اكرام آل أبي طالب، و مواساتهم في الفىء، ييسر ما يصيبهم منه...».

و يذكرني قول المأمون: «و مواساتهم في الفىء إلخ...» بقول ابراهيم بن العباس الصولى - و هو كاتب القوم و عاملهم - في الرضا عند ما قر به المأمون:

يمن عليكم بأموالكم و تعطون من مائة واحدا

و-:

إن المأمون - و لا شك - كان يعلم: أن ذلك كله - حتى البيعة للإمام - لا يضره ما دام مصمما على التخلص من ولى عهده هذا بأساليبه الخاصة. بعد أن ينفذ ما تبقى من خطته الطويلة الأجل، للخط من الإمام قليلا قليلا، حتى يصوره للبيعة بصورة من لا يستحق لهذا الأمر - كما صرح هو نفسه «١»، و كما صرح بذلك أيضا عبد الله بن موسى في رسالته إلى المأمون، و التي سوف نوردها في أواخر هذا

على ما أقدم عليه من ردة فعل لدى الشيعة، و محبى أهل البيت عليهم السلام، و الذين قد لا يكون للرشيد القدرة على مواجهتهم. و تبعه أيضا المتوكل؛ حيث جاء بالإمام الهادى عليه السلام الى سامراء؛ فكان يكرمه في ظاهر الحال؛ و يبغى له الغوائل في باطن الأمر؛ فلم يقدره الله عليه ... على ما صرح به ابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة ص ٢٢٦، و المجلسى في البحار ج ٥٠ / ٢٠٣، و المفيد في الإرشاد ص ٣١٤.

(١) سنتكلم في القسم الرابع من هذا الكتاب، حول تصريحات المأمون، و خطته بنوع من التفصيل إن شاء الله تعالى ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ٢١٢

الكتاب إن شاء الله؛ حيث يقول له فيها: «... و كنت الطف حيلة منهم، بما استعملته من الرضا بنا، و التستر لمحنتنا، تختل واحدا فواحدا منا إلخ...» «١».

إلى غير ذلك من الشواهد و الدلائل، التي لا تكاد تخفى على أى باحث، أو متتبع ...

**أهداف المأمون من البيعة:**

**إشارة**

هذا ... و بعد كل الذى قدمناه، فاننا نستطيع فى نهاية المطاف: أن نجمل أهداف المأمون، و ما كان يتوخاه من أخذ البيعة للرضا (ع) بولاية العهد بعده ... على النحو التالى:

### الهدف الأول:

أن يأمن الخطر الذى كان يتهدهه من قبل تلك الشخصية الفذة، شخصية الامام الرضا (ع)، الذى كانت كتبه تنفذ فى المشرق و المغرب، و كان الأوضى فى الخاصة و العامة- باعتراف نفس المأمون-، حيث لا يعود باستطاعة الامام (ع) أن يدعو الناس الى الثورة و لا ان يأتى بأية حركة ضد الحكم، بعد أن أصبح هو ولى العهد فيه. و لسوف لا ينظر الناس إلى أية بادرة عدائية منه لنظام الحكم القائم إلا على أنها تكران للجميل، لا مبرر لها، و لا منطق يدعمها ...

و قد أشار المأمون إلى ذلك، عند ما صرح بأنه: خشى إن ترك الامام على حاله: أن يفتق عليه منه ما لا يسده، و يأتى منه عليه ما لا يطيقه

(١) مقاتل الطالبين ص ٦٢٩.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٢١٣  
فأراد أن يجعله ولى عهده ليكون دعاؤه له. كما سيأتى بيانه فى فصل:  
مع بعض خطط المأمون إن شاء الله تعالى ...

### الهدف الثانى:

أن يجعل هذه الشخصية تحت المراقبة الدقيقة، و الواعية من قرب، من الداخل و الخارج، و ليمهد الطريق من ثم إلى القضاء عليها بأساليبه الخاصة ... و قد أشرنا فيما سبق، إلى أننا لا نستبعد أن يكون من جملة ما كان يهدف إليه من وراء تزويجه الإمام بابنته، هو: أن يجعل عليه رقيباً داخلياً موثقاً عنده هو، و يطمئن إليه الإمام نفسه ...

و إذا ما لا- حظنا أيضاً، أن: «المأمون كان يدس الوصائف هدية ليطلعنه على أخبار من شاء «١» ...»، و أنه كان: «للمأمون على كل واحد صاحب خبر «٢» ...» ... فاننا نعرف السر فى إرساله بعض جواريه الى الإمام الرضا (ع) بعنوان: هدية ... و قد أرجعها الإمام (ع) إليه مع عدة أبيات من الشعر، عند ما رآها اشمازت من شبيه «٣».

و لم يكتف بذلك، بل وضع على الإمام (ع) عيوناً آخرين، يخبرونه بكل حركة من حركاته، و كل تصرف من تصرفاته ...

فقد كان: «هشام بن ابراهيم الراشدى من أخص الناس عند الرضا (ع)، و كانت امور الرضا تجرى من عنده، و على يده. و لكنه لما حمل إلى مرو اتصل هشام بن ابراهيم بنى الرناستين، و المأمون؛

(١) تاريخ التمدن الاسلامى ج ٥ جلد ٢ ص ٥٤٩، نقلا عن: العقد الفريد ج ١ / ١٤٨.

(٢) تاريخ التمدن الاسلامى ج ٤ جلد ٢ ص ٤٤١، نقلا عن: المسعودى ج ٢ / ٢٢٥، و طبقات الاطباء ج ١ / ١٧١.

(٣) البحار ج ١٦٤ / ٤٩، و عيون أخبار الرضا ج ٢ / ١٧٨.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٢١٤

فحظى بذلك عندهما. و كان لا يخفى عليهما شيئاً من أخباره؛ فولاه المأمون حجابة الرضا. و كان لا يصل إلى الرضا إلا من أحب، و

ضيق على الرضا؛ فكان من يقصده من مواليه، لا يصل إليه. و كان لا يتكلم الرضا في داره بشيء الا أورده هشام على المأمون، و ذى الرئاستين ...» (١)

و عن أبي الصلت: أن الرضا «كان يناظر العلماء، فيغلبهم، فكان الناس يقولون: و الله، إنه أولى بالخلافه من المأمون؛ فكان أهل الأخبار يرفعون ذلك إليه ...» (٢)

و أخيرا ... فإننا نلاحظ: أن جعفر بن محمد بن الأشعث، يطلب من الإمام (ع): أن يحرق كتبه إذا قرأها؛ مخافة أن تقع في يد غيره، و يقول الإمام (ع) مطمئنا له: «إني إذا قرأت كتبه إلى أحرقتها ...» (٣).

إلى غير ذلك من الدلائل و الشواهد الكثيرة، التي لا نرى أننا بحاجة إلى تتبعها و استقصائها ...

### الهدف الثالث:

أن يجعل الإمام (ع) قريبا منه؛ ليتمكن من عزله عن الحياة الاجتماعية، و ابعاده عن الناس، و ابعاد الناس عنه؛ حتى لا يؤثر عليهم بما يمتلكه من قوة الشخصية، و بما منحه الله إياه من العلم،

(١) البحار ج ٤٩ / ١٣٩، و مسند الإمام الرضا ج ١ / ٧٧، ٧٨، و عيون أخبار الرضا ج ٢ / ١٥٣.

(٢) شرح ميمية أبي فراس ص ٢٠٤، و البحار ج ٤٩ / ٢٩٠، و عيون أخبار الرضا ج ٢ / ٢٣٩.

(٣) كشف الغمة ج ٣ / ٩٢، و مسند الإمام الرضا ج ١ / ١٨٧، و عيون أخبار الرضا ج ٢ / ٢١٩.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ٢١٥

و العقل، و الحكمة. و يريد أن يحدّ من ذلك النفوذ له، الذي كان يتزايد باستمرار، سواء في خراسان، أو في غيرها ...

و أيضا ... أن لا يمارس الإمام أى نشاط لا يكون له هو دور رئيس فيه؛ و خصوصا بالنسبة لرجال الدولة؛ إذ قد يتمكن الإمام (ع) من قلوبهم؛ و من ثم من تدبير شيء ضد النظام القائم، دون أن يشعر أحد ...

و الأهم من ذلك كله: أنه كان يريد عزل الإمام (ع) عن شيعته، و مواليه، و قطع صلاتهم به، و ليقطع بذلك آمالهم، و يشتت شملهم، و يمنع الإمام من أن يصدر إليهم من أوامره، ما قد يكون له أثر كبير على مستقبل المأمون، و خلافته.

و بذلك يكون أيضا قد مهد الطريق للقضاء على الإمام (ع) نهائيا، و التخلص منه بالطريقة المناسبة، و في الوقت المناسب ...

و قد قال المأمون إنه: «يحتاج لأن يضع من الإمام قليلا قليلا، حتى يصوره أمام الرعية بصورة من لا يستحق لهذا الأمر. ثم يدبر فيه بما يحسم عنه مواد بلائه ...» كما سيأتى ...

و قد قرأنا آنفا أنه: «كان لا يصل إلى الرضا إلا من أحب (أى هشام بن إبراهيم)، و ضيق على الرضا؛ فكان من يقصده من مواليه، لا يصل إليه».

كما أن الرضا نفسه قد كتب في رسالته منه إلى أحمد بن محمد البنزطى، يقول: «و أما ما طلبت من الإذن على؛ فان الدخول إلى صعب، و هؤلاء قد ضيقوا على في ذلك الآن؛ فلست تقدر الآن، و سيكون إن شاء الله ...» (١).

(١) رجال المامقانى ج ١ / ٧٩، و عيون أخبار الرضا ج ٢ / ٢١٢.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ٢١٦

كما أننا نرى أنه عند ما وصل إلى القادسية، و هو فى طريقه إلى مرو، يقول لأحمد بن محمد بن أبى نصر: «أكثر لى حجرة لها بابان: باب إلى الخان، و باب إلى خارج؛ فانه استر عليك ...» (١).

ولعل ذلك هو السبب في طلبه من الإمام (ع)، و من رجاء بن أبي الضحاك: أن يمرا عن طريق البصرة، فالأهواز إلخ ... كما سيأتي: ولا نستبعد أيضا أن يكون عزل الإمام عن الناس، هو أحد أسباب إرجاع الإمام الرضا عن صلاة العيد مرتين «٢» ... و للسبب نفسه أيضا فرق عنه تلامذته، عند ما أخبر أنه يقوم بمهمة التدريس، و حتى لا يظهر علم الإمام، و فضله ... إلى آخر ما هنالك من صفحات تاريخ المأمون السوداء ...

## الهدف الرابع:

### إشارة

إن المأمون في نفس الوقت الذي يريد فيه أن يتخذ من الامام مجنا يتقى به سخط الناس على بنى العباس، و يحوط نفسه من نقمة الجمهور ...

يريد أيضا؛ أن يستغل عاطفة الناس و محبتهم لأهل البيت- و التي زادت

(١) بصائر الدرجات ص ٢٤٦، و مسند الإمام الرضا ج ١ / ١٥٥.

(٢) هذه القضية معروفة و مشهورة؛ فراجع: الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ٢٤٦، ٢٤٧، و مطالب السؤل، لمحمد بن طلحة الشافعي، طبعة حجرية ص ٨٥، و إثبات الوصية للمسعودي ص ٢٠٥، و معادن الحكمة ص، ١٨٠، ١٨١، و نور الأبصار ص ١٤٣، و شرح ميمية أبي فراس ص ١٦٥، و إعلام الوري ص ٣٢٢، ٣٢٣، و روضة الواعظين ج ١ / ٢٧١، ٢٧٢، و اصول الكافي ج ١ / ٤٨٩، ٤٩٠، و البحار ج ٤٩ / ١٣٥، ١٣٦، ١٧١، ١٧٢، و عيون أخبار الرضا، و ارشاد المفيد، و أعيان الشيعة، و كشف الغمة، و غير ذلك ... و لسوف يأتي في فصل: خطة الإمام، و غيره من الفصول، ما يتعلق بذلك إن شاء الله تعالى.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ٢١٧

و نمت بعد الحالة التي خلفتها الحرب بينه و بين أخيه- و يوظف ذلك في صالحه هو، و صالح الحكم العباسي بشكل عام ... أى أنه: كان يهدف من وراء لعبته تلك، و التي كان يحسب أنها سوف تكون رابحة جدا- إلى أن يحصل على قاعدة شعبية، واسعة، و قوية. حيث كان يعتقد و يقدر: أن نظام حكمه سوف ينال من التأييد، و القوة، و النفوذ، بمقدار ما كان لتلك الشخصية من التأييد، و النفوذ و القوة ... و إذا ما استطاع في نهاية الأمر أن يقضى عليها، فإنه يكون قد امن خطرا عظيما، كان يتهدهده من قبلها، بمقدار ما كان لها من العظمة و الخطر ...

إن المأمون قد اختار لولاية عهده رجلا يحظى بالاحترام و التقدير من جميع الفئات و الطبقات، و له من النفوذ، و الكلمة المسموعة، ما لم يكن لكل أحد سواه في ذلك الحين. بل لقد كان الكثيرون يرون: أن الخلافة حق له، و ينظرون الى الهيئة الحاكمة على أنها ظالمة له و غاصبة لذلك الحق:

يقول الدكتور الشيبى، و هو يتحدث عن الرضا (ع): «إن المأمون جعله ولى عهده، لمحاولة تألف قلوب الناس ضد قومه العباسيين، الذين حاربوه، و نصرخوا أخاه «١» ...».

و يقول: «... و قد كان الرضا من قوة الشخصية، و سمو المكانة:

أن التف حول المرء، و أهل الحديث، و الزيدية، ثم عادوا إلى مذاهبهم بعد موته «٢».

(١) الصلة بين التصوف و التشيع ص ٢٢٣، ٢٢٤ ... و نحن لا نوافق الدكتور الشيبى على أنه كان يريد التقوى بذلك على العباسيين، كما اتضح، و سيتضح إن شاء الله ...

(٢) المصدر السابق ص ٢١٤.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٢١٨

و كذلك هو يقول- و هو مهم فيما نحن بصدده-: «... إن الرضا لم يكن بعد توليته العهد إمام الشيعة وحدهم، و إنما مر بنا: أن الناس، حتى أهل السنة، و الزيدية، و سائر الطوائف الشيعية المتناحرة ... قد اجتمعت على إمامته، و اتباعه، و الالتفاف حوله ...» (١). و هذا كما ترى تصريح واضح منه بهدف المأمون، الذى نحن بصدده بيانه ...

و يقول محمد بن طلحة الشافعى مشيرا إلى ذلك، فى معرض حديثه عن الإمام الرضا (ع): «... نما إيمانه، و علا شأنه، و ارتفع مكانه، و كثر أعوانه، و ظهر برهانه، حتى أحله الخليفة المأمون محل مهجته، و أشركه فى مملكته ...» (٢).

و تقدم أنه (ع) كان- باعتراف المأمون- «الأرضى فى الخاصة، و العامة ...» و أن كتبه كانت تنفذ فى المشرق و المغرب، حتى إن البيعة له بولاية العهد، لم تزده فى النعمة شيئا ... و أنه كان له من قوة الشخصية ما دفع أحد أعدائه لأن يقول فى حقه للمأمون: «هذا الذى بجنبك و الله صنم يعبد دون الله» إلى آخر ما هنالك، مما قدمنا «غيضا من فيض منه».

كما و تقدم أيضا قول المأمون فى رسالته للعباسيين: «... و إن تزعموا:

أنى أردت أن يؤول إليهم عاقبة و منفعة (يعنى للعلويين)؛ فإننى فى تدبيركم، و النظر لكم، و لعقبكم، و أبنائكم من بعدكم ...»، و أيضا عبارته التى كتبها المأمون بخط يده فى وثيقة العهد؛ فلا نعيد ...

و هكذا ... فما على العباسيين إلا أن ينعموا بالا، و يقرروا عينا؛ فإن المأمون كان يدبر الأمر لصالحهم و من أجلهم ... و ليس كما يقوله

(١) المصدر السابق ص ٢٥٦.

(٢) مطالب السؤل ص ٨٤، ٨٥، و قريب منه ما فى: الاتحاف بحب الأشراف ص ٥٨.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٢١٩

الدكتور الشيبى، و غيره من أنه أراد أن يحصل على التأييد الواسع؛ ليقابل العباسيين، و يقف فى وجههم.

### إشارة هامة لا بد منها:

هذا ... و يحسن بنا أن نشير هنا: إلى ما قاله ابن المعتز فى الروافض.

و القاء نظرة فاحصة على السبب الذى جعلهم مستحقين لهذه الحملة الشعواء منه ... فهو يقول:

لقد قال الروافض فى على مقالا جامعا كفرا و موقا

زنادقة أرادت كسب مال من الجهال فاتخذته سوقا

و أشهد أنه منهم برى و كان بأن يقتلهم خليقا

كما كذبوا عليه و هو حى فأطعم ناره منهم فريقا

و كانوا بالرضا شغفوا زمانا و قد نفخوا به فى الناس بوقا

و قالوا: إنه رب قد يرفكم لصق السواد به لصوقا (١) و هذه الأبيات تعبر عن مدى صدمة ابن المعتز، و خيبة أمله فى الروافض، الذين

ضايقه جدا امتداد دعوتهم فى طول البلاد الاسلامية، و عرضها. و خصوصا فى زمن الرضا. و الذى لم يجد شيئا يستطيع أن يتنقص به

إمامهم الرضا (ع) سوى أنه كان اسود اللون؛ و أن الروافض قالوا: إنه رب قدير ... و سرّ حنقه هذا على الروافض ليس هو إلا عقيدتهم فى على (ع) - التى كان يراها خطرا حقيقيا على القضية العباسية - و التى تتلخص بأنه (ع): يستحق الخلافة بالنص. و هذه العقيدة و المقالة هى التى جعلتهم يستحقون من ابن المعتز أن يجمع لهم بين

(١) ديوان ابن المعتز ص ٣٠٠، ٣٠١، و الأدب فى ظل التشيع ص ٢٠٦.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٢٢٠

و صفى الكفر و الزندقة، و اتهمه لهم، بأنهم يقصدون بذلك كسب المال من الجهال. ثم يتهمهم بأنهم قد قالوا بنفس هذه المقالة فى على الرضا (ع)؛ فقالوا: إنه الإمام الثابت إمامته بالنص، و شهروا بذلك، حتى علم به عامة الناس، و نفخوا به فى الناس بوقا ... و حتى لقد التف حوله أهل الحديث، و الزيدية، بل و المرجئة، و أهل السنة، على حد تعبير الشيبى، و قالوا: بإمامة أبيه، ثم بإمامته .. و بديهى ... أن لا يرتاح ابن المعتز، الذى كان فى صميم الاسرة العباسية لهذا الامتداد للتشيع، و لمقالة الروافض، حيث إن ذلك يعنى أن الأئمة الذين هم بين الرضا، و على أمير المؤمنين عليهما السلام، كلهم تثبت إمامتهم بالنص ...

و لقد بلغ من حنقه عليهم، بسبب ذلك الامتداد الواسع لعقيدتهم - و خصوصا فى زمان الرضا - أن دفعه إلى أن يخلط عن عمد، أو عن غير عمد بين عقيدة الروافض هذه، و بين عقيدة الغلاة، حيث أضاف إلى مقالة الروافض تلك مقالة اخرى، هى: القول بالوهية على (ع).

و إذا كنا واثقين من أن الفرق الشاسع بين عقيدة الروافض، و عقيدة الغلاة، لم يكن ليخفى على مثل ابن المعتز، بل على من هو أقل منه بمراتب، فإننا سوف ندرك بما لا مجال معه للشك:

أنه يقصد بهذا الخلط المعتمد: التشيع على الروافض، و تهجين عقيدتهم، إذ أنه يقصد ب «الروافض» - حسبما هو صريح كلامه - خصوص القائلين بإمامة الرضا، و إمامة على أمير المؤمنين، و من بينهما. و هو يعلم و كل أحد يعلم: أنه ليس فيهم من يقول بالوهية أحدهما، أو ألوهيتهما، أو ألوهية غيرهما من أئمة أهل البيت عليهم السلام.

و أخيرا ... فإن قول و اعتراف ابن المعتز هذا - و هو من نعم -

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٢٢١

لخير دليل على مدى تحرر الشيعة فى زمن الرضا، و اتساع نفوذهم، و على أن شخصية الرضا (ع)، كانت قد استقطبت قطاعا واسعا، إن لم نقل: أنه القطاع الأكبر من الامة الاسلامية، فى طول البلاد و عرضها، فى تلك الفترة من الزمن، و قد تقدم بعض ما يدل على ذلك، فلا نعيد.

### الهدف الخامس:

هذا ... و نستطيع أن نقول أيضا: إنه كان يريد أن يقوى من دعائم حكمه، حيث قد أصبح الحكم يمتلك شخصية تعنو لها الجباه بالرضا و التسليم. و لقد كان الحكم بأمس الحاجة الى شخصية من هذا القبيل ...

فى مقابل أولئك المتزلفين القاصرين، الذين كانوا يتجمعون حول الحكم العباسى، طلبا للشهرة، و طمعا بالمال، و الذين لم يعد يخفى على أحد حالهم و مآلهم ... و على الأخص بعد أن رأى فشلهم فى صد حملات علماء الملل الاخرى، و الذين كانوا قد ضاعفوا نشاطاتهم، عند ما رأوا ضعف الدولة، و تمزقها، و تفرقها الى جماعات و أحزاب ...

نعم ... لقد كان الحكم يحتاج إلى العلماء الاكفاء، و الأحرار فى تفكيرهم، و فى نظرتهم الواعية للانسان و الحياة، و لم يعد بحاجة الى المتزلفين، و الجامدين، و الانهزاميين، و لهذا نراه يستبعد أصحاب الحديث الجامدين، الذين كان أكثرهم فى الجهة المناوئة له،

يشدون من أزرها، و يقيمون أودها ... و يقرب المعتزلة: كبشر المريسي، و أبى الهذيل العلاف و أضرابهما. و لكن الشخصية العلمية، التي لا- يشك أحد في تفوقها على جميع أهل الأرض علما و زهدا، و ورعا و فضلا الخ ... كانت منحصرة في الامام الرضا (ع)، باعتراف من نفس المأمون، كما قدمنا، و لهذا فقد كان الحكم يحتاج إليها أكثر من احتياجه لأي شخصية أخرى، مهما بلغت.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٢٢٢

### الهدف السادس:

و لعل من الأهمية بمكان بالنسبة إليه، أنه يكون في تلك الفترة المليئة بالقلقل و الثورات، قد أتى الامة بمفاجئة مثيره، من شأنها أن تصرف أنظار الناس عن حقيقة ما يجرى، و ما يحدث، و عن واقع المشاكل التي كان يعاني الحكم و الامة منها، و ما أكثرها ...

و قد عبر ابراهيم بن المهدي، عن دهشة بنى العباس في آياته المتقدمة ...

حتى لقد ذهل - على حدّ قوله - الحواضن عن بنيتها! و صد الثدى عن فم الصبي!! و بعد هذا ... فلسنا بحاجة إلى كبير عناء، لإدراك مدى دهشة غيرهم:

ممن رأوا و سمعوا بمعاملة العباسيين لأبناء عمهم. و لسوف ندرك مدى عظمة دهشتهم تلك إذا ما لا حظنا: أنهم كانوا سياسيا أقل وعيا و تجربة من مثل ابراهيم بن المهدي، الذي عاش في أحضان خلافة. كان بمرأى و مسمع من الأعيب السياسة، و مكر الرجال ...

### الهدف السابع:

#### إشارة

هذا ... طبعي بعد هذا: أنه قد أصبح يستطيع أن يدعى، بل لقد ادعى بالفعل - على ما في وثيقة العهد-: أن جميع تصرفاته، و أعماله، لم يكن يهدف من ورائها، إلا الخير للامة، و مصلحة المسلمين، و حتى قتله أخاه، لم يكن من أجل الحكم، و الرئاسة، بقدر ما كان من أجل خير المسلمين، و المصلحة العامة، يدل على ذلك: أنه عند ما رأى أن خير الامة، إنما هو في اخراج الخلافة من بنى العباس كليه، و هم الذين ضحوا الكثير في سبيلها، و قدموا من أجلها ما يعلمه كل أحد- عند ما رأى ذلك- و أن ذلك لا يكون إلا باخراجها إلى ألد أعدائهم،

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٢٢٣

سارع إلى ذلك، بكل رضى نفس، و طيبة خاطر ... و ليكون بذلك قد كفر عن جريمته النكراء، و التي كانت أحد أسباب زعزعة ثقة الناس به، ألا و هي: قتله أخاه الأمين، العزيز على العباسيين و العرب ...

و ليكون بذلك، قد ربط الامة بالخلافة، و كسب ثقتها فيها، و شد قلوب الناس، و أنظارهم إليها؛ حيث أصبح باستطاعتهم أن ينتظروا منها أن تقيم العدل، و ترفع الظلم، و أن تكون معهم، و في خدمتهم، و تعيش قضاياهم. و ليكون لها من ثم من المكانة و التقدير، ما يجعلها في منأى و مأمّن من كل من يتحينون بها الفرص، و ييغون لها الغوائل ...

و يدل على ذلك- عدا عما ورد في وثيقة العهد- ما ورد من أن المأمون كتب إلى عبد الجبار بن سعد المساحقى، عامله على المدينة: أن اخطب الناس، و ادعهم إلى بيعه الرضا؛ فقام خطيبا؛ فقال:

«يا أيها الناس، هذا الأمر الذى كنتم فيه ترغبون، و العدل الذى كنتم تنتظرون، و الخير الذى كنتم ترجون، هذا على بن موسى، بن جعفر، بن محمد، بن على؛ بن الحسين؛ بن على بن أبى طالب:



سته آباؤهم ما هم من أفضل من يشرب صوب الغمام «١» و قد أكد ذلك بحسن اختياره؛ إذ قد اختار هذه الشخصية، التي تمثل - في الحقيقة - أمل الأمة، و رجاءها، في حاضرها، و مستقبلها.

و تكون النتيجة - بعد ذلك - أنه يكون قد حصل على حماية لكل تصرف يقدم عليه في المستقبل، و كل عمل يقوم به ... مهما كان غريبا، و مهما كان غير معقول؛ فإن على الأمة أن تعتبره صحيحا و سليما،

(١) العقد الفريد ج ٣ / ٣٩٢، طبع مصطفى محمد بمصر سنة ١٩٣٥ و «ما» في البيت زائدة ... و لا يخفى ما في البيت، و قد أثبتناه، كما وجدناه.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٢٢٤  
لا بد منه، و لا غنى عنه، و إن لم تعرف ظروفه، و دوافعه الحقيقية.  
بل و حتى مع علمها بها؛ فان عليها أن تؤوّل ما يقبل التأويل، و إلا ...  
فإن عليها أن تدفن رأسها في التراب، و تتناسى ما تعلم ... أو أن تعتبر نفسها قاصرة عن إدراك المصالح الحقيقية الكامنة في تلك التصرفات الغريبة، و أن ما أدركته و لو كان حقا - لا واقع له، و لا حقيقة وراءه و يدل على ذلك بشكل واضح آيات ابن المعتز الآتية  
ص ٣٠٥ / ٣٠٦، يقول ابن المعتز:

و أعطاكم المأمون حق خلافة لنا حقها لكنه جاد بالدنيا  
ليعلمكم أن التي قد حرصتموا عليها و غودرتم على اثرها صرعى  
يسير عليه فقدها غير مكتر كما ينبغي للصالحين ذوى التقوى و على كل حال؛ فإنه يتفرع على ما ذكرناه:  
أولا: إنه بعد أن أقدم على ما أقدم عليه؛ فليس من المنطقي بعد للعرب أن يسخطوا عليه، بسبب معاملته أبيه، أو أخيه، و سائر أسلافه لهم؛ فإن المرء بما كسب هو، لا بما كسب أهله، و لا تزر وازرة وزر أخرى ...  
و كيف يجوز لهم أن يغضبوا بعد، و هو قد أرجع الخلافة إليهم، بل و إلى أعرق بيت فيهم. و عرفهم عملا: أنه لا يريد لهم، و لغيرهم، إلا الصلاح و الخير ...

و ليس لهم بعد حق في أن ينقموا عليه معاملته القاسية لهم، و لا - قتله أخاه، و لا أن يزعمهم، و يخيفهم تقريبه لليرانيين، و لا جعله مقر حكمه مروا إلى آخر ما هنالك ... ما دام أن الخلافة قد عادت إليهم، على حسب ما يشتهون، و على وفق ما يريدون ...  
و من هنا ... فلا يجب أن نعجب كثيرا؛ حين نراهم: قد تلقوا بيعه الرضا بنفوس طيبة، و قلوب رضية ... حتى أهل بغداد نرى أنهم قد قبلوها إلى حد كبير؛ فقد نص المؤرخون - و منهم الطبرى و ابن مسكويه - على أن بعضهم وافق، و البعض الآخر - و هم أنصار بنى الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٢٢٥

العباس - رفض. و هذا يدل دلالة واضحة: على أن بغداد، معقل العباسيين الأول، كانت تتعاطف مع العلويين إلى درجة كبيرة ...  
بل و نص المؤرخون، على أن: ابراهيم بن المهدي، المعروف بابن شكله، الذى بوع له فى بغداد غضبا من تولية الرضا للعهد: لم يستطع أن يسيطر إلا على بغداد، و الكوفة و السواد «١»، بل و حتى الكوفة قد استمرت الحرب قائمة فيها على ساق و قدم أشهر عديدة بين أنصار المأمون، و عليهم الخضر، و أنصار العباسيين و عليهم السواد «٢».

و ثانيا: و أما الايرانيون عامة، و الخراسانيون خاصة، و المعروفون بتشيعهم للعلويين؛ فقد ضمن المأمون استمرار تأييدهم له، و ثقتهم به؛ بعد أن حقق لهم غاية أمانهم، و أغلى أحلامهم، و أثبت لهم عملا حبه لمن يحبون، و ودّه لمن يودون ... و أن لا - ميزة عنده لعباسى على غيره، و لا لعربى على غيره، و أن الذى يسعى إليه، هو - فقط خير الأمة، و مصلحتها؛ بجميع فئاتها، و مختلف طبقاتها، و أجناسها ...

**ملاحظة هامة:**

إن من الجدير بالملاحظة هنا: أن الرضا (ع) كان قد قدم إلى إيران قبل ذلك. و الظاهر أنه قدمها في حدود سنة ١٩٣ هـ، أي في الوقت المناسب لوفاء الرشيد؛ فقد ذكر الرضى المعاصر للمجلسي في كتابه: ضيافة الإخوان: أن عليا الرضا (ع) كان مستخفيا في قزوين في دار داود بن سليمان الغازي أبي عبد الله، و لداود نسخة يرويها عن الرضا (ع)، و أهل قزوين يروونها عن داود، كاسحاق بن محمد، و علي بن مهرويه (٣).

(١) راجع البداية و النهاية ج ١٠ / ٢٤٨، و غيره من كتب التاريخ. و زاد أحمد شلبي في كتابه: التاريخ الإسلامى و الحضارة الإسلامية ج ٣ / ١٠٥ - زاد على ذلك: المدائن أيضا.

(٢) راجع: الكامل لابن الأثير ج ٥ / ١٩٠، و البداية و النهاية ج ١٠ / ٢٤٨، و غير ذلك.

(٣) راجع كتاب: ضيافة الاخوان مخطوط في مكتبة المدرسة الفيضية في قم، في ترجمة أبي عبد الله القزوينى، و علي بن مهرويه القزوينى.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٢٢٦

و قال الرافعى فى التدوين: «و قد اشتهر اجتياز على بن موسى الرضا بقزوين. و يقال: إنه كان مستخفيا فى دار داوود بن سليمان الغازى، روى عنه النسخة المعروفة، و روى عنه اسحاق بن محمد، و على بن مهرويه، و غيرهما.

قال الخليل: و ابنه المدفون فى مقبرة قزوين، يقال: إنه كان ابن سنتين، أو أصغر...» (١) انتهى كلام الرافعى.

و المراد بالخليل فى كلامه، هو الخليل بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم الخليلى، القزوينى، و هو الحافظ المشهور، مصنف كتاب الارشاد، و كتاب تاريخ قزوين، الذى فرغ من تأليفه حوالى سنة أربعمائة هجرية، و كانت وفاته سنة ٤٤٦ هـ.

**الهدف الثامن:****إشارة**

لقد كان من نتائج اختياره الإمام، و البيعة له بولاية العهد- التى كان يتوقعها-: أن أحمد ثورات العلويين فى جميع الولايات و الامصار. و لعله لم تقم أية ثورة علوية ضد المأمون- بعد البيعة للرضا، سوى ثورة عبد الرحمن بن أحمد فى اليمن. و كان سببها- باتفاق المؤرخين- هو فقط: ظلم الولاة و جورهم، و قد رجع إلى الطاعة بمجرد الوعد بتلبية مطالبه ... بل لا بد لنا أن نضيف الى ذلك:

**أ-:**

إنه ليس فقط أحمد ثوراتهم ... بل لقد حصل على ثقة

(١) التدوين قسم ٢ ورقة ٢٣٥ مخطوط فى مكتبة (دفتر تبليغات اسلامى) فى قم، فى ترجمة على الرضا ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٢٢٧

الكثيرين منهم، و من والاهم، و شايعهم، و الخراسانيون منهم، و يشير المأمون إلى هذا المعنى فى رسالته، التى أرسلها إلى عبد الله بن موسى؛ حيث يقول:

«... ما ظننت أحدا من آل أبى طالب يخافنى؛ بعد ما عملته بالرضا» و الرسالة المذكورة فى أواخر هذا الكتاب ... كما أنه كتب للعباسيين فى بغداد فى رسالته، التى أشرنا إليها غير مرة، يقول لهم:

إنه يريد بذلك أن يحقن دماءهم، و يذود عنهم؛ باستدامة المودة بينهم، و بين العلويين ...

**ب:**

بل و نزيد هنا على ما تقدم: أنه قد بايعه منهم و من أشياعهم من لم يكن بعد قد بايعه، و هم قسم كبير جدا، بل لقد بايعه أكثر المسلمين، و دانوا له بالطاعة، بعد أن كانوا مخالفين له ممتنعين عن بيعته، حسبما قدمناه ... و هذه دون شك هى إحدى امنيات المأمون، بل هى أجل امنياته و أغلاها.

**ج:**

قال ابن القفطى فى معرض حديثه عن عبد الله بن سهل ابن نوبخت:

«... هذا منجم مأمونى، كبير القدر فى صناعته، يعلم المأمون قدره فى ذلك. و كان لا يقدم إلا عالما مشهودا له، بعد الاختبار ... و كان المأمون قد رأى آل أمير المؤمنين، على بن أبى طالب متخشدين، متخفين، من خوف المنصور، و من جاء بعده من بنى العباس. و رأى العوام قد خفيت عنهم أمورهم بالاختفاء؛ فظنوا ما يظنونه بالانبياء، و يتفوهون بما يخرجهم عن الشريعة، من التغالى ... فأراد معاقبة العامة على هذا الفعل ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٢٢٨

ثم فكر: أنه إذا فعل هذا بالعوام زادهم إغراء به؛ فنظر نظرا دقيقا، و قال: لو ظهروا للناس، و رأوا فسق الفاسق منهم، و ظلم الظالم، لسقطوا من أعينهم، و لا نقلب شكرهم لهم ذما ...

ثم قال: إذا أمرناهم بالظهور خافوا، و استتروا، و ظنوا بنا سوءا، و إنما رأى: أن نقدم أحدهم، و يظهر لهم إماما، فإذا رأوا هذا أنسوا، و ظهروا، و أظهروا ما عندهم من الحركات الموجودة فى الآدميين؛ فيحقق للعوام حالهم، و ما هم عليه، مما خفى بالاختفاء؛ فإذا تحقق ذلك أزلت من أقمته، و رددت الأمر إلى حالته الاولى ...

و قوى هذا رأى عنده، و كتتم باطنه عن خواصه ... و أظهر للفضل ابن سهل: أنه يريد أن يقيم إماما من آل أمير المؤمنين على صلوات الله عليه.

و فكر هو و هو، فيمن يصلح، فوقع إجماعهما على الرضا؛ فأخذ الفضل بن سهل فى تقرير ذلك، و ترتيبه و هو لا يعلم باطن الأمر.

و أخذ فى اختيار وقت لبيعة الرضا؛ فاختار طالع السرطان، و فيه المشتري الخ» «١».

ثم ذكر أن عبد الله بن سهل أراد اختيار المأمون؛ فأخبره أن البيعة لا تتم إذا وقعت فى ذلك الوقت؛ فهدده المأمون بالقتل إن لم تقع البيعة فى ذلك الوقت بالذات، لأنه سوف يعتبر أنه هو الذى أفسد عليه ما كان دبره الخ ...

و ابن القفطى هنا، لا يبدو أنه يعتبر الإمام الرضا(ع) من أولئك الذين يريد المأمون إظهار تفاهاتهم للناس، و لكنه يوجه نظره إلى

بقية

(١) تاريخ الحكماء ص ٢٢١، ٢٢٢.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٢٢٩

العلويين فى ذلك ... ونحن إن كنا لا نستبعد من المأمون ما ذكره ابن القفطى هنا لكننا لا نستطيع أن نعتبر أن هذا كان من الأسباب الرئيسية لدى المأمون، إذ لا نعتقد أن المأمون كان من السذاجة بحيث يجهل أن بقية العلويين لم يكونوا- إجمالاً- على الحال التى كان يريد أن يظهرهم عليها للناس، وأنهم كانوا أكثر تدينا و التزاما من أى فئة أخرى على الإطلاق ... هذا ... و لسوف نرى أن أحمد أمين المصرى يأخذ برأى ابن القفطى هذا. لكنه ينظر فيه إلى خصوص أئمة أهل البيت (ع)، كما سيأتى بيانه، و بيان مدى خطله و فساده فى الفصل التالى. و فيه دلالة على أن الفضل كان مخدوعا، و على أن المأمون لم يكن مخلصا فيما أقدم عليه ...

-:-

إنه لا بد لنا من الإشارة هنا إلى أن أكثر ثورات العلويين، التى قامت ضد المأمون- قبل البيعة للرضا (ع) طبعاً- كانت من بنى الحسن، و بالتحديد من أولئك الذين يتخذون نحلة الزيدية؛ فأراد المأمون أن يقف فى وجههم، و يقضى عليهم، و على نحلتهم تلك نهائياً، و إلى الأبد؛ فأقدم على ما أقدم عليه من البيعة للرضا (ع) بولاية العهد ... هذا ... و قد كانت نحلة الزيدية هذه- شائعة فى تلك الفترة، و كانت تزداد قوة يوماً عن يوم، و كان للقائمين بها نفوذ واسع، و كلمة مسموعة، حتى إن المهدي قد استوزر يعقوب بن داود، و هو زيدى، و آخاه، و فوضه جميع امور الخلافة «١». و على حد تعبير الشبراوى: «... فولاه الوزارة، و صارت الأوامر كلها بيديه؛ و استقل يعقوب حتى حسده جميع أقرانه ...» «٢».

(١) البداية و النهاية ج ١٠ / ١٤٧، و غيره من كتب التاريخ؛ فراجع فصل: مصدر الخطر على العباسيين.

(٢) الاتحاف بحب الأشراف ص ١١٢.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٢٣٠

بل كان «لا ينفذ للمهدى كتاب إلى عامل؛ فيجوز، حتى يكتب يعقوب إلى أمينه و ثقته بانفاذه ...» «١».

و قد بلغ من نفوذ يعقوب هذا ... أن قال فيه بشار بن برد أبياته المشهورة، التى قدمناها، و التى يقول فيها: «إن الخليفة يعقوب ابن داود».

و قد سعى بيعقوب هذا إلى المهدي؛ و قيل له: «... إن الشرق و الغرب فى يد يعقوب، و أصحابه؛ و إنما يكفيه أن يكتب إليهم؛ فيثوروا فى يوم واحد؛ فيأخذوا الدنيا ...» «٢».

و ذلك لأنه قد: «أرسل يعقوب هذا إلى الزيدية، و أتى بهم من كل أوب، و ولاهم من امور الخلافة فى المشرق و المغرب كل جليل، و عمل نفيس، و الدنيا كلها فى يديه ...» «٣».

و إذا ما عرفنا أن معاونى يعقوب إنما كانوا هم: متفقه الكوفة، و البصرة، و أهل الشام «٤» ... فإننا نعرف أن الاتجاه الزيدى سوف يؤثر كثيراً، و كثيراً جداً على الثقافة العامة، و الاتجاهات الفكرية فى ذلك العصر- كما حدث ذلك فعلاً ... حتى لقد صرح ابن النديم بأن:

«أكثر علماء المحدثين إلا قليلا منهم، و كذلك قوم من الفقهاء، مثل: سفيان الثوري، و سفيان بن عيينة كانوا من الشيعة الزيدية...» (٥).  
و قد صرح المؤرخون أيضا: بأن أصحاب الحديث جميعهم، قد

(١) الطبري ج ١٠ / ٤٨٦، و الكامل لابن الأثير ج ٥ / ٦٠، و مرآة الجنان ج ١ / ٤١٨.

(٢) الكامل لابن الأثير ج ٥ / ٦٦، ٦٧.

(٣) الطبري ج ١٠ / ٥٠٨، طبع ليدن، و الوزراء و الكتاب للجهمشيارى ص ١٥٨، و الكامل لابن الأثير ج ٥ / ٦٦.

(٤) الطبري، طبع ليدن ج ١٠ / ٤٨٦.

(٥) الفهرست لابن النديم ص ٢٥٣.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٢٣١

خرجوا مع ابراهيم بن عبد الله بن الحسن، أو أفتوا بالخروج معه «١».

و على كل حال ... فإن ما يهمنا بيانه هنا: هو أن المأمون كان يريد

(١) مقاتل الطالبين ص ٣٧٧، و غيرها من الصفحات، و غيرها من الكتب ... و يرى بعض أهل التحقيق: أن المقصود هو جميع أصحاب الحديث فى الكوفة ... و لكن الظاهر أن المراد: الجميع مطلقا، كما يظهر من مراجعة مقاتل الطالبين و غيره ... و الأمر الذى تجدر الإشارة إليه هنا: هو أن فرقة من الزيدية، و فرقة من أصحاب الحديث، قد قالوا بالإمامة على النحو الذى يقول به الشيعة الإمامية، عند ما جعل المأمون «الرضا عليه السلام» وليا لعهدده. لكنهم بعد وفاة الرضا عليه السلام رجعوا عن ذلك: قال النوبختى فى فرق الشيعة ص ٨٦:

«... و فرقة منهم تسمى «المحدثة» كانوا من أهل الارحاء، و أصحاب الحديث، فدخلوا فى القول بامامة موسى بن جعفر، و بعده بامامة على بن موسى، و صاروا شيعة؛ رغبة فى الدنيا و تصنعا. فلما توفى على بن موسى عليه السلام رجعوا إلى ما كانوا عليه ... و فرقة كانت من الزيدية الأقوياء، و البصراء، فدخلوا فى إمامة على بن موسى (ع)، عند ما أظهر المأمون فضله، و عقد بيعته؛ تصنعا للدنيا، و استكانوا الناس بذلك دهرا.

فلما توفى على بن موسى (ع) رجعوا إلى قومهم من الزيدية ...» و قد تقدم قول الشيبى: إنه قد التف حول الرضا (ع) «المرجئة، و أهل الحديث، و الزيدية، ثم عادوا إلى مذاهبهم بعد موته ...» و غير ذلك ... و الذى نريد أن نقوله هنا هو: أن «الارحاء دين الملوك»، على حد تعبير المأمون (على ما نقله عنه فى ضحى الاسلام ج ٣ / ٣٢٦)، نقلا عن طيفور فى تاريخ بغداد ...

و فى البداية و النهاية ج ١٠ / ٢٧٦: أن المأمون قال للنضر بن شميل: ما الارحاء؟

قال: «دين يوافق الملوك، يصيبون به من دنياهم، و ينقصون به من دينهم» قال:

صدقت الخ ... و ليراجع كتاب بغداد ص ٥١.

و عمدة القول بالارحاء (القديم) هو: المغلاة فى الشيخين، و التوقف فى الصهرين؛ فالارحاء و التشيع، و خصوصا القول بامامة موسى بن جعفر، و ولده على الرضا على طرفى نقيض و من هنا كانت المساجلة الشعرية بين المأمون المظهر لحب على و ولده، و ابن شكلة المرجى، يقول المأمون معرضا بآبن شكلة:

إذا المرجى سر ك أن تراه يموت لحينه من قبل موته

فجدد عنده ذكرى على وصل على النبي وآل بيته  
الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٢٣٢

أما ابن شكله فيقول معرضا بالمؤمن:

إذا الشيعى جميعم فى مقال فسررك أن ييوح بذات نفسه

فصل على النبي و صاحبيه وزيريه و جاريه برمسه راجع: مروج الذهب ج ٣ / ٤١٧، و الكنى و الألقاب ج ١ / ٣٣١.

و بعد هذا ... فانه لمن غرائب الامور حقا، الانتقال دفعة واحدة من القول بالارجاء إلى التشيع، بل الى الرفض (و هو الغلو فى التشيع حسب مصطلحهم، و الذى يتمثل بالقول بامامة الأئمة الاثنى عشر عليهم السلام). و أغرب من ذلك العودة إلى الارجاء بعد موت على الرضا عليه السلام ...

و هذا ان دل على شىء؛ فانما يدل على مدى تأثير السياسة و المال فى هؤلاء الذين أخذوا على عاتقهم - بادعائهم - مسئولية الحفاظ على الدين و الذود عن العقيدة؛ فانهم كانوا فى غاية الانحطاط الدينى، يتلونون - طمعا بالمال و الشهرة - ألوانا؛ حتى إن ذلك يحملهم على القول بعقيدة، ثم القول بصددها، ثم الرجوع الى المقالة الاولى، إذا رأوا أن الحاكم يرغب فى ذلك، و يميل إليه، و لهذا سموا ب «الحشوية» يعنى: أتباع و حشو الملوك، و أذنان كل من غلب، و يقال لهم أيضا (و هم فى الحقيقة أهل الحديث): «الحشوية، و النابتة، و الغطاء، و الغثر ...» على ما فى كتاب: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص ٨٠.

و راجع أيضا فرق الشيعة، و رسالة الجاحظ فى بنى أمية، و غير ذلك ...

بل لقد أطلق عليهم المؤمن نفسه لفظ «الحشوية» فى مناقشته المشهورة للفقهاء و العلماء المذكورة فى العقد الفريد و البحار، و عيون أخبار الرضا و غير ذلك ...

و قال عنهم الزمخشري فى مقام استعراضه للمذاهب و النحل، و معتنقها:

و إن قلت من أهل الحديث و حزبه يقولون تيس ليس يدري و يفهم و يقابل كلمة «الحشوية» كلمة «الرافضة» التى شاع اطلاقها على الشيعة الإمامية.

و معناها فى الأصل: جند تركوا قائدهم؛ فحيث إن الشيعة لم يكونوا قائلين بامامة أولئك المتغلبين، سموهم ب «الرافضة»؛ و لذا جاء فى تاريخ يعقوبى ج ٢ ص ١٦١:

أن معاوية كتب إلى عمرو بن العاص:

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٢٣٣

«أما بعد ... فانه قد كان من أمر على و طلحة و الزبير ما قد بلغك؛ فقد سقط إلينا مروان فى رافضة أهل البصرة الخ ...». و مثل ذلك ما فى وقعة صفين لنصر بن مزاحم ص ٣٤. فالمراد بكلمة رافضة هنا هو ذلك المعنى اللغوى الذى أشرنا إليه؛ فسمى الشيعة بالرافضة؛ لأنهم - كما قلنا - رفضوا الانقياد لأولئك الحكام المتغلبين ...

يقول السيد الحميرى على ما جاء فى ديوانه و غيره - يهجو بعض من اتهمه بالرفض ليقته المنصور:

أبوك ابن سارق عنز النبي و أمك بنت أبى جحدر

و نحن على رغمك الراضون لأهل الضلالة و المنكر و لكن قد جاء فى الطبرى، مطبعة الاستقامة ج ٦ ص ٤٩٨، و البداية و النهاية ج ٩ ص ٣٣٠، و مقدمة ابن خلدون ص ١٩٨، و مقالات الاسلاميين ج ١ ص ١٣٠، و غاية الاختصار ص ١٣٤: أن سبب تسمية الشيعة ب «الرافضة» هو أنهم عند ما تركوا نصره زيد بن على فى سنة ١٢٢ هـ. قال لهم زيد: رفضتمونى، رفضكم الله. و هذا كذب راج على

بعض الشيعة أيضا حيث ذكروا و ذكر الطبرى فى نفس الصفحة المشار إليها آنفا: أن التسمية كانت من المغيرة بن سعيد، لما رفضته الشيعة ... و كانت قضيته سنة ١١٩ هـ .

و لكن الحقيقة هى أن التسمية بالرافضة كانت قبل سنتى ١٢٢ هـ و ١١٩ هـ . فقد جاء فى المحاسن للبرقى ص ١١٩ طبع النجف، باب الرافضة: أن الشيعة كانوا يشكون إلى الباقر المتوفى سنة ١١٤ أن الولاة قد استحلوا دماءهم و أموالهم باسم: «الرافضة» الخ ... و جاء فى ميزان الاعتدال طبع سنة ١٩٦٣ م. ج ٢ ص ٥٨٤ بعد ذكره لاسناد طويل أن الشعبى المتوفى سنة ١٠٤ هـ . قال لأحدهم: «أنتنى بشيعة صغير، اخرج لك منه رافضيا كبيرا» ...

و فى كتاب: روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار ص ٤٠، أن الشعبى قال: «أحب آل محمد و لا تكن رافضيا، و أثبت و عيد الله، و لا تكن مرجئيا ...» .

بل لدينا ما يدل على أن تسمية الشيعة ب «الرافضة» كان قبل سنة المائة؛ فقد جاء فى المحاسن و المساوى للبيهقى ص ٢١٢، طبع دار صادر و أمالى السيد المرتضى ج ١ ص ٦٨ هامش: أنه لما أنشد الفرزدق أبياته المشهورة فى الامام زين العابدين، المتوفى سنة ٩٥ هـ قال عبد الملك بن مروان المتوفى سنة ٨٦ هـ للفرزدق: «أ رافضى أنت يا فرزدق؟!». و على كل حال: فان ذلك كله قد كان قبل قضيتى زيد و المغيرة ابن سعيد بزمان بعيد ...

الحياة السياسية للإمام (الرضا)(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٢٣٤

أن يقضى على الزيدية، و يكسر شوكتهم بالبيعة للإمام الرضا (ع) بولاية العهد؛ و لهذا نرى أنه قد طبق اللقب، الذى طالما دعا إليه الزيدية، و اعترف به العباسيون، بل و دعوا إليه فى بدء دعوتهم و دولتهم، ألا و هو لقب: «الرضا من آل محمد»، طبقه على ابن موسى (ع)؛ فسماه: «الرضا من آل محمد» «١». فأصبحت بذلك حجته قوية على الزيدية، بل لم يعد لهم حجة أصلا. و أصبح يستطيع أن ينام قرير العين، إذ قد أصبح «الرضا من آل محمد» موجودا، فالدعوة إلى غيره ستكون لا معنى لها البتة. و لسوف تكون مرفوضة من الناس جملة و تفصيلا. و كان ذلك بطبيعة الحال السبب الرئيسى فى إضعاف الزيدية، و كسر شوكتهم، و شل حركتهم ... و الذى ساهم إلى حد كبير فى اضعافهم، و شل حركتهم، هو اختياره الإمام (ع) بالذات، حيث إنه الرجل الذى لا يمكن لأحد كائنا من كان أن ينكر فضله، و علمه، و تقواه، و سائر صفاته و مزياه، التى لم تكن لأحد فى زمانه على الاطلاق، فليس لهم بعد طريق للاعتراض عليه: بأن الذى اختاره لولاية عهده، و الخلافة من بعده، ليس أهلا

(١) راجع: الفخرى فى الآداب السلطانية، ص ٢١٧، و ضحى الاسلام ج ٣ ص ٢٩٤، و البداية و النهاية ج ١٠ ص ٢٤٧، و الطبرى، و ابن الأثير، و القلقشندى، و أبو الفرج، و المفيد و كل من تعرض من المؤرخين لولاية العهد ... بل لقد صرح نفس المأمون بذلك فى وثيقة ولاية العهد، و هذا يكفى فى المقام ... و لقد قال دعبل:

أيا عجا منهم يسمونك الرضاو يلقاك منهم كلحة و غضون و هناك نصوص اخرى مفادها: أنه سمي الرضا؛ لرضا أعدائه، و أوليائه به.

و عزا الشيبى فى كتابه: الصلة بين التصوف و التشيع ص ١٣٨:- عزا- رضا أعدائه به إلى قوة شخصيته عليه السلام ... أما نحن فنقول: إنه ليس من اليسير أبدا، أن تنال شخصية رضا كل أحد، حتى أعدائها ... اللهم إلا- إذا كان هناك سر إلهى، اختصت به تلك الشخصية، دون غيرها من سائر بنى الانسان ...

الحياة السياسية للإمام (الرضا)(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٢٣٥

لما أهله له. و لو أنهم ادعوا ذلك لما صدقهم أحد، و لكنت الدائرة حينئذ فى ذلك عليهم، و الخسران لهم دون غيرهم. فذلك لا بد منها:

هذا ... ولا يسعنا هنا إلا أن نشير إلى أن المأمون، لم يخترع اسلوبا جديدا للتصدي للزيدية، و الحد من نفوذهم، و كسر شوكتهم: بيعته للرضا (ع)؛ إذ أنه كان قد استوحى هذه الفكرة من سلفه المهدي، الذي كان قد استوزر يعقوب بن داود الزيدي، ليحد من نشاط الزيدية، و يكسر شوكتهم. و كان قد نجح في ذلك إلى حد ما: إذ لا يحدثنا التاريخ عن تحركات زيدية خطيرة ضد المهدي، بعد استيزاره ليعقوب، و تقريبه للزيدية، كتلك الأحداث التي حدثت ضد المنصور، و خصوصا ثورة محمد و ابراهيم ابني عبد الله ... كما يلاحظ أن تقريب العباسيين للزيدية في عصر المهدي، و تسليطهم على شئون الدولة و إداراتها، لم يؤثر في الوضع العام أثرا يخشاه العباسيون، و ذلك بلا شك مما يشجع المأمون على الاقدام على ما كان قد عقد العزم عليه، بجانان ثابت و إرادة راسخة ... يضاف إلى ذلك: أن سهولة إبعاد العباسيين لهم عن مراكز القوة، و مناصب الحكم على يد المهدي نفسه، الذي نكب يعقوب بن داود، الوزير الزيدي، حيث لم تصاحبه ردة فعل، و لا نتج عنه أية حادثة تذكر ضد العباسيين، لا حقيرة، و لا خطيرة ... هو الذي شجع المأمون على أن يستوحى نفس الفكرة، و يلعب نفس اللعبة، و يتبع نفس طريقة المهدي. في مواجهتهم، و كسر شوكتهم، بالبيعة للرضا (ع) بولاية العهد بعده.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العامل، ص: ٢٣٦

و على كل حال، فإن هذا اسلوب قديم اتبعه العباسيون في دعوتهم الاولى أيضا، حيث بايعوا للعلويين، و أظهروا أن الدعوة لهم و باسمهم ...

ثم كانت النتيجة هي ما يعلمه كل أحد، حيث انقلبوا عليهم يوسعونهم قتلا و عسفا، و تشريدا عند ما خافوهم، و لم يعودوا بحاجة إليهم ...

:-o

أضف إلى ما تقدم أن المأمون كان يعلم قبل أي شخص آخر بطبيعة العلاقات التي كانت قائمة بين الأئمة (ع)، و بين الزيدية، حيث إنها كانت على درجة من السوء و التدهور. و كان عدم التفاهم، و الانسجام فيما بينهم واضحا للعيان ... حتى لقد شكى الأئمة (ع) منهم، و صرحوا: بأن الناس قد نصبوا العداوة لشيعتهم، أما الزيدية فقد نصبوا العداوة لهم أنفسهم «١»، و في الكافي رواية مفادها: إنه (ع) قال إنهم قبل أن يصلوا إلى الحكم كانوا لا- يطيعونهم فكيف تكون حالهم معهم لو أنهم وصلوا إلى الحكم و تبوعوا كرسى الرئاسة.

(١) راجع: الوافي للفيض ج ١ ص ١٤٣، باب: الناصب و مجالسته ...

هذا ... و لا يمنع ذلك ما ورد عنهم عليه السلام من أن خروج الزيدية و غيرهم على الحكام يدرءوا به عنهم، و عن شيعتهم: فقد جاء في السرائر قسم المستطرفات ص ٤٧٦ أنه: «ذكر بين يدي أبي عبد الله من خرج من آل محمد (ص)؛ فقال عليه السلام:

لا- أزال أنا و شيعتي بخير ما خرج الخارجي من آل محمد إلخ ...». و ذلك لأن اصطدامهم مع الحكام كان يصرف أنظار الحكام إليهم، و يفسح المجال أمام أهل البيت و شيعتهم إلى حد ما. و لم يكن هناك مجال لاتهام الأئمة و شيعتهم بالتواطؤ معهم، مع ما كان يراه الحكام من عدم الانسجام الظاهر بين الأئمة و بين الزيدية، و غيرهم من الثائرين و سلبية كل فريق منهما تجاه الآخر ...

و أخيرا ... فلا- بد لنا هنا من الإشارة إلى أن ثورات العلويين، سواء على الحكم الاموي، أو الحكم العباسي، قد ساهمت في أن يبقى حق العلويين في الحكم محتفظا بقوته و حيويته في ضمير الامة، و وجدانها. و لم تؤثر عليه حملات القمع و التضليل، التي كان الحكم القائم آنذاك يمارسها ضدهم، و ضد هذا الحق الثابت لأهل البيت عليهم السلام بالنص.



الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٢٣٧

وقد رأينا: أن عبد الله بن الحسن، عند ما جاء يعرض على الإمام الصادق (ع) كتاب أبي سلمة، الذى يدعو فيه للقدوم إلى الكوفة، لتكون الدعوة له، و باسمه؛ فنهاه الإمام (ع) عن ذلك - رأينا - ينازع الإمام الصادق الكلام؛ حتى قال له: «والله، ما يمنعك من ذلك الا الحسد الخ...» وقد انصرف عبد الله آخر الأمر مغضبا «١».

و رأينا أيضا أنه فى موقف آخر له مع الإمام الصادق (ع) يتهمه بنفس هذه التهمة، و يصمه بعين هذه الوصمة، و ذلك عند ما أرادوا البيعة لولده محمد، و أبدى الإمام (ع) رأيه فى ذلك ... ذلك رأى الذى كشفت الأيام عن صحته و سداده «٢».

بل لقد كان عيسى بن زيد يقول لمحمد بن عبد الله: «... من خالفك من آل أبي طالب، فأمكنى أضرب عنقه...» «٣» و قد تجرأ عيسى هذا أيضا على الإمام الصادق بكلام لا نحب ذكره ...

و أما موقف محمد بن عبد الله نفسه مع الإمام الصادق (ع)، فأشهر من أن يذكر، حيث إنه سجن الإمام (ع)، و استصفى أمواله، و أسمعه كلاما قاسيا، لا يليق بمقام الإمام و سنه «٤».

(١) راجع: مروج الذهب ج ٣ ص ٣٥٤، ٣٥٥، و غيره من المصادر.

(٢) الصواعق المحرقة ص ١٢١، و ينابيع المودة للحنفى ص ٣٣٢، ٣٦١، و مقاتل الطالبين ص ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٧٠، و غير ذلك ... و فى هذا الأخير: أن عبد الله ابن الحسن لم يرض باستدعاء الامام، و لا وافق عليه، عند ما أرادوا البيعة لولده محمد، و بعد أن أقنعوه، و حضر الامام، جرى بينهما ما جرى ...

(٣) قاموس الرجال ج ٧ ص ٢٧٠.

(٤) قاموس الرجال ج ٧ ص ٢٧٠، و ج ٨ ص ٢٤٢، ٢٤٣، و البحار ج ٤٧ ص ٢٨٤، ٢٥٨.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٢٣٨

إلى آخر ما هنالك مما يدل على كرههم، و حقدهم على الائمة (ع)، أو بالآخرى حسدهم لهم ...

و المأمون ... كان يعلم بذلك كله، و يدركه كل الإدراك، و لهذا فإننا لا نستبعد أنه - و هو الداھية الداھية - قد أراد أيضا فى جملة ما أراد: أن يوقع الفتنة بين آل على أنفسهم. أى: بين الأئمة، و المتشيعين لهم، و بين الزيدية، و يقف هو فى موقف المتفرج المتربص، حتى إذا أضعف كل واحد من الفريقين الفريق الآخر، و لم يعد فيهما بقيه ... انقض هو عليهما، و قضى عليهما بأهون سبيل ... بل إن بعض الباحثين يرى: أنه أراد من لعبته هذه: «... ضربا للتأثرين العلويين من إخوة على بن موسى بأخيهم «١» ...».

و لو اننا استبعدنا كل ذلك، فلا أقل - كما قلنا - من أن حجته أصبحت قوية على الزيدية، و على كل من يدعو إلى «الرضا من آل محمد»، و لم يعد يخشى أحدا منهم، بعد أن أصبح «الرضا من آل محمد موجودا ...

## الهدف التاسع:

كما أنه بيعته للامام الرضا (ع) بولاية العهد، و قبول الإمام (ع) بذلك ... يكون قد حصل على اعتراف من العلويين، على أعلى مستوى بشرعية الخلافة العباسية، و لقد صرح المأمون بأن ذلك كان من جملة أهدافه، حيث قال: «... فأردنا أن نجعله ولى عهدنا، ليكون دعاؤه لنا، و ليعترف بالملك و الخلافة لنا...» و ستتكلم حول تصريحات المأمون

(١) هو الدكتور كامل مصطفى الشيبى فى كتابه: الصلة بين التصوف و التشيع ص ٢١٩.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٢٣٩

هذه بنوع من التفصيل فى فصل: مع بعض خطط المأمون، و غيره إن شاء الله تعالى ...

نعود إلى القول: إن تصريح المأمون هذا يعطينا: أن قبول الإمام بأن يكون ولى عهد المأمون، إنما يعنى بالنسبة للمأمون: أن الإمام يكون قد أقر بأن الخلافة ليست له دون غيره، و لا- فى العلويين دون غيرهم. و أنه كما يمكن أن يكون هو جديرا بها، و أهلا- لها، كذلك غيره يمكن أن يكون كذلك ... و ليتمكن المأمون بذلك من محاربة العلويين بنفس السلاح الذى بأيديهم، و ليصير- من ثم- من الصعب استجابة الناس لهم، إذا دعوا لأية ثورة ضد حكم اعترفوا هم بشرعيته، و أيده، و تعاونوا معه من قبل، و على أعلى مستوى و من أعظم شخصية فيهم ...

بل لقد كان يريد أن يحصل من العلويين على اعتراف بأن الحكم حق للعباسيين فقط. أما هم، فليس لهم فيه أدنى نصيب. و ما فعله المأمون- من إسناد ولاية العهد لواحد منهم، ما كان إلا تفضلا و كرما، و من أجل أن يجمع شمل البيتين العلوى و العباسى، و تصفو القلوب و يمحو ما كان من أمر الرشيد و غيره من أسلافه مع العلويين ...

و لقد حاول المأمون أن ينتزع من الإمام اعترافا بأن الخلافة حق للعباسيين، شفاها أيضا فكانت النتيجة عكس ما أراد المأمون، و ذلك عند ما عرض بالمن على الإمام بأن جعله ولى عهده، فأجابه الإمام (ع):

بأن هذا الأمر لم يزد فى النعمة شيئا، و أنه و هو فى المدينة كانت كتبه تنفذ فى المشرق و المغرب.

كما أن المأمون قد قال لحميد بن مهران، و جمع من العباسيين:

«... و ليعتقد فيه المفتونون به، بأنه ليس مما ادعى فى قليل، و لا

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٢٤٠

كثير، و أن هذا الأمر لنا دونه ...» و لسوف يأتى الكلام عن هذه التصريحات إن شاء الله كما قلنا ...

و بعد ... فإنه لا- يكون من المبالغة فى شىء لو قلنا: إن حصول المأمون على اعتراف من العلويين، و من الإمام الرضا (ع) خاصة، بشرعية خلافته، و خلافة، بنى أبيه أخطر على العلويين من الاسلوب الذى انتهجه أسلافه من أمويين و عباسيين ضدهم: من قتلهم، و تشريدهم، و سلب أموالهم، إلى غير ذلك مما هو معروف و مشهور ...

## الهدف العاشر:

يضاف إلى ذلك، أنه يكون قد حصل على اعتراف ضمنى من الإمام بشرعية تصرفاته، طيلة فترة ولاية العهد، و يعطى الناس- من ثم- الصورة التى يريدونها عن الحكم و الحاكم، و ليؤكد للملا أجمع: أن الحاكم هذا هو سلوكه، و هذه هى تصرفاته: من كان، و مهما كان، و إذن فليس لهم بعد حق فى أن يتطلعوا إلى حكومة أحد على أن بها شيئا جديدا. و لا أن ينظروا إلى جهة على انها يمكن أن يكون بها المنقذ لهم، و المخرج من الظلمات إلى النور، حتى و لو كانت تلك الجهة هى آل بيت نبينهم، فإنه من الطبيعى أن يتبع السياسيون أساليب، و يتكلموا بأشياء كثيرة، ينسونها بمجرد وصولهم إلى الحكم، و تسلمهم لأزمة السلطة، فإن تلك لا تعدو كونها تكتيكات، و وعودا انتخابية، يحتاجون إليها فى ظروف معينة، ثم يستغنون عنها ... كما كانت الحال فى وعود المأمون، التى أشرنا إليها فيما تقدم ...

و هكذا ... فيكون سكوت الإمام فى فترة ولاية العهد، عن تصرفات الهيئة الحاكمة، دالا على رضاه بها، و يعتبر إمضاء لها ... و بعد هذا ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٢٤١

فلا يجب أن يكون من العسير على الناس أن يتصوروا طبيعته و ماهية حكم الإمام، و كل من يقدر له أن يصل إلى الحكم و السلطان، سواء من العلويين، أو من غيرهم ...

و إذا كانت الصورة واحدة، و الجوهر واحد، و الاختلاف إنما هو فقط في الاسم و العنوان، فليس لهم بعد حق، أو على الأقل ما الداعي لهم، لأن يطلبوا حكما أفضل، أو حكاما أعدل، فانه طلب لغير موجود، و سعى وراء مفقود ...

## الهدف الحادى عشر:

### إشارة

هذا ... و بعد أن يكون المأمون قد حصل على كل ما قدمناه، و حقن دماء العباسيين، و استوثقت له الممالك، و لم يعد هناك ما يعكر صفو حياته «١». و قوى مركزه، و ارتفع بالخلافة من الحضيض المهين، الذى أوصلها إليه أسلافه إلى أوج العظمة، و التمكن و المجد. و أعطاه من القوة و المنعة، و وهبها من الحياة فى ضمير الامة و وجدانها ما هى بأمس الحاجة إليه .. و لتتمكن من ثم من الصمود فى وجه أية عاصفة، و إخماد أية ثورة، و مقاومة كل الأنواء، و ذلك هو حلمه الكبير، الذى طالما جهد فى تحقيقه- إنه بعد أن يكون قد حصل على كل ذلك و سواء مما قدمناه:

(١) لقد صرح الذهبى فى الجزء الأول من كتابه «العبر»، بأنه فى سنة ٢٠٠ هـ. استوثقت الممالك للمأمون ... و هذه هى نفس السنة التى اتى فيها بالامام عليه السلام من المدينة إلى مرو ... و لكن الياضى فى مرآة الجنان ج ٢ ص ٨ و شذرات الذهب ج ٢ ص ٥: قد جعل ذلك فى سنة ٢٠٣:

أى فى السنة التى تخلص فيها المأمون من الامام الرضا عليه السلام بواسطة السم الذى دسه إليه ... و فى اليعقوبى ج ٢ ص ٤٥٢ طبع صادر: أنه فى السنة التى غادر فيها المأمون خراسان: «لم تبق ناحية من نواحي خراسان يخاف خلافها».

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٢٤٢  
يكون قد أفسح لنظام حكمه المجال- تلقائيا- لتصفية حساباته مع خصومه، أيا كانوا، و بأى وسيلة كانت، و بهدوء، و راحة فكر و اطمئنان إن اقتضى الأمر ذلك.

كما أنه يكون قد مهد الطريق لتنفيذ الجزء الثانى- و لعله الأهم- من خطته الجهنمية، بعيدا عن الشبهات، و دون أن يتعرض لتهمة أحد، أو شك من أحد ... ألا و هو: القضاء على العلويين بالقضاء على أعظم شخصية فيهم. و ليكون بذلك قد قضى نهائيا، و إلى الأبد، على أكبر مصدر للخطر، يمكن أن يتهده، و يتهدد خلافته و مركزه ...

إنه يريد زعزعة ثقة الناس بهم، و استئصال تعاطفهم معهم، و ليحوله- إن استطاع- إلى كره و مقت، بالطرق التى لا تمس العواطف و المشاعر، و لا تثير الكثير من الشكوك و الشبهات ...

يظهر ذلك فى محاولاته إسقاط الإمام اجتماعيا، و الوضع منه قليلا قليلا، حتى يصوره أمام الرعية بصورة من لا يستحق لهذا الأمر، و ليدبر فيه فى نهاية الأمر بما يحسم عنه مواد بلائه ... كما صرح لحميد بن مهران، و جمع من العباسيين، و سنتكلم بنوع من التفصيل عن محاولات المأمون هذه، التى باءت كلها بالفشل الذريع، و عادت عليه بالخسران؛ لأن الإمام (ع) كان قد أحبطها عليه، بل لقد كان لها من النتائج العكسية بالنسبة إليه ما جعله يتعجل بتصفيه الإمام جسديا، بعد أن أشرف هو منه (ع) على الهلاك ... بالطريقة التى حسب أنها سوف لا تثير الكثير من الشكوك و الشبهات ...

### ملاحظة لا بد منها:

و من الامور الجديرة بالملاحظة هنا: أن المأمون كان يقدر أن مجرد

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٢٤٣

جعل ولاية العهد للإمام، سوف يكون كافيا لتحطيمه اجتماعيا، وإسقاطه نهائيا من أعين الناس؛ حيث يظهر لهم بالعمل - لا بالقول: أن الإمام رجل دنيا فقط، و أن تظاهره بالزهد والتقوى ما هو إلا طلاء زائف، لا واقع له، و لا حقيقة وراءه ... و لسوف تكون النتيجة هي تشويه سمعة الإمام (ع)، و زعزعة ثقة الناس به؛ و ذلك بسبب الفارق الكبير بالسن، بين الخليفة الفعلى، و بين ولى عهده؛ إذ أن ولى العهد لا يكبر الخليفة الفعلى بستتين، أو ثلاثة، أو خمسة، لا ... بل أكثر من ذلك بكثير، إنه يكبره ب «٢٢» سنة، و إنه لمن الامور غير الطبيعية أبدا: أن يقبل ولاية العهد، و هو يكبر الخليفة الفعلى بهذا المقدار الكبير من السنين، و لسوف يكون قبوله لها - مع هذا الفارق بينهما - موجبا لجعله عرضة لشكوك الناس، و ظنونهم، و لسوف يتسبب بوضع علامات استفهام كبيرة حوله ... كما كان الحال. بالنسبة لسؤال محمد بن عرفة، و كلام الريان المتقدم ... و لسوف يفسر «١» ذلك من أولئك الذين لا يدركون حقيقة ما يجرى، و ما يحدث، - و ما أكثرهم - بتفسيرات تنسجم مع رغائب المأمون، و أهدافه. لأنهم سوف يرون أن زهده (ع) بالدنيا، ليس إلا ستارا تختفى وراءه مطامعه فيها، و حبه المستमित لها، حتى إنه ليطمع أن يعيش إلى ما بعد الخليفة الفعلى، الذى هو أصغر من ولده، و يصل إلى الحكم ... و باختصار نقول:

(١) و لكننا، مع ذلك نجد: أن قسما من أصحاب الرضا عليه السلام، ممن كانوا يراقبون الأحداث بوعى و دراية، كانوا يدركون لوايا المأمون و أهدافه هذه ففى البحار؛ ج ٤٩ ص ٢٩٠، و عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٢٣٩: أنه قد سئل أبو الصلت: «كيف طابت نفس المأمون بقتل الرضا مع إكرامه و محبته له، و ما جعل له من ولاية العهد بعده؟! فقال: إن المأمون كان يكرمه و يحبه لمعرفته بفضلها، و جعل له ولاية العهد من بعده، ليرى الناس أنه راغب فى الدنيا؛ فلما لم يظهر منه إلا ما ازداد به فضلا عندهم، و محلا فى نفوسهم، جلب عليه إلخ ...».

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٢٤٤

إنه يريد أن: «... يعتقد فيه المفتونون به بأنه: ليس مما ادعى فى قليل و لا كثير ...» حسبما صرح به هو نفسه ... و على حد قول الإمام نفسه، الذى كان يدرك خطة المأمون هذه: «... أن يقول الناس:

إن على بن موسى، لم يزهده فى الدنيا، بل زهدت الدنيا فيه؛ ألا ترون كيف قبل ولاية العهد طمعا بالخلافة؟! ...».

كما سيأتى ...

و عن الريان قال: «دخلت على الرضا؛ فقلت: يا ابن رسول الله، إن الناس يقولون: إنك قبلت ولاية العهد، مع إظهارك الزهد فى الدنيا؟! فقال (ع): قد علم الله كراهتى ...» «١» و قد أشرنا إلى سؤال محمد بن عرفة، و كلام الريان فيما تقدم.

و على أى شىء يبكى المأمون، و من أجل أى شىء يشقى و يتعب، و يسهر الليالى، و يتحمل المشاق ... إلا على هذا ... إن هذا هو أجل أمنياته و اغلاها ...

### سؤال و جوابه:

قد يدور بخلد القارئ أن ما ذكرناه هنا: فيما يتعلق بالفارق الكبير بالسن، ينافى ما تقدم من أن المأمون كان يريد الحصول على قاعدة شعبية، و الارتقاء بالخلافة من الحضيض إلخ ...

و لكن الحقيقة هي: أنه لا منافاة هناك ... و يمكن للمأمون أن يقصد كل ذلك من البيعة، لأن مقدار التفاوت بالسن بين الامام (ع) و

المأمون، لم يكن مما يعرفه الكثيرون، و لا مما يلتفت إليه عوام الناس في بادئ

(١) علل الشرائع ص ٢٣٨، و البحار ج ٤٩ ص ١٣٠، و أمالي الصدوق ص ٤٤، ٤٥.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٢٤٥

الأمر؛ لأنهم يأخذون الامور على ظواهرها، و لا يتنبهون إلى مثل ذلك، إلا بعد تنبيه و تذكير؛ فلولهه الاولى تجوز عليهم الخدعة، و يقدرون خطوة المأمون هذه، و تنتعش الآمال فى نفوسهم بالحياة الهنيئة السعيدة، تحت ظل حكم بدا أنه يتخذ العدل ديدنا، و الانصاف طريقة ...

ثم ... و بعد أن يجند المأمون أجهزة إعلامه، من أجل تسميم الأفكار، يجد أن نفوس الناس مهياة و مستعدة لتقبل ما يلقي إليها. و يكون لديه- باعتقاده- من الحجج ما يكفى لاسقاط الامام، و زعزعة ثقة الناس به. و لا يؤثر ذلك بعد ذلك على الحكم؛ فإن الحكم يكون قد استنفذ أغراضه من البيعة، و حصل على ما يريد الحصول عليه منها ... هذا و لا بد لنا هنا من ملاحظة أن المأمون و أجهزة إعلامه كانوا فى مقابل و صم الامام بالرغبة بالدنيا و التفانى فى سبيلها ... يشيعون بين الناس عن المأمون عكس ذلك تماما؛ فيطلب المأمون من وزيره أن يشيع عنه الزهد، و الورع و التقوى «١» ... و أنه لا يريد مما أقدم عليه الاخير الامه و مصلحتها؛ حيث قد اختار لولاية عهده أفضل رجل قدر عليه، رغم أن ذلك الرجل هو من ذلك البيت الذى لا يجهل أحد موقفه من حكم العباسيين، و موقف العباسيين منه كما يتضح ذلك من وثيقة ولاية العهد، و غيرها.

### رأى الناس فيمن يتصدى للحكم:

لعل من الواضح أن كثيرا من الناس كانوا يرون- فى تلك الفترة من الزمن- لقصر نظرهم، و قلة معرفتهم: أن هناك منافاة بين الزهد و الورع، و التقوى، و بين المنصب، و أنهما لا يتفقان، و لا يجتمعان.

(١) تاريخ التمدن الاسلامى ج ٤ ص ٢٤١. الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ٢٤٦ رأى الناس فيمن يتصدى للحكم:

..... ص : ٢٤٥

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٢٤٦

و قد رأينا الكثيرين يمتنعون عن تولى المناصب للحكام، لما يرونه من المنافاة المشار إليها.

و لعل سرفهمهم هذا: هو أنهم كانوا قد اعتادوا من الحكام التجاوز على الحقوق، و الدماء، و الأموال، و على أحكام الدين، و النواميس الانسانية، بشكل عام. و الزهد و الورع لا يتلائم مع ذلك كله، و لا ينسجم معه ...

و لكن الحقيقة هى: أن لا- منافاة بينهما أبدا؛ فإن الحكم إذا كان وسيلة لا- يصل الخير إلى الآخرين، و رفع الظلم عنهم، و إشاعة العدل، و اقامة شريعة الله تعالى؛ فيجب السعى إليه، و العمل من أجله، و فى سبيله ... بل إذا لزم من ترك السعى إليه، تضييع الحقوق، و انهيار صرح العدل، و الخروج على أحكام الدين؛ فإن ترك السعى هذا، يكون هو المنافى للزهد و الورع و التقوى ...

و لقد قاد النبى (ع) الامه، و قبله قادها سليمان بن داود، و غيره، و بعده الإمام على بن أبى طالب، و ولده الحسن، ثم الحسين، و هكذا

...

و حال هؤلاء فى الزهد و الورع، لا يحتاج إلى مزيد بيان، و اقامة برهان. بل لم يكن على ظهرها أزهى، و لا أتقى، و لا أفضل، و لا

أورع منهم، عدوهم يعرف منهم ذلك تماما كما يعرفه منهم صديقهم ...

فعدا عن الأنبياء الذين كانوا القمة فى الورع و الزهد و التقوى، نرى الإمام على (ع) قمة فى ذلك أيضا؛ و قد رقع مدرعته حتى استحيا

من راقعها، و كان راقعها هو ولده «الإمام الحسن (ع)» «١». و كان

(١) راجع: الدرّة النجفية ص ٣٠٣، طبعة حجرية.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٢٤٧

يصلى فى بيت المال ركعتين شكرا لله، بعد فراغ المال منه. و كان يقول: «إليك عنى يا دنيا غرى غيرى، أبى تعرضت؟! الخ ...»  
و هو الذى قال فيه عدوه معاوية: «لو كان له بيتان: بيت من تبر، و آخر من تبن؛ لأنفق تبره قبل تبنه ...» «١» ... إلى غير ذلك مما لا  
مجال لنا لتبعه و استقصائه ...

### العلويون يدركون نوايا المأمون:

إن نوايا المأمون تجاه العلويين، و محاولاته لإسقاطهم اجتماعيا، و ابتزازهم سياسيا ... حتى إذا أخفق فى ذلك راح يخلتهم واحدا  
فواحدا، كلما و اتاه الظرف، و سنحت له الفرصة ... لم يكن العلويون يجهلون، بل كانوا يدركونها كل الإدراك، و لم تكن تخدعهم  
تلك الشعارات و الأساليب المبهجة ... و حسبنا هنا أن نذكر فى مقام التدليل على هذا: أن المأمون كتب لعبد الله بن موسى، بعد  
وفاة الرضا، يعده بأنه يجعله ولى عهده، و يقول له: «ما ظننت أن أحدا من آل أبى طالب يخافنى بعد ما عملته بالرضا» ...  
فأجابه عبد الله يقول: «وصل إلئى كتابك، و فهمته، و تخلتنى فيه عن نفسى ختل القانص، و تحتال على حيلة المغتال، القاصد لسفك  
دمى.

و عجبت من بذلك العهد، و ولايته لى بعدك، كأنك تظن: أنه لم يبلغنى ما فعلته بالرضا؟! ففى أى شىء ظننت أنى أرغب من  
ذلك؟ أ فى الملك الذى غرتك حلاوته؟! ... إلى أن يقول: أم فى العنب المسموم الذى قتلت به الرضا؟! و يقول له أيضا- و الظاهر  
أنه نص آخر للرسالة-: «هبنى لا تثار لى عندك، و عند آبائك المستحلين لدمائنا الآخذين حقنا، الذين جاهرنا فى أمرنا، فحذرناهم. و  
كنت أطف حيلة منهم؛ بما استعملته من الرضا بنا، و التستر لمحننا، تختل واحدا،

(١) ترجمة الامام على (ع) من تاريخ ابن عساكر، بتحقيق المحمودى ج ٣ ص ٥٨-٦٠.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٢٤٨

فواحدا منا الخ ...» «١».

و لا بد من ملاحظة: منافاة وعده هذا لعبد الله بن موسى بأن يجعل له ولاية العهد ... للرسالة التى أرسلها إلى العباسيين فى بغداد، فور  
وفاة الرضا (ع)، و يعدهم فيها بأن يجعل ولاية العهد فيهم، و سنشير إلى رسالته لهم فى فصل: مع بعض خطط المأمون إن شاء الله و  
على كل حال ... فإننا نستطيع أن نفهم من هذه الرسالة التى لعبد الله بن موسى أمور، نشير إلى بعضها:  
أولا: إن المأمون كان قد جعل ولاية العهد وسيلة لختل الشخصيات التى كان يخشاها، و الغدر بها؛ إذ أن من المقبول و الطبيعى - كما  
يرى البعض - أن يكون ولى العهد هو الذى يتأمر، و يدبر للتخلص من الخليفة الفعلى، ليختصر المسافة، و يصل إلى الحكم، الذى  
ينتظر الوصول إليه، و الحصول عليه بفارغ الصبر. و ليس من الطبيعى، و لا- من المقبول أن يتأمر الخليفة على ولى عهده، إلا إذا كان  
يريد أن يجعل الخلافة لمن هو أعز عليه منه، و هذا ما نفاه المأمون عن نفسه فى أكثر من مناسبة.

و هكذا ... فان النتيجة تكون: هى أن الخليفة الفعلى يكون آخر من يتهم فى ولى العهد، إذا ما راح ضحية التآمر و الاغتيال، و عرف  
الناس ذلك. و هذا بلا شك من جملة ما كان يريد المأمون، و يسعى إليه ...

ثانيا: إن المأمون رغم الصعوبات التى واجهها فى فترة تولية الرضا (ع) العهد ... يبدو أنه كان يعتبر نفسه منتصرا و ناجحا فى لعبته

تلك، و لذلك نرى أنه قد حاول تكرار نفس اللعبة مع عبد الله بن

(١) مقاتل الطالبين للأصفهاني ص ٦٢٨، إلى ص ٦٣١، و سنورد الرسالة في أواخر هذا الكتاب إن شاء الله ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٢٤٩

موسى. و لكن يقظة هذا الأخير، الذى كانت ظروفه تختلف عن ظروف الإمام (ع) قد فوتت عليه الفرصة، و أعادته. يخفى حينئذ. كما أننا لا نستبعد أن المأمون قد أراد بالإضافة إلى ذلك التستر على غدره بالرضا (ع)، بعد أن كان قد افتضح و اشتهر، رغم محاولاته الجادة للتستر و الكتمان ...

ثالثا: ما تقدمت الإشارة إليه من أن إكرامه للعلويين، و الرضا بهم، و التستر لمخبرهم، ما كان منه إلا ضمن خطة مرسومة، و إلا سياسة منه و دهاء، من أجل أن يأمن العلويون جانبه، و يطمئثوا إليه، كما يدل عليه قوله لعبد الله بن موسى: «ما ظننت أحدا من آل أبي طالب يخافنى بعد ما عملته بالرضا». و قد قدمنا أنه أشار إلى ذلك أيضا فى كتابه للعباسيين؛ فلا نعيد ...

رابعا: أنه لم يستطع أن يخفى عن العلويين - كما لم يستطع أن يخفى عن غيرهم - غدره بالإمام الرضا (ع)، و سمه له بالعنب، و كذلك غدره بغيره من العلويين. و سر ذلك واضح؛ فان جميع الدلائل و الشواهد كانت متوفرة على ذلك، كما سيأتى بيان جانب من ذلك فى فصول هذا الكتاب بنوع من التفصيل.

### موقف الامام فى مواجهة مؤامرات المأمون:

لقد رأينا كيف أن المأمون أراد من لعبته تلك، التغلب على المشاكل التى كان يواجهها، و الاستفادة منها فى تقوية دعائم خلافته، و خلافة العباسيين بشكل عام ... و السؤال الذى يطرح نفسه هنا هو: ما هو موقف الإمام (ع) نفسه من لعبة المأمون تلك، و خطته، و أهدافه؟، و هل أفسح المجال للمأمون ليحقق كل ما يريد تحقيقه، و يصل إلى ما

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٢٥٠

كان يريد الوصول إليه؟ ... و هل كانت لديه خطط من نوع معين، و أهداف معينة كان يسعى من أجل الوصول إليها، و الحصول عليها؟! ...

الحقيقة هي: أن الإمام (ع) قد استطاع، بما اتبعه من خطة حكيمة، و سلوك مثالى: أن يضع على المأمون كافة الفرص، و يجعله يبوء بالخيبة و الخسران، و يبنى بالفشل الذريع، حتى لقد أشرف المأمون منه على الهلاك، و بدأ الارتباك و اضمحلاله فى كل تصرفاته، و أقواله، و أفعاله ... و سيأتى فى الفصول الآتية فى القسمين: الثالث، و الرابع بيان بعض ما يتعلق بذلك إن شاء الله.

### المأمون فى قفص الاتهام:

و هكذا ... و بعد أن اتضحت الاسباب الحقيقية للبيعة، و بعد أن عرفنا بعض الظروف و الملابسات، التى أحاطت بهذا الحدث الهام، فاننا نستطيع أن نضع المأمون، و نواياه، و أهدافه، فى قفص الاتهام، و لا يمكن أن نصدق - بعد هذا - أبدا، أى ادعاء سطحي، يحاول أن يصور لنا حسن نية المأمون من البيعة، و سلامة طويته، و لا سيما و نحن نرى كتابه للعباسيين فى بغداد فور وفاة الرضا، و كذلك سلوكه المشبوه مع الرضا (ع) من أول يوم طلب منه فيه الدخول فى هذا الأمر، و حتى إلى ما بعد وفاته، كما سيأتى بيانه فى الفصول الآتية ... و كذلك كتابه لعبد الله بن موسى المتقدم ...

و الأدهى من ذلك كله رسالته للسرى، عامله على مصر، التى «يخبره فيها بوفاة الرضا، و يأمره بأن تغسل المنابر، التى دعى عليها لعلى

بن موسى، فغسلت ...» (١).

(١) الولاة و القضاء للكندى ص ١٧٠.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٢٥١

و كذلك لا يمكن أن نصدق بحسن نيته بالنسبة لأى واحد من العلويين، الآخرين ... كما أشرنا إليه فى رسالته لعبد الله بن موسى، التى يذكر فيها: أنه راح يختلهم واحدا فواحدا ... و أيضا عند ما نرى أنه يمنعهم من الدخول عليه، بعد وفاة الرضا، و يأخذهم بلبس السواد «١» ... بل و يأمر ولاته و أمراءه بملاحقتهم، و القضاء عليهم، كما سيأتى ...

### مع المأمون فى وثيقة العهد:

و يحسن بنا هنا: أن نقف قليلا مع وثيقة العهد، التى كتبها المأمون للإمام (ع) بخط يده؛ فلقد ضمنها المأمون إشارات هامة، رأى أنها تخدم أهدافه السياسية من البيعة و حيث اننا قد تحدثنا، و لسوف نتحدث فى مطاوى هذا الكتاب عن بعض فقراتها ... فلسوف نقتصر هنا على:

أولاً: إننا نلاحظ: أنه يؤكد كثيرا على نقطتين: الأولى: أنه منطلق فى هذه البيعة من طاعة الله، و إثارة لمرضاته، الثانية: أنه لا يريد بذلك إلا مصلحة الأمة، و الخير لها ...

و سر ذلك واضح: فهو يريد أن يذهب باستغراب و استهجان الناس؛ الذين يرون الرجل الذى قتل حتى أخاه من أجل الحكم - يرونه الآن - يتخلى عن هذا الحكم لرجل غريب، و لمن يعتبر زعيما لأخطر المنافسين للعباسيين ... كما أنه يريد بذلك أن يكتسب ثقة الناس به، و بنظام حكمه.

و عدا عن ذلك فهو يريد أن يطمئن العلويين و الناس إلى أن ذلك لا ينطوى على لعبة من أى نوع، بل هو أمر طبيعى فرضته طاعة الله و مرضاته، و مصلحة الأمة، و الصالح العام ...

(١) الكامل لابن الأثير، طبع دار الكتاب العربى ج ٥ ص ٢٠٤.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٢٥٢

و ثانيا: نراه يجعل العباسيين و العلويين فى مرتبة واحدة؛ و ذلك لكى يضمن لأهل بيته حقا فى الخلافة كآل على.

و ثالثا: يلاحظ: أنه يعطى خلافته صفة الشرعية؛ حيث يربطها بالمصدر الأعلى (الله)، و على حسب منطق الناس هذا تام و صحيح؛ لأنهم بمجرد أن يعمل أحد عملا يودى إلى المناداة بواحد على أنه خليفة، و يصير مقبولا لدى الناس ... إنهم بمجرد ذلك يصيرون يعتبرونه خليفة الله فى أرضه، و حجته على عباده ...

و هو أيضا تام و صحيح حسب منطق العباسيين، الذين يدعون الخلافة بالارث عن طريق العباس بن عبد المطلب، حسبما تقدم بيانه ... و لهذا نلاحظ أنه يقدم عبد الله بن العباس على على بن أبى طالب!! مع أن عبد الله تلميذ على ... و ليس ذلك إلا من أجل إثبات هذه النقطة، و جعل حق له بالخلافة، بل و جعل نفسه الأحق بها ... هذه الخلافة التى هى منصب إلهى، وصل إليه بالطريق الشرعى، سواء على حسب منطق الناس فى تلك الفترة، أو على حسب منطق العباسيين ...

و فى هذا إرضاء للعباسيين، و تطمين لهم، كما أنه فى نفس الوقت تطمين لسائر الناس، الذين كانوا غالبا- يرون الخلافة بالكيفية التى أشرنا إليها و قد أكد لهم هذا التطمين باستشهاده بقول عمر؛ حيث أثبت لهم: أنه لا يزال على مذهبه، و على نفس الخط الذى هم عليه ...



و رابعا: إننا نراه في نفس الوقت الذى يؤكد فيه مذهبه، و وجهه نظره بتلك الأساليب المتعددة و المختلفة المشار إليها آنفا- نراه فى نفس الوقت- يدعى: أنه إنما يجعل الخلافة للرضا (ع)، لا من جهة أنها حق له، و لا من جهة النص عليه، حسبما يدعيه الرضا، بل من جهة أنه أفضل من قدر عليه ... و هذا أمر طبيعى جدا، و ليس إقرارا بمقاله

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٢٥٣  
الرضا ... و كما ينطبق الآن على الرضا، يمكن أن ينطبق غدا على غيره، عند ما يوجد من له فضل، و أهلية ... و هذا دون شك ضربة لما يدعيه الرضا و يدعيه آباؤه من الحق فى الخلافة، و من النص، و غير ذلك ...  
هذا ...

و لسوف يأتى فى فصل: خطة الإمام، شرح ما كتبه الإمام (ع) على ظهر الوثيقة، و لرى من ثم كيف نسف الإمام كل ما بناه المأمون، و صيره هباء اشتدت به الريح فى يوم عاصف ...

### كلمة أخيرة:

و أخيرا: فاننا مهما شككنا فى شىء، فلسنا نشك فى أن المأمون كان قد درس الوضع دراسةً دقيقة، قبل أن يقدم على ما أقدم عليه. و أخذ فى اعتباره كافة الاحتمالات، و مختلف النتائج، سواء مما قدمناه، أو من غيره، مما أخفته عنا الايدي الأثيمة، و الأهواء الرخيصة ... و إن كانت لعبته تلك لم تؤت كل ثمارها، التى كان يرجوها منها؛ و ذلك بسبب الخطة الحكيمة التى كان الإمام (ع) قد اتبعها. و لعمري: «... إن بيعته للإمام لم تكن بيعه محاباة؛ إذ لو كانت كذلك لكان العباس ابنه، و سائر ولده، أحب إلى قلبه، و أجلى فى عينه...». على حد تعبير المأمون فى رسالته للعباسيين، التى سوف نوردها فى أواخر هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.  
الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٢٥٤

### أسباب البيعة لدى الآخرين:

#### أحمد أمين المصرى، و أسباب البيعة:

و على ضوء ما تقدم، نستطيع أن نلقى نظرة على ما ذكره بعض المؤرخين، و الباحثين، مما جعلوه أسبابا لأخذ البيعة للإمام (ع) بولاية العهد؛ و لرى- من ثم- أنها لا تقوى على الصمود أمام النقد التاريخى الواعى و الدقيق؛ إذ أنها على الغالب: إما لا تعتمد على سند تاريخى أصلا، أو تعتمد على ما لا يصلح للاعتماد عليه ...  
و لعل الدكتور أحمد أمين المصرى، قد جمع كلا الناحيتين فيما جعله- بنظره- أسبابا للبيعة، حيث نلاحظ: أن بعض ما ذكره ليس له أى سند تاريخى، بل التاريخ على اختلاف أهوائه، و اتجاهاته يدحضه، و يكذبه ... و البعض الآخر قد اعتمد فيه على ما لا يصح الاعتماد عليه؛ و لذا فلا يكون من التجنى عليه القول: إن ما ذكره كان سطحيا، أو بوحى من تعصب مذهبى رخيص ...  
و ما ذكره يرجع إلى أسباب أربعة، رأى أنها صالحة، كلا أو بعضا، لأن تكون سببا لأخذ البيعة للرضا بولاية العهد ... و نلخصها بما يلى:

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٢٥٥  
١- إن المأمون قد أراد بذلك: أن يصلح بين البيتين، العلوى، و العباسى، و يجمع شملهما؛ ليتعاونوا على ما فيه خير الامة، و صلاحها. و تنقطع الفتن، و تصفو القلوب.

٢- إنه كان معتزليا، على مذهب معتزلة بغداد، يرى أحقية على (ع) و ذريته بالخلافة؛ فأراد أن يحقق مذهبه ...

٣- إنه كان تحت تأثير الفضل و الحسن بنى سهل الفارسيين، و الفرس يجرى فى عروقهم التشيع؛ فما زالوا يلقنانه آراءهما، حتى أقرها، و نفذها ...

٤- «إنه رأى أن عدم تولى العلويين للخلافة، يكسب أئمتهم شيئا من التقديس؛ فإذا ولوا الحكم ظهروا للناس، و بان خطؤهم، و صوابهم، فزال عنهم هذا التقديس ...» (١).

هذا ... و قد ادعى فى كتابه: «المهدى و المهديوة»: أن هؤلاء الأئمة كانوا يرتكبون الآثام فى الخلفاء، فأراد المأمون: أن يظهرهم، ليعرفهم الناس على حقيقتهم ...  
كان ذلك ما يراه أحمد أمين يصلح - كلاً أو بعضاً - سبباً للبيعة ...

### آراء أحمد أمين فى الميزان:

و نحن بدورنا، و إن كنا نعتقد أن فيما قدمناه، و ما سيأتى كفاية فى تفنيد هذه المزاعم و اسقاطها، إلا أننا نرى لزاماً علينا أن نشير بايجاز إلى بعض ما يشير إلى ضعفها و وهنها، معتمدين فى بقاء ما يرد عليها على ذكاء القارئ، و تنبهه، و وعيه ... فنقول:

(١) ضحى الاسلام ج ٣ ص ٢٩٥.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٢٥٦  
أما ما ذكر أولاً: فقد كفانا هو نفسه مؤونة الكلام فيه، حيث قد اعترف بأن المأمون لو كان يرمى إليه لكان فى منتهى السطحية و السذاجة ...

و أما ما جعله سبباً ثانياً: فلعله لا يقل عن سابقه فى الضعف و الوهن، و لا سيما بملاحظة ما قدمناه فى الفصلين السابقين، من الظروف التى كان المأمون يعانى منها، و أيضاً ملاحظة ما سيأتى من سلوك المأمون المشبوه، مع الإمام (ع)، و معاملته السيئة للعلويين، و كل من يتشيع لهم، و يتعاطف معهم ... و على الأخص إذا لاحظنا: أن المأمون لم تكن عقيدته هى المنطلق له فى مواقفه السياسية، بل كان ينطلق مما يراه يخدم مصالحه الخاصة، و يؤكد وجوده فى الحكم، و قد قدمنا أنه كان تارة يتحرج من تنقص الحجاج بن يوسف، و تارة يصف الصحابة، ما عدا الإمام على (ع) ب «الملحدين»، و يصف الخليفة الثانى عمر بن الخطاب ب «جعل»، إلى آخر ما هنالك من الشواهد و الأدلة، مما لا نرى ضرورة لاعادته.

و لعل الأهم من ذلك كله: أن تفضيل المعتزلة - معتزلة بغداد - علياً (ع) على جميع الصحابة، لم يكن واضحاً بعد فى تلك الفترة، و إنما بدأه بشر بن المعتز حسبما سيأتى بيانه فى فصل خطة الإمام ...

و عليه فهذا الوجه لا يستقيم، على جميع الوجوه و التقادير.  
و أما ما جعله سبباً ثالثاً؛ فسيأتى الكلام عليه بنوع من التفصيل ...

و لكننا نستغرب منه جداً، بل و نأسف كل الأسف، لما طلع به علينا؛ بما جعله سبباً رابعاً: من أن عدم تولى الأئمة للحكم يكسبهم شيئا من التقديس؛ فأراد أن يولى الإمام الرضا العهد؛ ليزول عنهم ذلك التقديس - و قد أشرنا سابقاً إلى أنه استوحى هذه الفكرة من ابن القفطى فى تاريخ الحكماء ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٢٥٧

و ليس واضحاً تماماً من هم «الأئمة»، الذين يقصدهم أحمد أمين فى عبارته تلك. و إذا ما كان يقصد الأئمة الاثنى عشر، حيث إنه فى معرض الحديث عن أحدهم، و هو الإمام الرضا ... بل أعلن ذلك صراحة فى عبارته الاخرى، التى أوردها فى كتابه: «المهدى و المهديوة» - إذا كان كذلك -، فإنا نرى: أن لنا كل الحق فى أن نتساءل:

هل عثر أحمد أمين لهؤلاء الأئمة، أو لواحد منهم على ما يتنافى مع التقديس، على مدى تاريخهم الطويل؟! و هل يستطيع أن يثبت عليهم أدنى شيء يمس كرامتهم، و يتنافى مع مروءتهم، و يخالف دينهم و رسالتهم؟! ...

و لما ذا تظهر تفاهات غيرهم، و أخطاءهم، رغم اجتهادهم و تفانيهم في سترها، و اخفائها ... و لا تظهر أخطاء هؤلاء الأئمة، رغم اجتهاد الناس في الافتراء عليهم، و التعرف على أية نقيصة أو خطأ منهم إن كان؟!..

و متى كان هؤلاء الأئمة مستورين عن الناس، منفصلين عنهم، حتى استطاعوا أن يحصلوا على هذا التقديس؟!..

و هل كل شخصية لا تصل إلى الحكم يقدسها الناس؟!..

و هل كل شخصية تصل إلى الحكم لا يقدسها الناس؟!..

و هل التقديس مقصور على الشخصية المستورة، و لاحظ للشخصية الظاهرة منه؟!..

و هل أثر وصول الإمام على (ع) للحكم طيلة أكثر من أربعة أعوام على تقديس الناس له؟!..

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العامل، ص: ٢٥٨

و هل يستطيع أحمد أمين أن يذكر لنا خطأ واحدا، ارتكبه الإمام على (ع)، طيلة فترة حكمه؟! رغم أن معاوية و سواه، ممن كانوا معادين للإمام (ع)، ما كانوا يألون جهدا في الصاق التهم به، و الافتراء عليه؟!..

و أما عن الإمام الرضا (ع):

فمتى كان مستورا عن الناس، بعيدا عنهم؟!..

و هل تنفق دعواه باستتار الأئمة- و الرضا منهم- عن الناس، مع ما اعترف به المأمون نفسه للإمام الرضا (ع)، فيما كتبه بخط يده في وثيقة العهد، حيث يقول: «... و قد استبان له [أى للمأمون] ما لم تزل الأخبار عليه متواطئة، و الألسن عليه متفقه، و الكلمة فيه جامعة، و لما لم يزل يعرفه به من الفضل: يافعا، و ناشئا، و حدثا، و مكتهلا الخ...».

فهل يعقل: أن إنسانا من هذا النوع يكون مستترا عن الناس، بعيدا عنهم، و لا يعيش فيما بينهم، منذ حدثه سنة إلى أوان اكنهاله؟!..

و مع ذلك ... فأى خطأ يستطيع أحمد أمين، أن يسجله على الإمام الرضا (ع) طيلة الفترة التي عاشها مع المأمون، رغم محاولاته الجادة- و هو الحاكم المطلق- من أجل أن يضع من الامام (ع) قليلا قليلا، و يصوره أمام الرعية بصورة من لا يستحق لهذا الأمر، على حد تعبير نفس المأمون؟!..

و هل لم يقرأ أحمد أمين أقوال كبار علماء أهل السنة، و أئمتهم، و تصريحاتهم الكثيرة جدا حول أئمة أهل البيت (ع)، و الإمام الرضا منهم بالذات؛ ليعرف مقدار عظمتهم، و طهارتهم، و نزاهتهم التي لا يشك، و لا يرتاب، و لا يناقش فيها أحد؟!..

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العامل، ص: ٢٥٩

و أخيرا ... هل زال ذلك التقديس عن الإمام الرضا، عند ما ظهر للناس؟! أم أن الأمر كان على عكس ذلك تماما؟!..

هذه بعض الأسئلة التي نوجهها للاستاذ: «أحمد أمين»، و لكل من يرى رأيه، و يذهب مذهبه ... و إننا لعلى يقين من أنها سوف لن تجد لدى هؤلاء الجواب المقنع و المفيد ... و إنما ستواجه عنتا و عنادا صاعقين، يبتزان منهم كل غريبه، و يظهران الكثير الكثير من الترهات العجيبة ... و لكن ليطمئن بالهم، و تهدأ نائرتهم؛ فإننا سوف لن نستغرب عليهم مثل هذه الترهات، و لن نعجب لمثل تلك الافتراءات؛ فما تلك إلا: «شنشنة أعرفها من أخزم» ...

### رأى غريب آخر في البيعة:

هذا ... و يرى بعض المؤلفين: أن المأمون كان في بيعته للرضا (ع) واقعا تحت تأثير القوات المسلحة، و أنها هي التي أجبرته على ذلك، حيث كان القسم الكبير من قوادها، و زعماء فرقتها يميلون إلى العلويين، و قد شرطوا عليه: أنهم لا يفتحون نار الحرب ضد

الأمين إلا إذا جعل الرضا ولي عهده؛ فأجابهم إلى ذلك «١» ...

و أقول: ليت هذا المؤلف ذكر لنا اسم ذلك المؤرخ، الذى نقل له هذا الاشتراط من أولئك القواد على المأمون، و الذى تنافيه تصريحات المأمون نفسه، و سلوكه مع الإمام (ع)، حتى قبل أن يصل إلى مرو، و كذلك سائر مواقفهم معه، و التى تكشف عن حقيقة دوافعه و نواياه إلى آخر ما هنالك مما قدمنا و سيأتى شطر منه.

(١) هذا ما ذكره الشيخ القرشى فى كتابه: حياة الامام موسى بن جعفر ج ٢ ص ٣٨٧.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٢٦٠

و أحسب أن هذا المؤلف يشير بما ذكره هنا إلى ما ذكره جرجى زيدان فى روايته: «الأمين و المأمون» ص ٢٠٣، طبع دار الاندلس، فقد ذكر أن الفضل بن سهل قد اشترط على المأمون ذلك. و احتمال ذلك أيضا فى كتابه: تاريخ التمدن الإسلامى، المجلد الثانى جزء ٤ ص ٤٣٩. و كأن مؤلفنا يريد أن يقول: إن المأمون كان مضطرا إلى إجابتهم: إما خوفا من انتقاضهم عليه، أو رغبة فى القضاء على أخيه الأمين، أو للسينين معا ... و لكن هذا الاشتراط كما قلنا، ليس له أى سند تاريخى يدعمه، بل الشواهد التاريخية كلها على خلافه، سيما و نحن نرى الفضل بن سهل و أخاه يمانعان فى عقد البيعة للرضا. و ما ذكره «زيدان»، لا يصلح شاهدا تاريخيا، بعد أن كان روائيا، لا يلتزم بالحقائق التاريخية ... و بعد أن لاحظنا: أنه يتعمد التضليل فى كتابه: تاريخ التمدن الإسلامى ...

و أحسب أن هذا هو عين الاتهام الموجه للفضل بن سهل فى أمر البيعة؛ بأنه هو المدبر لها، و القائم بها. لكنه صيغ بنحو آخر فيه الكثير من الايهام و الابهام ...

### وفريق آخر يرى:

و هناك بعض الباحثين يرى: أن من جملة الأسباب الهامة للبيعة: هو أن المأمون أراد أن يحذر العباسيين من مغبة المخالفة له، و الاستمرار فى ذلك. و أن يرغمهم، و يدفعهم إلى الوقوف إلى جانبه؛ بدافع من خوفهم من انتقال الخلافة عنهم إلى خصومهم العلويين. و أن ينتقم منهم بسبب خلعهم له من ولاية العهد، و تأييدهم أخاه الأمين عليه، و تشجيعهم له الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٢٦١. ضده. كما أنه يكون بذلك قد جمع المزيد من المؤيدين له، ليستطيع مقابلتهم، و الوقوف فى وجههم، و ينتقم منهم «١».

### و لكنه رأى لا تمكن المساعدة عليه:

لأن منطق الأحداث، و واقع ظروف المأمون يأتين كل الالباء أن يكون هذا سببا منطقيا للبيعة ... و قد قدمنا فى الفصلين السابقين البيان الكافى و الوافى لما يتعلق بهذا الموضوع ... هذا بالإضافة إلى أن ذلك لا يتلائم مع ما هو معروف عن المأمون، من الدهاء و السياسة، و هل يمكن أن يقدم المأمون على خلق و إثارة مشاكل هو فى غنى عنها؟ و على الأخص فى تلك الفترة من الزمن، التى كانت طافحة بالمشاكل، كان العصيان فيها معلنا فى أكثر مناطق الدولة، و مهددا به من كل جانب و مكان؟!.

إن الحقيقة هى: أن المأمون فى تلك الفترة بالذات، كان بحاجة إلى أن يكتسب ثقة و حب أى إنسان كان. فضلا عن ثقة و حب أهل بيته، و عشيرته: العباسيين ...

ثم ... و هل يمكن أن يلجأ المأمون للانتقام منهم، الى هذا الاسلوب العاجز، بعد أن خضعوا له و انقادوا لأمره، و سلموا بالأمر الواقع، بعد مقتل الأمين؟!.

و لما ذا لا يقدر: أنهم سوف يقابلونه بالمثل، و يقومون في وجهه؛ ثارا لكرامتهم، و دفاعا عن وجودهم؟! ...  
و لما ذا يعطيهم الفرصة لابراز عضلاتهم ضده، و يجعلهم يفكرون في

(١) الصلة بين التصوف و التشيع ص ٢١٩، و الامام الصادق و المذاهب الأربعة ج ٢ جزء ٤ ص ٤٩٢، و التريية الدينية للفضلى ص ١٠٠، الطبعة الخامسة، و غير ذلك ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٢٦٢  
تحدى سلطته، و هتك حرمة؟! ... حيث رأيناهم قد خلعوا المأمون؛ بسبب بيعته للإمام (ع)، و بايعوا لإبراهيم بن المهدي، فى أواخر  
ذى الحجة، من نفس السنة التى بويع فيها للإمام (ع) بولاية العهد.  
و أخيرا ... ألم يكن باستطاعة المأمون أن يصفى حساباته مع خصومه الضعفاء جدا، الذين كاد يلتهمهم المد العلوى و يقضى عليهم،  
بأساليب أخرى، أقل إثارة، و أشد نكايه؟! ...

و لقد أشرنا، و لسوف نشير الى ما قاله المأمون لحמיד بن مهر و جمع من العباسيين ... بل و يكفينا هنا: أن نلقى نظرة على ما قاله  
المأمون للعباسيين فى كتابه المعروف لهم، يقول المأمون: «... فإن تزعموا أنى أردت أن يؤول إليهم (يعنى للعلويين) عاقبة و منفعة،  
فإنى فى تدبيركم، و النظر لكم، و لعقبكم، و ابنائكم من بعدكم ...» و كذلك ما كتبه بخط يده فى وثيقة العهد ... إلى آخر ما  
هنالك مما لا مجال لنا هنا لتتبعه ...

فتلخص أن ما ذكر هنا، لا يمكن أن ينسجم مع ما يقال عن حنكة المأمون، و دهائه السياسى ...

### الفضل فى قفص الاتهام:

و أخيرا ... فإن بعض المؤلفين، كأحمد أمين فى كلامه المتقدم، و جرجى زيدان «١» و أحمد شلبى «٢»، و غيرهم. و بعض المؤرخين  
كابن الأثير فى الكامل، طبعة الثالثة ج ٥ ص ١٢٣، و ابن الطقطقى فى:

(١) تاريخ التمدن الاسلامى، المجلد الثانى جزء ٤ ص ٤٣٩.  
(٢) التاريخ الاسلامى و الحضارة الاسلامية ج ٣ ص ٣٢٠.  
الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٢٦٣  
الفخرى فى الآداب السلطانية ص ٢١٧، و غيرهما ... يرون أن الفضل بن سهل كان العامل الرئيسى فى لعبه «ولاية العهد» هذه، و أن  
المأمون كان فى ذلك واقعا تحت تأثير الفضل، الذى كان يتشيع.  
و يرى آخر: أن سبب إشارة الفضل على المأمون بذلك، هو أنه أراد أن يمحو ما كان من أمر الرشيد فى العلويين «١» ...

### الفضل برىء من كل ما نسب إليه:

أما نحن فإننا بدورنا نستطيع أن نؤكد على ما يلى:  
إن ما بأيدينا من النصوص التاريخية يابى عن نسبة التشيع للفضل، بل و حتى عن نسبة إشارته على المأمون بهذا الأمر، فضلا عن كونه  
المدبر له، و القائم به ... اللهم إلا أن تكون مؤامرة اشترك الرجلان معا فى وضع خطوطها العريضة، آخذان فى اعتبارهما ظروفهما، و  
مصالحهما الشخصية، ليس إلا ...

بل إن بعض النصوص تفيد أن الفضل كان عدوا للإمام (ع)، حيث إنه كان من صنائع البرامكة «٢»، أعداء أهل البيت (ع). و أنه لم

يكن حتى راغبا في البيعة للرضا (ع)، وأنه وأخاه قد مانعا في عقد العهد للرضا (ع)؛ فكيف يكون هو المشير على المأمون بالبيعة له ... بل لم يكن

(١) البحار ج ٤٩ ص ١٣٢، و عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٤٧، نقلا عن: البيهقي عن الصولي ...  
 (٢) البحار ج ٤٩ ص ١٤٣، ١١٣، و عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٦٦، و ص ٢٢٦.  
 (٣) مقاتل الطالبين ص ٥٦٣، و الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ٢٧٠، و نور الأبصار للشبلنجي ص ١٤٢، و كشف الغمة ج ٣ ص ٦٦، و روضة الواعظين ج ١ ص ٢٦٩، و البحار ج ٤٩ ص ١٤٥، و ارشاد المفيد ص ٣١٠، ٣١١، و غير ذلك ...  
 الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٢٦٤  
 يعلم أن المأمون يريد عقد البيعة له إلا بعد وصوله إلى خراسان و احضار المأمون له، و اعلامه بأنه يريد عقد البيعة له على ما في مقاتل الطالبين ص ٥٦٢ و الطبرى و غيرهما. و إن كان ربما يناقش في ذلك بمنافاته لرسالة الفضل التي ارسلها إلى الإمام و هو في المدينة و التي أوردها الرافعي في التدوين.  
 و ذلك ما يقوى أنه كان متآمرا على الإمام مع المأمون كما نصت عليه تلك الرسالة بأن ذلك عن اتفاق بينه و بين المأمون فراجعها. و لو أنه كان ممن يتشيع للإمام (ع)، فكيف يمكن أن يتآمر عليه، و يحاول أن يجعل للمأمون ذريعة للاقدام على التخلص منه (ع)، و ذلك عند ما ذهب إلى الرضا، و حلف له بأغلظ الأيمان، ثم عرض عليه قتل المأمون، و جعل الأمر إليه. (١)  
 لكن الإمام بسبب وعيه و تيقظه قد ضيع عليه و على سيده هذه الفرصة، حيث أدرك للتو أنها دسيسه و مؤامرة، فزجر الفضل و طرده، ثم دخل من فوره على المأمون، و أخبره بما كان من الفضل، و أوصاه أن لا يأمن له ...  
 و بذلك يكون الإمام (ع) قد ضيع على المأمون و الفضل فرصة تنظيم اتهام له بما لم يكن - كما أنه يكون قد شكك المأمون في اخلاص الفضل له.

و عاد الفضل من مهمته تلك بخفى حنين، يجر هو و سيده أذيال الخيبة، و الخزي، و الخسران ...  
 أما إذا كان الفضل قد أقدم على ذلك من دون علم المأمون - كما

(١) و ان كنا لا نستبعد أن يكون قد أقدم على ذلك من دون علم المأمون؛ و بدافع من حقه الدفين على الامام عليه السلام، و حسده له؛ يريد بذلك تمهيد السبيل لقتله؛ ليخلو له الجو، و ليفعل من ثم ما يشاء و حسبما يريد.  
 الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٢٦٥  
 هو غير بعيد - فليس ذلك إلا بدافع من حقه الدفين على الإمام (ع)، و حسده له، يريد بذلك تمهيد الطريق لمقتله، ليخلو له الجو، و ليفعل من ثم ما يشاء، و حسبما يريد ...  
 و أيا ما كانت الحقيقة، فإن النتيجة ليست سوى الخزي و العار، و الخيبة القاتلة بالنسبة للفضل في هذه القضية ...  
 و ياليت كان قد قنع بذلك ... و لكنه استمر في تحريض المأمون على التخلص من الإمام (ع)، حتى إن بعض المؤرخين يرى: أن المأمون لم يقتل الإمام إلا بتحريض من الفضل بن سهل !!! ...  
 و بعد ... فهل يمكن أن تنسجم دعوى تشييعه مع إشارته على المأمون بارجاع الإمام عن صلاة العيد، و ذلك حتى لا تخرج الخلافة منه؟! ...

كما سنشير إليه إن شاء الله.

و أيضا ... مع إظهاره العداوة الشديدة للإمام (ع) و حسده له على ما كان المأمون يفضله به، على حد تعبير الريان بن الصلت؟! «١».

و كذلك مع اصطناعه هشام بن إبراهيم الراشدي، و جعله عيناً للمأمون على الإمام، ينقل إليه حركاته و سكناته، و يمنع الناس من الوصول إليه حسبما تقدم!!؟.

و لو أن الفضل كان ممن يتشيع للإمام، لكان يجب أن يعد من أعظم البلهاء، إذ كيف لا يلتفت لأمر المأمون المؤكد لرسله: أن لا يَمروا بالإمام عن طريق الكوفة و قم، لثلا يفتتن به الناس. ثم إلى تهديداته له بالقتل، إن لم يقبل ما يعرضه عليه، ثم إلى جلبه العلماء و المتكلمين

(١) مسند الامام الرضا ج ١ ص ٧٨، و البحار ج ٤٩ ص ١٣٩، و عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٥٣.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ٢٦٦

من أقاصى البلاد، من أجل افحام الإمام، و اظهار جهله و عجزه، إلى آخر ما هنالك، من صفحات تاريخ المأمون السوداء. ثم نرى أنه هو بنفسه يشارك في ذلك كله، و سواه، و يعمل من أجله حتى لقد شارك في التهديد للإمام، إن لم يقبل ما يعرضه عليه المأمون ...

و إذا كان نفوذه قد بلغ حدا يجعل المأمون يتنازل عن عرشه- الذى قتل من أجله أخاه- لرجل غريب، فلما ذا لا يعمل هذا النفوذ من أجل أن يمنع المأمون عن ذلك السلوك اللإنسانى، الذى انتهجه مع الإمام، ابتداء من حين وجود الإمام فى المدينة، و إلى آخر لحظة عاشها معه، و بعد ذلك إلى ما شاء الله ... هذا كله من جهة ...

### موقف الإمام من الفضل ينفى نسبة التشيع له:

و من جهة ثانية ... لو كان للفضل فضل فى مسألة البيعة للإمام (ع)، أو كان ممن يتشيع له، لم يكن من اللائق من الرضا (ع)، أن يخبر المأمون بما عرضه عليه الفضل من قتل المأمون، و جعل الأمر إليه ... و لا من المناسب أن يوصيه بأن لا يأمن له، و يخبره بغشه و كذبه، و أنه يخفى عنه حقيقة ما يجرى فى بغداد، و غيرها «١» ... و لا- من اللائق منه أيضا: أن يعامله تلك المعاملة، التى لا- يعامل بها المحبون المخلصون، و التى كان فيها الكثير من الخشونة، و الاحترار و الامتهان، فقد قدمنا أنه عند ما ذهب إليه الفضل يطلب منه كتاب

(١) تاريخ الطبرى، طبع ليدن ج ١١ ص ١٠٢٥.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ٢٦٧

الامان، لم يسأله عن حاجته إلا بعد ساعة من وقوفه، ثم أمره بقراءة الكتاب، فقرأه- و كان كتابا فى اكبر جلد- و هو واقف، لم يأذن له بالجلوس ...

و كذلك لم يكن من اللائق منه: أن يزرى عليه عند المأمون، فقد ذكر المؤرخون: أنه «... كان يذكر ابنى سهل عند المأمون، و يزرى عليهما، مما دفعهما إلى السعاية به، و كان يوصيه أن لا يأمن لهما» «١».

إلى آخر ما هنالك مما لا- يصدر من اى انسان عادى آخر فى حق من يتشيع له، فضلا عن يتسبب فى جعله وليا لعهد الخلافة الإسلامية للامام بأسرها.

### و المأمون نفسه يستنكر ذلك:

و من جهة ثالثة ... فقد كفانا المأمون نفسه مؤونة الحديث عن دور الفضل بن سهل في هذه القضية ... و لا شك أن «عند جهينة الخبر اليقين».

فقد قدمنا في الفصل السابق: أن الريان بن الصلت- و كان من رجال الحسن بن سهل «٢»!!- عند ما رأى أن القواد و العامة قد أكثروا في بيعه الرضا، و أنهم يقولون: «إن هذا من تدبير الفضل» ... قال للمأمون ذلك، فأجابه المأمون: «... و يحك يا ريان!! أ يجسر أحد أن يجيء إلى خليفة قد استقامت له الرعية، و القواد، و استوت الخلافة، فيقول

(١) مقاتل الطالبين ص ٥٦٥، ٥٦٦، و إعلام الوري ص ٣٢٥، و كشف الغمة ج ٣ ص ٧١، و روضة الواعظين ج ١ ص ٢٧٦، و البحار ج ٤٩، و إرشاد المفيد، و أعيان الشيعة، و غير ذلك ...

(٢) صرح بأنه من رجاله في كتاب: البحار ج ٤٩ ص ١٣٣، و عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٤٩.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العامل، ص: ٢٦٨

له: ادفع الخلافة من يدك إلى غيرك؟! أ يجوز هذا في العقل!!؟ ... الخ» لا ... أبدا ... لا يمكن أن نتصور، و لا يجوز في العقل: أن يأتي وزير ملك إليه، و يطلب منه التنازل عن عرشه، و يسلمه إلى رجل غريب، و هو يعلم أن ذلك الملك، قد قتل أخاه، و غيره، و هدم البلاد، و أهلك العباد، من أجل ذلك العرش ... هذا مع علمه أنه سوف لا يكون له هو في دولة ذلك الرجل الجديد الغريب، أى شأن، أو دور يذكر. أو على الأقل لن يكون له من النفوذ، و السلطة و الطول، ما كان له مع ذلك الملك الأول. بل سوف يكون كأي فرد عادى آخر، محكوما لا حاكما، بكل ما لهذه الكلمة من معنى ... اللهم إلا أن يكون قد تأمر مع ذلك الملك الأول، لتنفيذ خطة معينة، قد رسماها معا من قبل، و عملا على أن تكون الامور في نهاية الأمر في صالحهما، و من أجل تعزيز نفوذهما و سلطتهما ...

### أما حصيلة هذه الجولة:

و هكذا ... تأبى الأحداث، و يأبى المنطق أن يكون للفضل في هذه القضية شىء، إلا عن طريق التآمر و التواطؤ مع سيده المأمون، أفعى الدهاء و السياسة، بعد دراسة دقيقة مشتركة للوضع، و تقييم عام له ...

اتفقا على أثره على خطة للتخلص من المشاكل التي كانت تعترض سيبلهما، و تشكل - إلى حد ما - خطرا على وجودهما في الحكم، و تفردهما بالسلطة ... و بذلك فقط نستطيع أن نفسر قول ابراهيم بن العباس في مدح الفضل في جملة أبيات له:

و إذا الحروب غلت بعثت لها رأيا تفل به كتائبها

رأيا إذا نبت السيوف مضى عزم به فشفى مضاربها

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العامل، ص: ٢٦٩ أجرى إلى فئة بدولتها و أقام في أخرى نوادبها «١» و لعل الفضل كان مخدوعا!!.

و لكن ألا يحتمل قريبا: أن يكون الفضل مخدوعا في هذه المرة على الأقل؟ و أنه هو أيضا راح ضحية تآمر و تضليل من نفس سيده: المأمون؟! ..

الحقيقة أن ذلك أمر محتمل جدا، لأننا نرى في النصوص التاريخية، ما يشير لنا بوضوح إلى أن الفضل لم يكن سوى لعبة بيد المأمون، و أنه قد جازت عليه حيلته في بادئ الأمر، بادعائه: أنه إنما يوليه العهد، لأنه يريد خير الامه و مصلحتها. أو لأنه يريد أن يفى بنذره (أى أنه نذر إن ظفر بأخيه الأمين؛ فلسوف يسلم الخلافة لرجل غريب!!) ..

و قد تقدم أن ابن القفطى يرى أن الفضل لم يكن عارفا بسر القضية، و لا عالما بواقع الأمر .. و لعلنا نستطيع: أن نستدل على ذلك بقوة بمانعة الفضل و أخيه الحسن في هذا الأمر ..



كما أننا رأينا المأمون: يرفض أن يطلب من الإمام (ع) كتاب الأمان للفضل، بحجة أن الإمام كان قد اشترط: أن لا يتدخل في شىء من أمور الدولة و شئونها «٢».

ثم نرى المأمون نفسه يطلب من الإمام: أن يولى فلانا، أو أن يكتب إلى فلان بكذا، أو أن يساعده فى إدارة شئون الخلافة، أو أن

(١) الأغاني ط ساسى ج ٩ ص ٣١-٣٢.

(٢) أعيان الشيعة ج ٤ قسم ٢ ص ١٣٩، و عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٦٢، و البحار ج ٤٩ ص ١٦٨، و مسند الإمام الرضا ج ١ ص ٨٨.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٢٧٠  
يصلى بالناس، إلى غير ذلك من الامور .. مع أن ما كان يريد الفاضل من الإمام، لم يكن له من الأهمية مثل ما كان يطلبه منه المأمون ..  
و على كل فقد يجوز للمأمون- حتى مع الشرط- ما لا يجوز لغيره بدونه ..

### الفضل يقع فى الشرك

: و اخيرا .. فلا يسعنا فى ختام هذا الفصل إلا أن نقول:

مسكين الفضل بن سهل، لقد استطاع المأمون أن يبرئ ساحة نفسه، من كل الذنوب العظيمة و الخطيرة التى ارتكبها، و أن يجعل هذا الوزير المسكين، الذى كان عدوا للإمام، و الذى لم يشعر إلا و هو فى الفخ، هو المسئول عن أكثر جرائمه و موبقاته، بل و عنها جميعا، حتى البيعة للرضا (ع)، بل و حتى عن قتل أخيه الأمين!! و لقد أدرك الفضل أنه قد وقع فى الشرك، و لكن .. بعد فوات الأوان، و لذا نراه يمتنع عن الذهاب إلى بغداد، لأنه يعرف ما سوف يواجهه من مشاكل و أخطار، و ما سوف يتعرض له من مؤامرات، و حاول بكل وسيلة أن يقنع المأمون بالعدول عن رأيه، و بين له صراحة أنه هو المتهم بالبيعة للرضا، و بقتل الأمين، فلقد قال له: «... يا أمير المؤمنين، إن ذنبى عظيم عند أهل بيتك، و عند العامة، و الناس يلوموننى بقتل أخيك المخلوع، و ببيعة الرضا، و لا آمن السعاة و الحساد، و أهل البغى أن يسعوا بى، فدعنى أخلفك بخراسان الخ ..» «١».

(١) أعيان الشيعة ج ٤ قسم ٢ ص ١٣٩، و عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٦٢، و مسند الامام الرضا ج ١ ص ٨٧، و البحار ج ٤٩ ص ١٦٧.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٢٧١  
و لكن أنى له أن يتركه المأمون، الذى كان يريد التخلص منه، من أجل أن ترضى عنه بغداد، مضافا إلى أنه هو أيضا كان يخشاه و يخافه ..

فلقد كان قد أعدّ العدة، و أحكم الخطة فى أمره، و لم يبق إلا التنفيذ (كما سيأتى بيانه) ..  
و بعد أن يئس الفضل من اقناع المأمون، حاول أن يحتاط لنفسه ما أمكنه ذلك، فطلب منه أن يكتب له كتاب ضمان و أمان، فاستجاب المأمون لهذا الطلب، و كتب له كتابا «١»، يسمى كتاب الحياء و الشرط يظهر بوضوح الدور الذى لعبه الفضل فى تشييد صرح خلافة المأمون، و توطيد سلطانه.

و نلاحظ: أن المأمون قد كتب للفضل كل ما يريد، بل و زاد على ما كان يتوقعه الفضل الشىء الكثير، إذ لم يكن يرى فى ذلك أى ضرر عليه، ما دام أنه قد أحكم الخطة، و دبر له النهاية.

و كما رسم و دبر .. كانت النهاية!! ..

### لما إذا الإصرار على اتهام الفضل

: و هكذا .. فإننا بعد كل ما تقدم، لا نرى مجالاً للإصرار على نسبة التشيع للفضل، أو القول: بأن المأمون كان واقعا في أمر البيعة تحت تأثيره، و خاضعا لارادته، فقد يكون الفضل قد أعطى أكثر مما يستحقه من النفوذ و القدرة .. و لعل إصرار أولئك أو هؤلاء على اتهام الفضل بذلك، حتى و إن أنكره المأمون نفسه، و كذبت جميع الوقائع و الأحداث- لعله- يرجع إلى حرصهم على أن لا يتهم المأمون- السلطة- بما

(١) الكتاب موجود في: البحار ج ٤٩ ص ١٦٠، ١٦٢، و عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٥٧، ١٥٩، و أوعز إليه اليعقوبي في تاريخه ج ٢ ص ٤٥١ طبع صادر

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ٢٧٢

لا يحبون اتهامه به، كالتشيع، و الحب لآل على (ع)، أو ليرءوا ساحتهم من هذه التهمة، لو فرض وجودها فعلا .. أو لعل لأنهم لم يكونوا على درجة من الوعي تؤهلهم لإدراك حقيقة ظروف المأمون، و أهدافه من البيعة ..

هذا .. و قد رأينا: أن العباسيين في بغداد، بمجرد وصول نبأ البيعة لهم، يتهمون الفضل بن سهل بتدبيرها «١» .. مع أنهم لم يكونوا قد اطلعوا بعد على حقيقة الأمر و واقع القضية، و ما ذلك إلا لما قلناه، و ليقوا على علاقاتهم مع المأمون، و ليقى باب الصلح معه في المستقبل مفتوحا .. و كذلك ليحافظوا على شخصية المأمون، حتى لا تلتصق بها تهمة، يعلمون هم أكثر من غيرهم- و أهل البيت أدري بما فيه- ببراءته منها، ألا و هي تهمة: الحب لعلی، و آل بيته ..

و لعله أيضا لهذه الاسباب نفسها جعلوا المأمون لعبة في يد الفضل، و أنه لا يملك معه من الأمر شيئا، حتى لقد قالوا عنه: إنه مسجون و مسحور «٢». و إن كان لا شاهد لهذه الدعوى أصلا إلا البيعة للرضا (ع)، و لولاها لكان العكس عندهم هو الصحيح فعلا ..

جميل .. و جميل جدا .. فلقد أصبح المأمون لعبة بيد الفضل، و إن كانت جميع الدلائل و الشواهد متظافرة على العكس من ذلك .. و لو لم يكن ذلك يكفي لتبرئة المأمون، فهم على استعداد لاتهامه بعقله، كما قد حدث ذلك بالفعل، فذلك عندهم خير من اتهامه بالحب لآل على، و التشيع لهم ..

(١) فقد اتهموا الفضل بذلك بمجرد وصول رسالة الحسن بن سهل إليهم، يخبرهم فيها بأمر البيعة .. راجع: الطبري ج ١١ ص ١٠١٣، طبع ليدن و تجارب الامم ج ٦ ص ٤٣٦ و غير ذلك من كتب التاريخ.

(٢) راجع: البداية و النهاية ج ١٠ ص ٢٤٨، و الطبري ج ١١، و غير ذلك ..

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ٢٧٣

### احتمال وجيه جدا

: على أننا لا نستبعد كثيرا .. أن يكون المأمون نفسه قد شجع و غذى هذه التبريرات و التموهيات، و خصوصا بعد مقتل الفضل، ليبرى نفسه أمام العباسيين، و ليشوه الفضل .. كما أننا لا نشك أبدا في أن كثيرا مما يذكر عن الأمين هو في عداد الخرافات و الأساطير، التي شجعها المأمون و حزبه، لأن الأمين كان هو المغلوب، و المأمون كان هو الغالب .. و للغالب القدرة، بل و الحق أيضا- في نظر قاصري النظر- في أن يشوه المغلوب، و يصوره بالصورة التي يريد ..

و يدلنا على أن المأمون هو المسئول عن ذلك، ما رواه الحصرى فى زهر الآداب من: «أنه لما خلع المأمون أخاه الأمين، و وجه بطاهر ابن الحسين لمحاربتة، كان يعمل كتبا بعيوب أخيه، تقرأ على المنابر بخراسان الخ ..» «١». و طبيعى بعد ذلك: أن على الكتاب و المؤرخين الذين ما كانوا أحرارا، و لا يعتمدون النزاهة فى كتاباتهم: أن يؤرخوا كما يريد المأمون، و أن يكتبوا ما يمليه عليهم، لا ما هو حق و واقع ..

يرونه بام أعينهم. أو تحكم به- إن كانت- ضمائرهم ..

و أخيرا .. و إذا تحقق أن الفضل برىء من تهمة التشيع، و تهمة تدبير أمر البيعة الاعلى نحو التآمر، فلا يعنى ذلك أنه برىء مما هو أشنع من ذلك و أقبح «فكل إناء بالذى فيه ينضح» ..

(١) راجع: امراء الشعر العربى فى العصر العباسى ص ٨٦، نقلا عن: زهر الآداب ج ٢ ص ١١١، تحقيق زكى مبارك، و طبع دار الجيل ج ٢ ص ٤٦٤.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٢٧٤

### القسم الثالث أضواء على الموقف:

#### إشارة

١- عرض الخلافة، و رفض الإمام ..

٢- قبول ولاية العهد بعد التهديد ..

٣- مدى جدية عرض الخلافة ..

٤- موقف الإمام ..

٥- خطة الإمام ..

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٢٧٧

### عرض الخلافة، و رفض الامام (ع)

#### نصوص تاريخية

: تحدثنا كتب التاريخ: أن المأمون كان قد عرض الخلافة على الإمام أولا .. «١» لكنه (ع) رفض قبولها أشد الرفض، و بقى مدة يحاول اقناعه بالقبول؛ فلم يفلح .. و قد ورد أن محاولاته هذه، استمرت فى مرو وحدها أكثر من شهرين و الإمام عليه السلام يأبى عليه ذلك «٢».

بل لقد ورد أنه (ع) كان قد أجاب المأمون بما يكره؛ فقد:

قال المأمون للإمام: «.. يا ابن رسول الله، قد عرفت فضلك، و علمك، و زهدك، و ورعك، و عبادتك؛ و أراك أحق بالخلافة منى ..».

(١) كما نص عليه فى البداية و النهاية ج ١٠ ص ٢٥٠، و الفخرى فى الآداب السلطانية ص ٢١٧، و غاية الاختصار ص ٦٧، و ينابيع المودة للحنفى ص ٣٨٤، و مقاتل الطالبين، و غير هؤلاء كثير. و سنشير فى آخر هذا الفصل إلى طائفة منهم أيضا ..

لكن السيوطى قال فى تاريخ الخلفاء: «... حتى قيل: أنه همّ أن يخلع نفسه، و يفوض الأمر إليه ..» أما رفضه لذلك؛ فهو أشهر من أن يذكر كما سيأتى ...

(٢) عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٤٩، و البحار ج ٤٩ ص ١٣٤، و ينابيع المودة و غير ذلك.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٢٧٨

فقال الإمام (ع): «.. بالزهد بالدنيا أرجو النجاة من شر الدنيا، و بالورع عن المحارم أرجو الفوز بالمغانم، و بالتواضع فى الدنيا أرجو الرفعة عند الله ..

قال المأمون: فانى قد رأيت أن أعزل نفسى عن الخلافة، و أجعلها لك، و أباعك؟! ..

فقال الإمام (ع): إن كانت هذه الخلافة لك؛ فلا يجوز أن تخلع لباسا ألبسه الله، و تجعله لغيرك، و إن كانت الخلافة ليست لك؛ فلا يجوز أن تجعل لى ما ليس لك «١».

قال المأمون: لا بد لك من قبول هذا الأمر!! فقال الإمام (ع): لست أفعل ذلك طائعا أبدا ..

فما زال يجهد به اياما، و الفضل و الحسن «٢» يأتياه، حتى يئس من قبوله ..

و خرج ذو الرئاستين مرة على الناس قائلا: وا عجباً!! و قد رأيت عجباً!! رأيت المأمون أمير المؤمنين يفوض أمر الخلافة إلى الرضا.

(١) عبارة تاريخ الشيعة ص ٥١، ٥٢، هكذا: «... إن كانت الخلافة حقا لك من الله، فليس لك أن تخلعها عنك، و توليها غيرك. و إن لم تكن لك؛ فكيف تهب ما ليس لك ..» و هذه أوضح و أدل.

(٢) لا- ندرى ما الذى أوصل الحسن بن سهل إلى مرو، مع أنه كان آتئذ فى العراق، و لعل ذكر الحسن اشتباه من الراوى. و احتمال السيد الأمين فى أعيان الشيعة ج ٤ قسم ٢ ص ١٢٠: أن يكون المأمون قد استدعى الحسن بهذه المناسبة إلى خراسان؛ فلما تم أمر البيعة عاد إلى بغداد.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٢٧٩

و رأيت الرضا يقول: لا طاقة لى بذلك، و لا قدرة لى عليه .. فما رأيت خلافة قط كانت أضيع منها «١».

(١) راجع فى جميع هذه النصوص بالاضافة إلى ما تقدم: روضة الواعظين ج ١ ص ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، و إعلام الورى ص ٣٢٠، و علل الشرائع ج ١ ص ٢٣٦، و ينابيع المودة ص ٣٨٤، و أمالى الصدوق ص ٤٢، ٤٣، و الإرشاد ص ٣١٠، و كشف الغمة ج ٣ ص ٦٥، ٦٦، ٨٧، و عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٤٩، ١٤٠، و المناقب ج ٤ ص ٣٦٣، و الكافي ج ١ ص ٤٨٩، و البحار ج ٤٩، ص ١٢٩، ١٣٤، ١٣٦، و معادن الحكمة، و تاريخ الشيعة، و مثير الأحزان ص ٢٦١، و شرح ميمية أبى فراس ص ١٦٤، ١٦٥، و غاية الاختصار ص ٦٨.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٢٨٠

## قبول ولاية العهد بعد التهديد

### مع محاولات المأمون لاقتناع الإمام

: الذى يبدو من ملاحظة كتب التاريخ و الرواية، هو: أن محاولات المأمون لاقتناع الامام بما يريد، كانت متعددة، و متنوعة. و أنها بدأت من حين كان الإمام (ع) لا يزال فى المدينة؛ حيث كان المأمون يكاتبه، محاولا إقناعه بذلك؛ فلم ينجح، و علم الإمام أنه لا يكف عنه ..

ثم أرسل رجاء بن أبي الضحاك، وهو قرابة الفضل والحسن ابني سهل «١»؛ فأتى بالإمام (ع) من المدينة الى مرو رغما عنه .. و بذل المأمون في مرو أيضا محاولات عديدة، استمرت أكثر من شهرين. و كان يتهدد الإمام بالقتل، تلويحا تارة، و تصريحاً أخرى، و الإمام (ع) يأبى قبول ما يعرضه عليه .. إلى أن علم أنه لا يمكن أن يكف عنه، و أنه لا محيص له عن القبول؛ فقبل ولاية العهد مكرها، و هو باك حزين - على حد تعبير الكثيرين -، و كانت البيعة له في السابع من شهر رمضان، سنة (٢٠١ هـ -)، كما يتضح من تاريخ ولاية العهد ..

(١) و قيل: أنه عمهما. و قد كان رجاء هذا من قواد المأمون. و قد ولاه المأمون خراسان مدة، لكنه أساء السيرة؛ فعزله .. الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ٢٨١

### بعض ما يدل على عدم رضا الإمام (ع)

: و النصوص الدالة على عدم رضا الإمام (ع) بهذا الأمر كثيرة، و متواترة؛ فقد قال أبو الفرج: «.. فأرسلهما (يعني الفضل و الحسن ابني سهل) إلى علي بن موسى؛ فعرض ذلك (يعني ولاية العهد) عليه، فأبى؛ فلم يزالا به، و هو يأبى ذلك، و يمتنع منه .. إلى أن قال له أحدهما: إن فعلت ذلك، و إلا فعلنا بك و صنعنا، و تهدده، ثم قال له أحدهما: «و الله، أمرني بضرب عنقك، إذا خالفت ما يريد!!» ثم دعا به المأمون، و تهدده؛ فامتنع، فقال له قولاً شبيهاً بالتهديد، ثم قال له: «إن عمر جعل الشورى في ستته، أحدهم: جدك، و قال: من خالف فاضربوا عنقه، و لا بد من قبول ذلك ..» «١»!!

و يروى آخرون: أن المأمون قال له: «.. يا ابن رسول الله، إنما تريد بذلك (يعني بما أخبره به عن آباءه من موته قبله مسموما) التخفيف عن نفسك، و دفع هذا الأمر عنك؛ ليقول الناس: إنك زاهد في الدنيا .. فقال الرضا: و الله، ما كذبت منذ خلقني ربي عز و جل، و ما زهدت في الدنيا للدنيا؛ و إنى لأعلم ما تريد؟! ..» فقال المأمون: و ما أريد؟! قال: الأمان على الصدق؟ قال: لك الأمان.

قال: تريد بذلك أن يقول الناس: إن علي بن موسى لم يزهده في

(١) مقاتل الطالبين ص ٥٦٢، ٥٦٣، و قريب منه ما في ارشاد المفيد ص ٣١٠ و غير ذلك.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ٢٨٢

الدنيا، بل زهدت الدنيا فيه؛ ألا ترون: كيف قبل ولاية العهد طمعا في الخلافة؟! فغضب المأمون، و قال له: «إنك تلتقاني أبدا بما أكرهه. و قد آمنت سطوتي، فبالله أقسم: لئن قبلت ولاية العهد، و إلا أجبرتك على ذلك؛ فإن فعلت، و إلا ضربت عنقك ..» «١».

و قال الإمام الرضا (ع) في جواب سؤال الريان له، عن سرّ قبوله لولاية العهد:

«.. قد علم الله كراهتي لذلك؛ فلما خيرت بين قبول ذلك و بين القتل، اخترت القبول على القتل. و يحهم .. إلى أن قال: و دفعتي الضرورة إلى قبول ذلك، على إجبار و اكراه، بعد الاشراف على الهلاك إلخ ...» «٢».

و قال في دعاء له: «.. و قد اكرهت و اضطررت، كما أشرفت من عبد الله المأمون على القتل، متى لم أقبل ولاية العهد ..».

و قال في جواب أبي الصلت: «و أنا رجل من ولد رسول الله (ص)

(١) راجع في ذلك: مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣٦٣، و أمالي الصدوق ص ٤٣، و عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٤٠، و علل الشرائع

ج ١ ص ٢٣٨، و مثير الأحران ص ٢٦١، ٢٦٢، و روضة الواعظين ج ١، ص ٢٦٧، و البحار ج ٤٩ ص ١٢٩، و غير ذلك. و فى تاريخ الشيعة ص ٥٢: أنه بعد أن عرض عليه الخلافة، و أجابه بالجواب المتقدم فى الفصل السابق، قال له: «... إذن، تقبل ولاية العهد. فأبى عليه الإمام أشد الإباء؛ فقال له المأمون: «.. ما استقدمناك باختيارك، فلا نعهد إليك باختيارك. و الله، إن لم تفعل ضربت عنقك ..».

(٢) علل الشرائع ج ١ ص ٢٣٩، و روضة الواعظين ج ١ ص ٢٦٨، و أمالى الصدوق ص ٧٢، و البحار ج ٤٩ ص ١٣٠، و عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٣٩.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٢٨٣  
أجبرنى على هذا الأمر و اكرهنى عليه ..  
بل لقد أعرب عن عدم رضاه فى نفس ما كتبه على ظهر وثيقة العهد، و أنه يعلم بعدم تمامية هذا الأمر، و إنما يفعل ذلك امتثالا لأمر المأمون، و إثارة لرضاه ...

### أما الباحثون و غيرهم فيقولون

: أما الباحثون، فلعلنا لا نكاد نعر على باحث يتعرض لهذا الأمر ينسى أن يؤكد على رفض الإمام (ع) لهذا الأمر، و استيائه منه .. يقول أحمد أمين: «.. و الزم الرضا بذلك، فامتنع، ثم اجاب ..» (١).  
و قال القندوزى: إنه قبل ولاية العهد، و هو باك حزين (٢) ..  
و قال المسعودى: «.. فألح عليه، فامتنع، فأقسم؛ فأبر قسمه الخ ..» (٣).  
و على كل حال: فإن النصوص التاريخية الدالة على عدم رضاه (ع) بهذا الأمر، و أنه مكره مجبر عليه كثيرة جدا (٤). و تضارعها كثرة

(١) ضحى الاسلام ج ٣ ص ٢٩٤.

(٢) ينابيع المودة ص ٢٨٤.

(٣) إثبات الوصية ص ٢٠٥.

(٤) و إنه و إن كان سيمر معنا نصوص اخرى تدل على ذلك .. إلا أننا نحيل القارئ على بعض مظان وجودها؛ فراجع: ينابيع المودة ص ٣٨٤، و مثير الأحران ص ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، و كشف الغمة ج ٣ ص ٦٥، و أمالى الصدوق ص ٦٨، ٧٢، الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٢٨٤  
أقوال الباحثين، الذين تعرضوا لهذا الموضوع؛ و لذا فليس من اليسير الاحاطة بها و استقصاؤها فى مثل هذه العجالة ..  
و لهذا .. فإننا نكتفى هنا بهذا القدر؛ حيث إن المجال لا يتسع لأكثر من ذلك ..

و البحار ج ٤٩ ص ١٢٩، ١٣١، ١٤٩، و علل الشرائع ج ١ ص ٢٣٧، ٢٣٨، و إرشاد المفيد ص ١٩١، و عيون أخبار الرضا ج ١ ص ١٩، و ج ٢ ص ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٩، و إعلام الورى ٣٢٠، و الخرائج و الجرائح، و غير ذلك ..  
الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٢٨٥

**مدى جدية عرض الخلافة**

**عرض الخلافة ليس جدياً ..**

: مر معنا أن المأمون كان قد عرض أولاً الخلافة على الإمام، و أنه ألح عليه بقبولها كثيراً، سواء و هو في المدينة، أو بعد استقدامه إلى مرو، و أنه تهدده فلم يقبلها. فلما ينس من قبوله الخلافة، عرض عليه ولاية العهد، فامتنع أيضاً. و لم يقبل إلا بعد أن تهدده بالقتل، و عرف الجدد في ذلك التهديد!!.

و هنا سؤال لا بد من الإجابة عليه، و هو:

هل كان المأمون جادا في عرضه الخلافة على الإمام؟! ..

و يتفرع على الإجابة على هذا السؤال سؤال آخر، و هو:

إذا لم يكن المأمون جادا في عرضه ذاك؛ فماذا ترى سوف يكون موقف المأمون، لو أن الامام قبل أن يتقلد الخلافة، و يضطلع بشؤونها؟!.

و من أجل استيفاء الجواب عن هذين السؤالين، لا بد لنا من الإسهاب في المقال، بالقدر الذي يتسع لنا به المجال فنقول:

الحياة السياسية للإمام (رضاع)، مرتضى العاملى، ص: ٢٨٦

### الإجابة على السؤال الأول

: أما عن السؤال الأول، فإن الحقيقة هي: أن جميع الشواهد و الدلائل تدل على أنه لم يكن جادا في عرضه للخلافة:

و قد قدمنا أننا لا يمكن أن نتصور المأمون الحريص على الخلافة حرصه على نفسه، و الذى قتل من أجلها أخاه، و أتباعه، بل و حتى وزراءه هو و قواده؛ و غيرهم. و أهلك العباد، و خرب البلاد، حتى لقد خرب بغداد بلد آبائه، و أزال كل محاسنها- لا يمكن أن نتصور- المأمون، الذى فعل كل ذلك و سواه من أجل الحصول على الخلافة ... يتنازل عنها بهذه السهولة، بل و مع هذا اللحاح و الإصرار منه، لرجل غريب، ليس له من القربى منه ما لأخيه، و لا من الثقة به ماله بقواده، و وزرائه!!.

أم يعقل أن تكون الخلافة أعز من هؤلاء جميعا، و الرضا فقط هو الأعز منها؟! ..

و هل يمكن أن نصدق، أو يصدق أحد: أن كل ذلك، حتى قتله أخاه، كان فى سبيل مصلحة الامه و من أجلها، و لكى يفسح المجال أمام من هو أجدر بالخلافة، و أحق بها من أخيه، و منه؟! ..

و كيف يمكن أن نعتبر اصراره الشديد على الامام، و الذى استمر أشهرا عديدة، قبل استقدامه إلى مرو و بعده، و الذى انتهى به إلى حد تهديده إياه بالقتل- كيف يمكن أن نعتبره رفقا منه بالامه، و حبا لها، و غيره على صالحها .. مع أننا نسمعه من جهة ثانية هو نفسه يصرح:

بأن نفسه لم تسخ بالخلافة، عند ما عرضها على الامام؟! «١».

و إذا لم تسخ نفسه بالخلافة؛ فلما ذا يهدده بالقتل إن لم يقبلها؟!.

(١) قاموس الرجال ج ١٠ ص ٣٧١، و غيبة الشيخ الطوسى ص ٤٩.

الحياة السياسية للإمام (رضاع)، مرتضى العاملى، ص: ٢٨٧

و كيف يمكن أن نوفق بين تهديداته تلك، و جديده عرضه للخلافة ..

و بين قوله: إنه لم يقصد إلا أن يوليه العهد؛ ليكون دعاء الإمام له، و ليعتقد فيه المفتونون به الخ .. ما سيأتى؟!.

و إذا كان قد نذر أن يوليه «الخلافة»، لو ظفر بأخيه الأمين، حسبما ورد فى بعض النصوص التاريخية؛ فلما ذا، و كيف جاز له الاكتفاء بتوليته العهد؟!.

و كيف استطاع إجباره على قبول ولاية العهد، و لم يستطع إجباره على قبول الخلافة؟! و أيضا .. و لما ذا بعد أن رفض الإمام (ع)

العرض، لا يتركه و شأنه؟

و أين هي أنفة الملوكة، و عزة السلطان؟!..

و إذا كان يأتي به من المدينة ليجعله خليفة المسلمين، و يرفع من شأنه؛ فلما ذا يأمره و يؤكد عليه في أن لا يمر عن طريق الكوفة و قم، حتى لا يفتتن به الناس؟!..

و أيضا .. هل يتفق ذلك مع إرجاعه للإمام (ع) عن صلاة العيد مرتين، لمجرد أنه جاءه من يندره بأن الخلافة سوف تكون في خطر؛ لو أن الإمام (ع) وصل إلى المصلى؟!.. حتى لقد خرج هو بنفسه مسرعا، و صلى بالناس، رغم تظاهره بالمرض، و رغم زعمه، أنه: كان يريد من الإمام أن يصلى بالناس؛ من أجل أن تظمن قلوبهم على دولته المباركة- على حد تعبيره- بسبب مشاركة الإمام (ع) في ذلك ..

و أيضا .. هل يتفق عرضه الخلافة على الإمام، و تنازله عنها له، ثم توليته العهد، و بكاؤه عليه حين وفاته، و بقاؤه على قبره ثلاثة أيام، حسبما سيأتي بيانه .. هل يتفق كل ذلك، مع كتابته لعامله على

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العامل، ص: ٢٨٨

مصر: يأمره بغسل المنابر التي دعى عليها للإمام (ع)؛ فغسلت؟! «١».

و بعد .. و إذا كان الإمام (ع) حجة الله على خلقه، و أعلم أهل الأرض على حد تعبير المأمون؛ فلما ذا يفوض عليه نظرية لا يراها مناسبة، و يتهدده، و يتوعده على عدم قبولها، و الاخذ بها؟!..

و أخيرا .. هل يتفق ذلك كله، مع ما أشرنا، و لسوف نشير إليه، من ذلك السلوك اللإنساني مع الإمام (ع)، قبل البيعة، و بعدها، في حياة الإمام، و حين وفاته، و بعدها .. و كذلك سلوكه مع العلويين، و إخوة الإمام الرضا (ع) بالذات. ذلك السلوك الذي يترفع حتى الاعداء عن انتهاجه، و الالتزام به.

إلى آخر ما هنالك مما عرف، و ستعرف جانبا منه في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى ..

### المأمون يرتبك في تبريراته

: و لعل من الامور الجديرة بالملاحظة هنا: أن المأمون لم يكن قد حسب حسابا للأسئلة التي سوف تواجهه في هذا الصدد؛ و لذا نرى أنه كان مرتبكا جدا في تبريراته لما أقدم عليه؛ فهو تارة يعلل ذلك بأنه:

(١) و لا- منافاة بينهما في نظر المأمون؛ فانه لم يكن يخشى من ردة الفعل في مصر؛ لأنها بالاضافة إلى بعدها، لم تكن من المناطق الحساسة في الدولة، و لم تكن أيضا شديدة التعاطف مع العلويين؛ فهي إذن مأمونة الجانب .. و ما كان يخشى منه قد أمنه؛ بتظاهره أمام الملأ بالحزن الشديد على الامام عليه السلام؛ حيث يكون بذلك قد طمأنهم، و أبعد التهمة عن نفسه في المنطقة التي يخشى منها في الوقت الحاضر .. و إلى أن تصل أخبار مصر إلى هذه المناطق الحساسة؛ فانه يكون قد تجاوز المرحلة الخطيرة، و لم يعد يخشى شيئا على الإطلاق ..

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العامل، ص: ٢٨٩

أراد مكافأة علي بن أبي طالب في ولده!! «١».

و أخرى: بأن ذلك كان منه حرصا على طاعة الله، و طلب مرضاته؛ و لما يعلمه من فضل الرضا، و علمه، و تقاه .. و أنه أراد بذلك الخير للامة، و مصلحة المسلمين!! «٢».

و الثالثة: بأنه أراد أن يفى بنذره: أنه إن أظفره الله بالمخلوع يعني أخاه الأمين الذي قتله- أن يجعل ولاية العهد في أفضل آل أبي



طالب!! «٣»

بل و رابعة: بأنه أراد أن يجعله ولي عهده؛ ليكون دعاؤه له، و ليعتقد فيه المفتونون به إلخ «٤» .. ما سيأتى تفصيله ..

### مع تبريرات المأمون تلك

: و من الواضح أن تلك العلل و التبريرات، و سواها، مما كان يتعلل

(١) الفخرى فى الآداب السلطانية ص ٢١٩، و البحار ج ٤٩ ص ٣١٢، و تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٣٠٨، و التذكرة لابن الجوزى ص ٣٥٦، و شذرات الذهب، لابن العماد ج ٢ ص ٣، و غير ذلك ..

(٢) صرح بذلك فى وثيقة العهد. و فى الفخرى فى الآداب السلطانية ص ٢١٧، قال:

«كان المأمون قد فكر فى حال الخلافة بعده، و أراد أن يجعلها فى رجل يصلح لها، كذا زعم ..» ..

و فى البداية و النهاية ج ١٠ ص ٢٤٧ قال: «إن المأمون رأى عليا الرضا خير أهل البيت، و ليس فى بنى العباس مثله: فى علمه، و دينه؛ فجعله ولي عهده من بعده» و مثل ذلك كثير ...

(٣) الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ٢٤١، و مقاتل الطالبين ص ٥٦٣، و اعلام الورى ص ٣٢٠، و البحار ج ٤٩ ص ١٤٣، ١٤٥، و أعيان الشيعة ج ٤ قسم ٢ ص ١١٢، و عيون أخبار الرضا، و ارشاد المفيد، و غير ذلك ..

(٤) لكن هذا الكلام لم يكن إلا لخصوص العباسيين، كما عرفت و ستعرف!!!.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٢٩٠

به المأمون؛ كانت مفتعلة قبل أو ان نضجها. و لعله لما أشرنا إليه من أنه لم يكن قد حسب حسابا لهذه الاسئلة التى واجهته، كانت أجوبته متناقضة، متضادة، من موقف لآخر، و من وقت لآخر .. حتى إن التناقض يبدو فى التبرير الواحد، إذ تراه مرة يقول: «إنه نذر أن يجعل الخلافة فى ولد على». و أخرى يقول: «إنه نذر أن يجعل ولاية العهد فيهم». و ثالثة: يضيف إليهم آل العباس .. و هكذا .. و لو لا خوف الناس منه، و من بطشه لوجدنا الكثيرين يسألونه: إنه إذا صح: أنه نذر الخلافة لولد على، فلما ذا قبل منه و اكتفى بولاية العهد؟!، إذ قد كان عليه أن يجبره على قبول الخلافة، كما أجبره على قبول ولاية العهد .. و إذا صح أنه نذر له ولاية العهد؛ فلما ذا عرض عليه الخلافة، و أصر عليه بقبولها.

و إننا و إن لم نجد لهذه الأسئلة، و سواها أثرا فيما بأيدينا من كتب التاريخ. إلا أننا رأينا الشواهد الكثيرة الدالة على أن الناس كانوا يشكون كثيرا فى نوايا المأمون و أهدافه مما أقدم عليه. و حسبنا هنا: ما رواه لنا الصولى، و القفطى، و غيرهما من قضية عبد الله بن أبى سهل النوبختى المنجم؛ حيث أراد اختبار ما فى نفس المأمون؛ فأخبره أن وقت البيعة للإمام (ع) كان غير صالح؛ فأصر المأمون على إيقاع البيعة فى ذلك الوقت، و تهدده بالقتل إن حدث تغيير فى الوقت و الموعد، و قد تقدمت القصة بكاملها تقريبا فى فصل سابق، و قد ذكرها غير واحد من المؤلفين «١».

(١) تاريخ الحكماء ص ٢٢٢، ٢٢٣، و فرج المهموم فى تاريخ علماء النجوم ص ١٤٢، و أعيان الشيعة ج ٤ قسم ٢ ص ١١٤، و البحار ج ٤٩ ص ١٣٢، ١٣٣، و عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٤٧، ١٤٨، و غير ذلك ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٢٩١

### الإمام يدرك أهداف المأمون من عرض الخلافة

: و لعلنا نستطيع أن نجد فيما قدمناه فى هذا الكتاب ما يفسر لنا موقف الإمام (ع) من المأمون .. ذلك الموقف الذى لم يكن يتسم بالمهادنة، أو الموافقة أصلا. بل كان قاسيا و عنيفا فى مقابل عرض المأمون للخلافة عليه، كما ألمحنا إليه فى باب: «عرض الخلافة»، و رفض الإمام».

و ما ذلك ... إلا لأنه كان يعلم أنها لعبة خطيرة، تحمل فى طياتها الكثير من المشاكل و الأخطار، و سواء بالنسبة إليه (ع)، أو بالنسبة إلى العلويين، أو بالنسبة إلى الامة بأسرها ..

و لقد كان (ع) يدرك: أن المأمون كان يرمى من وراء هذا العرض إلى أن يعرف حقيقة نوايا الامام (ع)، و يستظهر دخيلة نفسه، حتى إذا ما رآه راغبا فيها رغبة حقيقية، سقاه الكأس، التى سقاها من قبل لمحمد بن محمد بن يحيى بن زيد، صاحب أبى السرايا، و من بعد لمحمد بن جعفر، و طاهر بن الحسين، و غيرهم، و غيرهم .. و انه كان يريد أن يجعل ذلك ذريعة لفرض ولاية العهد، و تمهيدا لإجباره على قبولها؛ لأن ما يحقق له مآربه، و يوصله إلى غايته، التى تحدثنا عن جانب منها فى فصل: ظروف البيعة .. هو قبول الإمام لولاية العهد، لا الخلافة .. كما أن هذا هو الذى يمكن أن يكون ممهدا لتنفيذ الجزء التالى من خطته، ألا و هو القضاء على العلويين بالقضاء على أعظم شخصيه فيهم.

و من ثم .. و بعد كل ما تقدم .. تكون النتيجة هى: أن المأمون لم يكن جادا فى عرضه للخلافة، و إنما فقط كان جادا فى عرضه لولاية العهد ..

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٢٩٢

## و يبقى هنا سؤال

: «لو أن الإمام قبل عرض الخلافة؛ فما ذا ترى سوف يكون موقف المأمون؟!».

## و الجواب

### أولا:

انه قد يمكن الاقتناع بالجواب هنا لو قيل:

بديهى أن المأمون كان قد أعد العدة لأى احتمال من هذا النوع ..

و قد كان يعلم أنه يستحيل على الإمام، خصوصا فى تلك الظروف:

أن يقبل عرض الخلافة، من دون إعداد مسبق لها، و تعبئة شاملة لجميع القوى، و فى مختلف المجالات، و لسوف يكون قبوله لها بدون ذلك عملا انتحاريا، لا مبرر له، و لا منطق يساعده ..

إذ من البديهى أن الإمام الذى كان يعلم كم كان للقائد الحقيقى، و المصلح الواعى، من أثر فى حياة الامة، و فى مستقبلها. و كيف يمكن أن تتحد فى ظله قدرات الامة- أفرادا و جماعات- و امكانياتها المادية، و الفكرية و غيرها فى طريق صلاحها، و اصلاحها .. و يعلم أيضا: كيف يكون الحال، لو كان القائد فاسدا، حتى بالنسبة لما يبدو من تصرفاته فى ظاهره صحيحا و سليما ..

إن الإمام الذى كان يعلم ذلك و سواه- و بصفته القائد الحقيقى للامة، لو حكم؛ فلا بد له أن يقيم دولة الحق و العدل، و يحمل الناس على المحجة، و يحكم بما أنزل الله، كما حكم جده محمد (ص)، و أبوه على (ع) من قبل .. و حكمه هذا سوف يكون مرفوضا جملة و تفصيلا؛ لأن الناس، و إن كانوا عاطفيا مع أهل البيت عليهم السلام؛ إلا أنهم حيث لم يتربوا تربية إسلامية صحيحة، و صالحه، إذا أراد العلويون، أو غيرهم حملهم على المحجة؛ فسوف لا- ينقادون لهم بسهولة، و لا- يطيعونهم بيسر. و لسوف يكون

الحكم بما أنزل الله غريبا على أمة اعتادت

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٢٩٣

على حياة خلفاء بنى العباس، و من قبلهم بنى أمية المليئة بالانحرافات و الموبقات.

أولئك الخلفاء الذين كانوا فى طليعة المستهترين، و المتحللين من كل قيود الدين و الانسانية، و الذين كانوا يتساهلون فى كل شىء، ما دام لا- يضر بوجودهم فى الحكم .. نعم .. فى كل شىء على الاطلاق، حتى فى الدين و أحكامه، و الأخلاق، و المثل العليا؛ و ما ذلك إلا لأنهم لم يكن همهم إلا الحكم، و التسلط، و امتصاص دماء الشعوب، و لا يهمهم- بعد- أن يفعل الناس ما شاءوا، ليتستروا بالدين، ليكفروا بالله، ليتحللوا من الأخلاق و الفضائل الانسانية، ليأكل بعضهم بعضا، ليكونوا أنعاما سائمة، أو ليكونوا و حوشا ضارية؛ فان ذلك كله لا يضر.

و الذى يضر فقط هو: أن يتعرضوا للحكم، و يفكروا بالسلطان، كيفما كان التعرض، و أيا كان التفكير ..

و إذا كان الإمام على (ع)، عند ما أراد أن يحكم بما أنزل الله تعالى، قد لاقى ما لاقى مما لا يجمله أحد .. رغم ما سمعته الامه من فم النبى (ص) مباشرة فى حقه، و قرب عهدا به .. فكيف بعد أن مرت عشرات السنين، و أصبح الانحراف عادة جارية، و سنة متبعة، و اتخذ نحوها من الاصاله فى حياة الامه، و روحها، و أصبح- للأسف- جزءا لا يتجزأ من كيانها و واقعها ..

و أيضا .. إذا كان أبو مسلم قد قتل ست مائة ألف نفس صبيرا، عدا مئات الالوف الاخرى، التى ذهبت طعمه للسيوف فى المعارك ..

و إذا كانت ثورة أبى السرايا قد كلفت المأمون «٢٠٠» ألف جندى، من جنوده هو ..

و إذا كان العصيان ما انفك يظهر من كل جانب و مكان، رغم أن

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٢٩٤

الحكم كان أولا و آخره ينسجم مع أهواء الناس، و مصالحهم الشخصية ..

فهل يمكن مع هذا .. ان لا يتعرض الإمام (ع) لعصيان أصحاب الأهواء- و ما أكثرهم-، و الكيد من قبل الأعداء، الذين سوف يزيد عددهم. و تتضاعف قوتهم، عند ما يحاول الامام (ع) ان يفرض عليهم حكما ما اعتادوه، و سلوكا ما ألفوه؟! ..

إن من الواضح: ان الناس و ان كانت قلوبهم معه، الا ان سيوفهم سوف تنقلب لتصير عليه، كما انقلبت على آباءه و أجداده من قبل، و ذلك عند ما لا ينسجم حكمه (ع) مع رغائبهم، و أهوائهم، و انحرافاتهم ..

حيث إن الإمام (ع) إذا أراد أن يحكم، فلسوف يواجه- بطبيعة الحال- تلك العناصر القوية، ذات النفوذ، و أولئك المستأثرين بكل الاموال و الاقطاع، من أصحاب الأطماع، و المصالح الشخصية، و وجهها لوجه .. إذ أننا لا يمكن أن ننتظر من حكومة الإمام، التى هى على الفرض حكومة الحق، و العدل: أن تقرهم على ما هم عليه، فضلا عن أن توفر لهم الحماية لتصرفاتهم المشبوهة، و غير المنطقية، بل حتى و لا الاخلاقية أيضا ..

إن حكومة الإمام (ع)، إذا أرادت أن تقوم بعمل أساسى فى سبيل استئصال كل جذور الانحراف و الفساد .. فان عليها أولا، و قبل كل شىء، أن تقوم بقطع أيدى أولئك الغاصبين لاموال الامه، و المتحكمين بقدراتها. و إبعاد كل أولئك الذين كانوا يستغلون مناصبهم، التى و صلوا إليها عن طريق الظلم، و الغطرسة، و الابتزاز- يستغلونها- لمآربهم الشخصية، و انحرافاتهم اللاأخلاقية ..

ثم .. قطع أعطيات ذلك الفريق من الناس، الذين كانوا يعيشون على حساب الأمه، و يأكلون خيراتها .. ثم لا يقومون فى مقابل ذلك بأى عمل، أو نشاط يذكر ..

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٢٩٥

و أيضا .. منع المحسوبيات، و الوساطات، من أصحاب الوجاهات، الذين كانت تسيرهم الروح القبليّة، و يهيمن عليهم الشعور الطبقي فى دولة الأطماع و المزایدات، أو دولة التهديد، و العسف، و الارهاب.

يضاف إلى ذلك كله .. أنه إذا أراد الإمام (ع) أن ينطلق في كل نصب و عزل من مصلحة الامة، لا من مصلحة الحاكم و القبيلة؛ فطبعي أن يؤدي ذلك إلى إثارة القبائل ضده، و يؤلبهم عليه .. فرعماء القبائل سواء كانوا عربا أو فرسا كانوا يلعبون دورا هاما في انجاح اية ثورة و قيام اية دعوة و استمرار و نجاح أى حكم.

و بعد كل ذلك؛ فإن من الطبيعي إذن: أن يستفحل الصراع بينه، و بين العناصر القوية، ذات النفوذ، من أصحاب الأهواء، و المصالح الشخصية، و أولئك الذين يعتمل في نفوسهم طموح كبير، نحو زيارج الدنيا، و بهارجها .. و ذلك عند ما يعطى القيمة الحقيقية لهؤلاء جميعا، و يجعلهم فى المستوى الذى يجب أن يكونوا فيه، و يحدّد و يقيّم لهم واقعهم الذى لن يرضوا أبدا بتحديدده و تقيّمه. و على الأقل لن تساعد تلك العناصر على تصحيح الوضع، و إقرار النظام .. هذا إن لم تكن هى العقبة الكأداء، التى تحول بينه و بين ما يصبو إليه، و تمنعه من تحقيق ما يريد ..

يضاف إلى ذلك كله: أن القيادة القبليّة كانت قد فسدت آنذاك، و اعتاد رؤساء القبائل على نكث العهود و الموائيق التى يعطونها؛ فكانوا يؤيدون هذه الدعوة، و هذا القائم بها، إلى أن يجدوا من يستفيدون منه، و يغدق عليهم أكثر من الأموال، و يخصهم بما يفضل ما يخصهم به ذاك من المناصب. و كان للقيادات القبليّة دور كبير فى إنجاح اية دعوة، و انتصار اية ثورة ..

و بعد .. فإنه إذا كان الإمام (ع) لن يحابى أحدا على حساب دينه و رسالته .. و إذا كان - من الجهة الأخرى - مركزه ضعيفا فى الحكم

..

و إذا كان ليس لديه القوة و القدرة الكافية لمواجهة مسؤولياته كاملة.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٢٩٦

فلسوف ينهار حكمه و سلطانه أمام أول عاصفة تواجهه، و لن يستطيع أن يبقى محتفظا بوجوده فى الحكم، أو على الأقل بمركز يخوله أن يفرض الحكم الذى يريد على المجتمع، بجميع فئاته، و مختلف طبقاته .. إلا أن يكون حاكما مطلقا، لا تحد سلطته حدود، و لا تقيدها قيود، و أنى له بذلك.

و بعد كل ما تقدم؛ فإن النتيجة تكون، أن الامام (ع)، و إن كان يمتلك القدرة على الاصلاح، لكن الامة لم تكن لتتحمل مثل هذا الاصلاح، خصوصا و أن الحكام - بوحى من مصالحهم الخاصة - كانوا قد أدخلوا فى أذهان الناس صورا خاطئة عن الحكم، و عن الحكام، الذين يفترض فيهم ان يقودوا الامة فى مسيرها إلى مصيرها ..

هذا كله .. لو فرض - جدلا - سكوت العباسيين و المأمون عنه، مع أن من المؤكد أنهم سوف يعملون بكل ما لديهم من قوة و حول، من أجل تقويض حكمه، و زعزعة سلطانه ..

و إذا كان يستحيل على الإمام (ع)، فى تلك الفترة على الأقل:

أن يتسلم زمام السلطة إلا أن يكون حاكما مطلقا كما قدمنا .. فمن الواضح أن سؤالا من هذا النوع لا مجال له بعد. و لن يكون فى تجشم الاجابة عليه كبير فائدة، أو جليل أثر.

و لكن .. مع ذلك، و حتى لا نفرض على القارئ وجهة نظر معينة؛ إذ قد يرى أن من حقه أن يفترض - و إن أبى واقع الأحداث مثل هذا الافتراض - أنه كان على الإمام (ع): أن يجارى، و يدارى فى بادئ الأمر؛ من أجل الوصول إلى أهداف فيها خير الامة و مصلحتها؛ من أجل ذلك .. نرى لزاما علينا أن نجاريه فى هذا الافتراض، و نتجه إلى الإجابة على ذلك السؤال بنحو آخر؛ فنقول:

## و ثانيا:

إنه إذا كان المأمون فى تلك الفترة هو الذى يمتلك القدرة و السلطان .. و إذا كانت كل أسباب القوة و المنعة متوفرة لديه بالفعل؛

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٢٩٧

فإنه سوف يسهل عليه- إذا لم يكن حكم الإمام (ع) على وفق ما يشتهي، و حسبما يريد:- أن يأخذ على ذلك الحكم: (الذي يرى نفسه، و يرى الناس أنه مدين للمأمون) أقطار الأرض، و آفاق السماء. و لن يصعب عليه تصفيته، و التخلص منه من أهون سبيل؛ حيث إنه حكم لا يزال، و لسوف يسعى المأمون لأن يبقية في المهدي، يستطيع المأمون أن ينزل به الضربة القاصمة القاضية متى شاء، دون أن تعطى له الفرصة لحشد قدراته، و تجميع قواه في أى من الظروف و الأحوال ..

و هكذا .. فإن النتيجة تكون: أن الإمام (ع) سوف يكون بين خيارين لا ثالث لهما: فاما أن يحاول تحمل المسئولية الحقيقية، بكل أبعادها، و تبعاتها، باعتباره القائد الحقيقي للامة، و يقدم على كل ما تقدمت الاشارة إليه من اصلاحات جذرية في جميع المجالات، و على مختلف المستويات؛ مما سوف يكون من نتائجه أن يعرض نفسه للهلاك؛ حيث لا يستطيع الناس؛ و المأمون و اشياعه تحمل ذلك، و الصبر عليه، و يكون له و لهم كل العذر في تصفيته، و التخلص منه.

و إما أن لا يتحمل مسئولية الحكم، و لا يأخذ على عاتقه قيادة الامة، و إنما تكون مهمته، و ما يأخذه على عاتقه هو فقط تنفيذ إرادات المأمون، و أشياعه من المنحرفين. و يكون هو الواجهة التي يخفى وراءها الحكام الحقيقيون، المأمون و من لف لفه ..

و واضح أن نتيجة ذلك سوف تكون أعظم خطرا على الإمام، و على العلويين، و على الامة بأسرها، و أشد فداحة من نتيجة الخيار السابق؛ حيث يكون قد قضى بذلك على كل آمال الامة، و كل توقعاتها.

و ذلك هو كل ما يريده المأمون، و يسعى من أجل الحصول عليه، بكل ما أوتى من قوة و حول ..

### و ثالثا:

إن من الواضح: أن عرض المأمون التنازل عن الخلافة للإمام (ع)، لا يعنى أبدا أن المأمون سوف لا يحتفظ لنفسه بأى من

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٢٩٨

الامتيازات؛ التي تضمن له- في نظره- نصيبا من الأمر «١». و لسوف يرى الناس كلهم أن له كل الحق في ذلك ..

كما أن ذلك لا- يعنى أنه سوف لا- يعود له نفوذ في الاوساط ذات النفوذ و القوة. بل إننى أعتقد أنه سوف يكون في تلك الحال أقوى بكثير منه في غيرها؛ حتى إن المنصب للإمام (ع)، قد يكون شكليا، و مركزه سوريا، لا حول له فيه و لا قوة ..

و حينئذ .. و إذا كان المأمون سوف يبقى له نفوذ و قوة، و إذا كان سوف يشترط لتنازله عن الخلافة للإمام، ما يضمن له استمرار تلك القوة، و ذلك النفوذ، بل و عودة الخلافة له في نهاية الأمر .. فلسوف لا يصعب عليه كثيرا أن يدبر- و هو الداهية الدهياء- في الإمام

(ع) بما يحسم عنه مواد بلائه، على حد تعبير المأمون ..

و ليطمئن- من ثم- خاطره، و يهدأ باله؛ حيث يكون قد حقق كل ما كان يصبو و يطمح إلى تحقيقه. كما أنه يكون قد اصبح يمتلك اعترافا من العلويين بشرعية خلافته .. بل يكون العلويون على يد أعظم شخصية فيهم، هم الذين رفعوه على العرش و سلموا إليه أزمته

الحكم و السلطان .. إلى آخر ما هنالك مما قدمناه، و لا نرى ضرورة لاعادته ..

### و فى النهاية

: و الآن .. و بعد أن ألقينا نظرة سريعة على مدى جدية المأمون، فى عرضه للخلافة على الإمام (ع)، و تحدثنا عن الوضع الذى سوف

ينتج لو أن الإمام قبل ذلك العرض .. فإن من الطبيعى أن نتطلع لنعرف ما هو موقف الإمام من تلك اللعبة- لعبة ولاية العهد- و ما هى خطته فى مواجهة ما يعلمه من خطط المأمون، و أهدافه الشريرة ...

فإلى الفصل التالى، و الذى بعده ...

(١) كأن يشترط أن يكون هو الوزير، أو ولي العهد مثلاً.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٢٩٩

### موقف الامام (ع):

#### سؤال يطرح نفسه:

هل يعقل أن رجلاً تعرض عليه الخلافة، أو ولاية العهد، بل ما هو أقل منهما بمراتب؛ ويعرف جدياً العرض، ثم يرفض ذلك رفضاً قاطعاً، ثم يهدد، فلا يقبل إلا بما هو أبعد منالاً، وأقل احتمالاً- بالنسبة إلى سنه- وبشروط تبعده كل البعد عن مسرح السياسة والحكم، وتجعل من كل شيء مجرد إجراءات شكلية، لا أثر لها ...

هل يعقل أن رجلاً من هذا القبيل - يسلم من أن ينسب إلى ما لا يرضى أحد بأن ينسب إليه؟! ... اللهم إلا إذا كان هناك ما هو أعظم، وأدهى وأخطر من ذلك المنصب، وإلا إذا علم أنه سوف يدفع ثمن ذلك غالياً، وغالياً جداً، ألا وهو نفسه التي بين جنبيه!! ...

والامام ... الذى نعرف، ويعرف كل أحد: أنه ذلك الرجل الجامع لكل صفات الفضل والكمال: من العلم، والعقل، والحكمة، والدراية، والتقوى، شهد له بذلك أعداؤه ومحبوه، على حد سواء- هذا الامام ...

قد رفض كلا عرضى المأمون: الخلافة، و ولاية العهد ... رفضهما رفضاً

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٣٠٠

باتاً وقاطعاً، ولم يقبل ولاية العهد إلا- على كرهه واجبار منه، وإلا وهو باك حزين، وعاش بعد ذلك فى ضيق شديد، ومحنة عظيمة، حتى إنه كان يدعو الله بالفرج بالموت!! ...

وعليه ... أفلا يكفى موقف الامام هذا، وسائر مواقفه من مختلف تصرفات المأمون، لأن يضع علامة استفهام كبيرة حول طبيعة هذا الحدث؟! ...

ألم يكن من الواجب أن يكون الامام (ع) مستبشراً مبتهجاً كل الابتهاج لما سيؤول إليه أمره. ومدافعاً عن المأمون، ونظام حكمه، و مناصراً له، بكل ما أوتى من قوة وحول؟! ...

ثم ألا يفهم من ذلك كله: أنه (ع) كان يدرك ما يكمن وراء قبوله لأى من العرضين من مشاكل، وما ينتظره من أخطار؟! ...

و أن ذلك ليس إلا شركاً يقصد ايقاعه به، و من بعده كل العلويين، و شيعتهم للقضاء عليه و عليهم، و إلى الابد!!! ...

و إذا كان الامام (ع) يعرف الحقيقة، كل الحقيقة ... فهل يمكن أن نتصور أن يكون راضياً بأن يجعله المأمون وسيلة لأغراضه، و آلهة لتحقيق مآربه و أهدافه؟! و لا- سيما إذا لاحظنا أنه يعرف أكثر من أى انسان آخر ما لتلك اللعبة من عواقب سيئة، و ما تحمله فى

طياتها من آثار، ليس عليه هو، و على العلويين، و المتشيعين لهم فحسب ... و إنما على الامة بأسرها إن حضراً، و إن مستقبلاً!! ...

هذا كله عدا عن أن هذه اللعبة سوف تكون بمثابة قطع الطريق عليه فى أى تحرك يقوم به، و أى نشاط إصلاحى يمارسه؛ حيث لم يعد

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٣٠١

يستطيع أن يكون فى المستقبل قائداً للحركة المضادة للمأمون، و نظام حكمه، القائم على غير أساس شرعى، و منطقى سليم «١» ...

### لا يرضى الإمام (ع)، و لا يقتنع المأمون:

لا ... لا يمكن أن يرضى الإمام بذلك، وخصوصا بعد أن تلقى العلم عن آباءه الصادقين، عن النبي (ص) الذي لا ينطق عن الهوى: بأن ذلك شيء لا يتم، وأوضح ذلك بما كتبه على وثيقة العهد الآتية بخط يده، حيث قال: «و الجفر و الجامعة يدلان على ضد ذلك، لكنني امتثلت أمر أمير المؤمنين ...».

لا ... لا يمكن أن يرضى ببيعة يعلم أنها لا تتم له، وإنما تخدم مصالح آخرين. و تحقق لهم مآربهم، على حساب الدين، و الامة؛ و لهذا رفض بشدة و عنف، و أصر عليه المأمون بشدة و عنف أيضا ... و لم يكن ليقنع المأمون شيء، بعد أن كان يرى أن القضية بالنسبة إليه قضية مصير و مستقبل. و هو مستعد لأن يضحي بكل شيء في سبيل مصيره و مستقبله، كما ضحي بأخيه و أشياعه من قبل .. و إنه إذا تأكد لديه رفض الإمام (ع) القاطع، و تصور ما سوف تؤول إليه حاله نتيجة لذلك الرفض؛ فلسوف لا يألو جهدا، و لا يدخر

(١) و في كتاب: الامامة للشيخ محمد حسن آل ياسين ص ٨٦، قال إنه عليه السلام وافق على فكرة ولاية العهد؛ لتكون فترة امتحان و تجربة للمأمون ...

و لا يخفى ما فيه؛ فان كل الدلائل و الشواهد كانت تشير إلى أن الامام عليه السلام كان يعلم بحقيقته نوايا المأمون و أهدافه، و لم تكن ثمة حاجة إلى امتحان و تجربة، كما اتضح و سيتضح إن شاء الله تعالى ...

الحياة السياسية للإمام (الرضا) (ع)، مرتضى العاملى، ص: ٣٠٢

وسعا في الانتقام لنفسه من الإمام (ع)، و من كل من تصل إليه يده، ممن له به (ع) أية صلة أو رابطة ...

### هي قضية مصير:

و بأوضح بيان نقول: إنه لم يكن امتناع الإمام (ع) عن قبول ولاية العهد بالذي يثنى المأمون عما كان قد عقد العزم عليه؛ لأن الاسباب التي كانت تدعوه لذلك لم تكن تسمح له أبدا بالاصغاء لهذا الرفض؛ فهي تحتم عليه أن يفعل ذلك، مهما كلفه الأمر، و مهما كانت النتائج.

و لم يكن لديه مانع من تنفيذ تهديداته، لو علم أنه لا سبيل إلى تنفيذ ما يصبو إليه، و الحصول على ما يريد الحصول عليه؛ فالقضية بالنسبة إليه هو المتعطش إلى الحكم و السلطة قضية مصير و مستقبل، لا يمكن المساومة معها، و لا مجال لغض النظر و التساهل فيها ...

و إذا كان قد قتل أخاه من أجل الملك و في سبيله؛ فأى مانع يمنعه من قتل الرضا (ع) من أجل الملك أيضا، و في سبيله ... أم يعقل أن يكون الرضا أعز عليه من أخيه، و سائر من قتل من وزرائه هو، و قواده، و أشياعه؟! ...

و لسوف لا نستغرب على المأمون- بعد قتله أخاه- الاقدام على أى تصرف في سبيل الملك، حتى الاقدام على قتل الرضا (ع)، بعد أن كان أبوه الرشيد قد أملى عليه درس «الملك عقيم»، و قال له:

«و الله، لو نازعتني أنت هذا الأمر؛ لأخذت الذي فيه عيناك؛ فإن الملك عقيم ...» (١).

(١) شرح ميمية أبي فراس ص ٧٣، و البحار ج ٤٨ ص ١٣١، و قاموس الرجال ج ١٠ ص ٣٧٠، و عيون أخبار الرضا ج ١ ص ٩١، و ينابيع المودة ص ٣٨٣، مع بعض تحريف لها، و غير ذلك ...

الحياة السياسية للإمام (الرضا) (ع)، مرتضى العاملى، ص: ٣٠٣

و لم يكن ليخفى عليه أيضا قول موسى بن عيسى، عند ما رأى عبادة الحسين بن علي و أصحابه، في وقعة فخ: «... هم و الله، اكرم

عند الله، وأحق بما في أيدينا منا، ولكن الملك عقيم. ولو أن صاحب هذا القبر (يعنى النبي (ص))، نازعنا الملك ضربنا خيشومه بالسيف...» (١).

و المنصور أيضا قد قرر هذه القاعدة بالذات حينما اعترض عليه سليمان بن مهران الاعمش على قتله أولاد علي (ع) «٢». وهذا الدرس قد أخذه الكل عن عبد الملك بن مروان؛ فإنه عند ما قتل مصعب بن الزبير بكى، وقال: «لقد كان أحب الناس إلي، و أشدهم مودة لي، ولكن الملك عقيم؛ ليس أحد يريده من ولد ولا والد إلا كان السيف» (٣). بل وحتى نفس أخيه الأمين، عند ما لم يعد له نجاه من براثن أخيه المأمون، نراه يتذكر هذه القاعدة، فيقول: «هيهات، الملك عقيم، لا رحم له...» (٤).

و لقد عمل المأمون بهذه القاعدة؛ فقتل أخاه، و أعطى الذى جاءه برأسه مليون درهم، بعد أن سجد شكرا لله، و نصب الرأس على خشبة ليلعنه الناس، إلى آخر ما مر تفصيله ... و إذا كانت القضية بالنسبة إلى المأمون قضية مصير و مستقبل و قضية ملك و سلطان؛ فطبيعى إذن أن نراه يخاطر بالخلافه (و ان كنا قدمنا أن ذلك كان منه سياسة و دهاء من أجل التمهيد لفرض ولاية العهد)،

(١) مقاتل الطالبين ص ٤٥٣، و ثمرات الأعواد ١٩٩، ٢٠٠، و شرح ميمية أبي فراس ص ٧٤.

(٢) مناقب الخوارزمي ص ٢٠٨.

(٣) شرح النهج للمعتزلى ج ٣ ص ٢٩٦، و طبقات ابن سعد ج ٥ ص ١٦٨، و البداية و النهاية ج ٨ ص ٣١٦.

(٤) تتمه المنتهى ص ١٨٥.

الحياة السياسية للإمام (الرضا)ع، مرتضى العاملى، ص: ٣٠٤

و أقدم على التخلي عن ولاية العهد، مع أن العباس ابنه و سائر ولده كانوا أحب إلى قلبه، و أجلى فى عينه من كل أحد، على حد تعبيره فى رسالته للعباسيين ...

و لقد قدمنا الشرح الكافى و الوافى لحقيقة الظروف و الأسباب، التى دعت المأمون إلى ذلك، و التى هى دون شك كافية لأن تجعل المأمون يقدم على أى عمل - و لو كان انتحاريا - من أجل انقاذ نفسه و خلافته، و العباسيين ... حتى و لو كان ذلك الشىء هو قتل الإمام (ع) ... و لقد أخبر الإمام كزات، و مرات: أنه لم يقبل إلا بعد أن اشرف من المأمون على الهلاك ...

### مبررات قبول الإمام لولاية العهد:

و لقد قبل الإمام (ع) ولاية العهد، و لكن ... بعد أن عرف أن ثمن رفضه لها لن يكون غير نفسه التى بين جنبيه. هذا عدا عما سوف يتبع ذلك من تعرض العلويين، و كل من يتشيع لهم إلى أخطارهم فى غنى عنها ... و لو فرض أنه كان له هو (ع) الحق - فى مثل هذه الظروف - فى أن يعرض نفسه للهلاك، فلن يكون له حق أبدا فى أن يعرض غيره من شيعته و محبيه، و العلويين أجمع إلى الهلاك أيضا ...

هذا ... عدا عن أنه (ع) كان عليه أن يحتفظ بحياته، و حياة شيعته و محبيه؛ لأن الامه كانت بأمس الحاجة إلى وعيهم و إدراكهم؛ ليكونوا لها قدوة و منارا، تهتدى، و تقتدى به، فى حالات المشاكل، و ظلم الشبهات ...

نعم ... لقد كانت الامه بأمس الحاجة إلى الإمام (ع)، و إلى من رباهم الإمام؛ حيث كان قد غزاها فى ذلك الوقت تيار فكرى، و ثقافى غريب، من الزندقه و الالحاد، و شاعت فيها الفلسفات و التشكيكات

الحياة السياسية للإمام (الرضا)ع، مرتضى العاملى، ص: ٣٠٥



بالمبادئ الإلهية الحققة؛ فكان على الإمام (ع) أن يقف، و يقوم بواجبه، و ينقذ الامة، و لقد كان ذلك منه بالفعل؛ فلقد قام بواجبه، و أدى ما عليه، على أكمل وجه، رغم قصر المدّة التي عاشها بعد البيعة نسيباً؛ و لهذا نقرأ في الزيارة الجوادية؛ «... السلام على من كسرت له و سادة والده أمير المؤمنين؛ حتى خصم أهل الكتب، و ثبت قواعد الدين ...» (١) و المراد بذلك: الإمام الرضا (ع) ...

و لو أنه (ع) رفض ولاية العهد، و عرض نفسه، و شيعته، و محبيه للهلاك فلسوف لا يكون لموته؛ و موتهم أدنى أثر في هذا السبيل، بل كان الاثر عكسياً، و خطيرا جدا ...

أضف إلى ذلك: أن قبول الإمام بولاية العهد، معناه اعتراف من العباسيين عملاً، مضافاً إلى القول: بأن العلويين لهم حق في هذا الأمر، بل إنهم هم الأحق فيه، و أن الناس قد ظلموهم حقهم هذا.

و أن ظلم الناس لهم ليس معناه عدم ثبوت ذلك الحق لهم ...

و قد رأينا ابن المعتز يهتم في الاستدلال على أن جعل المأمون الرضا ولياً للعهد، لا يعنى أن الحق في الخلافة كان للرضا و العلويين، دون المأمون و العباسيين؛ و أنه انما أعطاهم ذلك عن طريق التقوى و الورع، و ليثبت لهم أن الخلافة التي ثاروا من أجل الوصول إليها و قتلوا انفسهم في سبيلها لا تساوى عنده جناح بعوضه، فهو يقول:

و أعطاكم المأمون حق خلافة لنا حقها لكنه جاد بالدنيا

ليعلمكم أن التي قد حرصتم عليها و غودرتم على اثرها صرعى

(١) البحار ج ١٠٢ ص ٥٣.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٣٠٦ يسير عليه فقدها غير مكتر كما ينبغى للصالحين ذوى التقوى فمات الرضا من بعد ما قد علمتم و لاذت بنا من بعده مرة أخرى (١) و أيضا ... حتى لا يتناساهم الناس، و يقطعوا آمالهم بهم. و حتى لا يصدق الناس ما يشاع عنهم من أنهم مجرد علماء فقهاء، لا يهتمهم العمل لما فيه خير الامة. و لا يفكرون في الخروج إلى المجتمع بصفتهم رواد صلاح و اصلاح و لعل إلى ذلك كله، يشير الإمام (ع) في قوله لمحمد ابن عرفة، عند ما سأله عن قبوله بولاية العهد؛ فقال له: «يا ابن رسول الله، ما حملك على الدخول في ولاية العهد؟!» ... فأجابه الإمام (ع): «ما حمل جدى على الدخول في الشورى ...» (٢).

هذا بالإضافة إلى أنه يكون في فترة ولاية العهد قد أظهر المأمون على حقيقته أمام الناس، و عرّفهم بواقع و اهداف كل ما أقدم عليه، و أزال كل شبهة و لبس في ذلك. كما قد حدث ذلك بالفعل ...

### هل الإمام راغب في هذا الأمر:

و لكن هذا كله و سواه، لا يعنى أن الإمام (ع) كان راغباً في أى من الخلافة، أو ولاية العهد؛ فإن ما ذكرناه لا يبرر ذلك؛ حيث إنه لا يعدو عن أن يكون من الفوائد التي كان يمكن الحصول على بعضها

(١) مناقب ابن شهر آشوب ج ٤ ص ٣٦٥. و ديوان ابن المعتز ص ٢٢-٢٣ و ان اهتمام ابن المعتز الواضح بقضية الرضا مع المأمون، كما يظهر من شعره هنا، و الذى قدمناه مع التعليق عليه في فصل: ظروف البيعة ... يدلنا على أن هذه القضية كان لها في الامة صدى واسعاً، و آثارا هامة، لم يكن بوسع ابن المعتز التغاضى عنها، و السكوت عليها.

(٢) راجع: مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣٦٤، و معادن الحكمة ص ١٩٢، و عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٤٠، و البحار ج ٤٩ ص

١٤٠ ١٤١.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٣٠٧

من دون الدخول فى هذا الأمر. والبعض الآخر لا- يساوى فى أهميته و خطره، ما سوف يجره الدخول فى هذا الأمر من مآس و مشاكل، و ما سوف يترتب عليه من آثار سيئة و خطيرة.

و قد قدمنا فى الفصل السابق البيان الكافى و الوافى، لما سوف يعترض طريق الإمام (ع) من عقبات فى الحكم؛ لو أنه كان قبل عرض الخلافة، و كيف ستكون النهاية له، و لنظام حكمه ...

و هو يوضح لنا أيضا حقيقة حاله، و نظام حكمه لو أنه قبل ولاية العهد أيضا؛ إذ أنه (ع) كان يعلم: أن وصوله للخلافة، و تسلمه لأزمة الحكم و السلطان تعترضه عقبات صعبة، و أهوال عظيمة، لن يكون من اليسير التغلب عليها، و تجاوزها.

فلقد كان يعلم- كما أظهرت الأحداث و الوقائع بعد ذلك- أنه لن يسلم من دسائس المأمون و أشياعه، بحيث يبقى محتفظا بحياته، أو على الأقل بمركزه، إلى ما بعد وفاة المأمون، و لم يكن يشك فى أن المأمون سوف يقدم على كل غريبة؛ من أجل التخلص منه، و تصفيته، إن جسديا، و ان معنويا ...

بل ... و حتى لو أن المأمون لم يقدم على أى عمل، فإن آماله بالبقاء على قيد الحياة إلى ما بعد وفاة المأمون، و هو بهذه السن المتقدمة، بالنسبة لسن المأمون ... كانت ضعيفة جدا، لا تبرر له الاقدام على قبول مثل هذا الأمر، إلا إذا كان يريد أن يعطى الناس انطباعا عن نفسه، بأنه لم يزهده بالدنيا، و إنما الدنيا هى التى زهدت فيه، كما كان يريد المأمون!!! و مع غض النظر عن كل ذلك ... فإنه لو قدر له البقاء على قيد الحياة إلى ما بعد وفاة المأمون، فلسوف يصطدم بتلك العناصر القوية ذات النفوذ، و التى لن ترضى عن سلوكه فى الحكم بصورة عامة، و فوق

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٣٠٨

ذلك كله، لسوف يصطدم بمؤامرات العباسيين، و أشياعهم، و الذين كانوا على استعداد لأن يعملوا المستحيل للحيلولة بينه و بين ذلك، و لو تمكن من ذلك؛ فلسوف لا يدخرون وسعا، و يجندون كل ما لديهم من طاقة و قوة و حول؛ من أجل زعزعة حكمه، و تقويض سلطانه، و خلق المشاكل الكثيرة له؛ لتضاف إلى ذلك الركام الهائل من المشاكل التى كانت تواجه الحكم ... إنهم سوف لا يمكنونه من قيادة الأمة قيادة صالحة، و سليمة و حكيمة؛ و ليمنى- من ثم- بالفشل الذريع، و الخيبة القاتلة ...

و لسوف يجدون هناك مرتعا خصبا لمؤامراتهم، و دسائسهم فى تلك الدولة المترامية الأطراف، الطافحة بالمشاكل، و ذلك عند ما يجدون أن الإمام (ع) لن يرضى إلا أن يحكم بحكم جدّيه محمد (ص) و على (ع).

و أن الناس بمختلف فئاتهم و طبقاتهم سوف لا- يكونون مستعدين لقبول حكم كهذا. و لا- أن ينقادوا لحاكم يريد منهم ذلك، و يخضعوا لارادته، بعد أن كانوا قد اعتادوا على حياة الخلفاء الامويين، و العباسيين، المليئة بالانحرافات و الموبقات ...

اللهم إلا أن يقوم الإمام (ع) فى فترة ولاية العهد، أو بداية حكمه باعداد مسبق، و تعبئة عامة و شاملة، على جميع المستويات، و فى مختلف المجالات ... و لن يفسح العباسيون، و المأمون، و أشياعهم له المجال للقيام بذلك الاعداد، و تلك التعبئة مهما كلفهم ذلك من تضحيات.

### فالسلبية اذن هى الموقف الصحيح:

و بعد كل ما تقدم: فإن من الطبيعى أن لا- يفكر الإمام (ع) فى الوصول إلى الحكم عن مثل هذا الطريق الملتوى، و المحفوف بالأخطار، و الذى لن يحقق له أى هدف من أهدافه. بل على العكس: سوف يكون

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٣٠٩

موجبا للقضاء عليه، و على كل آماله، و كل العلويين، و المتشيعين لهم، و يحقق فقط آمال الآخرين، و أهدافهم ... و لسوف يكون إقدامه على عمل من هذا النوع عملا انتحاريا، لا مبرر له، و لا منطق يساعده.

### لا بد من خطة لمواجهة الموقف:

و أخيرا ... و إذا كان لم يكن للرضا (ع) خيار فى قبول ولاية العهد ...  
و إذا كان لا- يمكن أن يقبل بأن يجعل وسيلة لتحقيق أهداف، و آله يتوصل بها إلى مآرب يمقتها، و يكرها كل الكره؛ لعلمه بما سوف يكون لها من آثار سيئة و خطيرة، على حاضر الامة، و مستقبلها، و على مستقبل هذا الدين. و كذلك لا يمكنه أن يسكت، و يظهر بمظهر الموافق، و المؤيد، و المساعد ...  
فان كل ما يمكن له أن يفعله- بعد هذا- هو أن يضع خطة، يستطيع بها مواجهة مؤامرات المأمون، و إحباط مخططاته؛ حتى لا يزداد الوضع سوءا، و الطين بلة ...  
فإلى الحديث عن خطته هذه فى الفصل التالى ...  
الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٣١٠

### خطة الامام (ع)

#### انحراف الحكام:

إن أدنى مراجعة لتاريخ الحكام آنذاك- العباسيين و الامويين على حد سواء- لكفيلة بأن تظهر بجلاء مدى منافاة تصرفات أولئك الحكام، و سلوكهم، و حياتهم لمبادئ الاسلام و تعاليمه ... الاسلام، الذى كانوا يستطيعون على الناس به، و يحكمون الامة- حسب ما يدعون- باسمه، و فى ظله ... حتى لقد اصبح الناس، و الناس على دين ملوكهم، يتأثرون بذلك، و يفهمون خطأ: أن الاسلام لا يتعد كثيرا عما يرون، و يشاهدون؛ مما كان من نتائجه شيوع الانحراف عن الخط الاسلامى القويم. بنحو واسع النطاق، ليس من السهل بعد السيطرة عليه، أو الوقوف فى وجهه ...

#### العلماء المزيّفون و عقيدة الجبر:

و لقد ساعد على ذلك، و زاد الطين بلة، فريق من أولئك الذين اشترت ضمائرهم، ممن يتسمون، أو بالأحرى سماهم الحكام ب «العلماء»؛ حيث إنهم قاموا يتلاعبون بمفاهيم الاسلام، و تعاليمه؛  
الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٣١١  
لتوافق هوى، و تخدم مصالح أولئك الحكام المنحرفين، الذين أغدقوا عليهم المال، و غمروهم بالنعمة.  
حتى إن أولئك المأجورين قد جعلوا عقيدة الجبر- الواضح لكل أحد زيفها و سخفها- من العقائد الدينية الاسلامية!!؛ من أجل أن يسهلوا على أولئك الحكام استغلال الناس، و لكى يوفروا لهم حماية لتصرفاتهم تلك، التى يندى لها جبين الانسان الحر ألما و خجلا؛ إذ أنهم يكونون بذلك قد جعلوا كل ما يصدر منهم هو بقضاء من الله و قدره؛ و لذا فليس لأحد الحق فى أن ينكر عليهم أى تصرف من تصرفاتهم، أو أى جناية من جناياتهم ...  
و كان قد مضى على ترويجهم هذه العقيدة المبتدعة- حتى زمان المأمون- أكثر من قرن و نصفا، أى من أول خلافة معاوية، بل و حتى قبل ذلك أيضا ... بزمان طويل!!

## عقيدة الخروج على سلاطين الجور:

كما أنهم- أعنى هؤلاء العلماء- قد جعلوا الخروج على سلاطين الجور و الفساد موبقة من الموبقات، و عظيمة من العظام ... و قد جرحوا بذلك عددا من كبار العلماء: مثل الإمام أبي حنيفة و غيره؛ بحجة أنه: «يرى السيف فى أمه محمد» (١) ...

(١) راجع: نظرية الامامة، للدكتور أحمد محمود صبحى، و غيره ...

و فى تاريخ بغداد ج ٥ ص ٢٧٤: أنه قيل لأبى مسهر: كيف لم تكتب عن محمد بن راشد؟! قال: «كان يرى الخروج على الأئمة» ... و فى طبقات الحنابلة لأبى يعلى ج ٣ ص ٥٨، فى مقام ترجيح سفيان على حسن بن حى، كان من جملة ما جرحه به أنه: «كان يرى السيف». و مثل ذلك كثير لا نرى حاجة لاستقصائه.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٣١٢

بل لقد جعلوا عدم جواز الخروج هذا من جملة العقائد الدينيه، كما يظهر من تتبع كلماتهم (١). أما عقائد التشبيه، و قضية خلق القرآن، فلعلها أشهر من أن تذكر، أو تحتاج إلى بيان.

## و الذى زاد الطين بله:

يضاف إلى ذلك كله غرور الحكام، الذى لا مبرر له، و كذلك من لف لفهم، الذين كانوا يحكمون الامه باسم الدين ... و كذلك غفلة الناس، و عدم إدراكهم لحقيقة ما يجرى و ما يحدث، و للواقع المزرى، الذى كان قائما آنذاك ... و أيضا ... و هو الأهم من كل ذلك- ابتعادهم؛ بسعى من الهيئات الحاكمة، عن أهل بيت النبوة، و معدن الرسالة ... كل ذلك ... قد أدى بالفعل إلى انحلال الدولة داخليا، و تمزيق أوصالها ... كما و أنه قد أسهم إسهاما كبيرا فى ابعاد الناس عن تعاليم السماء، و شريعة الله ... الأمر الذى لم يكن يعنى إلا نهاية الحكم الإسلامى،

(١) حسبما صرح به أحمد بن حنبل فى رساله «السنة»، و هى عقائد أهل الحديث، و السنة.

و قد أوردها أبو يعلى فى طبقات الحنابلة ج ١ ص ٢٦. و صرح بذلك أيضا الأشعري فى مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٣٢٣، و فى الإبانة ص ٩. و قد علل ذلك فى نظرية الامامة ص ٤١٧ بقوله: «... ذلك أنها: إن كانت بلوى من الله عقابا لهم؛ فما ثورتهم برادة عقاب الله، و إن كانت محنة للمسلمين؛ فما هم برادى قضاء الله»!!

و فى كتاب السنة قبل التدوين ص ٤٦٧، نقل عن ابن خزيمة، فى وصفه الطاعنين على أبى هريرة، قوله: إنهم إما معطل جهمى ... «و إما خارجى يرى السيف على امه محمد، أو قدرى، اعتزل الاسلام، و أهله الخ ...»

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٣١٣

وردة الناس إلى الجاهلية الجهلاء ... الأمر الذى لم يكن يهرب الحكام كثيرا؛ لأن الإسلام الذى يريدون، و الدين الذى ينشدون، هو ذلك الذى يستطيعون أن يتسلطوا على الامه، و يستأثروا بقدراتها و امكاناتها فى ظله. و يمهد لهم السبيل لاستمرارهم فى فرض نفوذهم و سيطرتهم، و لو كان ذلك على حساب جميع الشرائع السماوية، و كل المفاهيم الانسانية ...

إن أولئك الحكام، ما كانوا يفكرون إلا فى وسائل بقائهم و استمرارهم فى الحكم، و إلا فى شئونهم و مصالحهم الخاصة بهم. أما الامه المسلمة، و أما الإسلام، فلم يكن لهما لديهم أية قيمة، أو شأن يذكر، إلا فى حدود ما يستطيعون الافادة منهما فى بقائهم و وجودهم فى الحكم و السلطة ...

**الأئمة في مواجهة مسؤولياتهم:**

و في هذا الوسط الغريب: من غفلت الناس، و من سيرة الحكام، و المتسمين بالعلماء و سلوكهم ... كان الأئمة عليهم السلام يؤدون واجبه في نشر تعاليم السماء، و يكافحون، و ينافحون عنها، بقدر ما كانت تسمح لهم ظروفهم، التي كانت في ظل سلطان أولئك المنحرفين قاسية إلى حد بعيد.

**و أما عن الامام الرضا بالذات:**

و قد سنحت للامام الرضا (ع) فرصة لفترة وجيزة، كان الحكام منشغلين فيها بأمور تهمهم ... للقيام بواجبه في توعية الامة، و تعريفها بتعاليم الإسلام. و ذلك في الفترة التي تلت وفاة الرشيد، و حتى قتل الأمين. بل نستطيع أن نقول: إنها امتدت - و لو بشكل محدود - حتى وفاة الإمام (ع) في سنة (٢٠٣). الأمر الذي كان من نتيجته ازدياد الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العامل، ص: ٣١٤ نفوذه (ع)، و اتساع قاعدته الشعبية؛ حتى لقد كانت كتبه تنفذ في المشرق و المغرب. و كان هو الأرضي في الخاصة و العامة، حسما ألمحنا إليه من قبل.

**الخطة الحكيمة:**

و عند ما أراد المأمون أن ينفذ خطته في البيعة له بولاية العهد، و عرف الرضا: أن لا مناص له من قبول ذلك، كان من الطبيعي أن يعد (ع) العدة، و يضع خطة لمواجهة خطط المأمون، و احباط أهدافه الشريرة، و التي كان أهونها القضاء على سمعة الامام (ع)، و تحطيمه معنويا و اجتماعيا. و لقد كانت خطة الإمام هذه في منتهى الدقة و الإحكام. و قد نجحت أيما نجاح في إفشال المؤامرة، و تضييع كثير من أهدافها، و جعل الامور في صالح الإمام (ع)، و في ضرر المأمون ... حتى لقد ضاع رشد المأمون (بل و رشد أشياعه أيضا)، و هو أفعى الدهاء و السياسة، و لم يعد يدري ما يصنع، و لا كيف يتصرف ...

**مواقف لم يكن يتوقعها المأمون:****إشارة**

و لعلنا نستطيع أن نسجل هنا بعض المواقف للامام (ع)، التي لم يكن المأمون قد حسب لها حسابا، و التي كانت ضمن خطة الإمام (ع) في مواجهة مؤامرات المأمون ...

**الموقف الأول:**

اننا نلاحظ أن الإمام (ع) قد رفض دعوة المأمون، و هو في المدينة الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العامل، ص: ٣١٥ و لم يقبل إلا بعد أن علم أنه لا يكف عنه ... بل إن بعض النصوص تشير إلى أنه قد حمل إلى مرو بالرغم عنه، لا باختياره ... و ما ذلك إلا - ليعلم المأمون: أن حيلته لم تكن لتجوز عليه، و أنه (ع) على علم تام بأبعاد مؤامراته و أهدافها ... كما أنه بذلك يثير

شكوك الناس و ظنونهم حول طبيعة هذا الحدث، و سلامة النوايا فيه.

## الموقف الثاني:

### إشارة

إنه رغم أن المأمون كان قد طلب من الإمام (ع) - و هو في المدينة - أن يصطحب معه من أحب من أهل بيته في سفره إلى مرو ... انه رغم ذلك ... نلاحظ: أنه (ع) لم يصطحب معه حتى ولده الوحيد الإمام الجواد (ع)، مع علمه بطول المدة، التي سوف يقضيها في هذا السفر، الذي سوف يتقلد فيه زعامة الامة الإسلامية، حسب ما يقوله المأمون ... بل مع علمه بأنه سوف لن يعود من سفره ذاك، كما تؤكد عليه كثير من النصوص التاريخية ...

## شكوك لها مبرراتها:

و نرى أننا مضطرون للشك في نوايا المأمون و اهدافه من وراء طلبه هذا «أن يصطحب الامام (ع) من شاء من أهل بيته إلى مرو» ... بعد أن رأينا: أنه لم يرجع أحد ممن ذهب مع محمد بن جعفر إلى مرو، و لا يرجع محمد بن جعفر نفسه، و لا يرجع محمد بن محمد بن زيد، و لا غير هؤلاء، كما سيأتي بيانه في الفصل التالي و غيره ...  
فلعل الامام (ع)، بل إن ذلك هو المؤكد، الذي تدل عليه الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٣١٦  
تصريحاته و تصرفاته حين تأهب للسفر - لعله - قد فطن لنوايا المأمون هذه؛ فضيع الفرصة عليه، و أعاد كيده إليه ...

## الموقف الثالث:

سلوكه في الطريق، كما وصفه رجاء بن أبي الضحاك «١»، حتى اضطر المأمون لأن يظهر على حقيقته، و يطلب من رجاء هذا: أن لا يذكر ما شاهده منه لأحد؛ بحجة أنه لا يريد أن يظهر فضله إلا على لسانه «٢»، و لكننا لم نره يظهر فضله هذا، حتى و لو مرة واحدة؛ فلم يدع أحد أنه سمع شيئاً من المأمون عن سلوك الامام (ع)، و هو في طريقه إلى مرو. و أما رجاء، فلعله لم يحدث بذلك إلا بعد أن لم يعد في ذلك ضرر على المأمون، و بعد أن ارتفعت الموانع، و قضى الأمر ...

## الموقف الرابع:

### إشارة

موقفه في نيشابور، الذي لم يكن أبداً من المصادفة. كما لم يكن ذكره للسلسلة التي يروى عنها من المصادفة أيضاً؛ حيث أبلغ الناس في ذلك الموقف، الذي كانت تزدحم فيه أقدام عشرات بل مئات الالوف «٣» - أبلغهم -: «كلمة لا إله إلا الله حصني؛ فمن دخل

(١) راجع: البحار ج ٤٩ من ص ٩١ حتى ٩٥، و عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٨١ فما بعدها. و هو كلام معروف لا ترى أننا بحاجة لتكثير مصادره هنا ...

(٢) البحار ج ٤٩ ص ٩٥، و عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٨٣.

(٣) و ذلك يدل على مدى تعاطف الناس مع أهل البيت، و محبتهم لهم. الأمر الذي كان يربع المؤمن و يخيفه ... حتى لقد كان يحاول كبت عواطف الناس هذه، و هذا هو السبب في منع الامام من المرور عن طريق الكوفة و قم، كما سيأتي ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٣١٧

حصنى أمن من عذابي «١» ... الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ٣١٧ الموقف الرابع: ..... ص : ٣١٦

ه الكلمة ... التي عد أهل المحابر و الدوى، الذين كانوا يكتبونها؛ فانافوا على العشرين الفا ... هذا على قلة من كانوا يعرفون القراءة و الكتابة آنذاك، و عدا عن سواهم ممن شهد ذلك الموقف العظيم ...

« و نلاحظ: أنه (ع) - في هذا الظرف - لم يحدثهم عن مسألة فرعية، ترتبط ببعض مجالات الحياة: كالصوم، و الصلاة، و ما شاكل. و لم يلق عليهم موعظة تزهدهم في الدنيا، و ترغبهم في الآخرة، كما كان شأن العلماء آنذاك ...

كما أنه لم يحاول أن يستغل الموقف لاهداف شخصية؛ أو سياسية، كما جرت عادة الآخرين في مثل هذه المواقف ... مع أنه يتوجه إلى مرو؛ ليواجه أخطر محنة تهدد وجوده، و تهدد العلويين، و من ثم الأمة بأسرها.

و انما كلم الناس باعتباره القائد الحقيقي، الذي يفترض فيه: أن يوجه الناس - في ذلك الظرف بالذات - إلى أهم مسألة ترتبط بحياتهم، و وجودهم، إن حضرا، و إن مستقبلا. ألا و هي مسألة:

التوحيد ... التوحيد: الذي هو في الواقع الأساس للحياة الفضلى، بمختلف جوانبها، و إليه تنتهى، و عليه و به تقوم ...

التوحيد: الذي ينجي كل الامم من كل عناء و شقاء و بلاء. و الذي إذا فقدته الانسان؛ فإنه يفقد كل شيء في الحياة حتى نفسه ...

### مدى ارتباط مسألة الولاية بمسألة التوحيد:

هذا ... و لأنه قد يكون الكثيرون ممن شهدوا ذلك الموقف لم يتهيأ

(١) قد ذكرنا بعض مصادر هذه القضية في فصل: «شخصية الامام الرضا» فمن أراد فليراجع ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٣١٨

لهم سماع كلمة الإمام (ع)؛ لانشغالهم مع بعضهم بأحداث خاصة؛ أو لتوجههم لامور جانبية أخرى، كما يحدث ذلك كثيرا في مناسبات كهذه ...

نرى الإمام (ع) يتصرف بنحو آخر؛ حيث إنه عند ما سارت به المناقشة، و في حين كانت أنظار الناس كلهم، و قلوبهم مشدودة إليها ... نراه يخرج رأسه من العمارية؛ فيسترعى ذلك انتباه الناس، الذين لم يكونوا يترقبون ذلك منه. ثم يملى عليهم - و هم يلتقطون أنفاسهم؛ ليستمعوا إلى ما يقول - كلمته الخالدة الاخرى:

«بشروطها؛ و أنا من شروطها».

لقد أملى الإمام (ع) كلمته هذه عليهم، و هو مفارق لهم؛ لتبقى الذكرى الغالية، التي لا بد و أن يبقى لها عميق الأثر في نفوسهم «١» ...

لقد أبلغهم (ع) مسألة أساسية أخرى، ترتبط ارتباطا وثيقا بالتوحيد، ألا و هي مسألة: «الولاية» ...

و هي مسألة بالغة الأهمية، بالنسبة لأمة تريد أن تحيا الحياة الفضلى، و تنعم بالعيش الكريم؛ إذ ما دامت مسألة القيادة الحكيمة، و

العادلة، و الواعية لكل ظروف الحياة، و شؤونها، و مشاكلها- ما دامت هذه

(١) و يلاحظ: أن هذه الكلمة قد صيغت بنحو لا بد معه من الرجوع إلى الكلمة الاولى، و معرفتها.

و بعد ... فما أشبه موقفه عليه السلام هنا بموقف النبي (ص) في غدیر خم؛ حيث إنه (ص) كان أيضا قد أبلغ المسلمين مسألة الولاية، في ذلك الموقف الحاشد، و في المكان الذي لا- بد فيه من تفرق الناس عنه (ص)، و ذهاب كل منهم إلى بلده، و لعل إرجاع المتقدمين، و حبس المتأخرين يشبهها إخراج الامام عليه السلام رأسه من العمارية ... يضاف إلى ذلك: أن موقفه (ص) كان آخر مواقف العامة في حياته إلى آخر ما هنالك من وجوه الشبه بين الواقعتين.

و لعلنا نجد تشابها بين هذه الواقعة، و بين قضية إرجاع أبي بكر عن تبليغ آيات سورة براءة، ثم إرسال علي مكانه ...

الحياة السياسية للإمام (الرضا) (ع)، مرتضى العالمى، ص: ٣١٩

المسألة- لم تحل؛ فلسوف لا يمكن إلا أن يبقى العالم يزرع تحت حكم الظلمة و الطواغيت، و الذين يجعلون لأنفسهم صلاحيات التقنين و التشريع الخاصة بالله، و يحكمون بغير ما أنزل الله؛ و ليبقى العالم- من ثم- يعاني الشقاء و البلاء، و يعيش في متاهات الجهل، و الحيرة، و الضياع ...» (١).

و إننا إذا ما أدركنا بعمق مدى ارتباط مسألة: «الولاية» بمسألة «التوحيد»؛ فلسوف نعرف: أن قوله (ع): «و أنا من شروطها» لم تمله عليه مصلحته الخاصة، و لا قضايا الشخصية ... و لسوف ندرك أيضا: الهدف الذي من أجله ذكر الإمام (ع) سلسلة سند الرواية، الأمر الذي ما عهدناه، و لا ألفناه منهم عليهم السلام، إلا في حالات نادرة؛ فإنه عليه السلام قد أراد أن ينبه بذلك على مدى ارتباط مسألة القيادة للإمام بالمبدأ الأعلى ...

### الإمام ولي الأمر من قبل الله، لا من قبل المأمون:

وعدا عن ذلك كله ... فإننا نجد أن الإمام (ع)، حتى في هذا الموقف، قد اهتبل الفرصة، و أبلغ ذلك الحشد الذي يضم عشرات بل مئات الألوف: أنه الإمام للمسلمين جميعا، و المفترض الطاعة عليهم، على حد تعبير القندوزي الحنفي، و غيره ... و ذلك عند ما قال لهم:

«و أنا من شروطها».

و بذلك يكون قد ضيع على المأمون أعظم هدف كان يرمى إليه من استقدام الإمام (ع) إلى مرو. ألا و هو: الحصول على اعتراف بشرعية خلافته، و خلافة بنى أبيه العباسيين ...

(١) قد استرشدنا في بعض ما ذكرناه هنا بما ذكره بعض المؤلفين، في كتابه: «يادبود هشتمين امام» (فارسي).

الحياة السياسية للإمام (الرضا) (ع)، مرتضى العالمى، ص: ٣٢٠

إذ أنه قد بين للناس بقوله: «و أنا من شروطها»: أنه هو بنفسه من شروط كلمة التوحيد، لا من جهة أنه ولي الأمر من قبل المأمون، أو سيكون ولي الأمر أو العهد من قبله؛ و إنما لأن الله تعالى جعله من شروطها.

و قد أكد (ع) على هذا المعنى كثيرا، و في مناسبات مختلفة، حتى للمأمون نفسه في وثيقة العهد كما سيأتي، و أيضا في الكتاب الجامع لاصول الاسلام و الأحكام، الذي طلبه منه المأمون؛ حيث كتب فيه أسماء الأئمة الاثنى عشر عليهم السلام، مع أن عددا منهم لم يكونوا قد ولدوا بعد، كما أنه ذكر أسماءهم في احتجاجه على العلماء و المأمون في بعض مجالسهم العلمية، و في غير ذلك من



مواقفه الكثيرة (ع) ...

### الإمام يبلغ عقيدته لجميع الفئات:

و أخيرا ... لا- بد لنا في نهاية حديثنا عن هذا الموقف التاريخي من الاشارة إلى أنه كان من الطبيعي أن يضم ذلك الحشد العظيم، الذي يقدر بعشرات، بل بمئات الالوف:

١- حشدا من أهل الحديث و اتباعهم، الذين جعلوا صلحا جديدا بين الخلفاء الثلاثة، و بين عليّ (ع) في معتقداتهم، بشرط أن يكون هو الرابع في الخلافة و الفضل. و لفقوا من الأحاديث في ذلك ما شاءت لهم قرائحهم؛ حتى جعلوه إذا سمع ذكرا لأبي بكر يبكي حبا، و يمسح عينيه ببرده «١».

و جعلوه أيضا ضربا للحدود بين يدي الثلاثة: أبي بكر، و عمر،

(١) تاريخ الخلفاء ص ١٢٠، و غيره.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ٣٢١

و عثمان «١»، كما تنبأ هو نفسه (ع) بذلك «٢». إلى غير ذلك مما لا يكاد يخفى على الناظر البصير، و الناقد الخبير ...

٢- و حشدا من أهل الإرجاء، الذين ما كانوا يقيمون وزنا لعلی، و عثمان. بل كانت المرجئة الاولى لا يشهدون لهما بإيمان، و لا بكفر ...

٣- و أيضا ... أن يضم حشدا من أهل الاعتزال، الذين أحاطوا بالمأمون، بل و يعد هو منهم، و الذين تدرجوا في القول بفضل عليّ (ع) حسبما اقتضته مذاهبهم و مشاربهم؛ فقد كان مؤسسا نحلة الاعتزال:

واصل بن عطاء، و عمرو بن عبيد، لا يحكمان بتصويبه في وقعة الجمل مثلا، و لكن أتباعهما تدرجوا على مر الزمان في القول بفضله؛ فقد شكك أبو الهذيل العلاف في أفضليته على أبي بكر، أو القول بتساويهما في الفضل. و لكن رئيس معتزلة بغداد: بشر بن المعتمر، قد جزم بأفضليته على الخلفاء الثلاثة، و لكنه قال بصحة خلافتهم ... و قد تبعه جميع معتزلة بغداد، و كثير من البصريين ...

و إذا كان ذلك الحشد الهائل يضم كل هؤلاء، و غيرهم ممن لم نذكرهم ... فمن الطبيعي أن تكون كلمة الإمام هذه: «و أنا من شروطها» ضربة موفقة و دامغة لكل هؤلاء، و إقامة للحجة عليهم جميعا، على اختلاف أهوائهم، و مذاهبهم ...

و يكون قد بلغ بهذه الكلمة: «و أنا ...» صريح عقيدته، و عقيدة

(١) تاريخ الخلفاء ص ١١٩، ١٢٠، و المحاسن و المساوى ج ١ ص ٧٩ طبع مصر.

و الفتوحات الاسلامية لدحلان ط مصطفى محمد ج ٢ ص ٣٦٨.

(٢) فقد قال بعد أن ضرب الوليد بن عقبه الحد، لشربه الخمر: «لندعوني قريش بعد هذا جلادها». الغدير ج ٨ ص ١٢١. و قد صدقت نبوءته، صلوات الله و سلامه عليه؛ فقد جعلوه - كما ترى - ضربا للحدود بين يدي الثلاثة!!!.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ٣٢٢

آبائه الطاهرين (ع) في أعظم مسألة دينية، تفرقت لاجلها الفرق في الاسلام، و سلت من أجلها السيوف. بل لقد قال الشهرستاني:

«... و اعظم خلاف بين الامة خلاف الامامة؛ إذ ما سل سيف في الاسلام على قاعدة دينية مثلما سل على الامامة في كل زمان ...» «١».

و بعد كل ما قدمناه ... لا يبقى مجال للقول: إن قوله هذا:

«و أنا ...» لا- ينسجم مع ما عرف عنه (ع) من التواضع البالغ، و خفض الجناح؛ إذ ليس ثمة من شك في أن للتواضع و خفض الجناح موضع آخر. و أنه كان لا بد للإمام في ذلك المقام، من بيان الحق الذى يصلح به الناس أولا و آخرا، و يفتح عيونهم و قلوبهم على كل ما فيه الخير و المصلحة لهم، إن حضرا، و إن مستقبلا، و إن جزع من ذلك قوم، و حتى آخرون ...

### تعقيب هام و ضرورى:

و مما هو جدير بالملاحظة هنا، هو أن أئمة الهدى عليهم السلام كانوا يستعملون التقيّة فى كل شىء إلا فى مسألة أنهم عليهم السلام الأحق بقيادة

(١) الملل و النحل، ج ١ ص ٢٤. و قال الخضرى فى محاضراته ج ١ ص ١٦٧:

«... و الخلاصة: أن مسألة الخلافة الاسلامية و الاستخلاف، لم تسر مع الزمن فى طريق يؤمن فيه العثار. بل كان تركها على ما هى عليه، من غير حل محدد ترضاه الامّة، و تدفع عنه سببا لاكثر الحوادث التى أصابت المسلمين، و أوجدت ما سيرد عليكم من أنواع الشقاق و الحروب المتواصلة، التى قلما يخلو منها زمن، سواء كان ذلك بين بيتين، أو بين شخصين ...» انتهى.

و أقول: إذن ... كيف جاز للنبي (ص) أن يترك الامّة هكذا هملا، ثم لا يضع حلا لأعظم مشكلة تواجهها، مع أن شريعته كاملة و شاملة، و قد بين فيها كل ما تحتاجه الامّة، حتى أرش الخدش.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٣٢٣

الامّة، و خلافة النبي (ص). مع أنها لا شىء أخطر منها عليهم، كما تشير إليه عبارة الشهرستانى الآنفه، و غيرها.

و ذلك يدل على مدى ثقتهم بأنفسهم، و بأحقيتهم بهذا الأمر ...

فترى الإمام موسى (ع) يواجه ذلك الطاغية الجبار هارون بهذه الحقيقة، و يصارحه بها، أكثر من مرة، و فى أكثر من مناسبة «١» ...

بل لقد رأينا الرشيد نفسه يعترف بأحقيتهم تلك فى عدد من المناسبات على ما فى كتب السير و التاريخ ...

و لقد نقل غير واحد «٢» أنه: عند ما وقف الرشيد على قبر النبي (ص)، و قال مفتخرا: السلام عليك يا ابن عم. جاء الإمام موسى (ع)، و قال:

السلام عليك يا أبة. فلم يزل ذلك فى نفس الرشيد إلى أن قبض عليه.:

و عند ما قال له الرشيد: أنت الذى تبايعك الناس سرا؟! أجابه الإمام (ع): أنا إمام القلوب، و أنت إمام الجسوم «٣» ...

و أما الحسن، و الحسين، و أبوهما؛ فحالهما فى ذلك أشهر من أن يحتاج إلى بيان ...

بل إن أعظم شاهد على مدى ثقتهم بأحقية دعواهم الإمامة ما قاله الإمام الرضا (ع) للقاتل له: إنك قد شهرت نفسك بهذا الأمر، و جلست مجلس أبيك؛ و سيف هارون يقطر الدم!! ...

(١) راجع: الصواعق المحرقة، و ينابيع المودة، و وفيات الاعيان، و البحار، و قاموس الرجال، و غير ذلك ...

(٢) البداية و النهاية ج ١٠ ص ١٨٣، و الكامل لابن الاثير ج ٦، ص ١٦٤ ط صادر، و الصواعق المحرقة ص ١٢٢، و الاتحاف بحب

الاشراف ص ٥٥، و مرآة الجنان ج ١ ص ٣٩٥ و أعيان الشيعة، و ينابيع المودة، و غير ذلك ...

(٣) الاتحاف بحب الاشراف ص ٥٥، و الصواعق المحرقة ص ١٢٢.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٣٢٤

فأجابه الإمام (ع): «جرأني على هذا ما قال رسول الله (ص):

إن أخذ أبو جهل من رأسي شعرة؛ فأشهد أنني لست بنبي... وأنا أقول لكم: إن أخذ هارون من رأسي شعرة؛ فأشهدوا أنني لست بإمام...» (١).

و في هذا المعنى روايات عديدة (٢) ...

و لكنهم عليهم السلام قد انصرفوا بعد الحسين (ع) عن طلب هذا الأمر بالسيف... إلى تربية الامه، و حماية الشريعة من الانحرافات التي كانت تتعرض لها باستمرار؛ ولأنهم كانوا يعلمون: أن طلب هذا الأمر من دون أن يكون له قاعدة شعبية قوية و ثابتة، و واعي، لن يؤدي إلى نتيجة، و لن يقدر له النجاح، الذي يريدونه هم، و يريد الله... و لكنهم - كما قلنا - ظلوا عليهم السلام يجاهرون بأحقيتهم بهذا الأمر، حتى مع خلفاء وقتهم، كما يظهر لكل من راجع مواقفهم و أقوالهم في المناسبات المختلفة...

### الموقف الخامس:

رفضه (ع) الشديد لكلا عرضي المأمون: الخلافة، و ولاية العهد، و إصراره على هذا الرفض الذي استمر أشهرا، و هو في مرو نفسها، حتى لقد هدده المأمون أكثر من مرة بالقتل...

و بذلك يكون قد مهد الطريق لواجه المأمون بالحقيقة؛ حيث قال له صراحة: إنه يريد أن يقول للناس: إن علي بن موسى لم يزهده بالدنيا، و إنما الدنيا هي التي زهدت فيه؛ و ليكون بذلك قد أفهم المأمون أن

(١) المناقب لابن شهر اشوب ج ٤ ص ٣٣٩، و عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٢١٣.

(٢) راجع: البحار ج ٤٩، و روضة الكافي، و عيون أخبار الرضا، و إرشاد المفيد، و غير ذلك.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العامل، ص: ٣٢٥

حيلته لم تكن لتجوز، و أن زيفه لا- ينطلي عليه، و لذا فان عليه أن يكف في المستقبل عن كل مؤامراته و مخططاته... و ليكون المأمون بعد هذا غير مطمئن لأي عمل يقدم عليه، و ضعيف الثقة بكل الحيل و المؤامرات التي يحوكمها. هذا بالاضافة إلى أن الناس سوف يشكون في طبيعته هذا الأمر، و سلامة نوايا المأمون فيه...

### الموقف السادس:

و لم يكتف الامام (ع) بذلك كله... بل كان لا يدع فرصة تمر إلا و يؤكد فيها على أن المأمون قد اكرهه على هذا الأمر، و أجبره عليه، و هدد بالقتل إن لم يقبل...

يضاف إلى ذلك... أنه كان يخبر الناس في مختلف المناسبات: أن المأمون سوف ينكث العهد، و يغدر به... حتى لقد قال في نفس مجلس البيعة للمستبشر: «لا تستبشر؛ فانه شيء لا يتم». بل لقد كتب في نفس وثيقة العهد ما يدل على ذلك دلالة واضحة، كما سيأتي بيانه في الموقف الثامن...

هذا عدا عن أنه كان يصرح بأنه لا يقتله إلا المأمون، و لا يسمه إلا هو، حتى لقد واجه نفس المأمون بهذا الأمر...

بل إنه لم يكن يكتفى بمجرد القول، و إنما كانت حالته على وجه العموم في فترة ولاية العهد تشير إلى عدم رضاه بهذا الامر، و إلى أنه مكره مجبر عليه...

حيث إنه كان على حد تعبير الرواة: «في ضيق شديد، و محنة عظيمة» و «لم يزل مغموما مكروبا حتى قبض»، و «قبل البيعة، و هو باك

حزين» و كان كما يقول المدائني: «إذا رجع يوم الجمعة من

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٣٢٦

الجامع، و قد أصابه العرق و الغبار، رفع يديه و قال: «اللهم إن كان فرجى مما أنا فيه بالموت؛ فعجل لى الساعة «١»...».

إلى آخر ما هنالك، مما لا يمكن استقصاؤه فى مثل هذه العجالة ...

و واضح أن كل ذلك سوف يودى إلى عكس النتيجة، التى كان يتوخاها المؤمنون من البيعة؛ و خصوصا إذا ما أردنا الملائمة بين

مواقفه هذه، و موقفه فى نيشابور، و موقفه فى صلاتى العيد فى مرو.

### الموقف السابع:

#### إشارة

إنه (ع) كان لا يدع فرصة تمر إلا و يؤكد فيها على أن المؤمن لم يجعل له إلا ما هو حق له، و أنه لم يزد بذلك على أن أرجع الحق

إلى أهله، بعد أن كانوا قد اغتصبوه منهم، بل و اثبات أن خلافة المؤمن ليست صحيحة و لا شرعية ...

### أما ما يتعلق بصحة خلافة المؤمن:

فلاحظ: أنه (ع) حتى فى كيفية البيعة يشير- على ما صرح به كثير من المؤرخين- إلى أن المؤمن، الذى يحتل عنوة مجلس رسول

الله (ص)، يجهل حتى كيفية ذلك العقد الذى خوله- بنظره- أن يكون فى ذلك المجلس الخطير؛ حيث إنه (ع): «... رفع يده؛ فتلقى

بظهرها وجه نفسه، و بطنها وجوههم؛ فقال له المؤمن: ابسط

(١) البحار ج ٤٩ ص ١٤٠، و عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٥.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٣٢٧

يدل للبيعة؛ فقال له: إن رسول الله هكذا كان يبايع؛ فبايعته الناس... «١».

و نظير ذلك أيضا: ما روى من أن المؤمن قد أمر الناس: أن يعودوا للبيعة من جديد، عند ما أعلمه الإمام (ع): بأن كل من كان قد

بايعه، قد بايعه بفسخ البيعة إلا الشاب الأخير... و هاج الناس بسبب ذلك، و عابوا المؤمن على عدم معرفته بالعقد الصحيح و الكيفية

الصحيحة للبيعة و هذه القضية مذكورة فى العديد من المصادر أيضا «٢».

### و أما أن الخلافة حق للإمام (ع) دون غيره:

فعله لا يكاد يخفى على من له أدنى اطلاع على حياة الإمام (ع) و موقفه و قد تحدثنا آنفا عن موقفه فى نيشابور، و هو فى طريقه إلى

مرو، و كيف أنه (ع) جعل نفسه الشريف و الاعتراف بامامته شرطا لكلمة التوحيد، و الدخول فى حصن الله الحصين ...

و أشرنا أيضا إلى أنه قد عدد الأئمة الشرعيين، و هو أحدهم فى عديد من المناسبات و المواقف حتى فيما كتبه للمؤمن ...

بل لقد المح إلى ذلك أيضا بل لقد ذكره صراحة فيما كتبه على حاشية وثيقة العهد بخط يده.

كما أن من الامور الجديرة بالملاحظة هنا خطاب الإمام (ع) حينما يبيع له بولاية العهد، و هو ما يلي:

(١) راجع: المناقب ج ٤ ص ٣٦٩، ٣٦٤ و البحار ج ٤٩ ص ١٤٤، و علل الشرائع، و مقاتل الطالبين، و نور الابصار، و نزهة الجليس، و عيون أخبار الرضا.

(٢) راجع: على سبيل المثال: شرح ميمية أبي فراس ص ٢٠٤.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ٣٢٨

«... إن لنا عليكم حقا برسول الله، و لكم علينا حق به؛ فإذا أتمت لنا ذلك و جب علينا الحق لكم...».

و لم يؤثر عنه في ذلك المجلس غير ذلك ... و هو معروف و مشهور بين أرباب السير و التاريخ ...

و من الواضح أن اقتضاره على هذه الكلمة في ذلك المجلس الذي يقتضى إيراد خطبة طويلة، يتعرض فيها لمختلف المواضيع، و على

الأقل لشكر المأمون على ما خصه به من ولاية العهد بعده- إن اقتضاه على هذا- يعتبر أسلوبا رائعا لتركيز المفهوم الذي يريد الإمام

(ع) في أذهان الناس، و إعطائهم الانطباع الحقيقي عن البيعة، و عن موقفه منها، و من جهاز الحكم، في نفس مجلس البيعة، حتى لا

يبقى هناك مجال للتكهن بأن: الإمام كان يرغب في هذا الأمر، ثم حدث ما أوجب غضبه و سخطه، و قد يكون له الحق في ذلك و

قد لا يكون ...

يضاف إلى كل ذلك أنه (ع) قال لحميد بن مهران، حاجب المأمون:

«... و أما ذكرك صاحبك (يعني المأمون، و المأمون جالس)، الذي أجتني؛ فما أحلني إلا المحل الذي أحله ملك مصر ليوسف

الصديق (ع)، و كانت حالهما ما قد علمت...».

كما أنه (ع) قد قال أكثر من مرة و في اكثر من مناسبة: «إن من أخذ برسول الله؛ لحقيق بأن يعطى به»، و ذلك عند ما عرض له

المأمون بالمن عليه بأن جعله ولي عهده، و في غير هذه المناسبة أيضا ...

### المأمون يعترف بأحقية آل علي بالأمر:

و لعل من أعظم المواقف الجديرة بالتسجيل هنا موقفه (ع) مع المأمون،

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ٣٢٩

عند ما حاول هذا أن يحصل منه (ع) على اعتراف بأن العباسيين و العلويين سواء بالنسبة لقبراهم من النبي صلى الله عليه و آله و سلم؛

و ذلك من أجل أن يثبت- بزعمه- أن له و لبني أبيه حقا في الخلافة؛ فكانت النتيجة: أن نجح الإمام (ع) في انتزاع اعتراف من

المأمون بأن العلويين هم الأقرب ...

و تكون النتيجة- على حسب منطق المأمون، و منطق أسلافه كما قدمنا- هي: أن العلويين هم الأحق بالخلافة و الرئاسة، و أنه هو، و

آبائه غاصبون، و معتدون ...

فبينما المأمون و الرضا (ع) يسيران؛ إذ قال المأمون:

«... يا أبا الحسن، إنني فكرت في شيء؛ فنتج لي الفكر الصواب فيه: فكرت في أمرنا و أمركم، و نسبنا و نسبكم؛ فوجدت الفضيلة فيه

واحدة، و رأيت اختلاف شيعتنا في ذلك محمولا على الهوى و العصبية ...

فقال له أبو الحسن الرضا (ع): إن لهذا الكلام جوابا، إن شئت ذكرته لك، و إن شئت أمسكت ...

فقال له المأمون: إنني لم أقله إلا لأعلم ما عندك فيه ...

قال له الرضا (ع): أنشدك الله يا أمير المؤمنين، لو أن الله تعالى بعث نبيه محمدا (ص)؛ فخرج علينا من وراء أكمه من هذه الآكام، يخطب إليك ابنتك، كنت مزوجه إياها؟ ...  
فقال: يا سبحان الله، و هل أحد يرغب عن رسول الله (ص)؟!  
فقال له الرضا (ع): أفتراه كان يحل له أن يخطب إلي؟ ...  
قال: فسكت المأمون هنيئاً، ثم قال:  
«أنتم و الله، أمس برسول الله رحماً...» (١).

(١) كنز الفوائد للكراچكى ص ١٦٦، و الفصول المختارة من العيون و المحاسن ص ١٥، ١٦، و البحار ج ٤٩ ص ١٨٨، و مسند الامام الرضا عليه السلام ج ١ ص ١٠٠.  
الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٣٣٠  
و كانت هذه ضربة قاضية و قاصمة للمأمون. لم يكن قد حسب لها أى حساب. و لم يكن ليتمكن فى مقابل ذلك من أى عمل ضد الإمام (ع)؛ بعد أن كان هو الجانى على نفسه؛ ف «على نفسها جنت براقش».  
و بعد كل ذلك فقد قدمنا قول ابن المعتز:  
و أعطاكم المأمون حق خلافة لنا حقها، لكنه جاد بالدنيا و خلاصة الأمر:  
انه (ع) لم يكن يدخر وسعا فى إحباط مسعى المأمون، و تضييع الفرصة عليه، و إفهام الناس أنه مكره على هذا الأمر، مجبر عليه ...  
و التأكيد على أن المأمون لم يجعل له إلا ما هو حق له؛ و لذا فلا يمكن أن يعتبر قبوله بولاية العهد اعترافا بشرعية الخلافة العباسية، أو بشرعية أى تصرف من تصرفاتها. كما أنه إذا كان ذلك حقا للإمام قد اغتصبه الغاصبون، و اعتدى عليه فيه المعتدون؛ فليس للمأمون حق فى أن يعرض له (ع) بالمن عليه، بما جعل له من ولاية العهد ...  
و كذلك ليس للمأمون بعد: أن يدعى العدل و الانصاف، فضلا عن الايثار و التضحية فى سبيل الآخرين؛ بعد أن فضح الإمام اهدافه من لعبته تلك، و عرف كل أحد أنها لم تكن شريفة و لا سليمة ...

### الاذوبة المفوضه:

و بعد ... فقد ذكر بعض أهل الأهواء، كابن قتيبة، و ابن عبد ربه، واقعة خيالية، غير تلك التى ذكرناها آنفا و هى:  
أن المأمون قال لعلى بن موسى: علام تدعون هذا الأمر؟! ...  
قال: «بقراءة على و فاطمة من رسول الله (ص) ...»  
الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٣٣١  
فقال المأمون: «إن لم تكن إلا القرابة، فقد خلف رسول الله (ص) من هو أقرب إليه من على، أو من هو فى قعدده. و إن ذهبت إلى قرابة فاطمة من رسول الله (ص)؛ فإن الأمر بعدها للحسن، و الحسين؛ فقد ابترهما على حقهما، و هما حيان، صحيحان، فاستولى على ما لا حق له فيه ...».

فلم يحر على بن موسى له جوابا «١» ... انتهى ...  
و هى واقعة مزيفة و مجعولة من أجل التغطية على الواقعة الحقيقية، التى جرت بينهما، و التى تنسجم مع كل الأحداث و الوقائع، و جميع الدلائل و الشواهد متظافرة على صحتها، ألا و هى تلك التى قدمناها آنفا ...

و الدليل على زيف هذه الرواية: أنها لا- توافق نظرة أئمة أهل البيت و رأيهم فى الخلافة و مستحقها؛ لأنهم يرون- كما تدل عليه تصريحاتهم المتكررة، و أقوالهم المتضاربة:- أن منصب الإمامة لا يكون إلا بالنص.

و أما الاستدلال بالقراءة؛ فقد قلنا فى الفصل الأول من هذا الكتاب:

أن أول من التجأ إليه أبو بكر، ثم عمر. ثم الامويون، فالعباسيون، ثم أكثر، إن لم يكن كل مطالب بالخلافة ... و أنه إذا كان فى كلام الأئمة و شيعتهم ما يفهم منه ذلك، فإنما اقتضاه الحجاج مع خصومهم.

و بعد ... فهل يخفى على الإمام (ع) ضعف و وهن هذه الحجج؛ مع أننا نراه يصرح فى أكثر من مناسبة بأن القراءة لا تجدى و لا تفيد- كما سنشير إليه- و انه لا بد فى الإمام من جدارة و أهلية فى مختلف الجهات، و على جميع المستويات. و لقد كان على المأمون- لو صحت هذه الرواية- أن يغتنمها فرصة،

(١) راجع: عيون الاخبار ج ٢ ص ١٤٠، ١٤١، طبع مصر سنة ١٣٤٦، و العقد الفريد ج ٥ ص ١٠٢، و ج ٢ ص ٣٨٦، طبع دار الكتاب العربى ...

الحياة السياسية للإمام (ع)، مرتضى العاملى، ص: ٣٣٢

و يعلنها على الناس جميعا، و يشهر بالإمام (ع)؛ ليسقطه- و من ثم ... يسقط العلويين كلهم من أعين الناس ... و يسلبهم و إلى الابد السلاح الذى كانوا يحاربونه و يحاربون آباءه به ... مع أن ذلك هو ما كان يبحث عنه المأمون ليل نهار، و يدبر المكائد، و يعمل الحيل، من أجله، و فى سبيله ...

وعدا عن ذلك كله ... كيف يمكن أن تنسجم هذه الرواية مع مواقف الإمام، و تصريحاته المتكررة حول مسألة الامامة، و بأى شىء تثبت، و حول أوصاف الإمام و وظائفه، و التى لو أردنا استقصاءها لاحتجنا إلى عشرات الصفحات!!؟

و كذلك ... مع احتجاج الإمام (ع) على العلماء و المأمون فى أكثر من مناسبة بالنص، و أيضا مع موقفه (ع) فى نيشابور؟! اللهم إلا أن يكون أعلم أهل الأرض- باعتراف المأمون قد نسى حجته، و حجة آباءه، و كل من ينتسب إليهم، و يذهب مذهبهم ...

تلك الحجج- التى عرفوا و كل المتشيعين لهم بها على مدى الزمان- نسيها- فى تلك اللحظة فقط؛ لأن المأمون هو الذى يسأل، و الرضا هو الذى يجب!!!

و بعد؛ فهل يستطيع أن يشك فى ذلك أحد ... و هو يرى رسالة الرضا، التى كتبها للمأمون تلبية لطلبه، و جمع له بها أصول الاسلام، و التى صرح فيها بالنص على (ع). بل و ذكر فيها الاثني عشر، الذين نص عليهم النبى (ص) كلهم بأسمائهم، حتى من لم

يكن قد ولد بعد منهم؟! و هذه الرسالة مشهورة و قد أوردها و استشهد بها غير واحد من المؤرخين و الباحثين «١» ...

(١) و كان آخرهم الدكتور أحمد محمود صبحى فى كتابه: نظرية الامامة ص ٣٨٨، و قال: إنها من المخطوطات الموجودة فى دار الكتب المصرية تحت رقم ١٢٥٨.

الحياة السياسية للإمام (ع)، مرتضى العاملى، ص: ٣٣٣

و فيها يصف الإمام (ع) أئمة الهدى أدق وصف، و أروع، و أوفاه ...

بل إن المأمون نفسه كان يرى وجوب نصب الإمام من قبل الله كالنبى، كما يتضح من مناظرته الشهيرة لعلماء وقته، التى أوردها غير واحد من كتب التاريخ، و الأدب، و الرواية، و ذكرها فى العقد الفريد أيضا قبل ذكره لهذه الرواية المفتعلة. و إن كان قد تصرف فيها

(أى فى المناظرة)؛ فحرف فيها، و حذف منها الكثير ... و أشار إليها أيضا أحمد أمين فى ضحى الإسلام ج ٢ ص ٥٧، و غيره ...

فلما ذا لا- يلزمه الإمام بمقالته التى كان يلزم نفسه بها؟! أم يمكن أن لا يكون مطالعا على مقالة المأمون هذه، التى سار ذكرها فى

الآفاق؟!.

و يحسن بنا هنا أن ننبه إلى أن الاختلاف في نقل مثل هذه القضايا، حسب أهواء الناقلين لم يكن بالأمر الذي يخفى على أحد؛ فقد رأينا:

أن جواب أحمد بن حنبل في المحنة بخلق القرآن، يرويه كل من الشيعة، والمعتزلة، وأهل السنة بصور ثلاثة مختلفة. و مناظرة هشام لأبي الهذيل العلاف يروى المعتزلة أن الغلبة فيها كانت لأبي الهذيل، بينما يروى الشيعة، و يؤيدهم المسعودي «١» أن الغلبة فيها كانت لهشام. إلى غير ذلك من عشرات القضايا بل المئات ...

و لكن الأمر هنا مختلف تماما؛ إذ أن مختلق الرواية هنا قد غفل عن أن روايته المفتعلة تتنافى كليا مع نظرة الأئمة عليهم السلام و رأيهم في الخلافة و مستحقها ... و يبدو أنه لم يكن مطلعاً على الآراء المختلفة الشائعة آنذاك في مسألة الإمامة؛ و لذا نراه ينسب إلى الإمام (ع) رأيا لا يقول به، و لا يقره. و إنما هو يناسب رأى الشيعة الزيدية القائلين بإمامة ولد علي (ع) من فاطمة؛ بشرط أن يكون بليغا، شجاعا، عادلا مجتهدا،

(١) مروج الذهب ج ٤ ص ٢١.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ٣٣٤

يخرج بالسيف ضد كل ظلم و انحراف إلخ ... و بأن إمامة علي (ع) قد ثبتت بالوصف و الإشارة إليه، لا بالتصريح و النص عليه «١». كما أنه غفل عن أن الذين كانوا يحتجون بالقرابة و الإرث هم العباسيون، الذين كانوا إلى عصر المهدي - كما قدمنا - يدعون انتقال الخلافة إليهم عن طريق علي (ع)، و محمد بن الحنفية، و في عصر المهدي عدلوا عن ذلك؛ لما يتضمنه من اعتراف للعلويين. و رأوا أن يجعلوا إمامتهم عن طريق العباس و أبنائه ... و حاولوا تقوية هذه النحلة بكل وسيلة، و بذلوا من أجلها الأموال الطائلة للعلماء و الفقهاء، و الشعراء.

و لم يكن لتخفي علي أحد أبيات مروان بن أبي حفصة المتقدمة:

هل تظمسون من السماء نجومها أو تسترون إلخ ...

و لا قوله:

أنى يكون و ليس ذاك بكائن لبني البنات ورائه الأعمام و قد أجابه جعفر بن عفان المعاصر له. علي هذا البيت بقوله: ما للطلق و للتراث و إنما صلي الطليق مخافة الصمصام «٢» و كيف يخفى كل ذلك على الإمام (ع)، خصوصا بعد أن كان الجدل في هذا الموضوع قائما على قدم و ساق في زمن هارون، بل و في زمن المأمون كما يظهر من قول ابن شكله المتقدم:

فضجت أن تشد علي رءوس تطلبها بميراث النبي

(١) مقدمة ابن خلدون ص ١٩٧ ر ١٩٨.

(٢) مقتل الحسين للمقرم ص ١١٩، و الاغانى ج ٩ ص ٤٥، طبع ساسى، و الادب فى ظل التشيع ص ٢٠١، و ضحى الاسلام ج ٣ ص ٣١٣، و قاموس الرجال ج ٢ ص ٣٩٣، و غير ذلك.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ٣٣٥

و من قول القاسم بن يوسف و هى قصيدة طويلة فلتراجع «١» إلى غير ذلك مما لا مجال لتتبعه و استقصائه ... و بعد كل تلك الوقائع الشهيرة التى حدثت قبل خلافة المأمون، و اثناءها بالنسبة لدعوى العباسيين هذه؛ فلا يمكن أبدا أن تجرى المحاوره بين أعلم أهل الأرض (باعتراف المأمون) و بين المأمون أعلم خلفاء بنى العباس على هذا النحو من السذاجة و البساطة ... اللهم إلا إذا كان أعلم أهل



الأرض، لا يرى ولا يسمع، أو أنه كان يعيش في غير هذا العالم، أو في سرداب تحت الأرض ...  
واللهم إلا إذا كان القائل: ما للتطبيق وللتراث إلخ ... أعلم بالحجة للدعوى التي يدعيها أعلم أهل الأرض من مدعى الدعوى نفسه ...  
و هل لم يكن يحسن أن يقول للمؤمن- لو سلم أنه احتج بالقرابة-: إن قرابة العباس لا تفيده؛ بعد أن تخلى عنها يوم الازدوار. و بعد أن  
كان من الظالمين، الذين حرمهم الله من عهده، حيث قال تعالى: «لا ينال عهدي الظالمين». و بعد أن ترك الهجرة معه (ص). و بعد  
أن حارب النبي (ص) يوم بدر. و بعد جهله بالدين و احكامه؛ و لقد قال سبحانه: «أفمن يهدى إلى الحق أحق أن يتبع، أمّن لا يهدى  
إلا أن يهدى، فما لكم كيف تحكمون ...» «٢». إلى آخر ما هنالك ...  
و أخيرا ... و بعد أن لم يبق مجال للشك في زيف هذه الرواية و افتعالها ...  
فإننا نرى أن لنا كل الحق في أن نسجل هنا: أنه لم يخف علينا، و نأمل أن لا يخفى على أحد سّر ذكر ابن عبد ربه هذه الرواية المزيفة  
المفتعلة، بعد ذكره لرواية احتجاج المأمون على علماء وقته في أفضلية على (ع) على جميع الخلق، و التي تصرف فيها ما شاء له حقه  
و نصبه،

(١) الاوراق للصولي ص ١٨٠. و قد تقدم شطر منها في بعض فصول هذا الكتاب.

(٢) يونس آية ٣٥.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ٣٣٦

الحذف و التحريف؛ فإنه- على ما يبدو- ليس إلا- من أجل التشويش على تلك، و إبطال كل أثر لها، ظلما للحقيقة، و تجنيا على  
التاريخ ...

## الموقف الثامن:

### إشارة

و أعتقد أنه أعظمها أثرا، و أعمها نفعاً، و هو ما كتبه (ع) على وثيقة العهد، التي كتبها المأمون بخط يده ...  
فإننا إذا ما رجعنا إليه نجد: أن كل سطر فيه، بل كل كلمة لها مغزى عميق، و دلالة هامة، تلقى لنا ضوءا كاشفا على خطته (ع) في  
مواجهة مؤامرات المأمون، و خططه، و أهدافه ...  
فلقد كان يعلم: أن هذه الوثيقة ستقرأ في مختلف الأقطار الإسلامية؛ و لذلك نراه (ع) قد اتخذها وسيلة لإبلاغ الأمة الحقيقة كل  
الحقيقة، و تعريفها بواقع نوايا و أهداف المأمون. و أيضا تأكيد حق العلويين، و كشف المؤامرة التي تحاك ضدهم ...  
فبينما نراه (ع) يبدأ كلامه- فيما كتبه في الوثيقة المشار إليها- بديء غير طبيعية، و لا مألوفة في مناسبات كهذه حيث قال: «الحمد لله  
الفعال لما يشاء، و لا معقب لحكمه، و لا راد لقضائه ...» ... لا يأتي بعدها بما يناسب المقام، و يتلائم مع سياق الكلام، من تمجيد الله،  
و الثناء عليه على أن ألهم أمير المؤمنين!! هذا الأمر ... بل نراه يأتي بعبارة غريبة، و غير متوقعة؛ ألا و هي قوله: «يعلم خائنة الأعين، و ما  
تخفى الصدور الخ ...».

أ فلا توافقتني- قارئ العزيز- على أنه (ع) يريد أن يوجه أنظار الناس إلى أن الأمر ينطوي على خيانة مبيتة، و أن هناك صدورا تخفى  
غير ما تظهر؟! ثم ... ألا توافقتني على أن هذه العبارة تعريض بالمأمون

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ٣٣٧

نفسه؛ من أجل تعريف الناس بحقيقة نواياه و أهدافه؟! هذا مع علمه (ع) بأن هذه الوثيقة سوف ترسل إلى مختلف أقطار العالم الاسلامي؛ لتقرأ على الملأ العام، كما حدث ذلك بالفعل ...

و إذا ما وصلنا إلى فقرة أخرى، مما كتبه (ع) على وثيقة العهد؛ فإننا نراه يقول: «... و صلواته على نبيه محمد خاتم النبيين، و آله الطيبين الطاهرين...» فإننا إذا لاحظنا: أنه لم تجر العادة في الوثائق الرسمية في ذلك العهد بعطف «الآل» على «محمد»، ثم توصيفهم ب «الطيبين الطاهرين»- نعرف أن هذا ليس إلا ضربة أخرى للخليفة المأمون، و هجوم آخر عليه؛ حيث إنه يتضمن التأكيد على طهارة أصل الإمام (ع)، و سنخه، و محتده؛ و على أن الآل قد اختصوا بهذه المزية، و ليس لكل من سواهم، حتى الخليفة المأمون، مثل هذا الشرف، و لا مثل تلك المزية ...

ثم نراه (ع) يعقب ذلك بقوله: «... إن أمير المؤمنين ..... عرف من حقنا ما جهله غيره ...» ...

فما هو ذلك الحق الذي جهله الناس كلهم، حتى بنى العباس، فيما عدا المأمون؟! ...

فهل يمكن أن تكون الامة الاسلامية قد انكرت أنهم (ع) ابناء بنت رسول الله (ص)؟! أليس ذلك منه (ع) إعلان للامة بأسرها بأن المأمون لم يجعل له إلا ما هو حق له، و أنه لم يزد بذلك على أن أرجع الحق إلى أهله، بعد أن كان قد اغتصبه منهم الغاصبون، و اعتدى عليهم به المعتدون؟! ... بل أليس ذلك ضربة للمأمون نفسه، و أن خلافته ليست شرعية، و لا صحيحة؛ لأنه كآبائه مغتصب لحق غيره؟!.

نعم ... إن الحق الذي جهله الناس هو حق الطاعة. و لم يكن

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٣٣٨

الإمام (ع) يتقى المأمون، و لا غيره من رجال الدولة، في إظهار هذا الحق، و بيان أن خلافة الرسول (ص) إنما كانت في علي (ع)، و ولده الطاهرين، و أنه يجب على الناس كلهم طاعتهم، و الانقياد لهم. و قد اعلن (ع) ذلك في نيشابور كما قدمنا ... و رأيناه يصرح به، و يطلب من الناس أن يعلم شاهدهم غائبهم به، في محضر من رجال الدولة في خراسان، ففي الكافي: بسنده عن محمد بن زيد الطبري قال: كنت قائما على رأس الرضا (ع) بخراسان، و عنده عدة من بنى هاشم، و فيهم إسحاق بن موسى بن عيسى العباسي؛ فقال: «يا إسحاق، بلغني أن الناس يقولون: إنا نزع: أن الناس عبيد لنا!! لا و قرابتي من رسول الله (ص) ما قلته قط، و لا سمعته من آبائي قاله، و لا بلغني عن أحد من آبائي قاله، و لكنني أقول: الناس عبيد لنا في الطاعة، موال لنا في الدين؛ فليبلغ الشاهد الغائب ...» «١».

و ستأتى الإشارة إلى هذه الرواية مرة أخرى في الفصل الآتى .. و ليتأمل في عبارته الأخيرة. فليبلغ إلخ ... و ليلاحظ أيضا أنه اختار لتوجيه خطابه:

اسحاق بن موسى بن عيسى العباسي!!! و في الكافي أيضا بسنده عن معمر بن خلاد قال: سألت رجل فارسي أبا الحسن (ع)، فقال: طاعتك مفترضة؟ فقال: نعم. قال:

مثل طاعة علي بن أبي طالب (ع)؟ قال: نعم «٢».

و المراد بأبي الحسن هو الرضا (ع)؛ لأنه هو الذى كان في خراسان، و هو الذى يروى عنه معمر بن خلاد كثيرا ... و مثل ذلك كثير لا مجال لتتبعه ...

(١) الكافي ج ١ ص ١٨٧، و أمالي المفيد ص ١٤٨ ط النجف و أمالي الطوسى ج ١ ص ٢١، و مسند الامام الرضا عليه السلام ج ١ ص ٩٦.

(٢) الكافي ج ١ ص ١٨٧؛ و الاختصاص ٢٧٨، و مسند الامام الرضا ج ١ ص ١٠٣ عنه ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٣٣٩

و يقول (ع) في وثيقة العهد، بعد تلك العبارة مباشرة: «... فوصل أرحاما قطعت، و آمن أنفسا فزعت، بل أحياءها و قد تلفت، و أغناها إذ افتقرت».

فهو كما ترى ... في حين يشكر المأمون، و يكتب تحت اسمه: «بل جعلت فداك» (حسب رواية الإربلي فقط)، لا ينسى أن يشوب ذلك بالازراء ضمنا على آباءه العباسيين. و يذكر بما اقترفوه في حق العلويين، حيث كانوا يلاحقونهم تحت كل حجر و مدر، و يطلبونهم في كل سهل و جبل، كما قدمنا ...

هذا ... و لا بأس أن نقف قليلا عند قوله: «و انه جعل إلى عهده، و الامرة الكبرى - إن بقيت - بعده ...». فإننا لا نكاد نتردد في أنه (ع) يشير بقوله: «إن بقيت بعده» إلى ذلك الفارق الكبير بالسن بينه (ع)، و بين المأمون. و أنه يعتمد توجيه الأنظار إلى عدم طبيعية هذا الأمر، و إلى عدم رغبته فيه.

و إنه كان يريد أن يعرف الناس بأنه يتوقع في أن لا يدخر المأمون وسعا من أجل التخلص منه، و لو بالاعتداء على حياته (ع)، فيما لو سنحت له الفرصة لذلك، بعد أن يكون قد حقق كل ما كان يريد تحقيقه، و وصل إلى ما كان يطمح إلى الوصول إليه؛ حيث لا بد حينئذ أن «يحل العقدة التي أمر الله بشدها». و لا بد أيضا أن تنكشف خيانتة للملا، و يظهر ما يخفيه في صدره، على حد تعبيره (ع) ... و إلا فما هو الداعي له (ع) لاقحام هذا الشرط - إن بقيت - في أثناء مثل هذا الكلام ...

و إننا إذا نظرنا بعمق إلى قوله بعد ذلك: فمن حل عقدة أمر الله بشدها، و فصم عروءه أحب الله إيثاقها ...». و تأملنا قوله السابق:

الحياة السياسية للإمام (الرضا) (ع)، مرتضى العاملى، ص: ٣٤٠

يعلم خائنه الأعين، و ما تخفى الصدور. و قوله اللاحق: لكننى امتثلت أمر أمير المؤمنين، و آثرت رضاه ... فلسوف نعرف: أنه (ع) يعرض هنا بالمأمون نفسه، و يقول للناس جميعا: إنه لا يشك في أن المأمون سوف ينقض العهد، و يحل العقدة.

و يلاحظ هنا أيضا: أنه وصف هذه العقدة بأنها مما أمر الله بشده، و أحب إيثاقه ... و هذا لعله لا يختلف عما كان (ع) يردده، و يؤكد عليه كثيرا، و نص عليه آنفا، و هو أن المأمون لم يجعل له إلا الحق الذى جهله غيره، و اغتصبه هو و آباؤه، منه (ع) و من آباءه ... و إذا ما وصلنا إلى قوله (ع): «... بذلك جرى السالف، فصبر منه على الفلتات، و لم يعترض بعدها على العزمات، خوفا من شتات الدين، و اضطراب حبل المسلمين، و لقرب أمر الجاهلية الخ ...».

فإننا نراه كأنه يستشهد لاطاعته المأمون، و عدم اصراره على الرفض الموجب لتعريض نفسه، و العلويين، و شيعته للهلاك، و الاضطهاد - يستشهد لذلك - بما جرى لسالفه: و هو أمير المؤمنين على (ع)، حيث صبر على الفلتات «١» التى كانت من خلفاء عصره، و لم يعترض (ع) على ما كانوا قد عقدوا العزم عليه، من المضى قدما فى مخططاتهم، التى كانت تستهدف إبعاده عن مسرح السياسة، و تكريس الأمر الواقع، و تشيته، لأنه يخدم مصالحهم، و يرضى مطامحهم ...

- لم يعترض على (ع) على ذلك - لأنه خاف من شتات الدين،

(١) و من المحتمل جدا أنه عليه السلام: يشير إلى تعبير عمر - كانت بيعه أبى بكر فلتة الخ -.

و لكنه عمم الكلام بحيث يشمل غير بيعه أبى بكر أيضا؛ باعتبار أن بيعه عمر و عثمان، و معاوية و غيرها، كانت أيضا من الفلتات، أو باعتبار تفرعها على بيعه أبى بكر التى كانت فلتة ...

الحياة السياسية للإمام (الرضا) (ع)، مرتضى العاملى، ص: ٣٤١

و اضطراب حبل المسلمين؛ و لقرب أمر الجاهلية ... و هذا مما قد نص عليه على (ع) نفسه فى أكثر من مورد، و أكثر من مناسبة؛ قال (ع):

«... و أيم الله، لو لا مخافة الفرقة بين المسلمين، و أن يعود الكفر، و يبور الدين، لكننا على غير ما كنا لهم عليه ...»، و يقول: «إن الله

لما قبض نبيه، استأثرت علينا قريش بالأمر، و دفعتنا عن حق نحن أحق به من الناس كافة؛ فرأيت أن الصبر على ذلك أفضل من تفريق كلمة المسلمين، و سفك دماهم؛ و الناس حديثوا عهد بالاسلام، و الدين يمحض محض الوطب، يفسده أدنى و هن، و يعكسه أدنى خلف ...» (١).

و هكذا تماما كان الحال بالنسبة للإمام الرضا (ع)، حفيد علي، و وارثه؛ و الذي كان زمانه لا يبعد حال الناس فيه عن حال الجاهلية، فإنه أثر أن يصبر على هذه المحنة، خوفا من شتات الدين، و اضطراب جبل المسلمين؛ و ذلك بتعريض نفسه، و شيعته، و العلويين للهلاك، أو على الأقل للاضطهاد، الأمر الذي سوف تكون له أسوأ النتائج على الدين و الامة، كما قلنا ... و إذا ما قرأنا بعد ذلك قوله (ع): «...» و قد جعلت الله على نفسي،- إن استرعاني على المسلمين، و قلدني خلافته- العمل فيهم عامة، و في بنى العباس بن عبد المطلب خاصة، بطاعة الله، و سنة رسوله (ص) ... فإن ما يسترعى انتباهنا هو تنصيبه على بنى العباس خاصة و أنه سوف يعمل فيهم بطاعة الله، و رسوله ... «فلا يسفك دما حراما، و لا يبيح فرجا و لا مالا، إلا ما سفكته حدوده، و أباحته فرائضه إلخ ...».

فإن هذا التنصيب إنما هو في مقابل «الأرحام التي قطعت، و فزعت،

(١) راجع شرح النهج للمعتزلى ج ١ ص ٣٠٧، ٣٠٨ و غير ذلك.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٣٤٢

و تلفت، و افتقرت ...، من العلويين، على يد بنى العباس، الذين فعلوا بهم، أكثر من فعل بنى أمية معهم، حسبما قدمنا ... و تعهده و التزامه بأن يعمل فى المسلمين عامة، و فى بنى العباس خاصة، بطاعة الله، و سنة رسوله ... هو التزام بنفس الخط الذى التزم به على (ع)، و تعهد بانتهاجه. الأمر الذى كان سببا فى ابعاده عن الخلافة فى الشورى، و اضطلاع عثمان بها. بل كان ذلك هو السبب فى ابعاده عنها، بالنسبة لما قبل ذلك أيضا، و ما جرى بعده.

و على (ع) هو نفس ذلك الذى استشهد به آنفا، و بين أنه صبر على الفلتات، و لم يعترض على العزمات خوفا من شتات الدين إلخ ... و الالتزام بخط على (ع) لن يرضى المأمون، و العباسيين، و الهيئة الحاكمة. و لن يكون فى مصلحتهم، حسبما المحنا إليه فى فصل: جديده عرض الخلافة ...

كما أننا لا نستبعد كثيرا: أنه (ع) يريد أن يبنه على مدى التفاوت بين المنطلقات لسياسات أهل البيت، و منطلقات سياسات خصومهم، التى عرفت جانبا منها فى القسم الأول من هذا الكتاب ...

و من هنا نعرف السر فى قوله (ع): «...» و أن أتخير الكفاءة جهدى و طاقتى ...». فإنه إشارة إلى أنه (ع) سوف ينطلق فى كل نصب و عزل- تماما كالإمام على (ع)- من مصلحة الامة، و على وفق رضا الله، و تعاليم رسوله. لا من مصالح شخصية، أو اعتبارات سياسية، أو قبلية، أو غير ذلك من الاعتبارات، التى لا يعترف بها الاسلام، و لا يقيم لها وزنا ...

و إذا ما قرأنا قوله (ع): «...» و إن أحدثت، أو غيرت، أو بدلت، كنت للغير مستحقا، و للنكال متعرضا، و أعوذ بالله من سخطه إلخ ...».

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٣٤٣

فإننا ندرك للتو أنه (ع) يريد ضرب العقيدة، التى كان قد شجعها الحكام، و روج لها علماء السوء ... من أن الخليفة، بل مطلق الحاكم فى منأى و مأمون من أى مؤاخذه، أو عقاب، مهما اقترف من جرائم، و أتاها من موبقات؛ فهو فوق القانون، و لا يجوز لأحد الخروج، أو الاعتراض عليه، فى أى من الظروف و الأحوال، حتى و لو رُمى القرآن بالنبل، و قتل ابن بنت رسول الله، فضلا عما عدا ذلك من الجرائم و الموبقات ...

و الإمام ... الذى يعرف كيف كانت سيرة المأمون، و سائر خلفاء بنى العباس، و من لف لفهم، و التى عرفت فيما تقدم طرفا منها، و

الذين كانوا يتمتعون بهذه الحصانة الزائفة... قد أراد أن يوجه ضربة قاضية لهم جميعا، حتى للمؤمن، و أشياعه، و كل من كان من الطواغيت و الظلمة على شاكلتهم، و يبين لهم، و للملا أجمع: أن الحاكم حارس للنظام و القانون، و لا يمكن أن يكون فوق النظام و القانون؛ و لذا فلا يمكن أن يكون في منأى عن العقاب و القصاص، لو ارتكب أى جريمة، أو اقترف أية عزيمة.

فالمؤمن، و آباؤه، و أشياعهم، كانوا يضحون بكل شىء فى سبيل أنفسهم، و مصالحهم الشخصية، و يقترفون كل عزيمة فى سبيل تدعيم حكمهم، و تقوية سلطانهم... أما الامام (ع) فهو مستعد لأن يقدم نفسه- إن اقتضى الأمر- للعقاب و النكال، عند صدور أية مخالفة، و حصول أى تجاوز عما يرضى الله تعالى، و عن سنه رسوله...

و بعد كل ما تقدم... نراه يعبر عن عدم رضاه بهذا الأمر، و عدم تهالكه عليه؛ لعلمه بعدم تماميته له؛ و يقول بصريح العبارة: إنه أمر لا يتم؛ لأن «... الجفر و الجامعة يدلان على ضد ذلك...». كما أن فى هذا تنويه مهم منه (ع) بذكر الركن الثانى من أركان إمامة أئمة الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٣٤٤

أهل البيت عليهم السلام، و هو أن الله تعالى اختصهم بأمر غيبية، و علوم لدية، منعها عن سائر الناس. و هذان الكتابان: الجفر، و الجامعة، هما من الكتب التى أملاها رسول الله (ص) على أمير المؤمنين (ع)، و كتبها بخط يده. و قد أظهر الأئمة عليهم السلام بعض هذه الكتب التى بخط على (ع)، و باملاء الرسول (ص) لعدة من كبار شيعتهم، و استشهدوا بها فى موارد عديدة فى الأحكام «١»...

و فى الحقيقة... إن الامام (ع)، و إن قبل ولاية العهد مكرها من المؤمن... و لكنه يريد بكلامه هذا، و استشهاده بالجفر و الجامعة أن يقول له، و لكل من كان على شاكلته بصريح العبارة: «... قد انبأنا الله بأخباركم، و سيرى الله عملكم، و رسوله، و المؤمنون، و ستردون إلى عالم الغيب و الشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون، و يجزيكم على ظلمكم و بغيكم علينا، و انتهاكم الحرامات منا، و لعبكم بدمائنا و أعراضنا، و أموالنا...».

ثم نراه يترقى فى صراحته، حيث يقول: «... لكننى امتثلت أمر أمير المؤمنين، و آثرت رضاه...». أى أنه لو لم يقبل بهذا الأمر لتعرض لسخط المؤمن... و الكل يعلم ما ذا كان يعنى سخط أولئك الحكام، الذين كانوا لا يحتاجون إلى أى مبرر لاقترافهم أى جريمة، و اقدامهم على أى عزيمة...

و أخيرا... و رغم أن المؤمن قد تقدم منه (ع)، و طلب منه أن يشهد الله، و الحاضرين على نفسه... نراه يأبى أن يكون المؤمن، و لا أى من الحاضرين شاهدا على نفسه، و لا جعل لهم على نفسه سيلا؛ لأنه

(١) راجع: كتاب مكاتيب الرسول ج ١ من ص ٥٩ حتى ص ٨٩، فقد اسهب القول حول هذه الكتب، و استشهادات الأئمة بها، و غير ذلك...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٣٤٥  
كان يعلم بما كانت تكنه صدورهم، و تضطرم به قلوبهم عليه. بل جعل الله فقط شهيدا عليه، و استعان بالآية الكريمة، التى تقطع الطريق على كل أحد، و تكتفى بالله شهيدا، حيث قال: «و أشهدت الله على نفسى (و كفى بالله شهيدا)»...

### و إذا كان لا بد من كلمة:

و إذا كان لا بد فى نهاية المطاف من كلمة؛ فاننا نقول: إن أولئك الذين عاشوا فى تلك الفترة، و وقفوا على الظروف و الملابس التى اكتنفت هذا الحدث التاريخى الهام- إن هؤلاء و لا شك- كانوا أقدر منا على فهم جميع ما كان يرمى إليه الامام (ع) من كل

كلمة، كلمة، مما كتبه على وثيقة العهد ...

و إذا كان هناك من يرى: أن بعض الفقرات تحتل غير ما قلناه ...

فاننا نرى: أن كون بعض الفقرات الاخرى لا-يحتمل غير ما قلناه، و أيضا بما أن ما ذكرناه هو الذى يساعد على الجو العام، الذى توحى به النصوص التاريخية الكثيرة جدا، و التى قدمناها و سيأتى شرط منها- إن ذلك- هو ما يجعلنا نجزم بأن ما فهمناه هو بعض ما كان يرهى إليه (ع) مما كتبه على وثيقة العهد ...

### ملاحظات هامة:

إن من الامور الغريبة حقا أن نرى نفس الخليفة يكتب وثيقة العهد- الطويلة جدا!!- بخط يده ... و أغرب منه أنه تقدم إلى الامام (ع)، و قال له: «اكتب خطك بقبول هذا العهد. و أشهد الله و الحاضرين عليك،

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٣٤٦

بما تعده فى حق الله و رعاية المسلمين «١» ...».

و هذا إن دل على شىء، فإنما يدل على مدى أهمية هذا الأمر بالنسبة إلى المأمون، و أنه يريد تطويق هذا الموضوع من جميع جهاته، و إن استلزم ذلك كل تلك الامور؛ و إلا ... فما هو الداعى لأن يكتب له العهد بخط يده!!! ثم أن يتقدم إليه بنفسه!!! ... ثم ما الداعى لأن يطلب من الإمام ذلك!!!.

هذا ... و لا بأس أيضا بملاحظة تعبير المأمون ب «قبول»!!!. ثم ملاحظة أنه طلب منه أن يكتب هذا القبول ب «خط يده»!!!. ثم طلب منه أن يشهد الله و الحاضرين على نفسه!!!.

### حقا ... إنها للعقريه السياسية:

و على كل حال ... فلا-شك أن المحاورات السياسية تعتبر من الصنائع المستظرفة؛ و ذلك لما تتضمنه من تعريضات و كنايات، حسبما تفرضه الاتجاهات السياسيه، التى يلتزم بها المتحاورون ...

و لذا ... نلاحظ أنه (ع) ... و إن كان يضمن كلامه الشكر للمأمون، بل و يكتب تحت اسمه- حسب رواية الاربلى فقط-: بل جعلت فداك ...

و لكن يطن كلامه، و يضمه تعريضات عميقة؛ بلهجة معتدلة، لا عنف فيها، و ذلك يعنى: أن الإمام (ع) لم يتنازل عن مبدئه، و لا حاد عن نهجه، الذى اختطه لنفسه، بوحي من رساله الله، و تعاليم محمد (ص)، و خطى جده على (ع) ... لم يحد عنه قيد شعرة، و لا هادن فيه، و لا حابى أحدا، حتى فى هذا الموقف ...

(١) مآثر الانافه ج ٢ ص ٣٣٢.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٣٤٧

و لعمري ... لو كان ما كتبه الإمام الرضا (ع) على وثيقة العهد من شخص عادى آخر، لكان يقال عنه الشىء الكثير تعظيما و تبيجلا؛ حيث إنه لم يضل عن خطته التى اختطها لنفسه، و لا-حاد عن نهجه قيد أنملة ... مع أن المأمون كان قد فاجأه بطلب الكتابة على الوثيقة، و لم يكن هو مستعدا، و لا متوقعا لذلك؛ لأن العادة لم تكن قد جرت على ذلك ...

و هذا و لا شك مما يزيد من عظمة الإمام، و يعلى من شأنه، و يستدعى المزيد من التعظيم و التبجيل له ...  
و لكن الحقيقة هي: أنه- و هو الإمام المعصوم- غنى عن كل تلكم التقريظات، و عن ذلكم التعظيم و التبجيل ...

## الموقف التاسع:

### إشارة

شروطه (ع) على المأمون لقبول ولاية العهد، و هي:

«أن لا يولى أحدا، و لا يعزل أحدا، و لا ينقض رسما، و لا يغير شيئا مما هو قائم، و يكون فى الأمر مشيرا من بعيد «(١)»؛ فأجابه المأمون إلى ذلك كله!!!.

و فى ذلك تضييع لجملة من أهداف المأمون ... إذ أن:

(١) الفصول المهمة، لابن الصباغ المالكي ص ٢٤١، و نور الابصار من ص ١٤٣، و عيون أخبار الرضا ج ١ ص ٢٠، و ج ٢ ص ١٨٣، و مواضع اخرى، و مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣٤٣، و علل الشرائع ج ١، ص ٢٣٨، و إعلام الورى ص ٣٢٠، و البحار ج ٤٩ ص ٣٤ و ٩٥، و غيرها، و كشف الغمة ج ٣ ص ٦٩، و ارشاد المفيد ص ٣١٠، و أمالى الصدوق ص ٤٣، و اصول الكافى ص ٤٨٩، و روضة الواعظين ج ١ ص ٢٦٨، ٢٦٩، و معادن الحكمة ص ١٨٠، و شرح ميمية أبى فراس ص ١٦٥.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٣٤٨

## ١- السلبية تعنى الانهزام:

فإن من الطبيعى أن تثير سلبيته هذه الكثير من التساؤلات لدى الناس، و لسوف تكون سببا فى وضع علامات استفهام كبيرة، حول الحكم، و الحكام، و كل اعمالهم و تصرفاتهم؛ إذ أن السلبية إنما تعنى: أن نظام الحكم لا يصلح حتى للتعاون معه؛ بأى نحو من أنحاء التعاون؛ و إلا فلما ذا يرفض- حتى ولى العهد- التعاون مع نظام هو ولى العهد فيه، و يأبى التأييد لأى من تصرفاته و أعماله؟! ...

## ٢- رفض الاعتراف بشرعية ذلك النظام:

و لقد قدمنا: أن من جملة أهداف المأمون هو أن يحصل من الإمام (ع) على اعتراف ضمنى بشرعية حكمه و خلافته، كما صرح هو نفسه بذلك «و ليعترف بالملك، و الخلافة لنا».

و الإمام ... بشروطه تلك يكون قد رفض الاعتراف بشرعية النظام القائم، بأى نحو من أنحاء الاعتراف، و لم يعد قبوله بولاية العهد يمثل اعترافا بذلك، و لا يدل على أن ذلك الحكم يمثل الحكم الاسلامى الأصيل ...

هذا ... و قد ع ضد شروطه هذه، بسلوكة السلى مع المأمون، و الهيئة الحاكمة، طيلة فترة ولاية العهد، يضاف إلى ذلك تصريحاته المتكررة، التى تحدثنا عنها فيما سبق ...

**٣- النظام القائم لا يمثل وجهة نظره في الحكم:**

و الأهم من كل ذلك: أن شروطه هذه كانت بمثابة الرفض القاطع لتحمل المسئولية عن أى تصرف يصدر من الهيئة الحاكمة. و ليس الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٣٤٩ للناس - بعد هذا- أن ينظروا إلى تصرفات و اعمال المأمون و حزبه، على أنها تحظى برضى الإمام (ع) و موافقته. و لا يمكن لها- من ثم- أن تعكس وجهة نظره (ع) فى الحكم و رأيه فى أساليبه، التى هى فى الحقيقة وجهة نظر الاسلام الصحيح فيه. الاسلام ... الذى يعتبر الائمة (ع) الممثلين الحقيقيين له، فى سائر الظروف، و مختلف المجالات ... و انطلقا مما تقدم: نراه (ع) يرفض ما كان يعرضه عليه المأمون، من: كتابة بتولية أو عزل إلى أى إنسان ... و يرفض أيضا: أن يؤم الناس فى الصلاة مرتين ... إلى آخر ما سيأتى بيانه.

و فى كل مرة كان يرفض فيها مطالب المأمون هذه نراه يحتج عليه بشروطه تلك؛ فلا يجد المأمون الحيلة لما يريد، و تضع الفرصة من يده.

و لا بد من ملاحظة: أنه عند ما أصر عليه المأمون بأن يؤم الناس فى الصلاة، و رأى عليه السلام: انه لا بد له من قبول ذلك- نلاحظ:- أنه اشترط عليه أن يخرج كما كان يخرج جده رسول الله (ص)، لا كما يخرج الآخرون ... و لم يكن المأمون يدرك مدى أهمية هذا الشرط، و لا عرف أهداف الإمام من وراء اشتراطه هذا؛ فقال له و لعله بدون اكتراث: أخرج كيف شئت ... و كانت نتيجة ذلك ... أنه (ع) قد أفهم الناس جميعا:

أن سلوكه و أسلوبه، و حتى مفاهيمه، تختلف عن كل أساليب و مفاهيم و سلوك الآخريين. و أن خطه هو خط محمد (ص)، و منهاجه هو منهاج على (ع)، ريبب الوحى، و غدى النبوة، و ليس هو خط المأمون و سواه من الحكام، الذين اعتاد الناس عليهم، و على تصرفاتهم و أعمالهم.

و لم يعد يستطيع المأمون، أن يفهم الناس: أن الحاكم: من كان، و مهما كان، هذا هو سلوكه، و هذه هى تصرفاته. و أن كل شخصية: من و مهما كانت، و إن كانت قبل أن تصل إلى الحكم تتخذ العدل،

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٣٥٠

و الحرية: و المساواة، و غير ذلك شعارات لها، إلا أنها عند ما تصل إلى الحكم، لا يمكن إلا أن تكون قاسية ظالمة، مستأثرة بكل شىء، و مستهتره بكل شىء؛ و لذا فليس من مصلحة الناس أن يتطلعوا إلى حكم أفضل مما هو قائم، حتى و لو كان ذلك هو حكم الإمام (ع) المعروف بعلمه و تقواه و فضله الخ ... فضلا عن غيره من العلويين أو من غيرهم- لم يعد يستطيع أن يقول ذلك- لأن الواقع الخارجى قد أثبت عكس ذلك تماما؛ إذ قد رأينا: كيف أن الإمام (ع) بشروطه تلك، و بسائر مواقفه من المأمون و نظام حكمه ... يضع على المأمون هذه الفرصة، و لم تجده محاولاته فيما بعد شيئا. بل إن كثيرا منها كان سوءا و وبالا عليه، كما سيأتى ...

**٤- لا مجال بعد للمأمون لتنفيذ مخططاته:**

و لعل من الواضح: أن شروطه تلك قد مكنته من أن يقطع الطريق على المأمون، و لا يمكنه من استغلال الظروف لتنفيذ بقية حلقات مؤامراته؛ إذ لم يعد بإمكانه أن يصر على الإمام أن يقوم بأعمال تنافى و تضرر بقضيته هو، و قضية العلويين، و من ثم تؤثر على الامة بأسرها ... و عدا عن ذلك فإن هذه الشروط، قد حفظت له (ع) حياته فى حمام سرخس، حيث كان المأمون قد حاك مؤامراته للتخلص من وزيره و ولى عهده مرة واحدة، كما سيأتى بيانه ... مما يعنى أن سلبيته (ع) مع النظام كانت أمرا لا بد منه؛ إذا أراد أن لا



يعرض نفسه إلى مشاكل، و أخطار هو في غنى عنها ... و الذى أمن له هذه السلبية ليس إلا شروطه تلك، التى جعلت من لعبة ولاية العهد لعبة باهتة مملئة لا حياة فيها، و لا رجاء ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٣٥١  
 و لعل الأهم من كل ذلك ... أنها ضيقت على المأمون الكثير من أهدافه من البيعة، التى صرح الإمام (ع) أنه كان عارفا بها، و لم يكن له خيار فى تحملها، و الصبر عليها، إلى أن يقضى الله أمرا كان مفعولا ...  
 وعدا عن ذلك كله أن تعاونه مع النظام إنما يعنى أن يحاول تصحيح السلوك، و تلافى الأخطاء، التى كان يقع فيها الحكم، و الهيئة الحاكمة ...

و ذلك معناه أن ينقلب جهاز الحكم كله ضد الإمام، و يجد المأمون- من ثم- العذر، و الفرصة لتصفيته (ع) من أهون سبيل؛ فشروطه تلك أبعدت عنه الخطر- إلى حد ما- الذى كان يتهدده من قبل المأمون، و أشياعه، و جعلته- كما قلنا- فى منأى و مأمون من كل مؤامراتهم و مخططاتهم ...

### ٥- الإمام ... لا ينفذ إرادات الحكم:

و لعل من الأهمية بمكان ... أن نشير إلى أنه (ع) كان يريد بشروطه تلك أن يفهم المأمون: أنه ليس على استعداد لتنفيذ إرادات الحكم، و الحاكم، و لا على استعداد لأن يقتنع بالتشريعات، و الامور الشكلية؛ فإنه ... بصفته القائد و المنقذ الحقيقى للامة؛ لا يمكن أن يرضى بديلا عن أن ينقذ الامة، و يرتفع بها من مستواها الذى أوصلها إليه الطواغيت و الظلمة، الذين جلسوا فى مكان رسول الله (ص)، و أوصيائه عليهم السلام، و حكموا بغير ما أنزل الله ...  
 إنه يريد أن يخدم الامة، و يحقق لها مكاسب تضمن لها الحياة الفضلى، و العيش الكريم، و لا يريد أن يخدم نفسه، و يحقق مكاسب شخصية على حساب الآخرين؛ و لذلك فهو لا يستطيع أن يقتنع بالسطحيات و الشكليات التى لا تسمن، و لا تغنى من جوع ...  
 الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٣٥٢

### ٦- لا زهد أكثر من هذا:

إنه مضافا إلى أن مجرد رفض الإمام كلا عرضى المأمون: الخلافة، و ولاية العهد، دليل قاطع على زهده فيه ... فإن هذه الشروط كان لها عظيم الفائدة، و جليل الأثر فى الاظهار لكل أحد أن الإمام ليس رجل دنيا، و لا طالب جاه و مقام. و ما أراد المأمون من إظهار الإمام على أنه لم يزهده بالدنيا، و إنما الدنيا هى التى زهدت فيه ... لم يكن إلا هباء اشتدت به الرياح فى يوم عاصف ... و لم تفلح بعد محاولات المأمون و عمله الدائب؛ من أجل تشويه الإمام و النيل من كرامته ...  
 و لقد قدمنا: أن الإمام (ع) قد واجه نفس المأمون بحقيقته نواياه، و أفهمه أن خداعه لن ينطلى عليه، و لن تخفى عليه مقاصده؛ و لذا فان من الافضل و الأسلم له أن يكف عن كل مؤامراته و مخططاته ... و إلا فإنه إذا ما أراد اجبار الإمام على التعاون معه؛ فلسوف يجد أنه (ع) على استعداد لفضحه، و كشف حقيقته و واقعه أمام الملأ، و افهام الناس السبب الذى من أجله يجهد المأمون ليزج بالإمام (ع) فى مجالات لا يرغب، بل و اشترط عليه أن لا يزج فيها- كما فعل فى مناسبات عديدة- الأمر الذى لن يكون أبدا فى صالح المأمون، و نظام حكمه ...

و من هنا رأينا (ع) يجب الريان عند ما سأله عن سر قبوله بولاية العهد، و اظهاره الزهد بالدنيا- يجيبه:- بيان أنه مجبر على هذا

الأمر، و يذكره بالشروط هذه، و التي تعنى أنه قد دخل فيه دخول خارج منه، كما تقدم ...  
 وهكذا ... و بعد أن كان (ع) سلبيا مع النظام، و بعد رفضه لكلا عرضى المأمون، و بعد أن اشترط هذه الشروط للدخول فى ولاية  
 العهد؛ فليس من السهل على المأمون، و لا على أى إنسان آخر أن ينسب  
 الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٣٥٣  
 إليه (ع): أنه رجل دنيا فقط، و أنه ليس زاهدا فى الدنيا، و إنما هى التى زهدت فيه.  
 و على كل حال: و رغم كل محاولات المأمون تلك ... فقد استطاع الإمام (ع)؛ بفضل وعيه، و يقظته، و احكام خطته: أن يبقى القمة  
 الشامخة للزهد، و الورع، و النزاهة، و الطهر، و كل الفضائل الانسانية ...  
 و إلى الابد.

## الموقف العاشر:

### إشارة

موقفه (ع) فى صلاتى العيد ... ففى إحداهما:

«بعث المأمون له يسأله: أن يصلى بالناس صلاة العيد، و يخطب، لتطمئن قلوب الناس، و يعرفوا فضله، و تقر قلوبهم على هذه الدولة  
 المباركة؛ فبعث إليه الرضا (ع)، و قال: قد علمت ما كان بينى و بينك من الشرط فى دخولى فى هذا الأمر؛ فاعفنى من الصلاة بالناس.  
 فقال المأمون: إنما أريد بهذا أن يرسخ فى قلوب العامة، و الجند، و الشاكرية هذا الأمر؛ فتطمئن قلوبهم، و يقرؤا بما فضلكم الله تعالى  
 به ...

و لم يزل يراده الكلام فى ذلك. فلما أُلح عليه قال: يا أمير المؤمنين، إن أعفيتنى من ذلك، فهو أحب إليّ، و إن لم تعفنى خرجت  
 كما كان يخرج رسول الله (ص)، و كما خرج أمير المؤمنين على بن أبى طالب (ع) قال المأمون: أخرج كيف شئت ...  
 و أمر المأمون القواد، و الحجاب، و الناس: أن يبكروا إلى باب أبى الحسن (ع)؛ فقعد الناس لأبى الحسن فى الطرقات، و السطوح:  
 من الرجال، و النساء، و الصبيان، و صار جميع القواد، و الجند إلى بابه (ع)؛ فوقفوا على دوابهم حتى طلعت الشمس ...  
 الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٣٥٤

فلما طلعت الشمس قام الرضا (ع) فاغتسل، و تعمم بعمامة بيضاء من قطن، و القى طرفا منها على صدره، و طرفا بين كتفيه، و مس شيئا  
 من الطيب، و تشمّر. ثم قال لجميع مواليه: افعلوا مثل ما فعلت ...

ثم أخذ بيده عكازة، و خرج، و نحن بين يديه، و هو حاف قد شمر سراويله إلى نصف الساق، و عليه ثياب مشمرة ...  
 فلما قام، و مشينا بين يديه، رفع رأسه إلى السماء، و كبر أربع تكبيرات؛ فخيل إلينا: أن الهواء و الحيطان تجاوبه. و القواد و الناس على  
 الباب، قد تزينوا، و لبسوا السلاح، و تهيئوا بأحسن هيئة ...

فلما طلعتنا عليهم بهذه الصورة: حفاة، قد تشمرنا. و طلع الرضا و وقف وقفه على الباب، و قال: «... الله اكبر، الله اكبر على ما هدانا، الله  
 اكبر على ما رزقنا من بهيمة الانعام، و الحمد لله على ما أبلانا». و رفع بذلك صوته، و رفعنا أصواتنا ...

فترعزت مرو بالبكاء، فقالها: ثلاث مرات؛ فلما رآه القواد و الجند على تلك الصورة، و سمعوا تكبيره سقطوا كلهم عن الدواب إلى  
 الأرض، و رموا بخفافهم، و كان أحسنهم حالا من كان معه سكين قطع بها شراية جاجيلته و نزعتها، و تحفى ... و صارت مرو ضجة  
 واحدة، و لم يتمالك الناس من البكاء و الضجة.

فكان أبو الحسن يمشى، و يقف فى كل عشر خطوات وقفه يكبر الله أربع مرات؛ فيتخيل إلينا: أن السماء، و الأرض، و الحيطان تجاوبه.

و بلغ المأمون ذلك؛ فقال له الفضل بن سهل ذو الرناستين: يا أمير المؤمنين: إن بلغ الرضا المصلى على هذا السبيل افتتن به الناس، و خفنا كلنا على دماننا؛ فالرأى أن تسأله أن يرجع ...

فبعث المأمون إلى الإمام يقول له: إنه قد كلفه شططا، و أنه ما

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٣٥٥

كان يحب أن يتعبه. و يطلب منه: أن يصلى بالناس من كان يصلى بهم ...

فدعا أبو الحسن بخفه؛ فلبسه، و رجع ...

و اختلف أمر الناس فى ذلك اليوم، و لم ينتظم فى صلاتهم إلخ ...» (١).

و لقد قال البحرى يصف هذه الحادثة و الظاهر أنه يمين بن معاوية العائشى الشاعر على ما فى تاج العروس:

ذكروا بطلعتك النبى؛ فهللوالما طلعت من الصفوف و كبروا

حتى انتهيت إلى المصلى لابسانور الهدى يبدو عليك فيظهر

و مشيت مشية خاشع متواضع لله، لا يزهى، و لا يتكبر

و لو أن مشتاقا تكلف غير مافى وسعه لمشى إليك المنبر (٢) و مما يلاحظ هنا: أنه فى هذه المرة أرسل إليه من يطلب منه أن يرجع. و

لكننا فى مرة أخرى نراه يسارع بنفسه، و يصلى بالناس، رغم تظاهره بالمرض ...

و على كل حال ... فإننا و إن كنا قد تحدثنا فى هذا الفصل، و فى فصل: ظروف البيعة و سنتحدث فيما يأتى عن بعض ما يتعلق بهذه

الحادثة؛ إلا أننا سوف نشير هنا إلى نقطتين فقط ... و هما:

(١) قد ذكرنا بعض مصادر هذه الرواية فى فصل: ظروف البيعة ... فراجع ...

(٢) مناقب آل أبى طالب، لابن شهر آشوب ج ٤ ص ٣٧٢. و لكن هذا الشعر ينسب أيضا للبحترى فى المتوكل عند ما خرج لصلاة

العيد ... و انتحال الشعر، و كذلك الاستشهاد بشعر الآخرين فى المواضع المناسبة ظاهرة شائعة فى تلك الفترة و من يدرى فعل الشعر

للبحترى و نسب للبحرى أو لعله للبحرى و انتحله أو نسب للبحترى. و لعل للبحترى قد صحف و صار: البحرى ... و لعل العكس.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٣٥٦

## ١- الأثر العاطفى، و القاعدة الشعبية:

فلاحظ: أننا حتى بعد مرور اثنى عشر قرنا على هذه الواقعة، لا نملك أنفسنا و نحن نقرأ وقائعها، من الانفعال و التأثر بها؛ فكيف إذن

كانت حال أولئك الذين قدر لهم أن يشهدوا ذلك الموقف العظيم!!!.

و غنى عن البيان هنا: أن شأن هذه الواقعة هو شأن واقعة نيشابور، من حيث دلالتها دلالة قاطعة على كل ما كان للرضا من عظمة و

تقدير فى نفوس الناس و قلوبهم، و على مدى اتساع القاعدة الشعبية له (ع) ...

## ٢- لما ذا يجازف المأمون بارجاعه (ع):

و إذا كان هدف المأمون من الاصرار على الإمام بأن يصلى بالناس هو أن يخدع الخراسانيين و الجند و الشاكريه، و يجعلهم يطمنون على دولته المباركة فإنه من الواضح أيضا أن إرجاع المأمون للإمام (ع) فى مثل تلك الحالة، و ذلك التجمع الهائل، و تلك الثورة العاطفية فى النفوس، كان ينطوى على مجازفة و مخاطرة لم تكن لتخفى على المأمون، و أشياعه؛ حيث لا بد و أن يثير تصرفه هذا حق تلك الجماهير التى كانت فى قمة الهيجان العاطفى، و يؤكد كراهيتها له ... و على الأقل لن تكون مرتاحة لتصرفه هذا على كل حال ...

و بعد هذا ... فإنه إذا كان المأمون يخشى من مجرد اقامة الإمام للصلاة ... فلا معنى لأن يلح عليه هو بقبولها ... و كذلك لا معنى لأن يخشى ذلك الهيجان العاطفى، و تلك الحالة الروحية، التى أثارها فعل الإمام (ع) و تصرفه فى هذا الموقف ... فذلك إذن ما لم يكن يخافه و يخشاه ...

فمن أى شىء خاف المأمون إذن؟! إنه كان يخشى ما هو أعظم

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٣٥٧

و أبعد أثرا، و أشد خطرا ... إنه خشى من أن الرضا إذا ما صعد المنبر، و خطب الناس، بعد أن هياهم نفسيا، و أثارهم عاطفيا إلى هذا الحد- خشى- أن يأتى بتمتم لكلامه الذى أورده فى نيشابور: «و أنا من شروطها ...» لا سيما و أنه ظهر إليهم على الهيئة التى كان يخرج عليها النبى محمد (ص)، و وصيه على (ع) و هو أمر جديد عليهم ... مما من شأنه أن يجعل المأمون و أشياعه لا يأمنون بعد على انفسهم، كما ذكر الفضل بن سهل ... و لسوف يحول الامام مروا من معقل للعباسيين و المأمون، و عاصمه، و حصن قوى لهم ضد أعدائهم- من العرب و غيرهم- سوف يحولها إلى حصن لأعداء العباسيين و المأمون، حصن لأئمة أهل البيت ... ففضل المأمون: أن يختار إرجاعه (ع) عن الصلاة، لأنه رأى أن ذلك هو أهون الشرين و اقل الضررين.

و لقد جرب المأمون الرضا أكثر من مرة، و أصبح يعرف أنه مستعد لأن يعلن رأيه صراحة فى أى موقف تواتيه فيه الفرصة، و يقتضى الأمر فيه ذلك. و لم ينس بعد موقفه فى نيشابور، و لا ما كتبه فى وثيقة العهد، و لا غير ذلك من مواقفه (ع)، و تصريحاته فى مختلف الأحوال و الظروف ...

### الموقف الحادى عشر:

و أخيرا ... فقد كان سلوك الإمام (ع) العام، سواء بعد عقد ولاية العهد له، أو قبلها، يمثل ضربة لكل خطط المأمون و مؤامراته. ذلك السلوك المثالى، الذى لم يتأثر بزجاج الحكم و بهارجه ...

و يكفى أن نذكر هنا ما وصفه به إبراهيم بن العباس، كاتب القوم و عاملهم، حيث قال:

«ما رأيت أبا الحسن جفا أحدا بكلامه قط، و ما رأيت قطعه على

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٣٥٨

أحد كلامه حتى يفرغ منه، و ما رد أحدا عن حاجة يقدر عليها، و لا مد رجله بين يدي جليس له قط، و لا اتكأ بين يدي جليس له قط، و لا شتم أحدا من مواليه و مماليكه قط، و لا رأيت تفل قط، و لا رأيت يقهقه فى ضحكته قط، بل كان ضحكته التبسم. و كان إذا خلا، و نصبت مائدته أجلس معه على مائدته مماليكه، حتى البواب و السائس.

و كان قليل النوم بالليل، يحيى اكثر لياليه من أولها إلى الصبح. و كان كثير الصيام؛ فلا يفوته صيام ثلاثة أيام فى الشهر، و يقول: ذلك صوم الدهر. و كان كثير المعروف و الصدقة فى السر، و اكثر ذلك يكون منه فى الليالى المظلمة؛ فمن زعم أنه رأى مثله فى فضله؛ فلا تصدقوه ...» (١).

و هذه الصفات بلا- شك قد أسهمت اسهاما كبيرا فى أن يكون الإمام (ع) هو الارضى فى الخاصة و العامة، و أن تنفذ كتبه فى

المشرق و المغرب، إلى غير ذلك مما تقدم ...

### الحكم ليس امتيازاً و إنما هو مسئولية:

و قد اعترض عليه بعض أصحابه؛ عند ما رآه يأكل مع خدمه و غلمانه، حتى البواب و السائس؛ فأجابه (ع): «مه؛ إن الرب تبارك و تعالى واحد، و الام واحدة، و الأب واحد، و الجزء بالأعمال ...» (٢) ...  
و قال له أحدهم: أنت و الله خير الناس، فقال له الإمام: «لا تحلف يا هذا، خير منى من كان أتقى لله تعالى، و اطوع له؛ و الله ما

(١) كلام ابراهيم بن العباس هذا معروف و مشهور، تجده في كثير من كتب التاريخ و الرواية؛ و لذا فلا نرى أننا بحاجة إلى تعداد مصادره.

(٢) البحار ج ٤٩ ص ١٠١، و الكافي للكلينى، و مسند الامام الرضا ج ١ قسم ١ ص ٤٦.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٣٥٩

نسخت هذه الآية: «و جعلناكم شعوبا و قبائل لتعارفوا إن اكرمكم عند الله اتقاكم ...» (١).

و قال لإبراهيم العباسى: إنه لا يرى أن قرابته من رسول الله (ص) تجعله خيرا من عبد أسود، إلا أن يكون له عمل صالح فيفضله به (٢).

و قال رجل له: ما على وجه الأرض اشرف منك أبا. فقال:

التقوى شرفتهم، و طاعة الله أحظتهم (٣).

و ما نريد أن نشير إليه و نؤكد عليه هنا، هو أنه (ع) يريد بذلك أن يفهم الملاء: أن الحكم لا يعطى للشخص - من كان، و مهما كان - امتيازاً، و لا- يجعل له من الحقوق ما ليس لغيره، و إنما الامتياز- فقط- بالتقوى و الفضائل الاخلاقية ... و كل شخص حتى الحاكم سوف يلقي جزاء أعماله: إن خيراً فخير، و إن شراً فشر؛ و عليه فما يراه الناس من سلوك الحكام، ليس هو السلوك الذى يريده الله، و تحكم به النواميس الاخلاقية، و الانسانية. و الامتيازات التى يجعلونها لأنفسهم، و يستيبحون بها ما ليس من حقهم لا يقرها شرع، و لا يحكم بها قانون ...

و بكلمة مختصرة: إن الإمام (ع) يرى: أن الحكم ليس امتيازاً، و إنما هو مسئولية ...

و على كل حال ... فان سلوك الامام (ع)، لخير دليل على ما كان يتمتع به من المزايا الاخلاقية، و الفضائل النفسية ... و يكفى أنه لم يظهر منه (ع) طيلة الفترة التى عاشها فى الحكم إلا ما ازداد به فضلاً بينهم، و محلاً فى نفوسهم، على حدّ تعبير أبى الصلت. و على حدّ تعبير شخص

(١) عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٢٣٦، و مسند الامام الرضا ج ١ قسم ١ ص ٤٦.

(٢) عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٢٣٧.

(٣) عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٢٣٦. و مسند الامام الرضا ج ١ قسم ١ ص ٤٦.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٣٦٠

آخر: أقام بينهم لا- يشركهم فى مآثم من مآثم الحكم ... بل لقد كان لوجوده أثر كبير فى تصحيح جملة من الأخطاء و الانحرافات التى اعتادها الحكم آتئذ ... حتى لقد استطاع أن يؤثر على نفس المأمون، و يمنعه من الشراب و الغناء، طيلة الفترة التى عاشها معه، إلى آخر ما هنالك، مما لسنأ هنا فى صدد تتبعه و استقصائه ...

**و في نهاية المطاف نقول:**

و حسبنا هنا ما ذكرنا من الأمثلة، التي نحسب أنها تكفى لأن تلقى ضوءا كاشفا على الخطة التي اتبعها الإمام (ع) في مواجهة خطط المأمون و مؤامراته ... تلك الخطة التي كانت تكفى لأن لا تبقى الصورة التي أرادها المأمون في أذهان الناس، و لا مبرر للشكوك لأن تبقى تراود نفوسهم ...

و لقد نجحت تلك الخطة نجاحا أذهل المأمون، و أعوانه، و جعلهم يتصرفون بلا روية، و يقعون بالمتناقضات ... حتى لقد أشرف المأمون منه على الهلاك، حسبما صرح به المأمون نفسه ... و كانت النتيجة أن دبر فيه المأمون بما يحسم عنه مواد بلائه. كما وعد حميد بن مهران، و جماعة من العباسيين ...

الحياة السياسية للإمام (الرضا(ع))، مرتضى العاملى، ص: ٣٦١

**القسم الرابع من خلال الأحداث****إشارة**

١- مع بعض خطط المأمون ...

٢- كاد المريب أن يقول خذونى ٣- ما يقال حول وفاة الإمام ...

٤- دعبيل و المأمون ...

٥- كلمة ختامية ...

الحياة السياسية للإمام (الرضا(ع))، مرتضى العاملى، ص: ٣٦٣

**مع بعض خطط المأمون****التوجيهات الراضية غير مقبولة:**

كل ما تقدم يلقي لنا ضوءا على بعض نوايا المأمون تجاه الإمام (ع)، و على كثير من الأحداث التي اكتتفت ذلك الحدث التاريخي الهام ...

و إننا حتى لو سلمنا جدلا، و غضضنا النظر عن كل تلك الأسئلة، و علامات الاستفهام التي يمكن استخلاصها مما تقدم ... فإننا لا نستطيع - مع ذلك - أن نعتبر البيعة صادرة عن حسن نية، و سلامة طوية.

و لا أن نقبل بالتوجيهات الراضية عن تصرفاته، طيلة فترة ولاية العهد، و بعدها تجاه الإمام، الذي كان يكبر المأمون ب «٢٢» سنة، و الذى كان مجبرا على قبول هذا الأمر، و مهددا بالقتل إن لم يقبل. و لم لا يتركه و شأنه ما دام أنه لا يريد أن يتقلد هذا الشرف الذى تتهاقت النفوس عليه، و تزهق الأرواح من أجله؟! ...

نعم ... إننا لا نستطيع أن نسلم بذلك، و نحن نرى منه تلك التصرفات و المواقف المشبوهة، بل و المفزوحة تجاه الإمام (ع)، و التي لا تبقى مجالاً للشك فى حقيقة نواياه و أهدافه من كل ما أقدم و ما كان عاقدا العزم على الاقدام ...

الحياة السياسية للإمام (الرضا(ع))، مرتضى العاملى، ص: ٣٦٤

و هذا الفصل معقود للحديث عن بعض تلك التصرفات، و من أجل بيان تلك الخطط ...

**المأمون يفضح نفسه:**

وقد تعجب إذا قلنا لك: إن المأمون نفسه يصرح ببعض خططه، التي كانت تصرفاته تدور في فلكها، و يعلن بعض الدوافع، و يبوح ببعض النوايا تجاه الإمام، و بالنسبة لقضية ولاية العهد فإليك ما أجاب به حميد بن مهران، و جمعا من العباسيين، عند ما عاتبوه و لاموه على ما أقدم عليه، من البيعة للرضا (ع)، يقول المأمون:

«... قد كان هذا الرجل مستترا عنا، يدعو إلى نفسه؛ فأردنا أن نجعله ولي عهدنا؛ ليكون دعاؤه لنا؛ و ليعترف بالملك و الخلافة لنا؛ و ليعتقد فيه المفتونون به بأنه ليس مما ادعى في قليل و لا كثير، و أن هذا الأمر لنا دونه.

و قد خشينا إن تركناه على تلك الحال: أن يفتق علينا منه ما لا نسده، و يأتي علينا ما لا نطيعه ...

و الآن ... فإذا فعلنا به ما فعلنا، و أخطأنا في أمره بما أخطأنا، و أشرفنا من الهلاك بالتنويه باسمه على ما أشرفنا؛ فليس يجوز التهاون في أمره. و لكننا نحتاج إلى أن نضع منه قليلا، قليلا، حتى نصوره عند الرعية بصورة من لا يستحق هذا الأمر، ثم ندبر فيه بما يحسم عنا مواد بلائه ...»

ثم طلب منه حميد بن مهران: أن يسمح له بمجادلة الإمام (ع)، ليفحمه، و ينزله منزله، و يبين للناس قصوره، و عجزه؛ فقال المأمون: «لا شيء أحب إلى من هذا».

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ٣٦٥

ثم كانت النتيجة عكس ما كان يتوقعه المأمون و العباسيون، و أشياعهم و باعوا كلهم بالفشل الذريع، و الخيبة القاتلة «١» ...

**و الذى يعيننا الحديث عنه هنا:**

هو قوله: و قد خشينا إن تركناه على تلك الحال ... إلى آخر ما نقلناه عنه آنفا؛ فإنها أوضحت أن المأمون الذى كان يخشى الإمام خشية شديدة، كان يخطط أولا إلى أخذ زمام المبادرة من الإمام، و تحاشى الاصطدام معه ثم كان يخطط بعد ذلك إلى الوضع منه (ع) قليلا قليلا إلى آخر ما تقدم ...

و لا يرد: أن كلام المأمون مع حميد بن مهران ظاهره: أنه لم يكن يريد فى بادئ الأمر الحط من الإمام عليه السلام، و إنما بدا له ذلك حين قوى مركز الامام عليه السلام، و استحکم أمره ... لا يرد ذلك ...

لأن كلامه هذا لا ينفي أنه كان يريد من أول الأمر ذلك، بل هو يؤكد ذلك، لأنه يصرح فيه: أنه إنما قدم على ما أقدم عليه، عند ما رأى افتتان الناس به عليه السلام، فأراد أن يعمل عملا يفقد الإمام عليه السلام مركزه، و يقضى على كل نشاطاته، و يذهب بما له من القدرة و النفوذ نهائيا، و إلى الأبد.

و لقد تحدثنا فيما سبق عن بعض تصرفاته التي تدور فى فلك خططه تلك مثل: فرضه للرقابة على الامام (ع)، و التضيق عليه؛ فلا يصل إليه إلا من أحب، و عزله عن شيعته و مواليه، و أيضا تفريقه الناس عنه، عند ما أخبر أنه يقوم بمهمة التدريس، و كذلك قضية صلاة العيد، و غير ذلك مما تقدم.

(١) راجع: شرح ميمية أبي فراس ص ١٩٦، و عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٧٠، و البحار ج ٤٩ ص ١٨٣، و مسند الامام الرضا ج ٢ ص

٩٦ ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ٣٦٦

و نزيد هنا بعض الامور الاخرى، التي و إن كان قد سبق الحديث عن بعضها؛ و لكنه كان حديثا من زاوية اخرى، و من أجل الاستفادة أمور غير الامور التي نحاول استفادتها منها هنا ... و ذلك أمر طبيعي، و لا- يكون تكرارا ما دام أن الواقعة الواحدة قد يكون لها

دلالات متعددة، و افادات مختلفة ... و لذا فإننا نقول:

### لما ذا على البصرة فالأهواز:

إن من جملة الامور التي كانت من جملة خطط المأمون للتأثير على مكانة الإمام (ع) و حتى على معنوياته النفسية ... الطريق الذي أمر رجاء ابن أبي الضحاک «١» قرابة الفضل بن سهل، و الذي كان من قواد المأمون، و ولاته- أمره- بسلوكه، عند ما أرسله ليأتي بالإمام (ع) من المدينة إلى مرو مهما كلفه الأمر ...  
فقد أمره: أن يجعل طريقه بالإمام «على البصرة، و الأهواز، ففارس. و حذره كثيرا من المرور على طريق الكوفة، و الجبل، و قم ...»  
«٢».

(١) و ذكر أبو الفرج، و المفيد: أن المرسل هو الجلودي، و لكن الصحيح هو الذي ذكرناه ...  
إذ من الخطأ أن يرسله المأمون لاحضار الرضا عليه السلام؛ لأن ذلك يضر بقضيته، و يفسد عليه ما كان دبره؛ لأنه موجب لسوء ظن الرضا عليه السلام، و العلويين، و سائر الناس، و تبهم مبكرا لحقيقة الأمر، و واقع القضية ...  
و ذلك لأن الجلودي هو الذي أمره الرشيد: أن يغير على دور آل أبي طالب، و يسلب نساءهم إلخ ما تقدم ... كما أنه كان عدوا متجاهرا للإمام، و قد سجنه المأمون بسبب معارضته للبيعة للرضا عليه السلام بولاية العهد!! و لعل سر خطأهم هو أن الجلودي كان واليا على المدينة من قبل المأمون، حين استقدام المأمون للإمام إلى مرو، حسيما جاء في كتاب:  
الإمام الرضا ولي عهد المأمون ص ٣٥.

(٢) تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٣٨٧، و تاريخ يعقوبى ج ٣ ص ١٧٦، و ينابيع المودة ص ٣٨٤، و الخرائج و الجرائح طبعة حجرية ص ٢٣٦، و اثبات الوصية ص ٢٠٥

الحياة السياسية للإمام (ع)، مرتضى العاملى، ص: ٣٦٧  
بل لقد ورد: أن المأمون قد كتب إلى الرضا نفسه، يقول له:  
«لا تأخذ على طريق الجبل و قم. و خذ على طريق البصرة، فالأهواز، ففارس ...» «١».  
و سر ذلك واضح؛ فإن أهل الكوفة، و قم، كانوا معروفين بالتشيع للعلويين «٢» و أهل البيت. و مرور الامام (ع) من هذين البلدين، و خصوصا الكوفة، التي كانت تعتبر من المراكز الحساسة جدا في الدولة ... سوف

و إعلام الورى ص ٣٢٠، و عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٤٩، ١٨٠، و الكافي ج ١ ص ٤٨٦، و مسند الامام الرضا ج ١ ص ٤٠ و البحار ج ٤٩ ص ٩١، ١١٨٩٢ و ١٣٤، و كشف الغمة ج ٣ ص ٦٥، و غير ذلك كثير.

(١) اصول الكافي ج ١ ص ٤٨٩، و عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٤٩ و ١٨٠، و شرح ميمية أبي فراس ص ١٦٥، و معادن الحكمة ص ١٨٠، و إثبات الوصية للمسعودى ص ٢٠٤، و مسند الامام الرضا ج ١ ص ٧٣، و البحار ج ٤٩ ص ١٣٤.

(٢) تشيع أهل الكوفة و قم أشهر من أن يحتاج إلى بيان، أو إقامة برهان ... لكننا نورد- مع ذلك- بعض الشواهد، تبصرة للقارئ، فنقول:

أما الكوفة: فقد تقدم قول محمد بن على العباسى أنها و سوادها شيعه على و ولده ... و فى الطبرى، و ابن الأثير، و غيرهما تجد قول عبد الله بن على للمنصور، عند ما استشاره فى أمر محمد بن عبد الله بن الحسن: «... ارتحل الساعة حتى تأتي الكوفة، فاجثم على أكتافهم، فانهم شيعه أهل هذا البيت، و أنصاره الخ ...». و فى قضية وفاة السيد الحميرى، التي ذكرها المرزبانى فى كتابه أخبار السيد



الحميرى دلالة واضحة على تشيع الكوفيين، وانحراف البصريين ...

ولأجل ذلك نرى المأمون يستقبل وفدا من أهل الكوفة فى منتهى الغلظة والجفاء، فراجع مروج الذهب ج ٣ ص ٤٢١. وفى البداية والنهاية ج ١٠ ص ٩٣: أن المنصور قد اعترف بأن لإبراهيم بن عبد الله بن الحسن فى الكوفة مائة ألف سيف مغمدة، وأعرب عن مخاوفه من تشيع أهل الكوفة للعلويين، ولأنهم لهم ... بل إننا لا نستبعد أن يكون بناء

الحياة السياسية للإمام (ع)، مرتضى العاملى، ص: ٣٦٨

يكون من نتيجته: أن يستقبله أهلها بما يليق بشأنه: من الاجلال، والاعزاز والتكريم.

ولا شك أن الإمام (ع) سوف يستطيع أن يستقطب المزيد من الناس،

المنصور لبغداد هو من أجل أن يبتعد عن الكوفة، وأهلها، ويأمن على نفسه؛ قال البلاذرى فى فتوح البلدان ص ٤٠٥: «أخذ المنصور أهل الكوفة بحفر خندقها. وألزم كل امرئ للنفقة عليه أربعين درهما. وكان ذاما لهم؛ لميلهم إلى الطالبين، وإرجافهم بالسلطان ...». وقد تقدم أنه عند ما ذهب إليهم العباس بن موسى، أخو الامام الرضا عليه السلام يدعوهم للبيعة، لم يجبه إلا البعض منهم، وقال له آخرون: «إن كنت تدعو للمأمون، ثم من بعده لأخيك؛ فلا حاجة لنا فى دعوتك. وإن كنت تدعو إلى أخيك، أو بعض أهل بيتك، أو إلى نفسك أجنبناك ...».

وعلى كل حال ... فقد كانت الكوفة مصدرا لثورات كثيرة على الامويين والعباسيين على حد سواء، تلك الثورات التى كانت كلها تقريبا بقيادة علوى، أو داعية إلى علوى ...

ولم ينس المأمون بعد ثورة أبى السرايا التى كادت تغير الموازين، وتقلب ماجريات الأحداث ... إلى غير ذلك مما لا مجال لتتبعه واستقصائه ...

وأما تشيع القميين، فذلك أعرف وأشهر. وقضيتهم مع جبهه دعبل التى أهدها إياها الامام لا يكاد يجهلها أحد ... وعند ما طلب المأمون من الريان أن يحدث بفضائل على عليه السلام، وأجاب بأنه لا يحسن شيئا، قال المأمون: «سبحان الله!! ما أجد أحدا يعينى على هذا الأمر، لقد هممت أن أجعل أهل قم شعارى و دثارى ...» ...

ولعل تشيع أهل قم هذا هو الذى دفع بالمأمون لأن يوجه إليهم عامله على بن هشام؛ لينكل بهم، ويحاربهم حتى يهزمهم، ويدخل البلد، ويهدم سورها، ويجعل على أهلها مبلغ سبعة ملايين درهم، بدلا من مليونين، وهو ما لم يكن يدفعه أى بلد آخر يضاهاى بلدهم فى عدد السكان وغير ذلك من المميزات، فكيف بالسبعة ... ومع أنه كان قد خفض الخراج عن السواد، وبعض البلدان الاخرى؛ فلما سمعوا بذلك طالبوا بتخفيض الخراج عنهم أيضا؛ ففعل ذلك ... وكان تخفيضه عنهم بزيادة المليونين إلى سبعة، كما قلنا ... راجع فى تفصيل ذلك: الطبرى ج ١١ ص ١٠٩٣، والكامل لابن الأثير ج ٥ ص ٢١٢، وتاريخ ابن خلدون ج ٣ ص ٢٥٥، والنجوم الزاهرة ج ٢ ص ١٩٠، وتاريخ التمدن الاسلامى مجلد ١ جزء ٢ ص ٣٣٧، وفتوح البلدان للبلاذرى ص ٤٤٠، وتجارب الامم ج ٦ ص ٤٦٠.

الحياة السياسية للإمام (ع)، مرتضى العاملى، ص: ٣٦٩

و يؤثر عليهم بما حباه الله من الفضائل والكمالات الأخلاقية، وبما آتاه الله من العلم والحكمة، والورع والتقوى، الذى سار ذكره فى الآفاق، حتى لا يكاد يجهله أحد ... وإذا كان أهل نيشابور، بل وحتى أهل مرو، معقل العباسيين والمأمون، قد كان منهم تجاه الإمام ما لا يجهله أحد ...

حتى إنهم كانوا بين صارخ، وباك و متمرغ فى التراب إلخ ... وحتى لقد خاف المأمون وأشياعه على دمائهم - إذا كان هؤلاء هكذا - فكيف ترى سوف تكون حالة أهل الكوفة وقم، معقل العلويين، والمحبين لأهل البيت، والمتفانين فيهم، لو أنهم رأوا الإمام

(ع) بينهم، و بالقرب منهم ... يقول الراوندى فى ذلك: «إن المأمون أمر رجاء بن أبى الضحاك: أن لا يمر بالإمام عن طريق الكوفة؛ لئلا يفتتن به أهلها ...» (١)!!

و المأمون لا يريد أن يفتتن الناس بالإمام، و إنما الذى يريده هو عكس ذلك تماما ... إنه يريد أن يضع من الامام لا أن يرفع ... أما أهل البصرة: فعثمانية، يدينون بالكف، و يقولون: كن عبد الله المقتول، و لا تكن عبد الله القاتل ... بل لقد كانت البصرة معقلا مهما للعباسيين، الذين حرق دورهم زيد النار، ابن الامام الكاظم، كما قدمنا؛ و لهذا نلاحظ: أن دور البصريين فى التشيع لم يكن يضارع دور غيرهم، لا روائيا، و لا كلاميا ... و أما ما ربما يحتمله البعض: من أن المأمون كان يأمل أن يخرج من البصرة، أو غيرها من يخلصه من الإمام (ع) نهائيا ... فلا أرى أنه يتفق مع أهداف و أغراض المأمون، التى كان يرمى إليها من وراء لعبته تلك ...

(١) الخرائج و الجرائح، طبعه حجرية ص ٢٣٦.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٣٧٠

### الإمام يرفض كل مشاركة تعرض عليه:

إنه برغم شروط الإمام على المأمون، و التى أشرنا إليها فيما سبق، فإننا نرى المأمون كل مدة يحاول أن يجرى اختبارا للإمام، ليعرف حقيقة نواياه، و أنه هل أصبح له طمع بالخلافة، و طموح لها «١»، ليعجل عليه بما يحسم عنه مواد بلائه ... أم لا. فكان يأتى كل مدة إليه، يطلب منه أن يولى فلانا، أو أن يعزل فلانا، أو أن يصلى بالناس ... بل لقد طلب منه بعد مقتل الفضل أن يساعده فى إدارة شئون الخلافة «٢» بحجة أنه يعجز وحده أن يقوم بأعباء الحكم، و يدير دفة السلطان!! هذا ... إن لم نقل: أنه كان يريد من وراء ذلك: أن يجعل ذلك ذريعة للقضاء على الإمام، بحجة أنه نقض الشرط، و ليكون بذلك قد قضى على العلويين جميعا، و إلى الأبد.

أو على الأقل كان يريد بذلك: أن يوجد للإمام أعداء فى الأوساط ذات القوة و النفوذ ...

و أيا ما كانت نوايا المأمون و أهدافه، فإن الإمام (ع) كان يرفض ذلك كله بكل عزم و إصرار، و يذكره بالشروط تلك، و يقول له: «إن وفيت لى وفيت لك ...» ... و هذا تهديد صريح له من الإمام (ع). و لا نعجب كثيرا - بعد أن اتضح لنا نوايا المأمون و أهدافه - إذا رأينا المأمون يتحمل هذا التهديد، بل و يخضع له، و يقول: «بل أفى لك»!! ...

(١) و ما أشبه الليلة بالبارحة، فقد رأينا الخليفة الثانى عمر بن الخطاب، يسأل ابن عباس عن على عليه السلام: إن كان لا يزال يطمح إلى الخلافة، و يأمل فيها ... أم لا!!

(٢) الكافى ج ٨ ص ١٥١، و كشف الغمة ج ٣ ص ٦٨ و ٨٧، و عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٦٤ و ١٦٦ و ١٦٧، و البحار ج ٤٩ ص ١٤٤ و ١٥٥ و ١٧١، و غير ذلك.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٣٧١

و هكذا ... فقد كان الإمام (ع) يضع على المأمون ما كان يحسب أنه فرصة مؤاتية له، و لا يمكنه من معرفة ما يريد معرفته، و لا من تنفيذ ما يريد تنفيذه ...

### الاختبار لشعبية الإمام (ع):

كما أنه كان كل مدة يقوم بعملية اختبار لشعبية الإمام (ع)، و لمدى ما يتمتع به من تأييد في الاوساط الشعبية، ليعرف إن كان أصبح (ع) يشكل خطرا حقيقيا؛ ليعجل بالقضاء عليه أم لا ... فكان كل مدة يكلفه بأن يؤم الناس بالصلاة للعيد، أو ما شاكل ... و هذا إن دل على شيء، فإنما يدل على مدى ما يعتمر قلب المأمون من الخوف و الخشية منه (ع). (راجع: السبب الثالث من فصل البيعة، و الموقف العاشر في فصل: خطة الإمام «ع»).

### سؤال ... و جوابه:

و لعلك تقول: إذا كان المأمون يخشى الإمام (ع) إلى هذا الحد؛ لما يعلمه من نفوذه و مكانته؛ فلما ذا لا يتخلص منه بذلك الاسلوب التقليدي الذي انتهجه أسلافه من الامويين، و العباسيين، و تبعهم عليه هو فيما بعد، و كذلك من أتى بعده ... و ذلك بأن يدس إليه شربة من السم، و هو في المدينة، من دون أن يحتاج إلى اشخاصه إلى مرو، و البيعة له بولاية العهد، و تزويجه ابنته، إلى غير ذلك من الامور التي من شأنها أن تعزز من مركز الإمام، و ترفع من شأنه، و توجه إليه الانظار و القلوب، حتى يضطر في نهاية الأمر لأن يعود إلى ما جرت عليه عادة أسلافه، و أتباعه!!.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ٣٧٢

و لكن الجواب على هذا قد اتضح مما قدمناه، فإن المأمون لم يكن يريد في بادئ الأمر موت الامام، و لا كان هو يستطيع أن يفعل ذلك.

و لو أن ذلك كان قد حدث لوقع المأمون في ورطة، لها أول و ليس لها آخر؛ حيث إنه كان بأمس الحاجة إلى حياة الامام (ع)؛ و ذلك لما قدمناه من الأسباب و الظروف التي كانت تحتم على المأمون أن يلعب لعبته تلك، التي و إن كانت تنطوي على مخاطرة جريئة، إلا أنه كان - كما قدمنا - قد رسم الخطئة، و أحكم التدبير للتخلص من الامام (ع) بمجرد أن يحقق مآربه، و أهدافه، بالطريقة التي لا تثير شك أحد، و لا توجب تهمة أحد؛ و قد حدث ذلك بالفعل، كما سيمر علينا ...

### و أما كتمه لفضائل الإمام (ع):

و من جملة الامور التي كانت تدور في فلك خطة المأمون، التي لخصها بأنه يريد الوضع من الامام قليلا قليلا، حتى يصوره امام الرعية بصورة من لا يستحق لهذا الأمر - محاولاته كتم فضائل الامام (ع) و مزاياه عن الناس ما استطاع إلى ذلك سبيلا ... و قد تقدم: أنه عند ما سأل رجاء بن أبي الضحاك، الذي تولى إشخاص الرضا (ع) من المدينة إلى مرو، عن حال الرضا (ع) في الطريق؛ فأخبره عما شاهده من عبادته (ع)، و زهده و تقواه، و ما ظهر له من الدلائل و البراهين، قال له المأمون: «... بلى يا ابن أبي الضحاك، هذا خير أهل الأرض، و أعلمهم، و أعبدهم؛ فلا تخير أحدا بما شهدت منه؛ لئلا يظهر فضله إلا على لساني ...»!!.

و هكذا ... فإن المأمون و إن استطاع أن يمرر الكثير، إلا أنه لم يكن يجد بدا في كثير من الأحيان من أن يظهر على حقيقته و واقعه. و هذا هو أحد تلك المواقف التي مرت و سيمر معنا بعضها، التي اضطر فيها

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ٣٧٣

المأمون لأن يكشف عن وجهه الحقيقي ... و إن كان قد حاول - مع ذلك - أن يتستر بما لا يسمن و لا يغني من جوع. و لا - أعتقد أن المأمون كان يجهل: أن ما يأتي به لم يكن لينطلي كله على أعين الناس، بل كان يعلم ذلك حق العلم، و لكن كما يقولون:

«الغريق يتشبث بالطحلب».

- و لكن ... بالرغم من محاولات المأمون تلك ... فإننا نرى أن فضائل الإمام و مزاياه كانت كالعرف الطيب، لم تزل تظهر، و تنتشر و

تذاع ...

بل ولعل محاولات المأمون تلك، التي كانت ترمى للحط من الإمام و اسقاطه، قد أسهمت كثيرا و ساعدت على إظهار فضائله، و شيوعها، كما سيتضح.

### الشائعات الكاذبة!!

و كان بالإضافة إلى ما تقدم يحاول ترويح شائعات كاذبة، من شأنها أن تنفر الناس من العلويين عامة، و من الإمام (ع)، و سائر الأئمة عليهم السلام خاصة ...

فهذا أبو الصلت يسأل الإمام (ع)، فيقول: «يا ابن رسول الله، ما شيء يحكيه الناس عنكم؟! ...

قال (ع): ما هو؟! قال: يقولون: إنكم تدعون: أن الناس لكم عبيد!!

قال (ع): يا عبد السلام، اذا كان الناس كلهم عبيدنا- على ما حكوه- فممن نبيعهم؟! إلخ «١».

(١) مسند الامام الرضا ج ١ قسم ١ ص ٤٥، و البحار ج ٤٩ ص ١٧٠، و عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٨٤.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ٣٧٤

و نرى أنه (ع) يقول- و عنده جماعة من بني هاشم، فيهم إسحاق ابن عيسى العباسي-: «يا إسحاق، بلغني أن الناس يقولون: إنا نزعم:

أن الناس عبيد لنا. لا ... و قرابتى من رسول الله ما قلته قط، و لا سمعته من آبائي قاله، و لا بلغني عن أحد من آبائي قاله الخ ...».

و قد تقدمت هذه الرواية في فصل: خطة الامام ...

كما أن هشام بن ابراهيم العباسي، الذى وضعه الفضل بن سهل ليراقب الرضا (ع)، و يضيق عليه، كان يشيع عن الرضا (ع): أنه أحل له

الغناء، فلما سئل (ع) عن ذلك قال: «كذب الزنديق الخ «١» ...».

بهذه الشائعات الكاذبة، و امثالها أراد المأمون الحط من كرامة الامام و تضعيف مركزه، و زعزعة ثقة الناس به، و بالعلويين بصورة

عامة ...

و لكن كما يقولون: جبل الكذب قصير؛ إذ أن أقوال الامام (ع) و أفعاله و جميع جهات سلوكه، سواء قبل توليته للعهد أو بعدها ...

كانت تناقض هذه الشائعات، و تدحضها «٢» ... الأمر الذى كان من شأنه

(١) رجال المامقاني ج ٣ ص ٢٩١، و قاموس الرجال ج ٩ ص ٣٠٩، و وسائل الشيعة ج ١٢ ص ٢٢٧، و مسند الامام الرضا ج ٢ ص

٤٥٢، عن رجال الكشي ص ٤٢٢. و البحار ج ٤٩ ص ٢٦٣، عن قرب الاسناد ص ١٩٨.

و كان هشام بن ابراهيم هذا جريئا على المأمون؛ لأنه هو الذى ربا، و شخص إلى خراسان فى فتنه ابراهيم بن المهدي، راجع الأغاني

ط ساسى ج ٩ ص ٣١. و يسمى: العباسى مع أنه لم يكن عباسيا: إما لأن المأمون و لاه تربية ولده العباس، أو لأنه ألف كتابا فى امامة

العباس نص على ذلك الكشي ط النجف ص ٢٢٣ و غيره.

(٢) و كيف يمكن أن نصدق مثل هذا الذى لا يقره العقل، و لا يقبل به القرآن، على الامام الذى كان يتخذ لنفسه أسلم، و أروع

منهج، ألا- و هو منهج القرآن، حتى إنه عند ما أنكر رؤية النبى لله تعالى، و استدل على ذلك بالآيات، و قال له أبو قره: فتكذب

بالروايات؟! قال الامام عليه السلام: إذا كانت الروايات مخالفة للقرآن كذبتها، و ما أجمع المسلمون

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ٣٧٥

أن يثير شكوك الناس، و ظنونهم فى المأمون نفسه؛ فلم ير بدا من أن يضرب عن هذا الاسلوب صفحا، و يتجه إلى غيره بتخيل أنه

أجدي و أكثر نفعاً و أقل ضرراً!!! ...

و بقى فى كنانته سهم أخير، كان يحسب أنه سوف يصيب الهدف، و يحقق الغاية: التى هى تشويه سمعة الامام (ع)، و الحط من كرامته ...  
ألا و هو:

### التركيز على افحام الامام (ع):

فبدأ يجمع العلماء، و أهل الكلام من المعتزلة، و هم أصحاب جدل، و كلام، و استدلال، و تنبه للدقائق من الامور، ليحذق هؤلاء بالرضا (ع) و تجرى فيما بينهم و بينه محاورات، و مجادلات، من أجل أن ينقصوا منه مجلساً بعد مجلس، و أن يكسروه فى أعظم ما يدعيه هو و آباؤه (ع):

من العلم و المعرفة بآثار رسول الله (ص)، و علومه ... و الذى هو الشرط الأعظم لإمامة الإمام، على ما يدعيه الشيعة المفتونون بالرضا (ع)، و بسائر آباءه و أبنائه الأئمة الطاهرين ...

و حتى لا يبقى من ثم مجال لأبى نؤاس لأن يقول فيه عند ما رآه خارجاً من عند المأمون:

مطهرون نقيات ثيابهم تجرى الصلاة عليهم أينما ذكروا  
من لم يكن علويًا حين تنسبه فما له فى قديم الدهر مفتخر

عليه: أنه لا يحاط به علماً، و لا تدركه الابصار، و ليس كمثل شىء ... راجع: تفسير البرهان طبعة حجرية ص ١٠٥٧، ١٠٥٨. نقلاً عن الكافى ... و مثل ذلك كثير لا مجال لاستقصائه ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٣٧٦: الله لما برى خلقاً فأتقنه صفًا كم و اصطفاكم أيها البشر فأنتم الملاء الأعلى و عندكم علم الكتاب و ما جاءت به السور «١» هذه الأبيات التى سارت بها الركبان، و التى هى تعبير صادق عن هذه الحقيقة التى أشرنا إليها، و التى كانت تقض على المأمون و كل أسلافه و أتباعه مضاجعهم، و تنغص عليهم حياتهم ... و عليه:  
و إذا استطاع المأمون أن يظهر للملاء أن الإمام (ع) صفر اليدين مما يدعيه، و يدعيه آباؤه من قبل، فإنه يكون قد قضى على المصدر الأول و الأساس لكل المشاكل، و الاخطار، و ينهار المذهب الشيعى حينئذ بانتهاء فكرة الامامة فيه، التى هى المحور، و الاساس له، و يتحقق من ثم - حلمه الكبير، الذى طالما جهد و شقى من أجل تحقيقه.

و أعتقد: أنه لو كان تم له ما أراد، فلسوف لا يتعرض بعد هذا للامام (ع) بسوء، و أنه كان سوف يبقى على حياته (ع) إبقاءً لحجته، و أنه خال من شرائط الإمامة، و ليأفل من ثم ... نجمه، و نجم العلويين من بعده ... و إلى الأبد ...

(١) شهرة هذه الأبيات تغنيها عن ذكر مصادرهما، و قد أعطاه عليه السلام ما كان معه، و هو مائة دينار، و البغلة التى كان يركبها ... لكن بعض الباحثين يرى أن أبا نؤاس لم يعيش إلى زمان تولى الرضا العهد، بل مات قبل ذلك بثلاث سنوات أى فى سنة ١٩٨ هـ. و من ثم هو ينكر الحادثة الاخرى، التى تقول: إن البعض لام أبا نؤاس حيث لم يمدح الامام عليه السلام، فقال أبياته المشهورة: «قيل لى أنت أشعر الناس طراً فى فنون إلخ ...».

و لكن الظاهر أن هذا الباحث لم يطلع على عبارة ابن خلكان فى وفيات الأعيان، طبع سنة ١٣١٠ ج ١ ص ٤٥٧؛ فإنه قال: «و فيه (أى فى الرضا عليه السلام) يقول أيضاً- و له ذكر فى شذور العقود سنة احدى أو اثنتين و مائتين -: مطهرون نقيات إلخ ...».

بل يكفى دلالة على أنه عاش إلى ما بعد ولاية العهد ذكر هذه الأبيات، و تلك له و النص على أنه قد قالها فيه عليه السلام ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٣٧٧

و من أجل ذلك- بكل تأكيد- أخذ يجمع العلماء «١» و يجلبهم من أقاصى البلدان، و يأمرهم بتهيئة أشكال المسائل و أصعبها، و طرحها على الامام (ع) علّه يقطعه عن الحجّة، و لو مرة واحدة؛ ليحيط بذلك من كرامته، و يشوه سمعته، و يظهر عجزه و عيه، و يرى الناس أن ما يدعيه من العلم و المعرفة بآثار رسول الله و علومه لا حقيقة له، و لا واقع وراءه ...

قال الصدوق عليه الرحمة: «... كان المؤمنون يجلب على الامام (ع) من متكلمى الفرق، و أهل الأهواء المضلة كل من سمع به؛ حرصا على انقطاع الرضا (ع) عن الحجّة مع واحد منهم إلخ...» «٢».

و قال ابراهيم بن العباس: «سمعت العباس يقول: ..... و كان المؤمنون يمتحنه (أى يمتحن الامام (ع)-) بالسؤال عن كل شىء؛ فيجيبه الجواب الشافى ...» «٣».

و قال أبو الصلت: «... فلما لم يظهر منه للناس إلا ما ازداد به فضلا عندهم، و محلا فى نفوسهم ... جلب عليه المتكلمين من البلدان؛ طمعا فى أن يقطعه واحد منهم؛ فيسقط محله عند العلماء؛ و بسببهم يشتهر نقصه عند العامة؛ فكان لا يكلمه خصم من اليهود، و النصرى، و المجوس، و الصابئين، و البراهمة، و الملحدين، و الدهرية، و لا خصم

(١) مع أنه هو نفسه قد فرق عن الإمام تلامذته، عند ما أخبروه أنه يقوم بمهمة التدريس، كما أشرنا إليه!! ...

(٢) مسند الامام الرضا ج ٢ ص ١٠٥، و البحار ج ٤٩ ص ١٧٩، و عيون أخبار الرضا ج ١ ص ١٩١.

(٣) الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ٢٣٧، و إعلام الورى ص ٣١٤، و أعيان الشيعة ج ٤ قسم ٢ ص ١٠٧، و يراجع أيضا: مناقب ابن شهر آشوب ج ٤ ص ٣٥٠، و غير ذلك.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٣٧٨

من فرق المسلمين المخالفين له إلا قطعه، و الزمه الحجّة، و كان الناس إلخ...» «١».

و قال المؤمنون لسليمان المروزى: «... إنما وجهت إليك لمعرفتى بقوتك، و ليس مرادى إلا أن تقطعه عن حجّة واحدة فقط...» «٢».

و تقدم قوله لحميد بن مهران، عند ما طلب منه هذا أن يوليه مجادلته؛ لينزله منزلته: «ما من شىء أحب إلّى من هذا...».

بل لقد صرح المؤمنون نفسه: بأنه كان يريد أن يجعل من جهل الامام- نعوذ بالله- ذريعة و وسيلة إلى خلعه؛ ليشتهر بين الناس أنه قد خلع بسبب جهله، و قلّة معرفته؛ فقد ورد أنه عند ما أخبره الرضا بصفات حمل جاريته، قال المؤمن:

«فقلت فى نفسى هذه و الله فرصة؛ إن لم يكن الأمر على ما ذكر، خلعت؛ فلم أزل أتوقع أمرها إلخ...» «٣».

إلى غير ذلك مما قد امتلأت به كتب الأخبار و السير ...

### و حتى مع الامام الجواد قد حاول ذلك:

و لا نستبعد أيضا: أن يكون قد حاول أن يلعب نفس هذه اللعبة مع

(١) عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٢٣٩، و مثير الاحزان ص ٢٦٣، و البحار ج ٤٩ ص ٢٩٠، و مسند الامام الرضا ج ١ ص ١٢٨، و شرح ميمية أبى فراس ص ٢٠٤.

(٢) البحار ج ٤٩ ص ١٧٨، و عيون أخبار الرضا ج ١ ص ١٧٩، و مسند الامام الرضا ج ١ ص ٩٧.

(٣) الغيبة للشيخ الطوسى ص ٤٩، و عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٢٢٤، و البحار ج ٤٩ ص ٣٠٧، و مناقب آل أبى طالب ج ٤ ص ٣٣٣ عن الجلاء و الشفاء ...

هذا ... ولا بأس بملاحظة قوله: إنها والله فرصة!! ... الدالة على أنه كان يتحين الفرص لذلك.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٣٧٩

الإمام الجواد (ع) أيضا، والذي كان لا يزال صغير السن؛ فأغرى العباسيين بأن يقفوا ذلك الموقف؛ ليفسح المجال ليحيى بن أكثم لي طرح مسائله الصعبة على الإمام الصغير؛ ليعجز عنها، ويظهر للملا: أن إمام الشيعة طفل صغير، لا يعلم ولا يعقل شيئا، وان كل ما يدعونه في الامام ما هو إلا زخرف باطل، وظل زائل ...

و يلاحظ: أنه قام بهذه اللعبة قبل أن يسلم إليه ابنته، التي كان قد عقد له عليها في حياة أبيه الرضا (ع)، وجعل شرط تسليمها أن يغلب يحيى بن اكثم و يجيبه على مسأله!! و معنى ذلك: أنه لو توقف و لو فى مسألة واحدة لامتنع عن اعطائه زوجته، و كانت النتيجة هى: أن يشتهر ذلك بين الناس كلهم، و يصبح حديث كل الندوات و المحافل أن سبب عدم تسليمه زوجته هو جهله و عيّه ...

لكن الامام الجواد كان كأيبه قد أعاد على المأمون كيده و مكره، و لا يحق المكر السيئ إلا بأهله ... و لقد سبقه إلى ذلك المنصور مع الامام الصادق (ع)؛ حيث أمر أبا حنيفة بتهيئة مسائل صعبة يلقها على الامام؛ لأنه رأى أن الناس قد فتنوا به «١» ... و جرى على منواله فى ذلك المعتصم مع الجواد أيضا، و غيره مع غيره ... و كان الله هو المؤيد و الناصر و المسدد ...

### ملاحظة لا بد منها:

و مما يلاحظ هنا: أننا لا نجد أثرا لهذه المجالس العلمية و المناظرات، الكلامية للمأمون!! بعد موت الإمام (ع)، فبعد أن مات (ع) بسم المأمون، و هدأت تائرة العلويين و الشيعة، أو صد الباب كلياً تقريباً،

(١) راجع: البحار ج ٤٧ ص ٢١٧.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٣٨٠

و انصرف عن ذلك نهائياً ... اللهم إلا بعض مناظرات نادرة و محدودة جدا فى بغداد، لا تقاس بتلك التي كانت تجرى فى مرو على الاطلاق ...

### الإمام يقول: المأمون سوف يندم:

هذا ... و لم يكن من الغريب: أن يعلم الرضا (ع) بمقاصد المأمون، و حقيقة نواياه من مثل هذه التصرفات، و كان (ع) يقول: «... إذا سمع احتجاجى على أهل التوراة بتوراتهم، و على أهل الانجيل بإنجيلهم، و على أهل الزبور بزبورهم، و على الصابئين بعبانيتهم، و على أهل الهرا بده بفارسياتهم، و على أهل الروم بروميتهم، و على أصحاب المقالات بلغاتهم؛ فإذا قطعت كل صنف، و دحضت حجته، و ترك مقالته، و رجع إلى قولى، علم المأمون أن الموضع الذى هو بسبيله ليس بمستحق له؛ فعند ذلك تكون الندامة منه ...» (١).

نعم ... إنه سوف يندم كثيرا عند ما يرى: أن كل ما كان يدبره ينقلب عليه، و يؤدي إلى عكس النتيجة التي كان يرجوها منه ... حتى إن الناس كانوا يقولون: «و الله، إنه أولى بالخلافة من المأمون. فكان أصحاب الأخبار يرفعون ذلك إليه؛ فيغتاظ و يشتد حسده ...» (٢) ...

و هكذا ... فإن هذا القول يعتبر تحقيقاً لنبوءة الإمام: من أن المأمون سوف يندم، إذا علم أن الموضع الذى هو بسبيله ليس بمستحق له ...

و لقد علم المأمون، و لكن بعد فوات الأوان بذلك، و بأنه قد ساعد بأعماله تلك على اتساع القاعدة الشعبية للإمام (ع)، و إظهار مزايه

(١) مسند الامام الرضا ج ٢ ص ٧٥، والبحار ج ٤٩ ص ١٧٥، و عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٥٦.

(٢) كشف الغمة ج ٣ ص ٨٧، و عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٢٣٩.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٣٨١

وفضائله، التي كان يجهد المأمون في طمسها وإخفائها، بل لقد ساعد على ترسيخ عقيدة الشيعة في نفوسهم، و شد إليها قلوب الكثيرين؛ حيث قد ثبت بالفعل: أن الإمام أعلم أهل الأرض على الاطلاق و أفضلهم و أتقاهم إلى آخر ما هنالك من الكمالات و الفضائل الأخلاقية، و لم يعد ذلك مجرد دعوى لا يدعمها دليل، و لا يؤيدها برهان ...

و كان على المأمون أن يتبع أسلوبا جديدا، يضمن له تحقيق غاياته في التخلص من الإمام (ع)، و القضاء عليه اجتماعيا، و نفسيا، بل و حتى جسديا أيضا ...

و بقى في كنانته سهم آخر، ظن أنه سوف يحقق له ما عجز كل ما سواه عن تحقيقه ... ألا و هو:

### الاقتراح العجيب:

و كل قضايا المأمون تثير عجبا، و هو أن يذهب الإمام إلى بغداد، و قبل أن تتكلم عن هذا الاقتراح العجيب ... يحسن بنا أن نتكلم عن بغداد أولا، و عن موقفها من البيعة للرضا (ع)، و عن ردة الفعل فيها تجاه هذا الفعل الذي أقدم عليه المأمون من دون رضا منها ... فنقول:

### موقف بغداد من المأمون و البيعة للرضا (ع):

تعتبر بغداد أهم معقل للعباسيين على الاطلاق و هي عاصمتهم، و حصنهم، الذي يلودون به، و يلجئون إليه ... و العباسيون هم الذين تقموا على المأمون بسبب جعل ولاية العهد للرضا (ع)، و خلعوا المأمون بمجرد سماعهم لذلك النبأ الذي نزل عليهم نزول

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٣٨٢

الصاعقة، فشغبوا في بغداد، و أخرجوا الحسن بن سهل منها، و بايعوا لإبراهيم بن المهدي، المعروف: بابن شكلة المغنى، الذي كان عاملا للمأمون على البصرة «١»، و الذي كان من ألد أعداء الإمام على بن أبي طالب و ولده ...

و موقف بغداد هذا لم يكن ليخفى على أحد، فكيف يخفى على المأمون، و قد رأينا: أن الإمام نفسه يخبر المأمون: بأن الناس - يعنى العباسيين، و مواليهم «٢» - ينقمون عليه مكان الإمام منه، و مكان بيعته له بولاية العهد «٣».

و الفضل بن سهل أيضا قال للمأمون: «... ثم أحدثت هذا الحدث الثاني إنك جعلت ولاية العهد لأبي الحسن، و أخرجتها من بنى أبيك.

و العامة و العلماء، و الفقهاء، و آل عباس، لا يرضون بذلك. و قلوبهم

(١) مشاكلة الناس لزمانهم لليعقوبى ص ٢٨.

(٢) لأنهم هم فقط الذين كانوا ينقمون ذلك عليه، كما تدل عليه النصوص التاريخية. و لم يشر التاريخ، و لو من بعيد إلى شىء من ذلك من غيرهم على الاطلاق، بل نص على عكس ذلك كما عرفت، حتى من أهل بغداد أنفسهم ...

(٣) الطبرى ج ١١ ص ١٠٢٥، و ابن خلدون ج ٣ ص ٢٤٩، و الكامل لابن الأثير ج ٥، و غير ذلك ...



وقال في النجوم الزاهرة ج ٢ ص ١٧٤: «أنه بسبب ولاية العهد للرضا قامت الفتن، واضطربت البلاد»، و قريب منه ما في مقدمة ابن خلدون ص ٢١١، و واضح: أن ذلك قول مبالغ فيه ... حيث لم يحدث بسبب البيعة شىء أصلا إلا في بغداد، و أما سائر البلاد، فقد خمدت الثورات فيها، و استوسقت للمأمون كما نص عليه الذهبي، و غيره حسبما تقدم، و حتى في بغداد نفسها كان أكثرها يؤيد المأمون في ذلك باستثناء العباسيين، و من لف لفهم؛ قال في تاريخ أبي الفداء ج ٢ ص ٢٢: «و امتنع بعض أهل بغداد عن البيعة» ... و يتفق المؤرخون: على أن بغداد انقسمت إلى قسمين: قسم يقول: نلبس الخضرة، و نبايع، و قسم يأبى ذلك. إلى أن غلب الممتنعون؛ لأن من بينهم رجال الدولة، و بايعوا لإبراهيم بن المهدي ...

الحياة السياسية للإمام (الرضا)(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٣٨٣

متنفره عنك، و رأى: أن تقيم بخراسان، حتى تسكن قلوب الناس على هذا إلخ ...» (١).

و سيأتى أن المأمون قد كتب للعباسيين، بعد وفاة الإمام: أن الأشياء التي كانوا ينقمونها عليه قد زالت ... إلى غير ذلك مما ليس في تتبعه كثير فائدة ...

### و أما نصب ابن شكلة:

لقد رضى العباسيون بابن شكلة حاكما عليهم، مع علمهم بانحرافه عن على، و نصبه، بل لعل هذا هو أحد المرجحات لاختيارهم له ... و يكفى دلالة على انحرافه عن على (ع)، و ولده ما تقدم: من أن المأمون كان يظهر التشيع، و ابن شكلة يظهر التسنن (٢)، و أنه غير المأمون بتشيعه فقال:

إذا الشيعي جمجم في مقال فسرك أن يبوح بذات نفسه

فصل على النبي و صاحبيه وزيرييه و جاريه برمسه و غيره المأمون بنصبه، فقال:

إذا المرجى سرك أن تراه يموت لحينه من قبل موته

فجدد عنده ذكرى على وصل على النبي و أهل بيته (٣) و قال إبراهيم هذا مرة للمأمون: إن عليا ليس من البلاغة في شىء؛

(١) عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٦٠، و البحار ج ٤٩ ص ١٦٦. و واضح أن من مصلحة الفضل: أن يضحخ الأمر و يهول به على المأمون؛ لأنه يريد أن يردعه عن الذهاب إلى بغداد، التي يعرف أنه سوف يتعرض فيها لأهوال و أخطار قد لا يكون له القدرة على تحملها. الحياة السياسية للإمام (الرضا)(ع)، مرتضى العاملى ٣٨٣ و أما نصب ابن شكلة: ..... ص: ٣٨٣

(٢) استعمال المسعودى لكلمة «التسنن» هنا يفند ما ادعاه أحمد أمين المصرى: من أنه هو المصطنع لهذه الكلمة، و أول من استعمالها ... و الظاهر أنه قرأها فيه أو في النجوم الزاهرة، أو وفيات الأعيان ترجمه على بن الجهم أو غيرها ... ثم نسى.

(٣) مروج الذهب ج ٣ ص ٤١٧ و راجع ص ٢٣١ / ٢٣٢ من هذا الكتاب.

الحياة السياسية للإمام (الرضا)(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٣٨٤

حيث إنه رآه في منامه، فسأله مسألة؛ فقال له الإمام (ع): «سلاما سلاما» ... فعند ما أفهمه المأمون: أنه (ع) يشير بذلك إلى قوله تعالى: «و إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما» خجل، و ندم على إخباره المأمون بما كان (١) ...

و عن صلاح الدين الصفدى في شرح الجهورية: أنه لما مات إبراهيم ابن المهدي سأل الواثق عن وصيته؛ فوجده قد أمر بمال عظيم: أن يفرق على أولاد الصحابة، إلا أولاد على (ع)؛ فقال الواثق: «و الله، لو لا إطاعة أمير المؤمنين لما وقفت عليه، و لا انتظرت دفنه»، ثم انصرف الواثق و هو يقول: «منحرف عن شرفه، و خير أهله؛ و الله، لقد أدليت في قبره كافرا.» (٢).

إلى غير ذلك من الدلائل و الشواهد التي يطول بذكرها المقام ...

## المأمون ... هو الذى ينقل لنا اقتراحه العجيب:

و لكن رغم موقف بغداد ذاك، و رغم أنه كان يعلم به، و يعلم بكل ما جرى فى بغداد بسبب جعله ولاية العهد للرضا نرى المأمون يحاول أن يرسل الامام إلى بغداد، ليكون وجها لوجه مع ألد أعدائه العباسيين، و فى نفس معقلهم، و محل قوتهم، و حيث لهم كل النفوذ و السيطرة.

يرسله- وحده!!- و يبقى هو خليفته فى خراسان ...

و يرفض الامام، و يصبر على الرفض، حتى يئس المأمون من قبوله ...

يقول المأمون: «رحم الله الرضا (ع)، ما كان أعلمه، لقد

(١) مناقب ابن شهر آشوب ج ٣ ص ٢٧١، و نزهة الجليس ج ١ ص ٤٠٣.

(٢) نزهة الجليس ج ١ ص ٤٠٤.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٣٨٥

أخبرنى بعجب. سألته ليلة، و قد بايع له الناس، فقلت: جعلت فداك، أرى لك أن تمضى إلى العراق، و أكون خليفتك بخراسان؛ فتبسم، ثم قال: لا ... لعمرى ... إلى أن يقول المأمون: «فجهدت الجهد كله، و أطمعته فى الخلافة، و ما سواها، فما أطمعنى فى نفسه ...» (١).

## و لما ذا هذا العرض:

عجيب إذن!! ... هكذا أصبحت الخلافة رخيصة إلى هذا الحد!! الخلافة ... التى لم يكن يعدلها عنده فى الدنيا شىء!! الخلافة ... التى

قتل من أجلها المئات و الالوف!!، و خرب المدن و دك الحصون!! ...

و التى قتل من أجلها أخاه، و من معه، و قواده، و وزراءه!! ... الخلافة هذه ... أصبحت رخيصة إلى حد أنه يبذلها- حسب منطقته-

لرجل غريب!!، و فى مقابل أى شىء؟! فى مقابل أن يذهب إلى العراق!!!.

و لقد عرفنا الخلافة التى بذلها، لكن ما سواها لم نستطع أن نعرفه بالتحديد!!.

و لما ذا يجهد الجهد كله؟! و لما ذا يبذل الخلافة؟!، و لما ذا يبذل ما سواها؟! لما ذا كل ذلك؟! أليس هو ذا القوة و السلطان؟!؛

فلم لا يجبر الإمام (ع) على ذلك، كما أجبره على قبول ولاية العهد؟! ...

ألم يكن باستطاعته أن يرسله مقيدا مصفدا بالحديد؟! ... و لما ذا يسمح له بأن يعصيه و يخالف أمره؟! ... أفلا يعتبر ذلك جريمة

يستحق عليها أقسى العقوبات؛ باعتبار أنه يعرض الخليفة و الخلافة، و هيتهما للخطر؟! ...

(١) الغيبة للطوسى ص ٤٨، و مناقب ابن شهر آشوب ج ٤ ص ٣٣٧، و البحار ج ٤٩ ص ٥٨ و ١٤٥.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٣٨٦

نعم ... إنه يريد أن يذهب الإمام إلى بغداد، و لكنه يريد فى نفس الوقت أن يذهب راضيا و غافلا عما يهدف إليه المأمون من وراء

ذهابه هذا ... و إلا فإن ذهابه لن يجديه نفعاً؛ لأنه قد جرب معه الاكراه و الاجبار من قبل، فى قضية ولاية العهد، و رأى أن الإمام قد

اتخذ ذلك وسيلة من الوسائل المضادة، من أجل تضييع الفرصة على المأمون ...

كما أن بذله للخلافة لم يكن مجازفة بها؛ لأنه كان مطمئنا إلى أن ما يبذله اليوم سوف يعود إليه غدا ... و بالشكل الأفضل و الأكمل؛

لو أن الإمام (ع) قبل منه ما كان عرضه عليه ...

نعم ... إنه يريد أن يرسله إلى العراق - بغداد - وطلب منه أن يذهب وحده، و يبقى هو خليفة له في خراسان؛ ليواجه المحنة، التي لن يكون له القدرة على تحملها، والصمود في وجهها ... ويتخلص المأمون منه بذلك من أهون سبيل ...

### المأمون يتحرك نحو بغداد بنفسه:

لكن رفض الامام القاطع جعله يفكر في الأمر بنحو آخر؛ فلقد تحرك هو بنفسه نحو بغداد، مصطحبا معه وزيره الفضل بن سهل و ولي عهده الامام الرضا (ع)، الذي كان هو الشجا المعترض في حلق المأمون ...

و لقد كان من الممكن: أن يحتفظ بهما حتى يدخلوا بغداد، فتقوم قائمة بنى العباس، و يثرون، و يعصفون، و تعم الفوضى، و يختل النظام ... و قد يتخلص المأمون حينئذ من الامام (ع) على يد من يرتفع به حقه، و يخرج غضبه عن طوره ...

و إن لم يكن ذلك، و جنبوا عن الإقدام عليه ... و بعد أن يكون الناس قد رأوا أن وجود الامام - و ليس قتل الأمين - هو المانع و العائق

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ٣٨٧

من عودة المياه إلى مجاريها بين المأمون، و بين العباسيين بنى أبيه، الذين أصبح يرى الناس: أن لهم - كغيرهم - الحق في الخلافة ... فإن المأمون سوف يجد - من ثم - العذر و المبرر لخلعه من ولاية العهد؛ من أجل أن تستقر البلاد، و تذهب الأحقاد و الإحن، و تعود الامور إلى حالتها الطبيعية بينه و بين بنى أبيه، و المحيين و المتشيعين لهم ... و لتكون هذه - و بعد ملاحظتها بحملة دعائية واسعة - ضربة قاضية لسمعة الامام، و طعنة نجلاء في كرامته، سوف يسعد المأمون بها أيما سعادة ...

### لكن المأمون لم يكن يثق بالعباسيين:

لقد كان من الممكن ذلك ... و لكن المأمون لم يكن يثق بالعباسيين، الذين في بغداد، أن يتفهموا حقيقة موقفه، و يدركوا ما ترمى إليه مخططاته ... فقد يثرون ضده هو، و يوصلون إليه ما يسوؤه و يزعجه؛ كما حدث ذلك من قبل ... فهو مع أنه لم يبايع للرضا بولاية العهد، إلا من أجل أن يحقن دماءهم، و مع أنه كان يدبر الأمر ليدوم لهم، و لعقبهم من بعدهم ... إلا أنهم لم يدركوا ذلك رغم أنه كتب إليهم به صراحة ... و استمروا على مناوئته و محاربتة ...

### و لا كان واثقا من سكوت الامام (ع):

كما أنه كان يخشى أن الامام، الذي رأى المأمون منه العجائب، و الذي أصبح قريبا من العباسيين، و أشياعهم، و قريبا من محبيه و مواليه أيضا - كان يخشى أن يتمكن - من قلب ما يدبره، و يخططه، و جعله وبالا عليه ... و قد تقدم ان أباه موسى (ع) قد أفسد على الرشيد قلوب شيعته، رغم أنه كان في سجنونه و تحت نظره و مراقبته الدقيقة ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ٣٨٨

كما أنه لم ينس بعد أبدا: أنه قد أفسد عليه جل، إن لم يكن كل مؤامراته، و تدبيراته ... بل لقد كان يجعلها كلها في صالحه هو، و دمارا، و وبالا على المأمون مدبرها، و مخططها الحقيقي ...

و قد يكون الامام مستعدا لقبول اقتراح من المأمون بالتنحي عن ولاية العهد. و لكن ذلك و لا شك سوف يعيد الامور إلى سيرتها الاولى. بل سوف يزيد الأمر تعقيدا، و الوضع خطورة عما كان عليه قبل البيعة له (ع) بولاية العهد. و لن يسكت العلويون و لا الخراسانيون، بل حتى و لا العرب عن أمر كهذا. و لن يعيد الامور إلى سيرتها الاولى بيعة أو مناورة أخرى من أي نوع كانت، و على

أى مستوى كانت.

### كيف يخرج المأمون من المأزق إذن؟!

وهكذا ... و بعد أن رأى المأمون نفسه قد فشل فى تحقيق الجزء الأهم من خطته، ألا وهو أن يضع منه (ع) قليلا قليلا، حتى يصوره أمام الرعية بصورة من لا يستحق لهذا الأمر ... بل لقد رأى نفسه يحصد غير ما يزرع، و أن النتائج التى كان يحصل عليها هى تماما عكس ما كان ينتظر و يؤمل؛ و ذلك بسبب و عى الإمام و حنكته، و يقظته ...

و رأى أنه قد حارب الإمام بجميع الاسلحة التى كان يمتلكها، من المكر و الخديعة، و الدهاء إلخ ... لكن أسلحة الإمام كانت أمضى و أقوى من كل ما كان يمتلكه المأمون. و من أين للمأمون علم الامام و زهده، و تقواه و فضله، و فضائله النفسية، و شخصيته الفذة، و سائر صفاته و خصاله الحميدة، صلوات الله و سلامه عليه؟ ...

و إذا كان قد تأكد لديه أن محاولاته تلك لم تكن تثمر إلا أن يزداد الامام رفعة بين الناس، و محلا فى نفوسهم، و إلا اتساع قاعدته الشعبية

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٣٨٩

بأطراد. و أنه هو نفسه قد ساعد على اتساعها ... حتى لقد اضطر هو نفسه لأن يستجير بالامام لينقذه من أولئك الذين شغبوا عليه بسبب قتله الفضل ابن سهل ... إلى آخر ما هنالك مما قدمناه ... إذا كان كذلك. فإنه قد أصبح يرى نفسه مستحقا لذلك التأييد القاسى الذى تلقاه من حميد بن مهران، و جمع من العباسيين؛ حيث قال له حميد: «... ما أخوفنى أن يخرج هذا الأمر عن ولد العباس إلى ولد على، بل ما أخوفنى أن يتوصل بسحره إلى إزالة نعمتك، و التوثب على مملكتك. هل جنى أحد مثل جنايتك؟!» ... و قد تقدم جواب المأمون لهم فى أول هذا الفصل؛ فلا نعيد ...

و يلاحظ هنا: أن قول حميد بن مهران: «ما أخوفنى أن يخرج هذا الأمر عن ولد العباس إلى ولد على» قد كان بعد البيعة للرضا (ع) بولاية العهد؛ فكأنه كان على علم بخطه المأمون، و أهدافه من البيعة!! ...

نعود فنقول: إنه كما أصبح يرى نفسه مستحقا لذلك التأييد القاسى أصبح أيضا يرى: أن من الضرورى العثور على وسيلة تسهل عليه الخروج من ذلك المأزق الحرج، الذى أوقع نفسه فيه ... حتى لا- ينتهى به الأمر إلى تلك النهاية المرعبة، التى كان يخشاها كل الخشية، و تمتلئ نفسه فرقا و رعبا منها ...

فما هى تلك الوسيلة؟!، و أين يجدها؟! و هل يستطيع أن يحصل عليها؟! و كيف؟؟ ...

... و لقد وجد الوسيلة و هى سهلة جدا، و لكنها غير مأمونة العواقب، و هذه الوسيلة هى:

### تصفية الإمام (ع) جسديا:

و التدبير فيه- و بسرعة- بما يحسم عنه مواد بلائه ... و واضح:

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٣٩٠

أن قتل الإمام (ع) جهارا سوف يثير مشاعر العلويين و الشيعة، سواء من الخراسانيين، أو من غيرهم، بل هو يثير الامة بأسرها. و لسوف يعطيهم، و خصوصا العلويين الفرصة، بل و الحق فى القيام بوجه نظام الحكم من جديد ... و بكلمة ... سوف يخسر المأمون حينئذ كل ما كان يرى نفسه أنه قد ربحه، هذا إن لم تكن النتيجة أسوأ من ذلك بكثير ...

و أسوأ مما يتصور.

و إذن ... فلا بد للقضاء على الإمام من أعمال الحيلة، و احكام الخطه، و دراستها دراسة كافية و وافية.

**قضية حمام سرخس:**

و حاول أن يقضى على الامام (ع)، و الفضل معا، مرة واحدة في حمام سرخس. و لكن يقظة الامام (ع)، و وعيه قد حال دون ذلك؛ حيث إنه رفض الذهاب إلى الحمام. و أصر المأمون بدوره على ذلك، و أعاد عليه الرقعة مرتين!! لكن الامام قد بين له بيانا قاطعا: أنه لن يدخل الحمام بأى وجه من الوجوه ... كما أنه (ع) قد حاول أن يدفع المكيدة عن الفضل؛ فقال للمأمون: «و لا أرى للفضل أن يدخل الحمام غدا...». لكن المأمون يصصر على أن يدخل الفضل الحمام، و يمتنع من تحذيره؛ حيث قال للامام: «و أما الفضل فهو أعلم و ما يفعله...» (١).

**مقتل الفضل بن سهل:**

و نجح المأمون في تنفيذ أحد جزئى مهمته، و فشل في تنفيذ الجزء

(١) قد تقدم بعض مصادر هذا النص فى فصل: شخصية الامام الرضا، عند ذكر التجاء المأمون إلى الرضا (ع) عند ما شغب عليه الجند، بسبب مقتل الفضل.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٣٩١  
الآخر، و الأهم منها؛ فقد نجا الامام (ع) بفضل وعيه و يقظته، و وقع الفضل فى الشرك وحده و قتل بتدبير من المأمون، فرضى بذلك العباسيون. و قتل قتله، فرضى الحسن بن سهل، و الخراسانيون.

و مجمل قضية قتل الفضل هنا: «أن المأمون لما رأى إنكار الناس ببغداد لما فعله من نقل الخلافة إلى بنى على، و أنهم نسبوا ذلك إلى الفضل بن سهل، و رأى الفتنة قائمة و لا يستطيع أن يقتل الفضل جهارا لمكان أخيه الحسن بن سهل، و كثرة من معه من الرجال (١) فأعمل الفكرة فى ذلك، و دس جماعة لقتل الفضل ...

و الذين قتلوا الفضل كانوا خمسة اشخاص من حشم المأمون، أحدهم:

خاله غالب؛ فأخذوا و جىء بهم إليه؛ فقالوا: أنت أمرتنا بقتله!! ...

فقال لهم: أنا أقتلكم باقراركم، و أما ما ادعيتموه: من أنى أنا أمرتكم بذلك؛ فدعوى ليس لها بينة. ثم أمر بهم فضربت أعناقهم، و حمل رءوسهم إلى الحسن أخى الفضل، و أظهر الحزن عليه...» (٢)!! كما أنه قد اقصى قوما من قواده سماهم الشامتة؛ و اظهر عليه أشد الجزع كما نص عليه اليعقوبى. و واضح أن قتله لقتله الفضل، ثم إرساله رءوسهم إلى الحسن، ثم إظهاره للحزن عليه لخير دليل على دهائه و حنكته السياسية ...

بل ذكر المسعودى، و يظهر ذلك من غيره أيضا: أن المأمون قتل

(١) راجع لطف التدبير ص ١٦٤-١٦٦.

(٢) راجع فى ذلك: الآداب السلطانية ص ٢١٨، و تاريخ ابن خلدون ج ٣ ص ٢٤٩، و لطف التدبير ص ١٦٤-١٦٦ و مآثر الانافذة ج ١ ص ٢١١، و الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٩١ و ١٩٢، و الطبرى ج ١١ ص ١٠٢٧، و وفيات الأعيان، طبع سنة ١٣١٠ ج ١ ص ٤١٤، و مرآة الجنان ج ٢ ص ٧، و اثبات الوصية ص ٢٠٧.

و ليراجع تجارب الامم ج ٦ ص ٤٤٣.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٣٩٢.

الفضل بن سهل بيده، وأنه باشر قتله بنفسه «١»، و لعله اتهم هؤلاء من أجل أن يبعد التهمة عن نفسه لاسباب سياسية لا تكاد تخفى و من أهمها أن لا يفسد عليه الحسن بن سهل و من معه و الخراسانيين.

و تحسن الاشارة هنا إلى ما قدمناه من عرض المأمون على الفضل أن يزوجه ابنته- على الرغم من استهجان تزويج بنات الخلفاء من غير ذوى قرباهم، فرفض الفضل العرض، و شكر المأمون، و جهد المأمون الجهد كله فى اقناعه، فلم يفلح!! و قال له: لو صلبتني ما فعلته «٢».

فإن عرضه هذا، و جهده فى اقناعه ما كان إلا شركا منه للتجسس و الايقاع بالفضل على يدها، كما فعل بالجواد و الرضا (ع) ... و عند ما لم يفلح فى اقناع الفضل، و فشلت مؤامرتة، دبر قضية حمام سرخس، و نجح فى تدبيره ذاك كما عرفنا ... و قبل أن نمضى فى الحديث يحسن بنا أن نشير الى ما ذكره الاصفهاني فى أغانيه، فيما يتعلق بمقتل الفضل، حيث قال ما ملخصه: إن ابراهيم ابن العباس الشاعر كان من خواص الفضل بن سهل. و جعله كاتباً لعبد العزيز بن عمران؛ فلما دبر المأمون قتل الفضل، و ندب إليه عبد العزيز ابن عمران. علم ابراهيم بذلك، فأخبر به الفضل، فأظهره للمأمون، و عاتبه عليه ... و بعد قتل المأمون للفضل و لقتلته سأل من أين سقط الخبر للفضل؛ فعرف أنه من جهة ابراهيم؛ فطلبه؛ فاستتر، و تحمل ابراهيم بالناس على المأمون. و جرد فى أمره هشام الخطيب المعروف بالعباسي،

(١) مروج الذهب ج ٣ ص ٤١٧، و يظهر أيضا من: الفخرى فى الآداب السلطانية ص ٢١٨.

(٢) الوزراء و الكتاب ص ٣٠٧.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٣٩٣

و كان جريئا على المأمون، لأنه رباه، فلم يجبه المأمون الى ما سأل «١».

إلى آخر ما قال.

### ظاهرة قتل الوزراء:

و تحسن الاشارة هنا: إلى أن قتل الوزراء كان ظاهرة شائعة فى حياة الخلفاء العباسيين؛ حتى إن أحمد بن أبى خالد الأحول امتنع بعد مقتل الفضل عن قبول اسم «وزير»، مع قبوله بالقيام بكل أعمال الوزير و وظائفه ... و هنا لطائف و ظرائف تتعلق بهذا المطلب، ليس هنا محل ذكرها ... و لنعد الآن للحديث عن موقف المأمون فنقول:

### لابد من العودة الى سنة معاوية:

إنه رغم فشل المأمون فى قضية حمام سرخس، لم ييأس، و لم يهن فى الوصول إلى ما كان يطمح إلى الوصول إليه؛ فاستمر يعمل الحيلة و يدبر المكيدة للإمام (ع).

و كان عليه: أن لا يعرض نفسه للخطأ الذى وقع فيه فى قضية الفضل؛ حيث أعلن القتل فى وجهه بأنه هو الذى أمرهم بقتله؛ مما كان سببا فى ثورة الجند عليه، و تعرض لخطر عظيم جدا، لو لم يلتجئ الى الامام، الذى أنقذ موقفه، و فرق الناس عنه، كما تقدم ... و لم ير وسيلة أسهل و أسلم من تلك التى سنها سلفه معاوية، الذى

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٣٩٤

قدمنا فى فصل: آمال المأمون وآلامه: أن المأمون قد ارتضى سيرته، ورد سيرة أبى بكر وعمر و على و هذه الوسيلة هى: «السم» ... و دس إليه السم فى العنب، أو فى ماء الرميان، و مضى الإمام (ع) شهيدا، صابرا محتسبا ... و هذه هى نفس الطريقة التى تخلص بواسطتها، من قبل: من محمد بن محمد، صاحب أبى السرايا، و لا نستبعد أنه قد دبر مثل ذلك فى محمد بن جعفر، الذى مات هو الآخر - كالرضا (ع) و الفضل بن سهل - فى طريق بغداد «١».

كما و يلاحظ: أنه لما مات محمد بن جعفر نادى منادى المأمون: «ألا لا تسيئن الظن بامير المؤمنين؛ فان محمد بن جعفر جمع بين أشياء فى يوم واحد. و كان سبب موته أنه جامع و افتصد، و دخل الحمام فمات» «٢» و هكذا ... مات اللذان تكرههما بغداد، فى نفس طريق بغداد ... و لم يعد هناك ما يعكر صفو العلاقات بينه، و بين بنى أبيه العباسيين و أشياعهم، و أصبح باستطاعته ان يكتب إليهم: «... إن الأشياء التى كانوا ينقمونها عليه قد زالت، و أنهم ما نقموا عليه إلا يبعته لعلى بن موسى الرضا (ع)، و قد مات؛ فارجعوا إلى السمع و الطاعة، و انه يجعل ولاية العهد فى ولد العباس ...» «٣».

(١) و لعل ابن قتيبة يشير إلى هذا فى معارفه طبع سنة ١٣٠٠ ص ١٣٣ حيث يقول: «و ظفر بمحمد بن جعفر، فحملة إلى المأمون مع عدة من أهل بيته، فلم يرجع منهم أحد ...»!!

و لكننا نراه مع ذلك، عند ما يؤتى بجنازة محمد بن جعفر قد نزل بين العمودين، و حملة! و قال: هذه رحم مجفوة منذ مأتى سنة، و صلى عليه و قضى دينه!!! ... بل إننا لا نستبعد أن يكون هو المدبر لشائعة غلبة السوداء على الحسن بن سهل أخى الفضل. و هكذا ... فيكون قد قضى على كل أولئك الذين تكرههم بغداد و تخشاهم، و تخلص منهم واحدا بعد الآخر.

(٢) تاريخ جرجان ص ٤٠٤.

(٣) راجع فى ذلك: الطبرى ج ١١ ص ١٠٣٠، و البدايه و النهايه ج ١٠ ص ٢٤٩،

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٣٩٥

فرجعوا إليه، و انقادوا له، و لكن بعد التخلص ممن كان يكره و يكرهون، و يخاف و يخافون ...

رجع إلى بغداد، فأطاعته، و انقادت له؛ لأنه قضى على من كانت تخافهم، و تخشاهم، و حقق لها ما كانت ترجوه، و تصبو إليه، و غفرت له قتله أخاه، و نسيته حتى كأنه أمر لم يكن!! ... بل لقد أصبحت ترى أنه أفضل من أخيه الأمين؛ لأنه استطاع أن يثبت أقدام بنى أبيه فى الحكم و السلطان إلى ما شاء الله ...

رجع إلى بغداد، إلى بنى أبيه؛ لأن رجوعه إليهم كان ضروريا؛ من أجل أن يرجع إليهم اعتبارهم من جهة ... و لأنهم هم الدرع الواقى له، و الحصن الحصين من جهة أخرى ... هذا بالاضافة إلى أن خلافة لا تكون بغداد مقرا لها ليست فى الحقيقة بخلافة ... إلى غير ذلك من أمور و اعتبارات.

### نبوءة الإمام (ع) قد تحققت:

هذا ... و كما تنبأ الامام (ع) من قبل بأن أمر البيعة لا يتم، و تنبأ أيضا بأنه يموت و يدفن بخراسان ... لم يكن ليصعب عليه أن يتنبأ بأن المأمون سوف يقدم فى النهاية على ما أقدم عليه: من الاعتداء على حياته (ع)، سيما و أنه كان على علم أكثر من أى إنسان آخر بحقيقته نوايا المأمون و أهدافه ... و بالفعل نرى الامام (ع) يصرح بذلك فى أكثر من مورد، و أكثر من مناسبة، حتى للمأمون نفسه، كما تقدم ...

و تاريخ الخلفاء ص ٣٠٧، و ابن الأثير ج ٥ ص ١٩٣، و الفخرى فى الآداب السلطانية ص ٢١٨، و تاريخ أبى الفداء ج ٢ ص ٢٤، و تاريخ ابن خلدون ج ٣ ص ٢٥٠، و النجوم الزاهرة ج ٢ ص ١٧٣، و تجارب الامم ج ٦ ص ٤٤٤. و غير ذلك.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٣٩٦

و من جهة أخرى؛ فرغم محاولات المأمون للتستر على جريمته النكراء تلك خوفا من ثورة الرأى العام ضده ... فإنه لم يستطع إخفاء الحقيقة، و طمس الواقع بل شاع الأمر، و افترض المأمون ... بل سيمر معنا أنه هو نفسه قد فضح نفسه ...

### الحقد الدفين:

و أخيرا ... فإن ما أقدم عليه المأمون من الغدر بالامام (ع)، و دس السم إليه لخير دليل على فشل المأمون فى سياسته، الفشل المزرى و المهين ...

حتى إنه عند ما عجز عن أن ينال من الامام (ع) حيا، أراد أن ينال منه ميتا؛ بدافع من حقد الدفين، الذى لم يعد يستطيع أن يتحمل مضاعفاته؛ فكتب إلى السرى عامله على مصر، يخبره بوفاء الرضا، و يأمره بغسل المنابر، التى دعى له عليها، فغسلت ... كما تقدم ... و هذا إن دل على شىء؛ فإنما يدل على أن الحقد كان قد أكل قلبه، و أعمت البغضاء بصره و بصيرته ...

كما أنه يدل على خسة فى النفس، و إسفاف فى التفكير، و شعور بالعجز، و بالنقص أيضا ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٣٩٧

### كاد المريب أن يقول: خذونى.

### و مع غض النظر عن كل ما تقدم:

لسوف نغض النظر هنا عن تصريحات المأمون الدالة على أنه سوف يدبر فى الإمام بما يحسم عنه مواد بلائه، و عن تأكيدات الإمام و تصريحاته بأنه سوف يموت شهيدا بسم المأمون، حتى لقد واجه نفس المأمون بذلك، لكنه تجاهل الأمر، و غير الحديث «١» ... و لسوف نغض النظر أيضا عن اعتراف المأمون نفسه بأن الإمام (ع) لم يمت حتف أنفه، و إنما مات مقتولا بالسم. و أن قتله هما عبيد الله، و الحمزة، ابنا الحسن «٢»، و اللذان لم يكن بينهما و بين الإمام (ع) ما يوجب ذلك ... بل إن كان لهما دور ما، فإنما هو بإشارة من يهمة مثل هذا الأمر ...

بل لقد ورد: أن المأمون رمى بنفسه على الأرض، و جعل يخور كما يخور الثور، و يقول: «ويلك يا مأمون، ما حالك، و على ما

(١) راجع: عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٤٠، و البحار ج ٤٩ ص ١٤٩، و علل الشرائع ج ١ ص ٢٣٧، و أمالى الصدوق ص ٤٢، ٤٣، و غير ذلك ...

(٢) راجع: غيبة الشيخ الطوسى ص ٤٩، و البحار ج ٤٩ ص ٣٠٦.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٣٩٨

أقدمت. لعن الله فلانا و فلانا، فإنهما أشارا على بما فعلت ... «١».

لسوف نغض النظر عن كل ما تقدم، و حتى عن رسالته للسرى، عامله على مصر، و التى أشرنا إليها غير مرة ...

### و الذى نريده هنا:



ولا نريد هنا إلا أن نضع بعض علامات الاستفهام على بعض تصرفات المأمون، وأقواله حين وفاة الامام (ع)، حيث رأينا: قد ارتبك في أمر وفاة الرضا (ع) أشد ما يكون الارتباك ...

### الأسئلة التي لن تجد جوابا:

فأول ما يطالعنا من الأسئلة هو أنه:

لما ذا يستر موت الرضا (ع) يوما و ليلة؟! «٢».

ولما ذا يقول للامام، وهو بعد لم يموت: «... ما أدري أى المصيبتين على أعظم: فقدى إياك، أو تهمة الناس لى: أنى اغتلتك و قتلتك» «٣»؟!.

(١) إثبات الوصية للمسعودى ص ٢٠٩.

(٢) مقاتل الطالبين ص ٥٦٧، وكشف الغمة ج ٣ ص ٧٢، وروضه الواعظين ج ١ ص ٢٧٧، والبحار ج ٤٩ ص ٣٠٩، وإرشاد المفيد ص ٣١٦.

(٣) مقاتل الطالبين ص ٥٧٢، وإرشاد المفيد ص ٣١٦، و عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٢٤١، والبحار ج ٤٩ ص ٢٩٩. و عبارة مقاتل الطالبين: «و أغلظ من ذلك على، و أشد:

أن الناس يقولون: إنى سقتك سما» ...

الحياة السياسية للامام (الرضا) (ع)، مرتضى العاملى، ص: ٣٩٩

ولما ذا يظهر التمارض، بعد أن أكل مع الإمام (ع) العنب «١»؟!...

وكيف مات الامام (ع) فى مرضه من العنب، و لم يموت المأمون منه أيضا؟!...

ولما ذا يحضر محمد بن جعفر، و جماعة من آل أبى طالب، و يشهدهم على أن الرضا مات حتف أنفه، لا مسموما «٢»؟!...

ولما ذا يبقى على قبره ثلاثة أيام!! يؤتى!! كل يوم يرغيف واحد و ملح ليأكله!!... الأمر الذى لم يفعله حتى عند ما مات أبوه الذى ولد منه، و أخوه الذى قتله، و فعل برأسه ما فعل؟!...

و هل يمكن أن نصدق حينما نسمعه يقول: «و قد كنت أومل أن أموت قبلك» «٣»!!... هذا مع علمه بأن الامام (ع) كان يكبره ب (٢٢) سنة؟! أم أن وقع المصيبة جعله يتكلم بما لا معنى له، و لا واقع وراءه؟!...

ولما ذا أيضا: يجبره على أكل العنب بعد امتناع الامام (ع) من أكله، ثم يقول له: «لا بد من ذلك، و ما يمنعك منه، لعلك تتهمنا بشيء؟!» و بعد أن أكل منه الامام (ع) قام، فقال له المأمون:

إلى أين؟ قال (ع): إلى حيث وجهتى... «٤»؟!...

ولما ذا؟ و لما ذا؟ إلى آخر ما هنالك مما يضيق عنه المقام ...

(١) إعلام الورى ص ٣٢٥، و إرشاد المفيد ص ٣١٦، و مقاتل الطالبين ص ٥٦٦، و الخرائج و الجرائح طبعه حجرية ص ٢٥٨، و غير ذلك ...

(٢) روضة الواعظين ج ١ ص ٢٧٧، و مقاتل الطالبين ص ٥٦٧، و إرشاد المفيد ص ٣١٦، و كشف الغمة ج ٣ ص ٧٢ و ١٢٣، و البحار ج ٤٩ ص ٣٠٩، و إعلام الورى ص ٣٢٩.

(٣) نفس المصادر السابقة باستثناء كشف الغمة.

(٤) أمالي الصدوق ص ٣٩٣، و روضة الواعظين ج ١ ص ٢٧٤، و عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٢٤٣، و إعلام الوری ص ٢٢٦، و البحار ج ٤٩ ص ٣٠١، و غير ذلك.  
الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ٤٠٠

### كاد المريب أن يقول: خذوني:

و بعد ... فهذه بعض الأسئلة، التي تدور حول تصرفات المأمون عند استشهاده الامام (ع) ... تحتاج إلى جواب ... و أنى لها من المأمون الجواب الصحيح، و الصريح. و لكن مواقفه و تصرفاته هذه، هي الجواب الكافي و الشافي، فلقد قيل، و ما أصدق ما قيل: «كاد المريب ان يقول:

خذوني ... كما أن المؤرخين بدورهم قد أجابوا عنها بكل صراحة أحيانا، و باللف و الدوران- لأسباب مختلفة- أحيانا أخرى ...  
فإلى الفصل التالي، لنقف على بعض أقوال و مواقف المؤرخين، بالنسبة لسبب وفاة الامام (ع) ...  
الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ٤٠١

### ما يقال حول وفاة الامام (ع)

#### ما ذا ترى بعض الفرق فى الحكام:

قبل كل شىء نود أن نشير إلى أمر مهم، كنا قد أشرنا إليه من قبل، و له- إلى حد ما- صلة فيما نحن بصدده ... و هو: أن بعض فرق المسلمين ترى: أن الحكام تجب طاعتهم، و لا تجوز مخالفتهم، و القيام ضدهم، و الوقوف فى وجههم بحال من الأحوال ...  
مهما كانت هويتهم، و أيا كان سلوكهم، حتى و لو أنهم ارتكبوا أعظم المحرمات، و انتهكوا جميع الحرمات ...  
أى ... أنهم حتى لو قتلوا الأبرياء- و لو كانوا أبناء محمد- و هدموا الكعبة ... مع ذلك كله- تجب طاعتهم، و لا تجوز مخالفتهم، و لا الوقوف فى وجههم ...

هكذا ... تعتقد الفرق الاسلاميه- كما قلنا- ... و من المؤسف جدا أن من هؤلاء الفرق: أهل الحديث، و عامه أهل السنة، قبل الامام الاشعري، و بعده. و هو أيضا قائل بهذه المقالة و معتقد بهذه العقيدة ...

و لقد أيدوا هذه العقيدة بمختلف أنواع التأييد، حتى لقد وضعوا فى

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ٤٠٢

تأييدها الروايات على لسان النبي (ص)، مع عدم تنبههم إلى أن ذلك ينافى صريح القرآن، و يصادم حكم العقل و الوجدان ...

#### انعكاسات هذه العقيدة على التراث:

و طبيعى أن ينعكس ذلك إلى حد كبير على كتابهم و مؤرخيهم «١»، و حتى على علمائهم، و فقهاءهم أيضا، حيث كان لا بد لهم من التستر على كل هفوات أولئك الحكام، و كل مخازيهم و موبقاتهم، مما كان من نتيجته- بطبيعة الحال- إخفاء كثير من الحقائق، و طمسها، حتى إذا لم يتمكنوا من ذلك، تراهم يحاولون اللف و الدوران، و توجيهها بما لا يسمن و لا يغنى من جوع ... هذا إن لم تخولهم غيرتهم، و تدفعهم حميتهم إلى تشويبهما، و التغيير و التبديل فيها؛ بحيث تبدو مستهجنة، و غريبة، و لتسقط من ثم عن الاعتبار ... و قد يختلفون فى كثير من الأحيان فى مقابلها، ما ينسجم مع نظرتهم الضيقة، و تعصبهم المقيت، أو يوافق هوى نفوسهم، و يرضى حكاهم، الذين كانوا يرون أنهم يقربونهم من الله زلفى ...

## إخفاء كل الحقائق عن الأئمة عليهم السلام:

و لقد أراد الحكام- لسبب أو لآخر- إخفاء كل الحقائق التي ترتبط بالأئمة الأطهار عليهم السلام، أو تشويهها، فكان لهم ما أرادوا، و وجدوا من العلماء، و الكتاب، و المؤرخين، من لا يألوا جهدا، و لا يدخر وسعا من أجل تنفيذ إرادتهم تلك، التي يرون: أنها إرادة الله

(١) راجع تمهيد الكتاب ...

الحياة السياسية للإمام (ع)، مرتضى العاملى، ص: ٤٠٣

- حسب عقيدة الجبر التي ابتدعوها- ... حتى إنك قد لا تجد في كثير من الكتب التاريخية، حتى اسم الأئمة الأطهار عليهم السلام. فضلا عن شرح أحوالهم، و بيان نشاطاتهم ...

و ليس ذلك لأنهم عليهم السلام كانوا غير مشهورين، و لا معروفين ...

أو لأنهم ممن لا يعتنى بشأنهم، و لا يلتفت إليهم ... لا ... أبدا. فقد كان ذكرهم يسرى في جميع الآفاق في الدولة الإسلامية المترامية الأطراف:

إما حبا و تشيعا، و اما عدا و نصبا ...

و قد ذكر الجاحظ في رسالته: «فضل هاشم على عبد شمس»- و هو الكاتب المعروف في عصره، و بعد عصره ... و حتى الآن، و الذي تعرض في كتبه لمختلف الموضوعات التي شاع التكلم بها في زمانه، و منها موضوع رسالته المشار إليها ... و الذي كان يظهر الحياد في كتاباته، و إن كان المعترلة- أهل نحلته- مثل الاسكافي و غيره يتهمونه بالنصب و العدا لأهل البيت عليهم السلام، و مما يدل على نصبه و تعصبه: أنه قد ألف كتابا في نقض فضائل الامام أمير المؤمنين على بن أبي طالب (ع) «١»- الجاحظ هذا- يقول في رسالته المشار إليها:

«... و من الذين يعد من قريش، أو من غيرهم، ما بعد الطالبيون في نسق واحد، كل واحد منهم: عالم، زاهد، ناسك، شجاع، جواد، طاهر، زاك، فمنهم خلفاء، و منهم مرشحو: ابن، ابن، ابن، ابن ... هكذا إلى عشرة ... و هم: الحسن بن على، بن محمد، ابن على، بن موسى، بن جعفر، بن محمد، بن على، بن الحسين، ابن على. و هذا لم يتفق لبيت من بيوت العرب، و لا من العجم إلخ ...» (٢).

(١) مروج الذهب ج ٣ ص ٢٣٧.

(٢) آثار الجاحظ ص ٢٣٥.

الحياة السياسية للإمام (ع)، مرتضى العاملى، ص: ٤٠٤

هذا ... و يجب أن لا يفوتنا هنا: التنبيه على أن الجاحظ كان في البصرة، و الامام العسكري (ع) كان في سامراء، موضوعا تحت الرقابة الشديدة.

و توفي الجاحظ قبل وفاة العسكري بخمس سنين ...

و قد كان عمره (ع) عند ما ألف الجاحظ رسالته في حدود اثنتين و عشرين سنة، لو فرض ان الجاحظ كان قد ألفها في آخر يوم من أيام حياته ...

و لم يكن الامام العسكري اعرف، و لا أشهر من آبائه الطاهرين (ع)، سيما الامام على، و الحسن، و الصادق، و الرضا عليهم السلام ... بل كان الأئمة (ع)، بعد الرضا (ع)- مع نباهة شأنهم، و علو أمرهم- يسمون: ب «ابن الرضا»، و ذلك يدل على أنه (ع) كان أنبه من أبناء الطاهرين، فكان يقال ذلك- يعنى: ابن الرضا- للجواد، و الهادى بعده، بل و للعسكري أيضا «١»، و يؤيد ذلك قول أبي الغوث، اسلم بن مهموز المنبجى في داليته المعروفة، التي يمدح فيها أئمة سامراء عليهم السلام:

إذا ما بلغت الصادقين بنى الرضا فحسبك من هاد يشير إلى هاد «٢» نعم ... إن هؤلاء الأئمة، الذين كان يسرى ذكرهم في الآفاق، قد لا تجد حتى أسماءهم في كثير من الكتب التاريخية ... مع أنك تجد ما شاء الله: من قصص المغنين، و الجوارى، و الاعراب، بل و حتى قطاع الطرق، مما لا يسمن، و لا يغنى من جوع ...

(١) راجع: قاموس الرجال ج ١٠ ص ٢٤٨، و الرسالة التي في آخر ج ١١ من قاموس الرجال ص ٥٨.

(٢) سفينة البحار ج ٢ ص ٥٢٩، و الكنى و الألقاب ج ١ ص ١٣٣.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٤٠٥

كل ذلك خيانه للحقيقة، و تخليا عن الأمانة، التي أخذوا على أنفسهم أداءها للأجيال التي تأتي بعدهم؛ حيث كان عليهم: أن يصدعوا بالحق، و يظهروا الواقع، مهما كانت الظروف، و أيا كانت الأحوال ... و إلا ... فيجب أن لا يتصدوا للكتابة، و يبيءوا باثم الخيانة ...

هذا ... و لم يكن المجال مفسوحا أمام شيعه أهل البيت (ع)، ليتمكنوا من إظهار الحقائق كاملة؛ و ذلك بسبب ملاحقه الحكام لهم، و محاولات القضاء عليهم أينما كانوا، و حيثما وجدوا، و بأى ثمن كان ... و من قبلهم القضاء على أئمتهم أئمة الهدى، و قادتهم، القادة إلى الحق ...

### و يبقى هنا سؤال:

لما ذا إذن كان يهتم الخلفاء بالعلماء، و يرسلون إليهم يستدعونهم من مختلف الأقطار و الأمصار؟! ... و كيف لا يتنافى ذلك مع اضطهادهم الأئمة، أئمة أهل البيت، و شيعتهم و مواليهم؟!، و محاولاتهم تصغير شأنهم، و طمس ذكرهم?!.

### سر اهتمام الخلفاء بأهل العلم:

و للإجابة على هذا السؤال نقول: إن سر اضطهادهم لأهل البيت (ع) يعود: أولاً- إلى أن الحق في الحكم كان لأهل البيت، من كل جهة، فالقضاء عليهم معناه القضاء على ذلك الحق، و تكريس الامور لهم، و فى صالحهم ... و ثانياً: إلى أن الأئمة عليهم السلام ما كانوا يؤيدون أولئك الحكام، و لا يرضون عن أعمالهم، و سلوكهم الذي كان يتنافى مع مبادئ الاسلام و تعاليمه ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٤٠٦

و ثالثاً: إلى أن الأئمة عليهم السلام بسلوهم المثالى، و بشخصياتهم الفذة كانوا يشكلون أكبر مصدر للخطر عليهم، و على حكمهم ذاك غير الأصيل ...

إلى غير ذلك من أمور يمكن استخلاصها من الفصول الاولى من الكتاب ...

و أما السبب فى تشجيعهم- فى تلك الحقبة من الزمن للعلم و العلماء فإنه يعود إلى أهداف سياسية معينة، و فى الحدود التي كانت لا تشكل عليهم خطراً فى الحكم؛ لأن الحكم كان فى نظرهم هو كل شىء، و ليس قبله و لا بعده شىء، و كل ما فى الوجود يجب أن يكون من أجله، و فى خدمته، حتى العلماء و المفكرون ...

و لم يكن جمعهم للعلماء من حولهم، و الاتيان بهم من كل حذب و صوب، إلا:

١- ليكون أولئك العلماء، الذين يمثلون الطليعة الواعية فى الامه تحت نظرهم، و سيطرتهم ...

٢- ليتمكنوا بواسطتهم من تنفيذ الكثير من مخططاتهم، و الوصول إلى كثير من مآربهم، كما تشهد به الأحداث التاريخية الكثيرة ...

٣- ليظهوروا للناس بمظهر المحبين للعلم والعلماء؛ ليقوى مركزهم فى نفوسهم، و تتأكد ثقتهم بهم؛ إذ كان لا بد لهم، بعد أن تركوا أهل البيت عليهم السلام، من الاستعاضة عنهم بغيرهم، و دفع شكوك و شبهات الناس عن أنفسهم ...

٤- محاولة التشويش بذلك على أهل البيت عليهم السلام، و طمس ذكرهم، و اخفاء أمرهم، ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ... و لكن ...

يأبى الله إلا أن يتم نوره ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٤٠٧

### و يتفرع على ما سبق:

و إذا تحقق لدينا أنهم إنما كانوا يقدرّون العلم و العلماء لاهداف سياسية معينة كما أوضحنا ... فلسوف لا نستغرب إذا رأينا: أنهم كانوا إذا شعروا بالخطر يتهدهدهم من قبل أية شخصية، و لو كانت علمية، لا يترددون فى القضاء عليها، و التخلص منها، بأى وسيلة كانت ...

قال أحمد أمين: إن المنصور كان «يقرب المعتزلة إذا شاء، و يقرب المحدثين و الفقهاء، ما لم تقض تعاليم أحدهم بشىء يمس سلطانه؛ فهناك التنكيل ...» «١».

و قال السيد أمير على: «... كان خلفاء بنى العباس يسحقون كل اختلاف معهم فى رأى بصرامه. و حتى الفقهاء المعاصرون كانوا عرضة للعقاب؛ إذا تجرؤوا على الافصاح عن رأى لا يتفق و مصلحة الحاكمين ...» «٢» ...

و لقد رأينا المنصور يدس السم لأبى حنيفة، و يضيق على الإمام الصادق- الذى لم يبايع لمحمد بن عبد الله العلوى-، و ضيق على من تلاه من ذريته، و لاحق تلامذته و محبيه ...

لكنه لم يقتل عمرو بن عبيد، و لا أهانه بل مدحه بقوله:

كلكم يطلب صيد غير عمرو بن عبيد ...

رغم أن عمرا هذا كان قد بايع لمحمد بن عبد الله العلوى، و رغم أن مذهبه يفرض عليه الخروج على النظام؛ لأن من أصول المعتزلة الخمسة،

(١) ضحى الإسلام ج ٣ ص ٢٠٢، و لا بأس أيضا بمراجعة ج ٢ ص ٤٦ و ٤٧.

(٢) روح الاسلام ص ٣٠٢.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٤٠٨

التي يكون الانسان بها معتزليا هو: الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، و عملا بهذا الأصل كان عمرو هذا قد خرج مع يزيد الناقص سنة ١٢٦ هـ.

على الوليد بن يزيد- لم يفعل المنصور مع ابن عبيد إلا- كل ما يقتضى الاجلال و التكریم بخلاف ما فعله مع أولئك- لأن عمرا- بخلافهم- قد تخلى عن مذهبه، و مالا النظام، و كان المنصور، و من تبعه من الخلفاء يستفيدون منه، و من أضرابه، و لم يروا بأسا فى مبايعته لمحمد لكنهم لما لم يكونوا يستفيدون من أولئك نكلوا بهم، و فعلوا بهم الافاعيل رغم امتناعهم عن مبايعه محمد ... و إلا فما قيمة عمرو هذا عند واحد من تلامذة الصادق، كزرارة، و هشام، و محمد بن مسلم، و أضرابهم «١» ...

قلنا: إن الحكام كانوا يريدون- لسبب أو لآخر- اخفاء كل الحقائق التي ترتبط بالأئمة عليهم السلام، أو تشويهما؛ فكان لهم ما أرادوا على أيدي حفنة ممن يطلق عليهم اسم: «علماء»، فتلاعبوا، و دسوا، و شوهوا ما شاءت لهم قرائحهم، و أوحاه لهم تعصبهم المذهبي المقيت ...

و لعلنا لا نعدو الحقيقة إذا قلنا: إن ابن الأثير، و الطبري،

(١) يرى البعض: أن الخلفاء كانوا يحاولون القاء أسباب النزاع بين العلماء؛ بهدف صرفهم عن واقع الامة، و عما يجرى و يحدث في مخادع الخلفاء، و داخل قصورهم. و لعل ذلك هو السر في عنايتهم بالترجمة، و إدخال الثقافات الغربية إلى البلاد الاسلامية ... و لذا رأينا الكثيرين من المؤرخين غير راضين عن أعمال الترجمة تلك كالمقريزي في النزاع و التخاصم ص ٥٥، و غيره ... و لكل ما ذكرنا شواهد تاريخية كثيرة، ليس هنا محل ذكرها، و لعلنا نوفق لذلك في مجال آخر ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ٤٠٩

و أبو الفداء، و ابن العبري، و اليافعي و ابن خلكان ... كانوا من أولئك الذين ظلموا الحقيقة و التاريخ، بل و أنفسهم، عند ما أرخوا للامة الاسلامية، و كتبوا في أحوالها، و أوضاعها السالفة، دون أن يراعوا الانصاف و الحيدة فيما أرخوا، و فيما كتبوا ... و لعل من جملة سقطات هؤلاء الشيعة، التي لم يخف على أحد تعصبهم فيها، و انقيادهم للحكام، و الهوى الأعمى في بيانها، قضية: «كيفية وفاة الإمام الرضا (ع) ...»؛ حيث ذكروا: أن سبب وفاته (ع) هو أنه: «أكل عنبا؛ فأكثر منه؛ فمات ...» (١). و كأن ابن خلدون، الاموي النزعة، يريد أن يتابعهم في ذلك؛ حيث قال في تاريخه: «و لما نزل المأمون مدينه طوس، مات على الرضا فجأة، آخر صفر من سنة ثلاث و مائتين، من عنب أكله ...» (٢).

و لعله نسي ما ذكره هو نفسه من ثورة ابراهيم بن موسى على المأمون لاتهامه اياه بقتل أخيه. كما سيأتي.

### ما عشت أراك الدهر عجا:

و هو كلام عجيب حقا:

فهل يعقل و يتصور أن يصدر هذا العمل من أي إنسان عادي، فضلا عن الإمام، الذي شهد بعلمه، و حكمته، و زهده، كل من عرفه، و كل من أتى من المؤرخين على ذكره؟!.

(١) الكامل ج ٥ ص ١٥٠، و الطبري ج ١١ ص ١٠٣٠، و تاريخ أبو الفداء ج ٢ ص ٢٣، و مختصر تاريخ الدول ص ١٣٤، و مرآة الجنان ج ٢ ص ١٢، و وفيات الأعيان طبع سنة ١٣١٠ هـ ج ١ ص ٣٢١. لكن بعضهم قد حكى سمه بلفظ: قيل ... (٢) تاريخ ابن خلدون ج ٣ ص ٢٥٠.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ٤١٠

أفهل يمكن أن يسمح أحد لنفسه أن يصدق بأن شخصا عاقلا، و حكيما، كالإمام (ع)، يسمح لنفسه بالاقدام على الانتحار من كثرة الأكل؟!.

و هل عرف عن الإمام في سابق عهده: أنه كان اكلولا، أو نهما إلى هذا الحد؟!، أي إلى حد أنه ينتهي به ذلك إلى قتل نفسه؟! ... أم أن الزهد و التقوى و العلم، فضلا عن العقل و الحكمة ... تقضى و تحتم عليه أن يأكل هذا المقدار الهائل، الذي من شأنه أن يؤدي بحياته؟!.

أم أن الإمام (ع) قد نسي ما كتبه في رسالته الذهبية، التي كتبها للمأمون، و التي هي من أشهر و أجمل الوثائق الماثورة عنه؟! ...

أم أنه (ع) لم يكن قد رأى العنب في حياته؛ فأراد أن يغتنم هذه الفرصة الذهبية، لينال أكبر قدر تصل إليه يده؟! ... لا ... لا هذا، ولا ذاك، ولا ذلك ...

و إنما العصبية المذهبية، والهوى الأعمى ... هما اللذان فرضا على الإمام (ع) أن يأكل العنب، ويكثر منه، ويموت هذه الميتة ... حتى ولو لم يقبل بها العقل، ويصدق بها الوجدان ...

إن الإمام (ع) لو كان هو الحاكم، والمتسلط لم يمت هذه الميتة، بل كان مات على حسب ما اشتهى، وبالكيفية التي أراد ... دعك من هؤلاء وأمثالهم؛ فإنني لا أرى: أن كلاما كهذا يستحق من العناية أكثر من ذلك ... بل لا أرى أنه يستحق شيئا من العناية على الإطلاق ...

دعك منه ... و ذره لأهله في سنبله!! ...

و تعال معي لننظر الى ما يقوله الآخرون، ممن أرحو للامة، و تحدثوا عن ماضيها؛ فقد نجد في كلامهم ما ينقع الغلة، و يشفى الغليل ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٤١١

### قول فريق آخر من المؤرخين:

و إننا بعد القاء نظرة سريعة و عابرة على أقوال المؤرخين في هذا المجال، نستطيع أن نلاحظ: إلى أى حد اضطربت كلماتهم في هذه القضية، و تباينت اتجاهاتهم ...  
فعدا عن أولئك القلة الذين تحدثنا عنهم آنفا نرى:

فريقا ثانيا قد أوردوا خبر وفاته مجردا عن بيان السبب، ثم سكتوا، أو عقبوا ذلك بقولهم: «وقيل: إنه مات مسموما» و من هؤلاء اليعقوبى فى تاريخه ج ٣ ص ٨٠. و إن كان يظهر من عبارته اختيار مسموميته، و ابن العماد فى شذرات الذهب، و غيرهم. و لعل هؤلاء ممن جازت عليهم لعبة المأمون، و انطلت عليهم حيلته، و أقنعتهم الحجج الواهية الآتية التى يسوقها الفريق القائل ببراءة المأمون من دم الرضا (ع) ... أو لعلهم لم يكونوا بصدد بحث هذا الأمر و تمحيصه ...  
أو لأنهم لم يستطيعوا أن يصدعوا بالحقيقة؛ لما كانوا يخشونه من سطوة الحكام، و بطشهم. و لم يريدوا أن يحرفوا الكلم عن مواضعه، فأثروا السكوت، و اهمال ذلك، على أمل أن يقيض الله من يصدع بالحق و يكشف عن الواقع ... إلى غير ذلك من الاحتمالات، التى قد يجد بعضها شواهد تاريخية كثيرة ...

### رأى فريق ثالث فى ذلك:

و هناك فريق آخر يرى أنه (ع) مات مسموما، و أن الذى دس إليه السم هم العباسيون ... و هذا هو رأى السيد أمير على، و أشار إليه الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٤١٢  
أحمد أمين «١» أيضا ...

و هذا رأى ليس له أى شاهد أو سند تاريخى إلا ما نقل عن الاربلى انه قال: «فلما رأوا أن الخلافة قد خرجت إلى أولاد على، سقوا على بن موسى سما؛ فتوفى بطوس فى رمضان» «٢». و هو عدا عن أنه كلام مبهم؛ فإن، الشواهد كلها على خلافه ... كما قدمنا و سيأتى ...

ولذا فهو لا يحتاج إلى كبير عناء فى رده و تفنيده ...

## ورأى آخر يقول:

إنه (ع) مات مسموماً من قبل المأمون، ولكن بإشارة الفضل، و اغرائه. و نرى نحن بدورنا: أن المأمون لم يكن بحاجة إلى حث و اغراء، بعد أن كان يرى أن وجود الإمام (ع) يشكل خطراً محققاً عليه، و على كل بنى أبيه من بعده. و نحن- و إن كنا لا نستبعد أن يكون هذا الرأي قد جاء بدافع من حب تبرئة المأمون- السلطة- إلا أننا لا نضايق في أن الفضل، الذى قتل قبل الإمام (ع) بمدة!!! كان من الراغبين فى التخلص من الإمام، و لا سيما إذا لاحظنا: أنه كان يشكل عقبة كبرى فى طريق نفوذه و قوته و سلطانه ... و لكننا لا نوافق على أن المأمون كان لا يريد ذلك، و إنما فعله استجابة لرغبة الفضل، الذى كان قد قتل قبل ذلك بزمان!!! ...

(١) روح الاسلام للسيد أمير على ص ٣١١، ٣١٢. و أما أحمد أمين فقد أشار إليه فى عبارته الآتية عما قريب بقوله: «فان كان حقا قد سم، يكون سمه أحد غير المأمون؛ من دعاة البيت العباسي».

(٢) الامام الرضا ولى عهد المأمون ص ١٠٢، عن خلاصة الذهب المسبوك ص ١٤٢.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٤١٣

و قد تحدثنا فى فصل: أسباب البيعة لدى الآخرين، و غيره من الفصول، و سيأتى الحديث بما فيه الكفاية إن شاء الله تعالى ...

## ورأى فريق خامس يقول:

إنه (ع) قد مات حتف أنفه، و لا يقبل أبداً بأنه (ع) مات مسموماً، و يورد لذلك الحجج و البراهين التى رأى أنها كافية للدلالة على أنه (ع) لم يمت مسموماً.

و نذكر من هؤلاء سبط ابن الجوزى، حيث قال- بعد أن أورد خبر وفاته، و حكى القيل بأنه دخل الحمام ثم خرج، فقدم له طبق فيه عنب قد أدخلت فيه الابر المسمومة، من غير أن يظهر أثرها، فأكله، فمات- قال بعد ذلك: «و زعم قوم: أن المأمون سمه، و ليس بصحيح؛ فإنه لما مات على توجع له المأمون، و أظهر الحزن عليه، و بقى أياماً لا يأكل طعاماً، و لا يشرب شراباً» ١، و هجر اللذات إلخ ...» ٢.

لكن عبارة سبط ابن الجوزى هذه تقتضى أنه ينكر أن يكون المأمون هو الذى سمه، و لا- ينكر أن يكون (ع) قد مات بسم غير المأمون.

و قد تابعه الاربلى فى كشف الغمة على ذلك، محتجاً بعين ما احتج به، و أضاف إلى ذلك: أن سمه إياه يتنافى مع اكرامه له، و أنه كان ينه على علم الرضا، و شرف نفسه و بيته إلخ ...

(١) فى تاريخ اليعقوبى ج ٣ ص ٨١: أن المأمون بقى ثلاثة أيام مقيماً عند قبر الرضا (ع)، يؤتى كل يوم برغيف و ملح؛ فياًأكله. ثم انصرف فى اليوم الرابع.

(٢) تذكرة الخواص ص ٣٥٥.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٤١٤

و أما أحمد أمين فيقول: إن ذلك بعيد؛ لأن المؤرخين «يروون حزن المأمون الشديد عليه، كما يروون أن المأمون بعد موته، و بعد انتقاله إلى بغداد ظل يلبس الخضرة ... إلى أن قال: فإن كان حقا قد سم، يكون قد سمه أحد غير المأمون، من دعاة البيت العباسى ...» ثم استشهد لذلك أيضا بمناظرة المأمون للعلماء فى تفضيل الإمام على (ع)، و التى ذكرها ابن عبد ربه فى العقد الفريد، و بأنه ظل



يظهر العطف على العلويين، رغم كثرة خروجهم عليه (١).

وصاحب كتاب عصر المأمون يستند في استبعاده لذلك إلى تلك الرعاية التي أظهرها المأمون له، وذلك الاحترام والتقدير، الذي كان يحيطه به، وخصوصا بعد أن توثقت عرى المودة بينهما بالمصاهرة... ويضيف إلى ذلك أيضا: أن نفسية المأمون، وخلقته، يأيان- على زعمه- عليه ذلك ...

و عقد ولاية العهد له من بعده هو عند هؤلاء الدليل القاطع على حسن نية المأمون، و سلامه طويته ...

و الدكتور أحمد محمود صبحي يرى: أن قضية مسمومية الرضا (ع) هي من مختلقات الشيعة «الذين لم يجدوا تناقضا بين الحظوة التي كان ينالها من المأمون، ثم مبايعته له بولاية العهد، و تزويجه أخته (٢)»، و بين أن يدس له المأمون السم في العنب، ثم يصلى عليه، و يدفنه بجوار قبر أبيه الرشيد؛ فقد أصبح مقدرًا على الأئمة منذ الحسن: أن يكون قاتلوهم هم: الخلفاء، أو بإيعاز منهم... (٣).

(١) ضحى الإسلام ج ٣ ص ٢٩٥، ٢٩٦.

(٢) قد اتفق المؤرخون تقريبا على أن المأمون قد زوج للرضا عليه السلام «ابنته» و ليس اخته.

و لم يذكر أنها اخته إلا شاذ منهم لا يعتد به، و هو الذي يتشبه به الدكتور هنا، و لعله لأنهم رأوا عدم انسجام سن الامام مع سن ابنته آثروا أن يجعلوها اخته... و أيا كانت الحقيقة فان مقصود المأمون هنا حاصل ...

(٣) نظرية الإمامة ص ٣٨٧.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العامل، ص: ٤١٥.

هذه هي الحجج، التي حاول هؤلاء إقامتها على صحة ما ذهبوا إليه، من براءة المأمون من دم الامام (ع).

### ملخص ما سبق:

و من أجل التسهيل على القارئ نعود فنوجز ما ذكره من الأدلة في النقاط التالية:

- ١- عقده له ولاية العهد من بعده ...
- ٢- إكرامه و تقديره له، و تنبيهه على شرفه، و علمه و فضله، و بيته.
- ٣- تزويجه ابنته، الأمر الذي كان سببا في توثيق عرى المودة بينهما.
- ٤- احتجاجه على العلماء في تفضيل على (ع) على جميع الخلق ...
- ٥- إظهاره الحزن و التوجع لوفاته، و هجره الطعام و الشراب، و اللذات لذلك.
- ٦- دفنه له بجوار أبيه الرشيد، و صلاته عليه ...
- ٧- بقاءه بعد وفاته على لباس الخضرة حتى دخل بغداد ...
- ٨- إنه ظل يظهر العطف على العلويين رغم كثرة خروجهم عليه ...
- ٩- إن نفسية المأمون و خلقه يأيان عليه ذلك ...
- ١٠- إن ذلك من مختلقات الشيعة؛ حيث كتب على أئمتهم بعد الحسن أن يموتوا بسم الخلفاء، أو بإيعاز منهم ...

### آفة ذلك: هل هو الجهل، أم التعصب:

هذا ملخص أدلة ما ذهبوا إليه من عدم دس المأمون السم للإمام (ع)، و نحسب أن هؤلاء: إما أنهم لم يطلعوا على الحقائق اطلاعا

كافيا، يخولهم

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٤١٦

إصدار أحكام صائبة، فى قضايا هى من أكثر المسائل التاريخية تعقيدا، بل وغموضا وابهاما، كقضية حقيقة ظروف و علاقات المأمون بالرضا؛ فحكموا على الامور حكما سطحيا، لا يلبث أن ينهزم أمام المنطق السليم و النظر الصائب. و إما أنهم جروا على ديدن أسلافهم فى التعصب على الأئمة (ع)، و المجاراة لأهوائهم، و لخلفائهم فى طمس معالم الحقيقة، التى كان يضر أولئك الخلفاء أكثر من غيرهم إظهارها، و معرفة الناس لها ...

**نحن ... و ما يقوله هؤلاء:**

إن كل ما ذكره هؤلاء لا يمكن أن يمنع المأمون من التدبير فى الإمام بما يحسم عنه مواد بلائه ... كما دبر من قبل بوزيره الفضل بن سهل، الذى أراد أن يزوجه ابنته، و كما دبر فى قائده الكبير هرثمة بن أعين، الذى قتله فور وصوله إلى مرو، دون أن يستمع لشكواه، أو يصغى إلى دفاعه عن نفسه «١»، و كما دبر فيما بعد بطاهر و أبنائه «٢» و غيرهم،

(١) هكذا ذكر بعض المؤرخين. و قال ابن خلدون فى تاريخه ج ٣ ص ٢٤٥ و ٢٤٩: إنه حبس، ثم دس عليه المأمون من قتله ... و فى معارف ابن قتيبة ص ١٣٣ طبع سنة ١٣٠٠ هـ.

قال: «... فلما سمع حاتم بن هرثمة ما صنع أبوه كاتب الأحرار هناك، و الملوك، و دعاهم إلى الخلاف؛ فبينما هو على ذلك أتاه الموت؛ فيقال: إن سبب خروج بابك كان ذلك ...».

و من يدري فعل المأمون قد دبر بحاتم بما يحسم عنه مواد بلائه ... كما دبر فى الكثيرين قبله و بعده ...

و فى البداية و النهاية ج ١٠ ص ٢٤٦: أن أهل بغداد ثاروا، و أعلنوا العصيان بسبب قتل هرثمة. هذا ... و يقال: إن الفضل بن سهل قد عمل على قتل هرثمة. و لا بأس بمراجعة تاريخ ابن الوردي ج ١ ص ٢٨٩، و غيره ...

(٢) فى البداية و النهاية ج ١٠ ص ٢٦٠، و مرآة الجنان ج ٢ ص ٣٦، و وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٣٧، طبع سنة ١٣١٠: إن سبب وفاة طاهر هو أن المأمون عند ما ولاه

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٤١٧

و غيرهم، ممن كان يخلتهم واحدا فواحدا- على حد تعبير عبد الله بن موسى فى رسالته له- سواء من العلويين أو من غيرهم ...

مع أن هؤلاء كانوا وزراءه و قواده، و لهم من الفضل عليه، و على دولته ما لا يمكن أن يخفى على أحد؛ فإنهم هم الذين وطدوا له دعائم حكمه، و بسطوا نفوذه و سلطانه على البلاد، و أذلوا له العباد، و قامت دولته بأسياهم، و على أكتافهم ...

لقد ختلهم واحدا فواحدا ... مع أنه كان يظهر لهم من الحب و التقدير ما لا يقل عما كان يظهره للإمام ... و حسبنا أن نذكر هنا: أنه قتل أخاه و عمل برأسه ما تقدمت الإشارة إليه من أجل الملك و السلطان فكيف لا يقتل الرضا من أجل الملك و السلطان، أيضا ... ثم يتستر على فعلته بتلك الظواهر التى لا- تضره؟! أم يعقل أن يكون الرضا أعز من هؤلاء جميعا ... و حتى أعز عليه من أخيه الذى قتله؟! ...

و أما تظاهرة بالحزن و الاسى لوفاء الامام (ع) إلخ ... فما أدرى إن كان هؤلاء يريدون من ذلك الأفعى الداهية: أن يظهر الفرح و الاستبشار بموت الامام (ع)!!

و هل نسوا أنه قتل الفضل ثم تظاهر بالحزن العظيم عليه «١» و تتبع قتله

خراسان، أهده غلاما ليخدمه، و دفع إليه سما لا يطاق، فسمه الخادم في كامخ، فمات من ليلته. و في الفخرى في الآداب السلطانية ص ٢٢٤: أن الذي أهده الغلام هو أحمد ابن أبي خالد وزير المأمون، ليقتله إذا فارق الطاعة؛ فقتله بأمر من المأمون ... و في تاريخ اليعقوبى ج ٣ ص ١٩٢: أن المأمون تأمر عليه فقتله ... و المؤرخون متفقون على أن المأمون كان يضم له الشر و الخيانة ... و النتيجة هي: أن طاهرا يموت - بتدبير من المأمون بهذه الكيفية الغامضة، و يبقى المأمون نفسه بعيدا عن الشكوك و الشبهات.

(١) التاريخ الاسلامى و الحضارة الاسلاميه ج ٣ ص ٣٢٢، و مآثر الانافه ج ١ ص ٢١١.

و قد تكلمنا عن كيفية قتل الفضل في ما تقدم فلا نعيد ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٤١٨

و قتلهم. و أرسل رءوسهم إلى أخيه الحسن بن سهل، ثم تزوج ابنة الحسن هذا؟! و لكنه عاد فغض من الحسن بن سهل حينما ظفر براهيم ابن شكلة، و أسقطه و حجبه و عزله عما كان في يده «١».

و قتل طاهرا ثم أرسل يحيى بن اكثم إلى الرقة، لينوب عنه في تقديم التعازى، لولده عبد الله، ثم ولى أبناءه مكانه، ثم غدر بهم واحدا بعد الآخر...؟! «٢».

و قتل محمد بن جعفر، ثم جاء و جمل نعشه، و قال: إن هذه رحم مجفوة منذ مأتى سنة؟! ...

و غيرهم و غيرهم، ممن لا- مجال هنا لتتبع أسمائهم و أحوالهم ... أما مواقفه و تصريحاته عند وفاة الإمام، فالظاهر أنهم لم يقيموا لها وزنا، و لا أعارها أى منهم أذنا صاغية، أو قلبا واعيا؟! ...

و كيف يتفق كل ما ذكرناه- و خصوصا ما فعله مع أخيه حيا، أو ميتا، و تخريبه بغداد، و أيضا قتله لسبعة من أخوة الإمام و اضطهاده للعلويين كما سنبينه، و كتابه للسرى عامله على مصر يأمره فيه بغسل المنابر إلخ ... كيف يتفق كل ذلك، و سائر أفاعيله التى قدمنا شطرا منها مع خلق المأمون و نفسيته؟! ... و لا يتفق قتله الإمام (ع) مع نفسيته و خلقه الكريم؟! و هل قتل أولئك مع إظهار المحبة و الاكرام لهم

(١) لطف التدبير ص ١٦٦.

(٢) و لقد كان يؤكده براءته من تلك الجرائم بأساليب مختلفة اخرى، و يرضى جميع الأطراف، فهو يرضى العباسيين بقتل الرضا. و يرضى العلويين باستقدام الجواد- ولد الرضا- من المدينة، و إكرامه إياه. و يقتل الفضل، و يرضى الحسن أخاه، بما ذكرنا، و يقتل طاهرا، و يرضى أبناءه بتوليتهم مكانه، و يبقى يستعين بهم طيلة فترة حكمه تقريبا ...

حيث يغدر بهم واحدا واحدا كما ذكرنا، و على هذه فقس ما سواها مما يدل على مدى حنكة المأمون و دهائه السياسى ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٤١٩

لا يتنافى مع نفسيته و خلقه الكريم؛ و يتنافى قتل الإمام مع الاكرام و المحبة له و للعلويين مع نفسيته و خلقه الكريم أيضا؟! ...

و أيضا هل بعد كل ذلك، يمكن أن يقال: إن مصاهرته للإمام تمنعه من الغدر به، و دس السم إليه؟! و لقد بينا في فصل: ظروف البيعة بعض أهدافه من تزويجه، و تزويج ولده الجواد، و تزويج الفضل أيضا ... و تحدثنا أيضا عن السبب فى لباسه الخضرة، و دوافع ولاية العهد، و غير ذلك من أمور.

بل نجرؤ على القول هنا: إن المأمون قد اكره الامام (ع) على هكذا زواج؛ إذ كيف يمكن أن نتصور رجلا حكيما عاقلا، زاهدا فى الدنيا ... يقدم و يرغب فى زواج طفلة و من هى بالنسبة إليه بمنزلة حفيدته، بل أصغر؛ حيث كان يكبرها بحوالى أربعين سنة ... ثم لا يكون هناك سرّ آخر يكمن وراء مثل هكذا زواج؟!، إلا- أن يدعى هؤلاء: أن ذلك يتفق مع العقل و الحكمة، و ينسجم مع زهد الامام فى الدنيا، و انصرافه عنها ...

و إذا كان ثمة سرّ آخر يكمن وراء ذلك الزواج، فإن ما تجدر الإشارة إليه هنا هو أنه (ع) لم يكن يستطيع التصريح بحقيقة الأمر، و واقع القضية إلى آخر ما قدمناه في فصل: ظروف البيعة.

و أما قوله بتفضيل علي (ع) على جميع الخلق ... فإننا إن لم نقل:

أنه كان من ضمن المخطط، الذي كان قد رسمه للوصول إلى مآربه و أهدافه - كما اتضح في فصل ظروف البيعة ... فإننا - ونحن نرى تباين مواقفه و تصريحاته - نرى أنفسنا مضطرين إلى القول: بأنه لم يكن ينطلق في مواقفه السياسية من مواقف عقائدية ... و أما إكرامه للعلويين ... فقد تقدم تصريحه في كتابه للعباسيين: بأن ذلك ما كان منه إلا سياسة و دهاء ... و تقدم أنه بعد وفاة الرضا (ع)

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ٤٢٠

قد أخذهم بلبس السواد، و منعهم من الدخول عليه ... و أنه كان يختلهم واحدا فواحدا حسب ما كتب إليه عبد الله بن موسى. و سيأتي بيان أنه قتل سبعة من إخوة الإمام (ع) ... و أنه أمر الولاة و الحكام بالقبض على كل علوى ... و أما ما ذكره أحمد أمين: من كثرة خروج العلويين عليه ...

فإننا لم نجد، و لم نسمع ذكرا في التاريخ لثورة قامت ضد المأمون، بعد وفاة الرضا (ع) إلا ثورة عبد الرحمن بن أحمد في اليمن، و التي كانت باتفاق المؤرخين بسبب جور العمال، و ظلمهم ... و سوى ثورة إخوة الإمام الرضا (ع) طلبا بثأر أخيهم كما سيأتي ... و لم يبق ثمة إلا نسبة فكرة اغتيال الرضا (ع) إلى الشيعة ... و أنهم انما اختلقوها و ابتدعوها بدافع من الشعور بالحاجة إلى مثل هذه التزويرات؛ إذ قد كتب إلخ ...

فهى دعوى تكذبها جميع الشواهد و الدلائل التاريخية ... هذا بالإضافة إلى أن السنة قد اتهموا المأمون بهذه التهمة، قبل اتهام الشيعة له بها، و الشيعة إنما يعتمدون فى ذلك على كتب أهل السنة، التي استفاضت فى اتهام المأمون بذلك، و التي يؤيدها الكثير مما قدمناه فى هذا الكتاب، و غيره ...

و هكذا ... يتضح أن كل ما ذكره هؤلاء لا يصلح ما نعا و لا دليلا على أن المأمون لم يكن وراء استشهاد الإمام (ع) ... بل جميع الدلائل و الشواهد متضافرة على خلاف ذلك حسبما فصلناه فى الفصلين المتقدمين و غيرهما، و لو لا أن تعداد مواقف المأمون مع الإمام و تصريحاته يستلزم تكرارا نربأ بالقارئ الفطن أن يضطرنا إليه ... لا استطعنا أن نحشد الكثير الكثير من الدلائل و الشواهد، التي تؤكد سوء نية المأمون، و خبث طويته تجاه الإمام (ع) ... فما استند إليه هؤلاء فى حكمهم ذاك،

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ٤٢١

لا يصلح للاستناد إليه، و لا للاعتماد عليه، و إن صيغ عبارات منمقة، و أساليب مختلفة، فيها الاغراق و المبالغة أحيانا، و يبدو عليها الاتزان و الموضوعية أحيانا أخرى ...

### و بعد ... فعلى المكابر: أن يجيب على السؤال التالي:

و إلا ... فإننا نرى: أن لنا كل الحق فى توجيه السؤال التالى إلى كل من يكابر، و يصبر على براءة المأمون، و حسن نيته، و السؤال هو: إنه إذا كان قد عرض ولاية العهد. بعد وفاة الرضا (ع) على عبد الله بن موسى؛ فلما ذا لم يجعل ولد الرضا «الجواد» وليا لعهد، مع أنه كان زوج ابنته، و ولد ولي عهد، الذى أظهر عليه الحزن و الجزع، و مع أنه كان قد اعترف له بالعلم، و الفضل و التقدم، كما اعترف لأبيه من قبل!!! ...

و لا مجال هنا للإصغاء للقول: بأن الجواد (ع) لم يكن يصلح لولاية العهد، بالنظر لصغر سنه ...، إذ أن جعله وليا للعهد لا يعنى تسليمه بالفعل أزمه الحكم و السلطان ... و قد أخذ الخلفاء، حتى أبوه الرشيد، و أخوه الأمين البيعة لمن كانوا أصغر من الجواد سنا، و لمن لم

يكن له من العقل والحكمة والدراية ما كان للجواد (ع) ...

هذا بالاضافة إلى أن صغر سنه لم يكن ليضره، بعد أن كان من أهل بيت زقوا العلم زقا، و بعد أن شهد المأمون، و اعترف له العباسيون بالعلم والفضل، بعد ذلك المجلس الذي أجاب فيه يحيى بن ائثم عن مسائله، حيث كان العباسيون قد بذلوا له الأموال الطائلة ليقطعه عن

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٤٢٢

الحجة!! «١». راجع فصل: مع بعض خطط المأمون لتعرف أهداف المأمون من هذه المناظرة ...

### رأى الفريق السادس: الرأى الحق:

و أما ذلك الفريق الذى يرى: أنه (ع) مات مسموما دون شك، و الذين أشار إليهم سبط ابن الجوزى بقوله: «و زعم قوم أن المأمون قد سمه»- أما هؤلاء، فكثيرون:

و يمكننا أن نقول: إن ذلك مما تسالم عليه الشيعة رضوان الله عليهم، ما عدا المرحوم الإربلى فى كشف الغمة، و نسب ذلك أيضا إلى السيد ابن طاوس، و إلى الشيخ المفيد قدس سره، و لكن ربما يستظهر من المفيد أنه يذهب إلى مسموميته؛ حيث ذكر أنهما- أى المأمون و الرضا- قد اكلا معا عينا، فمرض الرضا، و تمارض المأمون!! ...

و اتفاق الشيعة على ذلك لخير دليل على أنه (ع) قد قضى شهيدا؛ لأنهم هم أعرف و أخبر بأحوال ائمتهم من غيرهم، و ليس لديهم ما يوجب كتم الحقائق، أو تشويهها. فإذا ما سنحت لهم فرصة لظهارها أظهرها، دون تكتم على شىء، أو تشويه لشىء ... و من أهل السنة، و غيرهم، طائفة كبيرة من العلماء و المؤرخين، يعتقدون بأنه (ع) لم يمت حتف أنفه، أو على الأقل يرجحون ذلك، و إن لم يغين كثير منهم من فعل ذلك، أو أمر به ... و نذكر من هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر:

(١) راجع الصواعق المحرقة، و الفصول المهمة، لابن الصباغ، و ينابيع المودة للحنفى، و اثبات الوصية للمسعودى، و البحار، و اعيان الشيعة، و إحقاق الحق ج ٢ نقلا عن:

أخبار الدول للقرمانى، و نور الأبصار، و أئمة الهدى للهاشمى، و الاتحاف بحب الأشراف و مفتاح النجا فى مناقب أهل العبا إلخ ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٤٢٣

ابن حجر فى صواعقه ص ١٢٢.

و ابن الصباغ المالكى فى الفصول المهمة ص ٢٥٠ و المسعودى فى اثبات الوصية ص ٢٠٨، و فى التنبيه و الاشراف ص ٢٠٣، و مروج الذهب ج ٣ ص ٤١٧، و إن كان فى مكان آخر من مروجه قد حكى ذلك بلفظ: قيل ...

و القلقشندى فى مآثر الانافة فى معالم الخلافة ج ١ ص ٢١١.

و القندوزى الحنفى فى ينابيع المودة ص ٢٦٣، و غيرها ...

و جرجى زيدان فى تاريخ التمدن الاسلامى المجلد الثانى جزء ٤ ص ٤٤.

قال: «و فكر فى بيعته على الرضا، فأعظم أن يرجع عنها، و خاف إذا رجع أن يثور عليه أهل خراسان، فيقتلوه، فعمد إلى سياسة الفتك، فسد إليه من أطعمه عينا مسموما، فمات».

و ذكر ذلك أيضا فى آخر صفحة من كتابه: الأمين و المأمون.

و أبو بكر الخوارزمى يقول فى رسالته: «و سم على بن موسى الرضا بيد المأمون» و قد تقدم شطر كبير من هذه الرسالة ... و يؤيد قوله هذا بعض ما تقدم بالاضافة إلى عدة روايات ليس هنا محل ذكرها ...

و أحمد شلبي في: التاريخ الاسلامى و الحضارة الاسلامية ج ٣ ص ١٠٧ يقول: إن ثورة بغداد قد أرغمت المأمون على التخلص من الرضا، و خلع الخضره إلخ ...

و أبو الفرج الأصفهاني يقول في مقاتل الطالبين: «و كان المأمون عقد له على العهد من بعده، ثم دس إليه - فيما ذكر - بعد ذلك سما فمات».

و ذكر استشهاده أيضا أبو زكريا الموصلى في تاريخ الموصل ١٧١ / ٣٥٢.

الحياة السياسية للإمام الرضا (ع)، مرتضى العاملى، ص: ٤٢٤

و ابن طباطبا في الآداب السلطانية ص ٢١٨.

و الشبلنجى في نور الابصار ص ١٧٦، ١٧٧ طبع سنة ١٩٤٨ يروى ذلك أيضا.

و يروى ابن حجر عن الحاكم في تاريخ نيسابور أنه قال: «استشهد على بن موسى الرضا بسناآباد» ...

و هو نفسه ينقل عن ابن حبان أنه (ع) مات مسموما بماء الرمان «١».

و السمعاني أيضا في أنسابه ج ٦ ص ١٣٩، يذهب إلى استشهاده (ع).

و ينقل القندوزى ذلك عن محمد پارسا البخارى في كتاب فصل الخطاب.

كما و ينقله عن اليافعى؛ فراجع ص ٣٨٥ من ينابيع المودة ...

و فى خلاصة تذهيب تهذيب الكمال فى اسماء الرجال ص ٢٧٨ ينقل ذلك عن سنن ابن ماجه القزوينى ...

و ينقل ذلك أيضا عن السلامى فى كتابه الذى ألفه فى تاريخ خراسان «٢».

و عن البيهقى فى تاريخ بيهق.

و عارف تامر فى كتابه: الامامة فى الاسلام ص ١٢٥ يقول بذلك أيضا ...

و نقله فى احقاق الحق (الملحق) ج ١٢ ص ٣٤٦ فصاعدا عن:

النهانى فى جامع كرامات الأولياء ج ٢ ص ٣١١.

و عن السيد عباس بن على بن نور الدين فى نزهة المجلس ج ٢ ص ٦٥.

و عن المناوى فى الكواكب الدرية ج ١ ص ٢٥٦.

و عن ابن طلحة فى مطالب السؤل ص ٨٦ ...

(١) تهذيب التهذيب لابن حجر ج ٧ ص ٣٨٨، و أعيان الشيعة ج ٤ قسم ٢ ص ١٥٤.

(٢) راجع: البحار ج ٤٩ ص ١٤٣، و عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٦٦.

الحياة السياسية للإمام الرضا (ع)، مرتضى العاملى، ص: ٤٢٥

و عن الهاشمى الأفغانى فى كتابه: «أئمة الهدى ص ١٢٧.

و عن البدخشى فى: مفتاح النجا ص ١٨١ (مخطوط).

و عن الجوزجاني الحنفى فى: طبقات ناصرى ص ١١٣.

و ذكر ذلك أيضا صاحب كتاب عيون الحدائق ص ٣٥٧.

و أخيرا فقد قال الدكتور كامل مصطفى الشيبى فى كتابه: الصلة بين التصوف و التشيع ص ٢٢٦: «... و مات الرضا مسموما، كما يرى أكثر المؤرخين».

و هذا غيظ من فيض ... و حسبنا ما ذكرنا هنا؛ فإننا لو أردنا تتبع ما قيل حول وفاة الإمام، لاحتجنا إلى وقت طويل ...

هذا كله ... بالنسبة إلى أقوال المؤرخين ...

### صدي قتل الرضا في نفس زمن المأمون:

و أما إذا راجعنا كتب التاريخ أنفسها؛ فإننا نستطيع أن نقول: إن استشهاد الإمام (ع) بالسم على يد المأمون كان شائعا و معروفا بين الناس في ذلك الزمان، أعني: زمن المأمون نفسه، و متسالما عليه فيما بينهم ...  
فلقد تقدم في الفصل السابق: أن المأمون قد اعترف بأن الناس يتهمونه: بأنه قد اغتاله و قتله بالسم!!  
و ورد أيضا أن الخلق عند وفاة الرضا (ع) اجتمعوا و قالوا: إن هذا قتله و اغتاله - يعنون المأمون-، و اكثروا من القول و الجلبه، حتى أرسل إليهم المأمون محمد بن جعفر، عم أبي الحسن يخبرهم:  
أن أبا الحسن لا يخرج في ذلك اليوم؛ خوفا من الفتنة «١» ...

(١) مسند الامام الرضا ج ١ ص ١٣٠، و البحار ج ٤٩ ص ٢٩٩، ٣٠٠، و عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٢٤٢.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٤٢٦

كما و أن عبد الله بن موسى يصرح في رسالته التي أرسلها إلى المأمون بأنه قد بلغه ما فعله بالرضا من اطعامه العنب المسموم، و ستأتي هذه الرسالة بتمامها في أواخر هذا الكتاب ...  
و سئل أبو الصلت الهروي: «كيف طابت نفس المأمون بقتل الرضا مع إكرامه إياه و محبته له؟!». فجاء في آخر جوابه قوله: «فلما أعيته الحيلة في أمره اغتاله؛ فقتله بالسم ...» «١».

فإن هذا السؤال يكشف عن أن ذلك كان معروفا آنذاك بين الناس لكن الناس كانوا في حيرة من ذلك؛ بسبب ما كانوا يرونه من اكرام المأمون للرضا (ع) في الظاهر ...

و عن الطالقاني: «إنه كان متى ظهر للمأمون من الرضا علم و فضل، و حسن تدبير حسده على ذلك، و حقه عليه، حتى ضاق صدره منه؛ فغدر به فقتله».

بل لقد ذكر ابن خلدون: أن سبب خروج إبراهيم ابن الإمام موسى (ع) على المأمون هو أنه اتهم المأمون بقتل أخيه على الرضا (ع) «٢».

و يؤيد ذلك: أنه قد نقل الاتفاق من كل من ترجم لإبراهيم هذا على أنه مات مسموما، و أن المأمون هو الذى دس إليه السم، و قد أنشد ابن السماك الفقيه، حينما ألقده:

مات الإمام المرتضى مسموما و طوى الزمان فضائلا و علوما

قد مات بالزوراء مظلوما كما أضحى أبوه بكر بلاء مظلوما

(١) عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٢٣٩، و البحار ج ٤٩ ص ٢٩٠، و مسند الامام الرضا ج ١ ص ١٢٨، ١٢٩.

(٢) تاريخ ابن خلدون ج ٣ ص ١١٥.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٤٢٧

إلى آخر الأبيات «١» ... و إبراهيم هذا هو الذى كان قد خرج على المأمون فى اليمن قبل ذلك أيضا. كما أن المأمون قد دس السم إلى أخيه زيد ابن موسى «٢»، الذى كان قد خرج عليه قبلا بالبصرة، و إن كان اليعقوبى يذكر أن المأمون قد عفا عن زيد و إبراهيم «٣» ... لكن من الواضح أن عفوه عنهما فى الظاهر بسبب خروجهما عليه فى البصرة و اليمن، لا ينافى أنه دس إليهما السم بعد ذلك

بأعوام؛ بسبب مطالبتهما بدم أخيهما الرضا (ع).  
كما أن بعض المصادر التاريخية تذكر: أن «أحمد بن موسى» أخا الامام الرضا ... لما بلغه غدر المأمون بأخيه الرضا، و كان آنذاك في بغداد، خرج من بغداد للطلب بتأثر أخيه، و كان معه ثلاثة آلاف من العلوية. وقيل: اثنا عشر ألفا ...  
و بعد وقائع جرت بينه و بين «قتلغ خان»، الذي أمره المأمون فيهم بأمره، و الذي كان عاملا للمأمون على شيراز ... استشهد أصحابه، و استشهد هو، و أخوه «محمد العابد» أيضا «٤» ...

(١) حياة الامام موسى بن جعفر ج ٢ ص ٤٠٨، و البحار ج ٤٨ ص ٢٧٨ باختصار.  
و لكن في وفيات الأعيان ج ١ ص ٤٩١ و صفة الصفوة ج ٣ ص ١٧٧ و الكنى و الألقاب ج ١ ص ٣١٦، و مرآة الجنان ج ١ ص ٣٩٣ و الطبري في أحداث سنة ١٨٣:

أن وفاة محمد بن السماك كانت سنة ١٨٣ هـ. و أما وفاة ابراهيم فهي إما سنة ٢١٠، أو سنة ٢١٣؛ فلا يمكن أن يكون ابن السماك هو المتولى لحده، فضلا عن أن ينشد الشعر المذكور ... اللهم إلا أن يكون ابن السماك اثنين، أحدهما الفقيه، و الآخر: القصاص، أو لعل هناك تصحيف عمدي، أو عفوى من الراوى ...

(٢) البحار ج ٤٨ ص ٣١٥، و كذا هامش ص ٣٨٦ منه و شرح ميمية أبي فراس ص ١٧٨ و عمدة الطالب ص ٢٢١. و حياة الامام موسى بن جعفر.

(٣) مشاكلة الناس لزمانهم ص ٢٩.

(٤) راجع: كتاب قيام سادات علوى ص ١٦٩ (فارسي)، و أعيان الشيعة ج ١٠ من المجلد ١١ ص ٢٨٦، ٢٨٧، نقلا عن كتاب: الانساب، لمحمد بن هارون الموسوى

الحياة السياسية للامام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٤٢٨

و أيضا ... فإن شرطة المأمون قد قتلوا «هارون بن موسى» أخا الرضا؛ حيث إن هارون هذا كان فى القافلة التى كانت تقصد خراسان، و كانت تضم (٢٢) علويا، و على رأسها السيدة فاطمة أخت الرضا (ع) «١».

فأرسل المأمون إلى هذه القافلة؛ فقتل و شرد كل من فيها، و جرحوا هارون المذكور، ثم هجموا عليه و هو يتناول الطعام فقتلوه «٢». و أما زعيمة القافلة السيدة فاطمة بنت موسى (ع)؛ فيقال إنها هى الاخرى قد دس إليها السم فى ساوة؛ و لهذا لم تلبث إلا أياما قليلة و استشهدت «٣».

و آخر من يذكره المؤرخون من ضحايا المأمون: «حمزة بن موسى»، أخا الإمام (ع)؛ حيث ذكروا أنه كان من جملة من قتلهم أتباع المأمون «٤».

فيكون المأمون قد قتل ستة، بل سبعة من إخوة الإمام (ع)؛ لأنهم طالبوه بدم أخيههم، أو كادوا. و ألحق بهم ما شاء الله ممن تابعهم، أو خرج معهم ...

و يقول الكاتب الفارسي، على أكبر تشيد: «إن كثيرا من العلويين كانوا قد قصدوا خراسان، أيام تولى الإمام العهد من المأمون، لكن أكثرهم لم يصل؛ و ذلك بسبب استشهاد الإمام (ع)، و أمر المأمون الحكام، و أمراء البلاد بقتل، أو القبض على كل علوى.» «٥».

النيشابورى. و راجع أيضا: مدينة الحسين (السلسلة الثانية) ص ٩١، و البحار ج ٨ ص ٣٠٨، و حياة الامام موسى بن جعفر ج ٢ ص ٤١٣ و فرق الشيعة هامش ص ٩٧ عن بحر الأنساب ط بمبئى و غير ذلك.

(١) قيام سادات علوى ص ١٦١.



(٢) جامع الأنساب ص ٥٦، وقيام سادات علوى ص ١٦١، و حياة الامام موسى بن جعفر ج ٢.

(٣) قيام سادات علوى ص ١٦٨.

(٤) حياة الامام موسى بن جعفر ج ٢.

(٥) قيام سادات علوى ص ١٦٠.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٤٢٩

### و فى الشعر أيضا نجد ما يدل على ذلك:

بل إن دعبل المعاصر للإمام و المأمون، يرثى الإمام (ع) فيقول:

شككت: فما أدرى أمسقى شربة فأبكيك أم ريب الردى فيهون

أيا عجبا منهم: يسمونك الرضاو يلقاك منهم كلحة و غضون فدعبل لم يكن شاكا فى الأمر. بدليل البيت الثانى، أعنى قوله:

أيا عجبا منهم يسمونك إلخ ... و بدليل مرثيته الاخرى للإمام، التى يقول فيها:

لم يبق حى من الأحياء نعلمه من ذى يمان و لا بكر و لا مضر

إلا- و هم شركاء فى دمائمهم كما تشارك أيسار على جزر الى آخر الأبيات ... و مهما شككت فى شىء، فإننى لا أشك فى أن أقوال

دعبل هذه هى التى دعتهم لانهامه بالزندقة، و المروق من الدين ...

و يقول السوسى:

بأرض طوس نائى الأوطان إذ غره المأمون بالأمانى

حين سقاه السم فى الرمان «١»

و القاضى التنوخى أيضا يقول:

و مأمونكم سم الرضا بعد بيعه فآدت له شم الجبال الرواسب «٢» و أبو فراس أيضا يقول فى شافيته:

باءوا بقتل الرضا من بعد بيعته و أبصروا بعض يوم رشدهم و عموا

(١) مناقب ابن شهر آشوب ج ٤ ص ٣٧٤.

(٢) مناقب ابن شهر آشوب ج ٤ ص ٣٢٨، و فى الغدير ج ٣ ص ٣٨٠ هكذا: «تود ذرى شم الجبال إلخ...»، و لعل الصواب فيه: «تهد

ذرى إلخ...».

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٤٣٠ عصابة شقيت من بعد ما سعدت و معشر هلکوا من بعد ما سلموا

لا بيعه ردعتهم عن دمائمهم و لا يمين، و لا قبرى، و لا ذمم و هكذا ... يتضح بما لا مجال معه للشك: أن كون المأمون هو الذى اغتال

الإمام قد كان معروفا لدى الناس، و شائعا بينهم منذ ذلك الحين ...

و لا غرابة فى ذلك فلقد كان وعد حاجبه، و جمعا من العباسيين بأنه سوف يدبر فى الإمام بما يحسم عنه مواد بلائه!!.

### الإمام و آباؤه عليهم السلام يخبرون بشهادته:

و بعد كل ما تقدم ... نرى أنه لا بد لنا قبل أن نأتى على آخر هذا الفصل من الاشارة إلى أن الإمام نفسه قد أخبر أكثر من مرة بأنه

سوف يقضى شهيدا بالسم، بل لقد أخبر بذلك آباؤه الطاهرون، و غيرهم ممن عاشوا فى ذلك الزمان ...

و نستطيع أن نقسم هذه الروايات الكثيرة جدا إلى ثلاث طوائف:

١- طائفة وردت على لسان النبي (ص)، و الأئمة (ع): يخبرون فيها عن استشهاد الإمام الرضا (ع) في طوس، و هذه على ما يبدو خمسة أحاديث.

٢- طائفة وردت عن الإمام نفسه، يخبر فيها بهذا الأمر، و بأن المأمون نفسه هو الذى سوف يقدم على ذلك، و أنه سوف يدفن فى طوس إلى جنب هارون ...

و هذه الطائفة كثيرة جدا- و فى بعضها يصرح بذلك للمأمون نفسه، كما المحنا إليه- حتى إنه زاد فى قصيدة دعبل؛ من أجل تميم قصيدته قوله:

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٤٣١ و قبر بطوس يا لها من مصيبة الحت على الأحشاء بالزفريات «١» ٣- تلك الطائفة التى تشرح لنا كيفية دس السم إليه. و أنه بالجنب، أو بادخال الابر المسمومة فيه، أو بالمران، أو بهما معا، أو بغير ذلك ... و هذه الطائفة كثيرة أيضا، و قد ورد بعضها عن الإمام نفسه. و قال بعض الكتاب: إنه تتبع هذه الروايات، فوجد انها تنتهى إلى ستة أشخاص، هم:

أبو الصلت عبد السلام الهروى، و الريان بن شبيب، و هرثمة بن أعين «٢» و محمد بن الجهم، و على بن الحسين الكاتب، و عبد الله بن بشير «٣» ...

و لكننى قد راجعت بدورى هذه الروايات؛ فوجدت: أن عددا آخر غير هؤلاء قد رووا ذلك أيضا ...

### و حتى الزيارة تؤكد على استشاده (ع):

و أخيرا ... فقد ورد فى الزيارة الجوادية قول الامام الجواد (ع):

(١) ينابيع المودة ص ٤٥٤، و مناقب ابن شهر آشوب ج ٤ ص ٣٣٨، و البحار ج ٤٩ ص ٢٣٩، و عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٢٦٣، ٢٦٤. (٢) لم يكن هرثمة حيا حين وفاة الامام، لأنه بعد مقتل أبى السرايا ذهب إلى مرو، فلم يمهله المأمون، و تخلص منه بعد أيام قلائل من وصوله، فروايته لكيفية وفاة الامام عليه السلام لا تصح، إلا أن يكون هرثمة اثنين ... هذا و يلاحظ بعض التشابه بين رواية هرثمة، و رواية أبى الصلت ... فلعل الأمر قد اشتبه على الراوى، أو أنه قد ذكر اسم هرثمة لحاجة فى نفسه قضاها ...

(٣) القائل بذلك هو على موحدى فى كتابه: ولاية عهدي امام رضا ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٤٣٢

«السلام عليك من إمام عصب، و امام نجيب، و بعيد قريب، و مسموم غريب «١» ...»

و فى كامل الزيارة لابن قولويه، و هو من الكتب المعتمدة، و الموثوقة، و غيره: قد ورد قولهم (ع) فى زيارته: «قتل الله من قتلك بالأيدى و الألسن «٢»». و فقرة أخرى فى زيارته تقول: «السلام عليك أيها الشهيد السعيد، المظلوم المقتول ... إلى أن قال: لعن الله أمة قتلتك، لعن الله أمة ظلمتك «٣»».

و أما قولهم (ع): أيها الصديق الشهيد، فهى موجودة فى غير مورد من زيارته، و فى مختلف الكتب الموردة لها.

### القمة الشامخة الخالدة:

و الآن ... و بعد أن أصبح الصبح واضحا لكل ذى عينين، و بان و ظهر ما جهد المأمون و من يدور فى فلكه فى إخفائه و طمسه- الآن- قد آن لنا أن نقول:

فليكذ المأمون كيده، و ليسع سعيه، و ليناصب جهده؛ فلقد بقى الإمام (ع)، رغم كل مؤامراته و دسائسه: قمة شامخة، لم تدنسه

الاهواء، و لم تنل منه العوادي ... و يبقى - و إلى الأبد- كعبة الزوار، و مهوى الأفئدة، من شرق الأرض و غربها ...  
أما المأمون ... فيبوء بعارها و شنارها، و يذهب إلى ... لعنة الله و التاريخ.

(١) البحار ج ١٠٢ ص ٥٣.

(٢) كامل الزيارات ص ٣١٣، و مفاتيح الجنان ص ٥٠١، و عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٢٧٠

(٣) عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٢٦٩.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ٤٣٣

## دعبل و المأمون!!:

### الموقف الجريء

جاء في أمالي الشيخ ج ١ ص ٩٨، ٩٩، و أمالي المفيد ص ٢٠٠، ٢٠١، و ط الحيدريه في النجف ص ١٩٢-١٩٣ و الاغانى ٨ ص ٥٧،  
و الغدير ج ٢ ص ٣٧٥، ٣٧٦ عنه، و عن ابن عساكر في تاريخه ج ٥ ص ٢٣٣ و أخبار شعراء الشيعة للمرزباني ص ٩٤-٩٥ ما يلي:  
عن يحيى بن أكثم، قال: إن المأمون أقدم دعبل رحمه الله، و آمنه على نفسه؛ فلما مثل بين يديه، و كنت جالسا بين يدي المأمون؛  
فقال له: أنشدني قصيدتك «الرائية»؛ فجحدها دعبل، و أنكرك معرفتها؛ فقال له: لك الأمان عليها كما آمنتك على نفسك؛ فأنشده:

تأسفت جارتى لما رأت زورى و عدت الحلم ذنبا غير مغتفر

ترجو الصبا بعد ما شابت ذوائها و قد جرت طلقا في حلبة الكبر

أجارتى: إن شيب الدهر يعلمنى ذكر المعاد، و أرضانى عن القدر

لو كنت اركن للدينا و زينتها إذن بكيت على الماضين من نفر

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ٤٣٤ أخنى الزمان على أهلى فصدعهم تصدع الشعب لاقى صدمة الحجر

بعض أقام، و بعض قد أصار به داعى المنية و الباقي على الأثر

أما المقيم: فأخشى أن يفارقنى و لست أوبه من ولى بمنظر

أصبحت أخبر عن أهلى و عن ولدى كحالم قص رؤيا بعد مدكر

لو لا تشاغل عيني بالاولى سلفوا من أهل بيت رسول الله لم أفر

و فى مواليك للحرين مشغلة من أن تبيت لمشغول على أثر

كم من ذراع لهم بالطف بائه و عارض بصعيد الترب منعفر

أمسى الحسين و مسراهم لمقتله و هم يقولون هذا سيد البشر

يا أمة السوء ما جازيت أحمد فى حسن البلاء على التنزيل و السور

خلفتموه على الأبناء حين مضى خلافة الذئب فى إنفاد ذى بقر قال يحيى: و أنفذننى المأمون فى حاجة؛ فقمتم، فعدت إليه، و قد انتهى

إلى قوله:

لم يبق حى من الأحياء نعلمه من ذى يمان، و لا بكر، و لا مضر

إلا و هم شركاء فى دمائهم كما تشارك أيسار على جزر

قتلا، و أسرا، و تخويفا و منهبة فعل الغزاة بأهل الروم و الخزر

أرى أمية معذورين إن قتلوا لا أرى لبني العباس من عذر  
 قوم قتلتم على الاسلام أو لهم حتى إذا استمكنوا جازوا على الكفر  
 أبناء حرب، و مروان، و أسرتهم بنو معيط، ولاء الحقد و الوغر  
 اربع بطوس على قبر الزكى بها إن كنت تربح من دين على وطر  
 الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٤٣٥ قبران فى طوس: خير الناس كلهم و قبر شرم، هذا من العبر  
 ما ينفع الرجس من قرب الزكى و لاعلى الزكى بقرب الرجس من ضرر  
 هيهات كل امرئ رهن بما كسبت له يده؛ فخذ من ذاك أو فذر قال: فضرِب المأمون بعمامته الأرض، و قال:  
 «صدقت و الله يا دعبل».  
 الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٤٣٦

### كلمة ختامية:

### و فى الختام:

فإننى أرجو أن اكون قد وفقت فى هذه الدراسة، للكشف عن الحقائق التى أريد لها أن تبقى طى الكتمان ... و أن يكون القارئ قد  
 وجد فيها ما يصح أن يكون جوابا على الاسئلة الكثيرة، التى قد يثيرها لديه هذا الحدث التاريخى الهام، الذى لم يكن طبيعيا و عاديا،  
 كسائر ما يجرى و ما يحدث ...

### الإتار من النصوص التاريخية فى الكتاب:

و لعل المطلع على هذا الكتاب يكون قد لاحظ: أننى أكثرت فيه من النصوص التاريخية، و لم يكن هدفى من ذلك إلا أن لا يجد  
 القارئ كبير عناء فى استخلاص الحقائق، بعيدا عن نزوات العاطفة، و عترات الميول ...  
 و لا شك أنه يكون قد لاحظ أيضا: أننى لم أحاول انتقاء ألفاظه، و لا صياغة جملة صياغة فنية أنيقة ... و إذا كنت مقتنعا بأن ذلك  
 من مميزاته، و حسناته؛ لاعتقادي بأن ذلك هو ما تفرضه طبيعة البحث  
 الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٤٣٧  
 الموضوعى الهادئ ... فلسوف لا أستغرب، و لا أتألم إذا كان هناك الكثيرون، ممن يعتقدون أنه عيب و نقص، كان بالامكان تجنبه،  
 و الابتعاد عنه ... و مع ذلك: فلن أجد نفسى مغبونا حين أقدم- بإخلاص- اعتذارى لهم، و طلب المسامحة، و غض النظر منهم ...

### رجاء و اعتذار:

و إذا كان يجوز لى أخيرا: أن أطلب من إخوانى الاعزاء شيئا؛ فان رجائى الأكيد من كل من يقرأ كتابى هذا: أن يتحبنى بملاحظاته، و  
 أن ينهنى لما يجده، أو يراه خطأ، أو نقصا؛ فان الإنسان- إلا من اصطفى الله- معرض للخطأ و للصواب ... و إذا كان كثيرا ما يكون له  
 فضل فيما أصاب؛ فكثيرا ما يكون له العذر أيضا فيما أخطأ ...

### شكر و تقدير:

هذا ... و لا- يسعنى هنا الا- أن أتقدم بجزيل شكرى، و عميق تقديرى لسماحة حجة الاسلام المحقق السيد مهدي الروحانى، و

لأصحاب السماحة و الفضيلة، من أساتذتي و إخواني، الذين تفضلوا بمطالعة هذا الكتاب؛ حيث كان لآرائهم الصائبة، و توجيهاتهم السديدة، و ملاحظاتهم الدقيقة أكبر الأثر على هذا الكتاب، إن في الشكل، و إن في المحتوى ...  
و أخيرا ... فإنني أتقدم أيضا بخالص شكرى، و فائق تقديرى للقارئ الكريم، الذى جعلنى مدينا له، بما منحنى من وقته، و عقله، و فكره ...

و أرجو أن أكون قد وفقت للفوز بثقته أيضا ...

و لا أطيل عليك- قارئى الكريم-؛ فقد كان الفراغ من نقله إلى

الحياة السياسية للإمام (الرضا) (ع)، مرتضى العالمى، ص: ٤٣٨

المبيضة ليلة الأحد السابع من صفر، الساعة التاسعة منها سنة ١٣٩٦ هـ.

ق. الموافق ٨ شباط سنة ١٩٧٦ م ش.

و الحمد لله، و له المنه، و صلاته و سلامه على عباده الذين اصطفى محمد و آله الطاهرين ...

نزىل قم المقدسة جعفر مرتضى الحسينى العالمى

الحياة السياسية للإمام (الرضا) (ع)، مرتضى العالمى، ص: ٤٣٩

## رسالة نقد، و جوابها

### إشارة

و بعد ... فان سماحة الأخ الجليل، و الفاضل النبيل، الشيخ عفيف النابلسى حفظه الله، قد تفضل مشكورا برسالة ... أبدى فيها رضاه و اعجاباه بالكتاب، ثم أشار فيها إلى المآخذ التالية:

١- لقد ورد فى ص ١٣٣: أن زبيدة، زوجة الرشيد، كانت تشيع ...

مع أن سلوكها، و ظروفها، و أجواءها، و أيضا تاريخ أهلها و ذويها- كل ذلك يبعدها كل البعد عن نسبة التشيع لها؛ لا بمعناه الخاص، و لا العام، الذى يعنى الوقوف مع الامام الكاظم عليه السلام ضد خصومه، و التعاطف معه، و الاستنكار للظلم ...

و إرادة الرشيد طلاقها لعله لمضايقتها له، فى محاولاتها منعه من التمتع بحسنات القصر ... و أما إحراق قبرها فهو لعدم تمييز العامة بين قبرها، و بين قبور آل بويه ...

٢- جاء فى ص ١٣٣ أيضا: أن نكبة البرامكة يقال: ان سببها هو تشيعهم للعلويين، و هذا لا يتلاءم مع موقف يحيى حينما شكأ إلى الرشيد أمر الكاظم عليه السلام، و شحن صدره غيظا على العلويين، و بالأخص على الامام الرضا عليه السلام منهم ... مع أن هذا ينافى

ما ذكر فى ص ٢٤٣ من أن البرامكة كانوا أعداء لأهل البيت عليهم السلام ...

٣- ما جاء فى هامش ص ٣٥٥ من عدم الجزم بأن الابيات، التى أولها:

ذكروا بطلعتك النبى محمدا إلخ ...

هى للبحترى، و قد كان اللازم الجزم بذلك؛ لانسجام هذه الابيات مع سائر ابيات قصيدة البحترى ... هذا بالاضافة إلى أن الشاعر يقول: (حتى انتهيت الى المصلى لابساً) و معلوم أن الامام عليه السلام لم يصل إلى المصلى، بل رجع من وسط الطريق ... الأمر الذى

يدل على أن الأبيات قد قيلت فى غير الامام عليه السلام، و قضية صلاته ...

الحياة السياسية للإمام (الرضا) (ع)، مرتضى العالمى، ص: ٤٤٠

و نستميح سماحة الأخ العذر، إذا أشرنا الى ما يلي ...

١- أما بالنسبة إلى النقطة الأولى، و هي تشيع زبيدة، فاننا نقول: إننا لربما نجدهم في كتب التاريخ يقولون عن مثل المغيرة بن شعبه، و الاشعث بن قيس و امثالهما ممن بايع عليا عليه السلام في خلافته، و كذلك كل من ناصر قضايا أهل البيت سياسيا، و بذل نفسه في سبيلها: إنه من شيعه علي عليه السلام و أهل البيت ... من دون نظر إلى سلوكه، و ميوله، و عقائده، و مذهبه ... و هذا الاطلاق كان في الصدر الأول طبعاً ... و المقصود منه: أنه من أتباع علي و أهل البيت و انصارهم ...

و إذا تجاوزت تلك المرحلة ... فاننا لا بد و أن نؤكد على الفرق بين كلمتي «شيعي»، و «تشيع» ... فان «الشيعي» في اصطلاحهم هو من كان من الامامية، أو الزيدية، أو الكيسانية، أو غيرهم من فرق الشيعة.

و كلمة: «يتشيع»، أو «فيه تشيع» يقصد منها في كتب المتقدمين من أهل السنة- كما يرى العلامة المحقق السيد مهدي الروحاني- كل من كان يحب عليا عليه السلام، و أهل بيته الطاهرين، صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين ... و نشأت هذه الكلمة على شكل تهمة و طعن؛ بتأثير من الاجهزة الحاكمة، كعناوين و المروانيين بعده، ثم كل الحكام المعادين لأهل البيت عليهم السلام؛ فكانت المحبة لأهل البيت- مجرد المحبة- تعدد عند الناس أتباع السلطة الحاكمة جريمة كبرى، و عظيمة لا تغفر ... قال الكمي رحمة الله ...

بأي كتاب أم بأية سنة ترى حبه عارا علي و تحسب

و طائفة قد كفرتنى بحبكم و طائفة قالوا مسيء و مذنب

يعيوننى من حبه و ضلالهم على حبكم، بل يسخرون و أعجب فمحبه آل الرسول كانت في دولة بنى أمية تعدد تشيعا، استبشاعا لها، و تقييحا لأمرها، ثم زالت بشاعتها في عصر بنى العباس لأمر تاريخية ذات طابع خاص، حتى كان يطلق على كل من كان من غير الشيعة كلمة «التشيع» ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٤٤١

و لأجل هذا قال ابن النديم في الفهرست: إن الامام الشافعي كان شديد التشيع، و قالوا في محمد بن جرير الطبري: فيه تشيع يسير، و موالة لا تضر ... مع أن من الواضح: انهما ليسا من الشيعة ... و هذا الاطلاق يوجد كثيرا في كتب التراجم و الرجال في مقام الجرح و التعديل ...

و على كل حال ... فان هذا الفرق بين «الشيعة» و «المتشيعه» قد خفي على سيدنا آية الله الامام شرف الدين رحمه الله؛ حيث إنه ... قد ذكر عددا ممن كان فيه «تشيع» فجعلهم من «الشيعة» ...

و لعل الذي أوقعه في الاشتباه هو أن بعض «أهل الجرح و التعديل» ممن تغلب عليه نزعة النصب، قد عد جماعة من هؤلاء «المتشيعه» من الروافض، توهينا لنزعتهم، و تسفيها لرأيهم في محبة علي عليه السلام و أهل بيته الطاهرين.

و هارون الرشيد كان ناصبيا، و قد تقدم في فصل «موقف العباسيين من العلويين» و غيره بعض مواقف و أفعاله ... فلعله لما رأى حب زوجته لأهل البيت أراد طلاقها ...

و واضح ... أن «التشيع» على النحو الذي ذكرناه، لا يتنافى، و لا يتعارض مع الاعلان عن مواقف هي ضد الجهة التي يتعاطف معها، بوحى من مصالحه المعيشية و الأمنية و نحوها ... كما أنه لا يتنافى، و لا يتعارض مع عدم الالتزام العملي بالتعاليم المذهبية، بل إنه قد يكون مستهترا عملا، و ينتهج سلوكا شادا، و بعيدا عن روح و تعاليم الدين الحنيف. و مع ذلك يدعى أنه ملتزم بدين، و منتم إلى مذهب، شأن الكثيرين من السياسيين من المعاصرين و غيرهم ... كما أنه لا ملازمة بين التشيع و بين وجوب القيام بثورة مسلحة ضد نظام الحكم القائم ... و عليه ... فتشيع زبيدة ربما يكون مقتصر على هذا التعاطف و الحب لأهل البيت، و لا يتنافى ذلك مع ما ذكره سماحة الأخ الكريم.

كما أن من البعيد جدا: أن لا يكون قبر زبيدة، أعظم عباسية في التاريخ متميزا، و معروفا لدى الناس، حتى العامة منهم ... كما أن

تعليلاً طلاقه لها بأنها:

كانت تضايقه، و تمنعه من التمتع بحسنات القصر، ما هو إلا اجتهاد في مقابل النص!! ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٤٤٢

٢- و أما البرامكة، فان ما ذكره الأخ لم يغب عن بالى وقتها، و هو صحيح مائة بالمائة ... ولكنه لا يعنى أن النص الآخر كذب محض؛ إذ ربما يكون القصد منه: ليس أنهم كانوا يتشيعون حقيقة، وإنما المراد أنه: حين رأى الرشيد نفوذهم و قوتهم، و خافهم على الملك، تعلق عليهم بذلك؛ ليقتلهم، و يتخلص منهم ...

كما أنه ليس من البعيد ... أنهم كانوا يجارون التيار، فيتظاهرون بالتشيع للعلويين؛ ليحافظوا على مكائنتهم فى العامة ... فى نفس الوقت الذى كانوا يتآمرون فىه على آل على عليه السلام، و يبغون لهم فيه الغوائل، تماما، كما كان المتوكل يكرم الهادى عليه السلام فى الظاهر، و يبغى له الغوائل فى الباطن و الشواهد التاريخية على مثل هذا كثيرة جدا ...

٣- و أما قضية الشعر ... فاننا لا نصرّ على أنه للبحرى ... و إن كنا قد اشرنا إلى أن من الجائز أن يكون البحترى قد أخذه على سبيل الاستشهاد، و التضمين؛ فان ذلك أمر شائع و معروف بين الشعراء ... كما أننى قد بينت أن من الجائز أن يكون البحترى قد صحف عمدا أو سهوا فصار: البحرى ... كما أنه قد يكون العكس هو الصحيح. و أما أنه لم يصل الى المصلى، فان للشاعر ان يدعى ذلك اذا كان الامام (ع) قد قرب منه على سبيل المبالغة.

و بعد ... فاننا نستميح الأخ الشيخ العذر، و نسأل الله له دوام التوفيق و التسديد.

جعفر مرتضى الحسينى العاملى ...

٢٢ / ١ / ١٤٠٠ هـ . ق.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٤٤٣

## وثائق هامة

### إشارة

١- رسالة الفضل بن سهل الى الامام (ع).

٢- وثيقة ولاية العهد.

٣- رسالة المأمون الى العباسيين.

٤- رسالة عبد الله بن موسى إلى المأمون.

٥- رسالة سفيان إلى هارون.

قصيدة الأمير أبى فراس الحمدانى.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٤٤٥

## رسالة الفضل بن سهل الى الامام (ع)

### هذه الرسالة:

هذه الرسالة هي التي أرسلها الفضل بن سهل إلى الامام (ع)، يطلب فيها منه القدوم، من أجل عقد ولاية العهد له ...

وقد اطلعت عليها فى وقت متأخر، و تحدثت عن بعض ما يمكن استخلاصه منها فى بعض فصول الكتاب ...

و نظرا لأهميتها ... فقد آثرت أن أجعلها مع الوثائق الهامة، ليطلع عليها القارئ بنفسه ...  
وقد أورد هذه الرسالة أبو القاسم عبد الكريم بن محمد، بن عبد الكريم الرافعي، الشافعي، القزويني، المتوفى سنة ٦٢٣ هـ. في كتابه:  
«التدوين».

و الكتاب موجود منه نسختان خطيتان: إحداهما في مكتبة «ناصرية» القسم الثاني رقم ٧٨٢ في لكنهو. و الاخرى: خطية أيضا موجودة  
في الاسكندرية ... و هناك نسختان مصورتان عنهما: إحداهما: في مكتبة دفتر تبليغات اسلامي في قم مصورة عن نسخة لكنهو، و  
الآخرى: الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ٤٤٥ هذه الرسالة: ..... ص : ٤٤٥  
مكتبة المرعشى النجفى العامة في قم مصورة في طهران عن نسخة الاسكندرية.  
الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص: ٤٤٦  
و هي في النسخة المصورة عن لكنهو موجودة في المجلد الثاني ... و في المصورة عن مكتبة الاسكندرية موجودة في ج ٤ ص ٥١. و  
نقلها عن هذه النسخة السيد المرعشى النجفى في ج ١٢ من ملحقات الإحقاق ص ٣٨١، ٣٨٢:

### نص الرسالة:

قال في التدوين: و النص لنسخة: لكنهو:  
و لما عزم المأمون على تفويض العهد إليه (أى إلى الرضا)، بسعى ذى الرئاستين الفضل بن سهل ... كتب إليه ذو الرئاستين:  
بسم الله الرحمن الرحيم:  
لعلى بن موسى الرضا، و ابن رسول الله المصطفى، المهتدى بهديه، المقتدى بفعله، الحافظ لدين الله، الخازن لوحى الله، من وليه  
الفضل ابن سهل، الذى بذل فى رد حقه إليه مهجته، و وصل ليله فيه بنهاره ...  
سلام عليك أيها المهتدى و رحمه الله و بركاته.  
فانى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو، و أسأله أن يصلى على محمد عبده و رسوله.  
أما بعد:  
فإنى أرجو أن الله قد أدى لك، و أذن لك فى ارتجاع حقتك ممن استضعفك، و أن يعظم مننه عليك، و أن يجعلك الامام الوارث.  
و يرى أعداك، و من رغب عنك، منك ما كانوا يحذرون ...  
و إن كتابى هذا عن إزماح من أمير المؤمنين، عبد الله الامام المأمون  
الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص: ٤٤٧  
و منى: على رد مظلمتك عليك، و إثبات حقوقك فى يديك، و التخلى منها إليك، على ما أسأل الله الذى وقف عليه: أن تبلغنى ما  
أكون بها أسعد العالمين، و عند الله من الفائزين، و لحق رسول الله من المؤدين.  
و لك عليه من المعاونين، حتى أبلغ فى توليتك و دولتك كلتا الحسنتين «١».  
فإذا أتاك كتابى - جعلت فداك - و أمكنك أن لا تضعه من يدك، حتى تسير إلى باب أمير المؤمنين، الذى يراك شريكا فى أمره،  
و شفيعا فى نسبه، و أولى الناس بما تحت يده ... فعلت ما أنا بخيرة الله محفوفًا، و بملائكته محفوظًا، و بكلاءته محروسًا. و إن الله  
كفيل لك بكل ما يجمع حسن العائده عليك، و صلاح الامه بك ...  
و حسبنا الله و نعم الوكيل، و السلام عليك و رحمه الله و بركاته ...  
و كتبت بخطى ...



(١) الظاهر انها: الحسينين، لأنها اقتباس من الآية الكريمة ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٤٤٨

## وثيقة ولاية العهد

### مصادر الوثيقة:

نذكر من المصادر التي أوردت هذه الوثيقة، على سبيل المثال لا الحصر:

القلقشندى فى صبح الأعشى ج ٩ من ص ٣٦٢، إلى ص ٣٦٦، و أكملها بذكر ما كتبه الرضا (ع) و الشهود فى نفس الجزء من ٣٩١ و حتى ٣٩٣، و أوردها أيضا فى مآثر الانافه فى معالم الخلافة ج ٢ من ص ٣٢٥ حتى ص ٣٣٦، و هى أيضا فى شرح ميمية أبى فراس من ٢٩٩ إلى ٣٠٣. و فى نور الابصار ١٤٢، ١٤٣، و فى البحار ج ٤٩ ص ١٤٨، إلى ١٥٣، و مسند الإمام الرضا ج ١ قسم ١ من ص ١٠٢ إلى ص ١٠٧، و الفصول المهمة لابن الصباغ ابتداء من ص ٢٩٣، و وسيلة النجاة لمحمد مبین الهندي ابتداء من ص ٣٨٧، طبع لكنهو، و رواها أيضا الكاشانى فى معادن الحكمة، و الشبراوى فى الاتحاف بحب الاشراف مختصرا و ابن شهر اشوب فى مناقب آل أبى طالب، و الاربلى فى كشف الغمة، و السيد الامين فى المجالس السنية، و أعيان الشيعة، و ابن الجوزى فى التذكرة، و ذكر الأخيران إنها قد ذكرها عامة المؤرخين. و عن التفتازانى إن الوثيقة كانت موجودة فى عهده، و الاربلى أيضا يقول

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٤٤٩

بأنها كانت موجودة فى عهده، و أنه فى سنة سبعين و ستمائة اطلع على وثيقة العهد الأصلية، و نقلها فى كتابه حرفا فحرفا ... و أشار إليها أيضا ابن الطقطقى فى الفخرى فى الآداب السلطانية.

و غير هؤلاء كثير ... و نحن نذكر الوثيقة موافقة لما فى صبح الاعشى، و مآثر الانافه، فنقول:

### نص الوثيقة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: \* هذا كتاب كتبه عبد الله بن هارون الرشيد، أمير المؤمنين، لعلى بن موسى بن جعفر، ولى عهده ...  
أما بعد:

فإن الله عز و جل اصطفى الاسلام دينا، و اصطفى من عباده رسلا دالين عليه، و هادين إليه، يبشر أولهم بآخرهم، و يصدق تاليهم ماضيهم، حتى انتهت نبوة الله إلى محمد (ص)، على فترة من الرسل، و دروس من العلم، و انقطاع من الوحي، و اقتراب من الساعة، فحتم الله به النبیین، و جعله شاهدا لهم، و مهيمنا عليهم. و أنزل عليه كتابه العزيز، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه، و لا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، بما أحل و حرم، و وعد و أوعد، و حذر و أنذر، و أمر به، و نهى عنه؛ لتكون له الحجة البالغة على خلقه؛ ليهلك من هلك عن بينه، و يحيا من حيا عن بينه، و إن الله لسميع عليم ...

فبلغ عن الله رسالته، و دعا إلى سبيله بما أمره به: من الحكمة، و الموعدة الحسنة، و المجادلة التى هى أحسن، ثم بالجهاد و الغلظة،

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٤٥٠

حتى قبضه الله إليه، و اختار له ما عنده (ص)؛ فلما انقضت النبوة، و ختم الله بمحمد (ص) الوحي و الرسالة، جعل قوام الدين، و نظام أمر المسلمين بالخلافة، و اتمامها و عزها، و القيام بحق الله فيها بالطاعة، التى يقام بها فرائض الله تعالى و حدوده، و شرائع الاسلام و سنته، و يجاهد بها عدوه ...

فعلى خلفاء الله طاعته فيما استحفظهم و استرعاهم من دينه و عباده، و على المسلمين طاعة خلفائهم، و معاونتهم على إقامة حق الله و

عدله، و أمن السبيل، و حقن الدماء، و صلاح ذات البين، و جمع الالفه.

و فى خلاف ذلك اضطراب حبل المسلمين، و اختلالهم، و اختلاف ملتهم، و قهر دينهم، و استعلاء عدوهم، و تفرق الكلمه، و خسران الدنيا و الآخرة فحق على من استخلفه الله فى أرضه، و ائتمنه على خلقه، أن يجهد الله نفسه، و يؤثر ما فيه رضا الله و طاعته، و يعتد لما الله موافقه عليه، و مسائله عنه. و يحكم بالحق، و يعمل بالعدل فيما أحله الله و قلده؛ فإن الله عز و جل يقول لنبى داود: «يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق، و لا تتبع الهوى، فيضلك عن سبيل الله، إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب».

و قال الله عز و جل: «فو ربك لسألتهم أجمعين عما كانوا يعملون»، و بلغنا أن عمر بن الخطاب قال: «لو ضاعت سخلة بشاطئ الفرات، لتخوفت أن يسألنى الله عنها».

و أيم الله، إن المسئول عن خاصه نفسه، الموقوف على عمله فيما بينه و بين الله، ليعرض على أمر كبير، و على خطر عظيم، فكيف بالمسؤول عن رعايه الامه. و بالله الثقه، و إليه المفزع و الرغبة فى التوفيق و العصمه، و التسديد و الهدايه إلى ما فيه ثبوت الحجته، و الفوز من الله بالرضوان و الرحمه ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٤٥١

و أنظر الامه لنفسه، و أنصحهم لله فى دينه و عبادته، من خلائقه فى أرضه، من عمل بطاعة الله و كتابه، و سنه نبى (ص) فى مدة أيامه، و بعدها، و أجهد رأيه فىمن يوليه عهده، و يختاره لامامه المسلمين و رعايتهم بعده، و ينصبه علما لهم، و مفزعا فى جمع الفتهم، و لم شعتهم، و حقن دمائهم، و الأمن بإذن الله من فرقتهم، و فساد ذات بينهم و اختلافهم، و رفع نزع الشيطان و كيده عنهم، فإن الله عز و جل جعل العهد بعد الخلافة من تمام الاسلام و كماله، و عزه، و صلاح أهله، و ألهم خلفاءه من توكيده لمن يختارونه له من بعدهم من عظمت به النعمه، و شملت فيه العافيه، و نقض الله بذلك مكر أهل الشقاق و العداوه، و السعى و الفرقة، و التربص للفتنه.

و لم يزل أمير المؤمنين منذ أفضت إليه الخلافة، فاختبر بشاعه مذاقها، و ثقل محلها، و شدة مؤونتها، و ما يجب على من تقلدها من ارتباط طاعة الله، و مراقبته فيما حمله منها، فأنصب بدنه، و أسهر عينه، و أطال فكره فيما فيه عز الدين، و قمع المشركين، و صلاح الامه، و نشر العدل، و إقامة الكتاب و السنه. و منعه ذلك من الخفض و الدعء، و مهنا العيش، علما بما الله سائله عنه، و محبه أن يلقي الله مناصحا له فى دينه، و عبادته، و مختارا لولاية عهده، و رعايه الامه من بعده: أفضل من يقدر عليه: فى دينه و ورعه، و علمه، و أرجاهم للقيام فى أمر الله و حقه، مناجيا بالاستخاره فى ذلك، و مسألته إلهامه ما فيه رضاه و طاعته، فى آناء ليله و نهاره. معملا فى طلبه و التماسه فى أهل بيته: من ولد عبد الله بن العباس، و على بن أبى طالب فكره، و نظره. مقتصر من علم حاله و مذهبه منهم على علمه، و بالغ فى المسأله عمن خفى عليه أمره جهده و طاقته ... حتى استقصى أمورهم معرفه، و ابتلى أخبارهم مشاهده، و استبرأ أحوالهم معاينه، و كشف ما عندهم مساءله، فكان خيرته بعد

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٤٥٢

استخارته الله، و إجهاده نفسه فى قضاء حقه فى عبادته و بلاده، فى البيتين جميعا:

على بن موسى، بن جعفر، بن محمد ابن على، بن الحسين، بن على، بن أبى طالب لما رأى من فضله البارع، و علمه النافع، و ورعه الظاهر، و زهده الخالص، و تخليه من الدنيا، و تسلمه من الناس ...

و قد استبان له ما لم تزل الأخبار عليه متواطئه، و الألسن عليه متفقه، و الكلمه فيه جامع، و لما لم يزل يعرفه به من الفضل: يافعا، و ناشئا، و حدثا، و مكتهلا، فعقد له بالعقد و الخلافة من بعده «١» ...

واتقا بخيره الله فى ذلك، إذ علم الله أنه فعله إثارا له، و للدين، و نظرا للاسلام و المسلمين، و طلبا للسلامه، و ثبات الحجته، و النجاه فى اليوم الذى يقوم الناس فيه لرب العالمين.

و دعا أمير المؤمنين ولده، و أهل بيته، و خاصته، و قواده، و خدومه فبايعوا مسارعين مسرورين، عالمين بإيثار أمير المؤمنين طاعة الله على الهوى فى ولده و غيرهم، ممن هو أشبك منه رحما، و أقرب قرابة. و سماه «الرضا» «٢»؛ إذ كان رضا عند أمير المؤمنين.

(١) فى بعض نسخ كشف الغمة فى الهامش: أنه (ع) كتب بقلمه الشريف تحت قوله: «و الخلافة من بعده» قوله: «بل جعلت فداك».

(٢) فى بعض نسخ كشف الغمة فى الهامش: أنه (ع) كتب بقلمه الشريف تحت كلمة: «الرضا» قوله: «رضى الله عنك و أرضاك، و احسن فى الدارين جزاك» و فى اخرى:

أنه كتب تحت ذكر اسمه عليه السلام بقلمه الشريف: «و صلتك رحم، و جزيت خيرا»، و كتب بقلمه الشريف تحت الثناء عليه: «أثنى الله عليك فأجمل، و أجزل لديك الثواب فأكمل».

الحياة السياسية للإمام (الرضا) (ع)، مرتضى العاملى، ص: ٤٥٣

فبايعوا معشر أهل بيت أمير المؤمنين، و من بالمدينة المحروسة، من قواده و جنده، و عامة المسلمين، لأمر المؤمنين، و للرضا من بعده على ابن موسى على اسمه و بركته، و حسن قضائه لدينه و عبادته، يبعه مبسوطة إليها أيديكم، منسرحة لها صدوركم، عالمين بما أراد أمير المؤمنين، بها، و آثر طاعة الله، و النظر لنفسه و لكم فيها، شاكرين الله على ما ألهم أمير المؤمنين بها: من قضاء حقه فى رعايتكم، و حرصه على رشدكم و صلاحكم، راجين عانده ذلك فى جمع الفتكم، و حقن دمايتكم، و لم شعثكم، و سد ثغوركم، و قوة دينكم، و رغم عدوكم، و استقامة أموركم.

و سارعوا إلى طاعة الله، و طاعة أمير المؤمنين؛ فإنه الأمن إن سارعتم إليه، و حمدتم الله عليه، عرفتم الحظ فيه إن شاء الله.

و كتب بيده يوم الاثنين، لسبع خلون من شهر رمضان، سنة إحدى و مائتين ...

قال القلقشندي: «ثم إنه تقدم إلى على بن موسى، و قال له:

اكتب خطك بقبول هذا العهد، و أشهد الله، و الحاضرين عليك بما تعده فى حق الله، و رعاية المسلمين، فكتب على الرضا تحته إلخ ...».

صورة ما كان على ظهر العهد، بخط الامام على بن موسى الرضا عليهما السلام بسم الله الرحمن الرحيم:

الحمد لله الفعال لما يشاء، و لا معقب لحكمه، و لا راد لقضائه، يعلم خائنة الأعين، و ما تخفى الصدور. و صلواته على نبيه محمد، خاتم النبيين، و آله الطيبين الطاهرين ...

أقول- و أنا على بن موسى الرضا بن جعفر:- إن أمير المؤمنين عضده الله بالسداد، و وفقه للرشاد، عرف من حقنا ما جهله غيره؛

الحياة السياسية للإمام (الرضا) (ع)، مرتضى العاملى، ص: ٤٥٤

فوصل أرحاما قطعت، و أمن أنفسا فرعت، بل أحيها و قد تلفت، و أغناها إذ افتقرت، مبتغيا رضا رب العالمين، لا يريد جزاء من غيره، و سيجزى الله الشاكرين، و لا يضيع أجر المحسنين ...

و إنه جعل إلى عهد، و الإمرة الكبرى- إن بقيت- بعده، فمن حلّ عقدة أمر الله بشدها، و فطم عروة أحب الله إيثاقها، فقد أباح الله حريمه، و أحل محرمة، إذ كان بذلك زاريا على الإمام، منتهكا حرمة الإسلام. بذلك جرى السالف، فصبر منه على الفلتات، و لم

يعترض على العزمات، خوفا من شتات الدين، و اضطراب حبل المسلمين، و لقرب أمر الجاهلية، و رصد فرصة تنتهز، و بائقة تبتدر ...

و قد جعلت الله على نفسى، إن استرعانى أمر المسلمين، و قلدى خلافته: العمل فيهم عامة، و فى بنى العباس بن عبد المطلب خاصة بطاعته، و طاعة رسوله (ص)، و أن لا أسفك دما حراما، و لا أبيع فرجا، و لا مالا، إلا ما سفكته حدود الله، و أباحت فرائضه. و أن

أتخير الكفأة جهدى و طاقتى. و جعلت بذلك على نفسى عهدا مؤكدا، يسألنى الله عنه؛ فإنه عز و جل يقول: «و أوفوا بالعهد، إن العهد كان مسئولا».

و إن أحدثت، أو غيرت، أو بدلت، كنت للغير مستحقا، و للنكال متعرضا. و أعوذ بالله من سخطه، و إليه أرغب فى التوفيق لطاعته، و الحول بينى و بين معصيته، فى عافية لى و للمسلمين ...

و الجامعة و الجفر يدلان على ضد ذلك، و ما أدرى ما يفعل بى و لا بكم، إن الحكم إلا لله، يقضى بالحق «١»، و هو خير الفاصلين ...

(١) الظاهر أن الصواب هو «يقص الحق»، كما فى معالم الانافة.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٤٥٥

لكننى امتثلت أمر أمير المؤمنين، و آثرت رضاه، و الله يعصمنى و إياه، و أشهدت الله على نفسى بذلك، و كفى بالله شهيدا ... و كتبت بخطى، بحضور أمير المؤمنين، أطال الله بقاءه، و الفضل ابن سهل، و سهل بن الفضل، و يحيى بن اكنم، و عبد الله بن طاهر، و ثمامة بن أشرس، و بشر بن المعتمر، و حماد بن النعمان، فى شهر رمضان، سنة إحدى و مائتين ...

### الشهود على الجانب الأيمن:

شهد يحيى بن اكنم على مضمون هذا المكتوب، ظهره، و بطنه.

و هو يسأل الله: أن يعرف أمير المؤمنين، و كافة المسلمين ببركة هذا العهد، و الميثاق. و كتب بخطه فى تاريخ الميئين فيه ... عبد الله بن طاهر بن الحسين، أثبت شهادته فيه بتاريخه.

شهد حماد بن النعمان بمضمونه: ظهره و بطنه، و كتب بيده فى تاريخه.

بشر بن المعتمر يشهد بمثل ذلك.

### الشهود على الجانب الأيسر:

رسم أمير المؤمنين، أطال الله بقاءه قراءة هذه الصحيفة، التى هى صحيفة الميثاق. نرجو أن نجوز بها الصراط، ظهرها و بطنها، بحرم

سيدنا رسول الله (ص)، بين الروضة و المنبر، على رءوس الأشهاد، بمراى و مسمع من وجوه بنى هاشم، و ساير الأولياء و الأجناد، بعد استيفاء شروط البيعة عليهم، بما أوجب أمير المؤمنين الحججة به على جميع

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٤٥٦

المسلمين، و لتبطل الشبهة التى كانت اعترضت آراء الجاهلين: «و ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه» ...

و كتب الفضل بن سهل بأمر أمير المؤمنين بالتاريخ فيه «١».

انتهى ...

(١) و فى هامش نسخة مصححة قال مصححها: «قال العبد الفقير إلى الله تعالى، الفضل بن يحيى عفى الله عنه: قابلت المكتوب الذى

كتبه الامام على بن موسى الرضا صلوات الله عليه، و على آباءه الطاهرين بأصله الذى كتبه الامام المذكور (ع) بيده الشريفة، حرفا فحرفا. و الحقت ما فات منه، و ذكرت أنه من خطه. و ذلك يوم الثلاثاء، مستهل المحرم، من سنة تسع و تسعين و ست مائة الهلالية

بواسط، و الحمد لله، و له المنه ...» انتهى أقول: و الذى الحقه هو ما قدمناه فى هوامش الصفحات المتقدمة ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ٤٥٧

## رسالة المأمون إلى العباسيين

### مصادر الكتاب:

هذا الكتاب مذكور في طرائف ابن طائوس، الترجمة الفارسية من ص ١٣١، إلى ص ١٣٥، نقلا عن كتاب نديم الفريد، لابن مسكويه، صاحب كتاب حوادث الاسلام... وفي البحار للعلامة المجلسي ج ٤٩ من ص ٢٠٨ إلى ص ٢١٤، وفي قاموس الرجال ج ١٠ ص ٣٥٦، إلى ٣٦٠، وفي ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص ٤٨٤، ٤٨٥ مختصرا، ونقل في الغدير ج ١ ص ٢١٢ قسما منه عن عبقات الأنوار للهندي ج ١ ص ١٤٧، وأشار إليه غير واحد من المؤلفين ...

### نص الكتاب:

كتب العباسيون كتابا إلى المأمون، و طلبوا منه الاجابة عليه؛ فأجابهم بما يلي:

«بسم الله الرحمن الرحيم: والحمد لله رب العالمين، و صلى الله على محمد و آل محمد، على رغم أنف الراغمين ... الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ٤٥٨  
أما بعد:

عرف المأمون كتابكم، و تدبير أمركم، و مخض زبدتكم، و أشرف على قلوب صغيركم و كبيركم، و عرفكم مقبلين و مدبرين، و ما آل إليه كتابكم قبل كتابكم، في مراوضة الباطل، و صرف وجوه الحق عن مواضعها، و نبذكم كتاب الله و الآثار، و كلما جاءكم به الصادق محمد (ع)، حتى كأنكم من الامم السالفة، التي هلكت بالخسفة، و الغرق، و الريح، و الصيحة، و الصواعق، و الرجم ... أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها؟ ... و الذي هو أقرب إلى المأمون من جبل الوريد، لو لا أن يقول قائل: إن المأمون ترك الجواب عجزا لما أجبتمكم؛ من سوء أخلاقكم، و قلة أخطاركم، و ركاكة عقولكم، و من سخافة ما تأوون إليه من آرائكم؛ فليستمع مستمع، فليبلغ شاهد غائبا ...

أما بعد:

فإن الله تعالى بعث محمدا على فترة من الرسل، و قریش في أنفسها، و أموالها، لا يرون أحدا يساميه، و لا يباريه، فكان نبينا (ص) أمينا من أوسطهم بيتا، و أقلهم مالا؛ فكان أول من آمن به خديجة بنت خويلد؛ فواسته بمالها. ثم آمن به أمير المؤمنين على بن أبي طالب سبع سنين، لم يشرك بالله شيئا طرفه عين، و لم يعبد وثنا، و لم يأكل ربا، و لم يشاكل الجاهلية في جهالاتهم، و كانت عمومة رسول الله إما مسلم مهين، أو كافر معاند، إلا حمزة؛ فإنه لم يمتنع من الاسلام، و لا يمتنع الاسلام منه، فمضى لسبيله على بينة من ربه ...

و أما أبو طالب: فإنه كفه و رباه، و لم يزل مدافعا عنه، و مانعا منه؛ فلما قبض الله أبا طالب، فهمم القوم، و أجمعوا عليه ليقتلوه؛

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ٤٥٩

فهاجر إلى القوم الذين تبؤوا الدار و الإيمان من قبلهم، يحبون من هاجر إليهم، و لا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا، و يؤثرون على أنفسهم، و لو كان بهم خصاصة، و من يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ...

فلم يقيم مع رسول الله (ص) أحد من المهاجرين كقيام على بن أبي طالب (ع): فإنه آزره و وقاه بنفسه، و نام في مضجعه. ثم لم يزل بعد مستمسكا بأطراف الثغور، و ينازل الأبطال، و لا ينكل عن قرن، و لا يولى عن جيش، منيع القلب، يؤمر على الجميع، و لا يؤمر عليه

أحد. أشد الناس وطأة على المشركين، وأعظمهم جهادا في الله، وأفقههم في دين الله، وأقرأهم لكتاب الله، وأعرفهم بالحلال والحرام.

وهو صاحب الولاية في حديث «غدير خم»، وصاحب قوله:

«أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي»، وصاحب يوم الطائف. وكان أحب الخلق إلى الله تعالى، وإلى رسول الله (ص).

وصاحب الباب، فتح له، وسد أبواب المسجد. وهو صاحب الراية يوم خيبر. وصاحب عمرو بن عبد ود في المبارزة. وأخو رسول الله (ص) حين آخى بين المسلمين ...

وهو منيع جزيل. وهو صاحب آية: «ويطعمون الطعام على حبه مسكينا، وييتما، وأسيرا». وهو زوج فاطمة سيدة نساء العالمين، وسيدة نساء أهل الجنة، وهو ختن خديجة (ع). وهو ابن عم رسول الله (ص)، ربه وكفله. وهو ابن أبي طالب في نصرته وجهاده. وهو نفس رسول الله (ص) في يوم المباهلة.

وهو الذي لم يكن أبو بكر وعمر ينفذان أمرا حتى يسألانه عنه؛ فما رأى إنفاذه أنفاذاه، وما لم يره رداه. وهو دخل من بني هاشم في الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العامل، ص: ٤٦٠

الشورى، ولعمري لو قدر أصحابه على دفعه «١» عنه (ع)، كما دفع العباس رضوان الله عليه، وجدوا إلى ذلك سبيلا لدفعه. فأما تقديمكم العباس عليه؛ فإن الله تعالى يقول: «أجعلتم سقاية الحاج، وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر، وجاهد في سبيل الله، لا يستون عند الله».

والله، لو كان ما في أمير المؤمنين من المناقب والفضائل، والآي المفسرة في القرآن خلة واحدة في رجل من رجالكم، أو غيره، لكان مستأهلا متأهلا للخلافة، مقدما على أصحاب رسول الله بتلك الخلة، ثم لم يزل الامور تتراعى به إلى أن ولي أمور المسلمين، فلم يعن بأحد من بني هاشم إلا بعبد الله بن عباس، تعظيما لحقه، ووصلة لرحمه، وثقة به، فكان من أمره الذي يغفر الله له ...

ثم ... نحن وهم يد واحدة - كما زعمتم - حتى قضى الله تعالى بالأمر إلينا، فأخفناهم، وضيقتنا عليهم، وقتلناهم أكثر من قتل بنى أمية إياهم ... ويحكم، إن بنى أمية إنما قتلوا من سل منهم سيفا، وإنا معشر بنى العباس قتلناهم جملا، فلتسألن أعظم الهاشمية بأى ذنب قتلت، ولتسألن نفوس ألقيت في دجلة والفرات، ونفوس دفنت ببغداد والكوفة أحياء، هيهات، إنه من يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ...

وأما ما وصفتم في أمر المخلوغ، وما كان فيه من لبس؛ فلعمري ما لبس عليه أحد غيركم؛ إذ هونتم عليه النكث، وزينتم له الغدر، وقلتم له: ما عسى أن يكون من أمر أخيك، وهو رجل مغرب، ومعك الأموال والرجال، نبعث إليه، فيؤتى به؛ فكذبتم، ودبرتم،

(١) في الترجمة الفارسية هكذا: «على دفع على (ع) عنها إلخ ...».

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العامل، ص: ٤٦١

ونسيم قول الله تعالى: «ومن بغى عليه لينصرنه الله ...».

وأما ما ذكرتم: من استبصار المأمون في البيعة لأبي الحسن الرضا (ع)؛ فما بايع له المأمون إلا مستبصرا في أمره، عالما بأنه لم يبق أحد على ظهرها أبيض فضلا، ولا أظهر عفة، ولا أروع ورعا، ولا أزهد زهدا في الدنيا، ولا أطلق نفسا، ولا أرضى في الخاصة والعامة، ولا أشد في ذات الله منه. وإن البيعة له لموافقة رضا الرب عز وجل. ولقد جهدت وما أجد في الله لومة لائم ...

ولعمري، لو كانت بيعتي بيعة محاباة، لكان العباس ابني، وسائر ولدي أحب إلى قلبي، وأجلى في عيني، ولكن أردت أمرا، وأراد الله أمرا؛ فلم يسبق أمرى أمر الله.

و أما ما ذكرتم: مما مسكم من الجفاء فى ولايتى، فلعمرى ما كان ذلك إلا منكم بمظافر تكم عليه، على (خ د)، و مما يلىكم إياه، فلما قتلته و تفرقتم عباديد، فطورا أتباعا لابن أبى خالد، و طورا أتباعا لأعرابى، و طورا أتباعا لابن شكلة، ثم لكل من سل سيفاً على. و لو لا أن شيمتى العفو، و طبيعتى التجاوز ما تركت على وجهها منكم أحداً، فكلكم حلال الدم، محل بنفسه ...

و أما ما سألتم: من البيعة للعباس ابنى ... أ تستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير؟! و يلىكم، إن العباس غلام حدث السن، و لم يؤنس رشده، و لم يمهل وحده، و لم تحكمه التجارب. تدبره النساء، و تكفله الاماء، ثم ... لم يتفقه فى الدين، و لم يعرف حلالاً من حرام، إلا معرفة لا تأتى به رعية، و لا تقوم به حجة، و لو كان مستأهلاً، قد أحكمته التجارب، و تفقه فى الدين، و بلغ مبلغ أمير العدل فى الزهد فى الدنيا، و صرف النفس عنها ... ما كان له عندى فى الخلافة، إلا ما كان لرجل من عك و حمير، فلا تكثروا من هذا المقال، فإن لسانى لم

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٤٦٢

يزل مخزوناً عن أمور و أبناء، كراهية أن تخث النفوس عند ما تنكشف، علماً بأن الله بالغ أمره، و مظهر قضاة يوماً ... فإذا أبيت إلا- كشف الغطاء، و قشر العطاء، فالرشيد أخبرنى عن آباءه، و عما وجده فى كتاب الدولة، و غيرها: أن السابع من ولد العباس، لا تقوم لبنى العباس بعده قائمة، و لا تزال النعمة متعلقة عليهم بحياته، فإذا أودعت فودعها، فإذا أودع فودعها، و إذا فقدتم شخصى، فاطلبوا لأنفسكم معقلاً، و هيات، ما لكم إلا السيف، يأتىكم الحسنى الثائر البائر، فيحصدكم حصداً، أو السفيانى المرغم، و القائم المهدي لا يحقن دماءكم إلا بحقها ...

و أما ما كنت أردته من البيعة لعلى بن موسى، بعد استحقاق منه لها فى نفسه، و اختيار منى له، فما كان ذلك منى إلا أن أكون الحاقن لدمائكم، و الذائد عنكم، باستدامة المودة بيننا و بينهم. و هى الطريق أسلكها فى إكرام آل أبى طالب، و مواساتهم فى الفىء بيسير ما يصيبهم منه.

و إن تزعموا: أنى أردت أن يؤول إليهم عاقبة و منفعة، فإنى فى تدبيركم، و النظر لكم و لعقبكم، و ابنائكم من بعدكم ... و أنتم ساهون، لاهون، تائهون، فى غمرة تعمهون، لا تعلمون ما يراد بكم، و ما أظلمت عليه من النعمة، و ابتزاز النعمة. همة أحدكم أن يمسى مركوباً، و يصبح مخموراً تباهون بالمعاصى، و تبتهجون بها، و آلهتكم البرابط، مخثون، مؤثون لا يتفكر متفكر منكم فى إصلاح معيشة، و لا استدامة نعمة، و لا اصطناع مكرمة، و لا كسب حسنة يمد بها عنقه، يوم لا ينفع مال و لا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ...

أضعتم الصلاة، و اتبعتم الشهوات، و اكببتم على اللذات، فسوف تلقون غيا. و أيم الله، لربما أفكر فى أمركم، فلا أجد أمه من الامم استحقوا

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٤٦٣

العذاب، حتى نزل بهم لخله من الخلال، إلا أصيب تلك الخلّة بعينها فيكم، مع خلال كثيرة، لم أكن أظن أن إبليس اهتدى إليها، و لا أمر بالعمل بها. و قد أخبر الله تعالى فى كتابه العزيز عن قوم صالح:

أنه كان فيهم تسعة رهط يفسدون فى الارض و لا- يصلحون، فأيكم ليس معه تسعة و تسعون من المفسدين فى الأرض، قد اتخذتموهم شعاراً، و دثاراً، استخفافاً بالمعاد، و قلّة يقين بالحساب. و أيكم له رأى يتبع، أو روية تنفع، فشاهات الوجوه، و عفرت الخدود.

و أما ما ذكرتم: من العثرة كانت فى أبى الحسن (ع) نور الله وجهه، فلعمرى. إنها عندى للنهضة و الاستقلال، الذى أرجو به قطع الصراط، و الأمن و النجاة من الخوف يوم الفرع الاكبر. و لا أظن عملاً هو عندى أفضل من ذلك، إلا أن أعود بمثلها إلى مثله، و أين لى بذلك، و أنى لكم بتلك السعادة ...

و أما قولكم: إني سفهت آراء آبائكم، و أحلام أسلافكم، فكذلك قال مشركوا قريش: «إنا وجدنا آباءنا على أمه، و إنا على آثارهم مقتدون». و ليكم، إن الدين لا يؤخذ إلا من الأنبياء، فافقهوا، و ما أراكم تعقلون ...

و أما تعييركم إياي: بسياسة المجوس إياكم، فما أذهبكم الانفة «١» من ذلك، و لو ساستكم القردة و الخنازير، و ما أردتم إلا أمير المؤمنين ...

و لعمرى، لقد كانوا مجوسا فأسلموا، كأبائنا، و أمهاتنا في القديم، فهم المجوس الذين أسلموا و أنتم المسلمون الذين ارتدوا، فمجوسى أسلم خير من مسلم ارتد، فهم يتناهون عن المنكر، و يأمرون بالمعروف، و يتقربون من الخير، و يتباعدون من الشر، و يذوبون عن حرم المسلمين،

(١) الظاهر أن الصواب: «فما أذهبكم عن الأنفة».

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٤٦٤

يتباهجون بما نال الشرك و أهله من النكر، و يتباشرون بما نال الاسلام و أهله من الخير ... منهم من قضى نحبه، و منهم من ينتظر، و ما بدلوا تبديلا.

و ليس منكم إلا- لا-عب بنفسه، مأفون فى عقله و تدبيره: إما مغن، أو ضارب دف، أو زامر. و الله، لو أن بنى أمية الذين قتلتموهم بالأمس نشروا، فقيل لهم: لا تأنفوا من معائب تنالوهم بها، لما زادوا على ما صيرتموه لكم شعارا و دثارا، و صناعة و أخلاقا ...

ليس منكم إلا- من إذا مسه الشر جزع، و إذا مسه الخير منع، و لا- تأنفون، و لا ترجعون إلا خشية، و كيف يأنف من بيت مركوبا، و يصبح بائمه معجبا، كأنه قد اكتسب حمدا، غايته بطنه و فرجه، لا يبالي أن ينال شهوته بقتل ألف نبى مرسل، أو ملك مقرب. أحب الناس إليه من زين له معصية، أو أعانه فى فاحشة، تنظفه المخمورة، و تربده المظمورة، فشتت الأحوال ... فإن ارتدعتم مما أنتم فيه من السيئات و الفضائح، و ما تهذرون به من عذاب ألسنتكم ... و إلا فدونكم تعلوا بالحديد ...

و لا قوة إلا بالله، و عليه توكلى، و هو حسبي».

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٤٦٥

## رسالة عبد الله بن موسى الى المأمون

### النص الأول للرسالة:

قال أبو الفرج الاصفهاني، صاحب كتاب «الأغانى»، فى كتابه:

مقاتل الطالبيين ص ٦٣٠، ٦٣١، فى معرض حديثه عن عبد الله بن موسى، بن عبد الله بن الحسن، بن على بن أبى طالب (ع)، الذى كان قد توارى فى أيام المأمون:

«... و أخبرنى جعفر بن محمد الورّاق الكوفى، قال: حدثنى عبد الله بن على بن عبيد الله العلوى الحسينى، عن أبيه، قال:

كتب المأمون إلى عبد الله بن موسى، و هو متوار منه، يعطيه الأمان، و يضمن له: أن يوليه العهد بعده، كما فعل بعلى بن موسى، و يقول:

«... ما ظننت أن أحدا من آل أبى طالب يخافنى، بعد ما عملته بالرضا ...».

و بعث الكتاب إليه. فكتب إليه عبد الله بن موسى:

«... وصل كتابك، و فهمته، تختلنى فيه عن نفسى ختل القانص، و تحتال على حيلة المغتال، القاصد لسفك دمي ...



الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٤٦٦

و عجبت من بذلك العهد، و ولايته لى بعدك؛ كأنك تظن أنه لم يبلغنى ما فعلته بالرضا!! ففى أى شىء ظننت أنى أرغب من ذلك؟!

أفى الملك الذى قد غرتك نضرتة و حلاوته؟! فو الله، لأين أقذف- و أنا حى- فى نار تتأجج أحب إلى من أن ألى أمرا بين المسلمين، أو أشرب شربة من غير حلها، مع عطش شديد قاتل ..

أم فى العنب المسموم، الذى قتلت به الرضا؟!

أم ظننت أن الاستتار قد أملنى، و ضاق به صدرى؟! فو الله، إنى لذلك، و لقد مللت الحياة، و أبغضت الدنيا، و لو وسعنى فى دينى أن أضع يدى فى يدك، حتى تبلغ من قبلى مرادك، لفعلت ذلك، و لكن الله قد حظر على المخاطرة بدمى. و لیتك قدرت على، من غير أن أبذل نفسى لك، فتقتلنى، و لقيت الله عز و جل بدمى، و لقيته قتيلًا مظلوما؛ فاسترحت من هذه الدنيا ...

و اعلم: أنى رجل طالب النجاة لنفسى، و اجتهدت فيما يرضى الله عز و جل عنى، و فى عمل أتقرب به إليه؛ فلم أجد رأيا يهدى إلى شىء من ذلك، فرجعت إلى القرآن، الذى فيه الهدى و الشفاء، فتصفحته سورة سورة، و آية آية، فلم أجد شيئا أزلف للمرء عند ربه، من الشهادة فى طلب مرضاته ...

ثم تتبعته ثانية، أتأمل الجهاد أیه أفضل، و لأى صنف، فوجدته جل و علا يقول: «قاتلوا الذين يلونكم من الكفار، و ليجدوا فيكم غلظة»، فطلبت أى الكفار أضر على الإسلام، و أقرب من موضعى، فلم أجد أضر على الإسلام منك، لأن الكفار أظهروا كفرهم، فاستبصر الناس فى أمرهم، و عرفوهم فخافوهم ... و أنت ختلت المسلمين بالإسلام، و أسرت الكفر، فقتلت بالظن، و عاقبت بالتهمة، و أخذت مال الله من غير حله، فأنفقته فى غير حله، و شربت الخمر المحرمة صراحا،

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٤٦٧

و أنفقت مال الله على الملهين، و أعطيته المغنين، و منعته من حقوق المسلمين، فغششت بالإسلام، و أحطت بأقطاره إحاطة أهله، و حكمت فيه للمشرك، و خالفت الله و رسوله فى ذلك، خلافة المضاد المعاند، فان يسعدنى الدهر، و يعنى الله عليك بأنصار الحق، أبذل نفسى فى جهادك، بذلا يرضيه منى، و ان يمهلك، و يؤخرك، ليجزيك بما تستحقه فى منقلبك، أو تختر منى الأيام قبل ذلك، فحسبى من سعى ما يعلمه الله عز و جل من نيتى، و السلام ...».

### و ثمة نص آخر:

و كان أبو الفرج قد ذكر قبل ذلك أى فى ص ٦٢٨، ٦٢٩ من نفس الكتاب نصا آخر هو إما رسالة أخرى ... أو نص آخر لهذه الرسالة نفسها ... و الظاهر أنه رسالة أخرى ... و كيف كان فقد قال أبو الفرج:

«و كان عبد الله توارى فى أيام المأمون، فكتب بعد وفاة الرضا يدعوه إلى الظهور، ليجعله مكانه، و يبایع له، و اعتد عليه بعفوه عمن عفا من أهله، و ما أشبه هذا من القول:

فأجابه عبد الله برسالة طويلة يقول فيها:

فبأى شىء تغرنى؟ ما فعلته بأبى الحسن - صلوات الله عليه - بالعنب الذى أطعمته إياه فقتلته.

و الله، ما يقعدنى عن ذلك خوف من الموت، و لا كراهة له، و لكن لا أجد لى فسحة فى تسليطك على نفسى، و لو لا ذلك لأتيتك حتى تريحنى من هذه الدنيا الكدر.

و يقول فيها:

هبنى لا تثار لى عندك و عند آبائك المستحلين لدمائنا، الآخذين حقنا،

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ٤٦٨

الذين جاھروا في أمرنا فحذرناهم، و كنت أطف حيلة منهم بما استعملته من الرضى بنا و التستر لمحنتنا، تختل واحدا فواحدا منا. و لكننى كنت امرأ حبب إلى الجهاد، كما حبب إلى كل امرئ بغيته، فشحذت سيفى، و ركبت سنانى على رمحى، و استفرهت فرسى، لم أدر أى العدو أشد ضررا على الإسلام، فعلمت أن كتاب الله يجمع كل شىء، فقرأته، فإذا فيه: «يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار، و ليجدوا فيكم غلظة» ...

فما أدرى من يلينا منهم، فأعدت النظر، فوجدته يقول: «لا- تجد قوما يؤمنون بالله و اليوم الآخر يوادون من حاد الله و رسوله، و لو كانوا آباءهم، أو إخوانهم، أو عشيرتهم»، فعلمت أن على أن أبدأ بما قرب منى ...

و تدبرت، فإذا أنت أضرت على الاسلام و المسلمين من كل عدو لهم، لأن الكفار خرجوا منه، و خالفوه، فحذرهم الناس، و قاتلوهم، و أنت دخلت فيه ظاهرا، فأمسك الناس، و طفقت تنقض عراه عروء عروء، فأنت أشد أعداء الإسلام ضررا عليه ...» ثم قال أبو الفرج: و هى رسالة طويلة أتينا بها فى الكتاب الكبير ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ٤٦٩

## رسالة سفیان الى هارون

### مصادر الرسالة:

ذكر هذه الرسالة الدميرى فى حياة الحيوان ج ٢ ص ١٨٨، ١٨٩، نقلا عن ابن بليان، و الامام الغزالى، و دحلان فى الفتوحات الاسلامية ط مصطفى محمد ج ٢ ص ٤٤٩ حتى ٤٥٣.

و أشار إليها ابن خلدون فى مقدمته، ص ١٧ مستدلا بها على تدين الرشيد و التزامه ... و ذكر جرجى زيدان شطرا منها فى كتابه: تاريخ التمدن الاسلامى المجلد الأول، جزء ٢ ص ٣٨٥، ٣٨٦، و المجلد الثانى جزء ٤ ص ٤٨٠. و نحن نذكرها هنا عن الدميرى مع بعض تعديلات عن دحلان.

### مناقشة لا بد منها:

و لكن الرسالة تذكر أن الذى كاتبه الرشيد، و المجيب له هو سفیان الثورى ... و هذا لا يمكن أن يكون صحيحا؛ فان سفیان قد توفى فى خلافة المهدي متخفيا، فى سنة ١٦١ هـ؛ و هارون لم يتول الخلافة إلا فى سنة ١٧٠ هـ.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ٤٧٠

و لعل الصواب: هو أن مرسلها هو: إمام مكة سفیان بن عيينة، المتوفى سنة ١٩٨ هـ. عن إحدى و تسعين سنة ...

و لعل الراوى قد اشتبه عليه الأمر، عفوا، أو عمدا!!! لحاجته فى نفسه قضاها ... و أيا ما كانت الحقيقة؛ فإن هذه الرسالة تعتبر وثيقة تاريخية هامة؛ لأنها تصور لنا حقيقة الوضع فى تلك الفترة من الزمن ...

و تعطينا شأنها شأن رسالة الخوارزمى، و رسالة عبد الله بن موسى إلى المأمون صورة واضحة عما كان يمارسه خلفاء ذلك الوقت من مآثم، و ما يرتكبونه من موبقات ...

### نص الرسالة:

و ملخص حكاية هذه الرسالة هى: أن الرشيد أرسل إلى سفیان الثورى!!- و قد قلنا: إن الظاهر: أنه ابن عيينة- كتابا يتودد إليه فيه، و

يطلب منه أن يقدم عليه.

فلما وصل الكتاب إلى سفيان، رماه من يده، وقال لإخوانه:

ليقرأه بعضكم؛ فإنى أستغفر الله أن أمس شيئاً مسه ظالم ...

فلما قرءوه، أمرهم أن يكتبوا إلى الظالم فى الجواب ما يلى:

«من العبد الميت سفيان، إلى العبد المغرور بالآمال هارون، الذى سلب حلاوة الإيمان، ولذة قراءة القرآن ...

أما بعد:

فإنى كتبت إليك أعلمك: أنى قد صرمت حبلك، وقطعت ودك، وقليت موضعك، وأنك جعلتني شاهداً عليك؛ بإقرارك على

نفسك فى كتابك: بما هجمت على بيت مال المسلمين؛ فأنفقته فى غير حقه،

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٤٧١

وأنفذته بغير حكمه، ولم ترض بما فعلته وأنت ناء عنى، حتى كتبت إلى تشهدنى على نفسك، فأما أنا فإنى قد شهدت عليك، وأنا و

إخوانى الذين حضروا قراءة كتابك، و سنؤدى الشهادة غدا بين يدي الله الحكم العدل ...

يا هارون، هجمت على بيت مال المسلمين بغير رضاهم. هل رضى بفعلك المؤلفة قلوبهم، والعاملون عليها فى أرض الله، و

المجاهدون فى سبيل الله، وابن السبيل؟ أم رضى بذلك حملة القرآن، وأهل العلم؟! أم رضى بفعلك الأيتام والأرامل؟!.

أم رضى بذلك خلق من رعيتك؟! ...

فشد يا هارون مئزرك، وأعدّ للمسألة جواباً، وللبلاء جلباباً، واعلم أنك ستقف بين يدي الله الحكم العدل؛ فاتق الله فى نفسك، إذا

سلبت حلاوة العلم والزهد، ولذة قراءة القرآن، ومجالسة الأخيار، ورضيت لنفسك أن تكون ظالماً، وللظالمين إماماً ...

يا هارون، قعدت على السرير، ولبست الحرير، وأسبلت ستورا دون بابك، وتشبهت بالحجبة برب العالمين. ثم أقعدت أجنادك

الظلمة دون بابك وسترك، يظلمون الناس ولا ينصفون. ويشربون الخمر، ويحدون الشارب. ويزنون، ويحدون الزانى، ويسرقون،

ويقطعون السارق. ويقتلون، ويقتلون القاتل.

أفلا كانت هذه الأحكام عليك، وعليهم، قبل أن يحكموا بها على الناس؟! فكيف بك يا هارون غدا، إذا نادى المنادى من قبل الله:

احشروا الظلمة، وأعوانهم أين الظلمة، وأعوان الظلمة؛ فتقدمت بين يدي الله، ويداك مغلولتان إلى عنقك، لا يفكهما إلا عدلك و

انصافك، والظالمون حولك، وأنت لهم إمام، أو سائق إلى النار.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٤٧٢

و كأنى بك يا هارون ... وقد أخذت بضيق الخناق، ووردت المساق، وأنت ترى حسناتك فى ميزان غيرك، و سيئات غيرك فى

ميزانك على سيئاتك، بلاء على بلاء، وظلمة فوق ظلمة؛ فاتق الله يا هارون فى رعيتك، واحفظ محمداً (ص) فى أمته. واعلم أن

هذا الأمر لم يصر إليك، إلا وهو صائر إلى غيرك، وكذلك الدنيا تفعل بأهلها، واحداً بعد واحد؛ فمنهم من تزود زادا نفعه، ومنهم

من خسر دنياه وآخرته، وإنى أحسبك يا هارون ممن خسر دنياه وآخرته.

و إياك، ثم إياك أن تكتب إلى بعد هذا؛ فإنى لا أجيبك ...

و السلام ...» ...

ثم بعث بالكتاب منشوراً، من غير طي، ولا ختم ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العالمى، ص: ٤٧٣

قصيدة الأمير أبى فراس الحمدانى

**نقاط رئيسية:**

كنت قد وعدت القارئ الكريم في فصل: سياسة العباسيين ضد العلويين، بأن أورد في أواخر هذا الكتاب قصيدة الأمير أبي فراس الحمداني المعروفة ب: «الشافية».

وقد حان الآن موعد الوفاء بذلك الوعد ... وقبل ذلك، لا بأس بالإشارة إلى:  
أن أبا فراس قد ولد في سنة ٣٢٠هـ، و توفي في سنة ٣٥٧هـ. عليه الرحمة و الرضوان ...  
و في زمانه: كان بنو العباس الخلفاء، و آل بويه السلاطين، و آل حمدان الامراء ...

**ولاء ... و شجاعة:**

و أما عن سبب نظم هذه القصيدة، فهو أن أبا فراس وقف على قصيدة ابن سكرة، التي يتحامل فيها على العلويين، و التي أولها:  
الحياة السياسية للإمام (الرضا)ع، مرتضى العاملى، ص: ٤٧٤ بنى على دعوا مقاتلكم لا ينقض الدر وضع من وضعه فحمى أبو فراس، و نظم هذه القصيدة، التي سارت بها الركبان.

و دخل بغداد، و أمر أن يشهر في المعسكر خمسمائة سيف، و قيل: أكثر من ذلك ... ثم أنشد هذه القصيدة، و خرج من الناحية الاخرى «١» و قد شرح هذه القصيدة عدد من الابداء و العلماء، منهم ابن خالويه، و منهم محمد بن أمير الحاج حسيني.

**و القصيدة هي:**

الدين مخترم و الحق مهتضم و فيء آل رسول الله مقتسم  
و الناس عندك لا ناس فيحفظهم سوم الرعاء و لا شاء و لا نعم  
إني أبيت قليل النوم أرقنى قلب تصارع فيه الهمم و الهمم  
و عزيمة لا ينام الدهر صاحبها إلا على ظفر في طيه كرم  
يصان مهري لأمر لا أبوح به و الدرع و الرمح و الصمصامة الخدم  
و كل مائة الضبعين مسرحها رمث الجزيرة و الخذراف و العنم  
و فنية قلبهم قلب إذا ركبو ايوما و رأيهم رأى إذا عزموا  
يا للرجال أ ما لله منتصر من الطغاة، أ ما للدين منتقم  
بنو على رعايا في ديارهم و الأمر تملكه النسوان و الخدم

(١) راجع: شرح الشافية، لمحمد بن أمير حاج حسيني ص ٦، و قاموس الرجال ج ١٠ ص ١٥٧، و رجال المامقاني ج ٣ ص ٣٠ من باب الكنى، و رجال أبي على ص ٣٤٩، و الغدير ج ٣ ص ٤٠٣ و الكنى و الألقاب ج ١ ص ١٣٧، و الفتونى فى كشكوله، و غير ذلك.

الحياة السياسية للإمام (الرضا)ع، مرتضى العاملى، ص: ٤٧٥ محلثون فأصفى و ردهم و شل عند الورود و أوفى شربهم لمم  
فالأرض إلا على ملاكها سعة و المال إلا على أربابه ديم  
فما السعيد بها إلا الذى ظلموا ما الشقى بها إلا الذى ظلموا  
للمتقين من الدنيا عواقبها و إن تعجل فيها الظالم الأثم

لا يطغين بنى العباس ملكهم بنو على مواليهم، و إن رغبوا  
أ تفخرون عليهم لا أبا لكم حتى كأن رسول الله جدكم  
و ما توازن يوما بينكم شرف و لا تساوت لكم فى موطن قدم  
و لا لكم مثلهم فى المجد متصل و لا لجدكم مسعاة جدهم  
و لا لعرقكم من عرقهم شبه و لا نثيلتكم من أمهم أمم  
قام النبى بها «يوم الغدير» لهم و الله يشهد، و الأملاك، و الامم  
حتى إذا أصبحت فى غير صاحبها باتت تنازعها الذؤبان و الرخم  
و صيروا أمرهم شورى كأنهم لا يعلمون و لاء الحق أيهم  
تالله ما جهل الاقوام موضعها لكنهم ستروا وجه الذى علموا  
ثم ادعاها بنو العباس ملكهم و ما لهم قدم فيها، و لا قدم  
لا يذكرون إذا ما معشر ذكروا و لا يحكم فى أمر لهم حكم  
و لا رآهم أبو بكر و صاحبه أهلا لما طلبوا منها و ما زعموا  
فهل هم يدعونها غير واجبة أم هل أئمتهم فى أخذها ظلموا  
الحياة السياسية للإمام (الرضا) (ع)، مرتضى العاملى، ص: ٤٧٦ أما على فقد أدنى قرابتكم عند الولاية إن لم تكفر النعم  
أ ينكر الحبر عبد الله نعمته أبوكم، أم عبيد الله، أم قثم  
بئس الجزاء جزيتم فى بنى حسن أباهم العلم الهادى، و أمهم  
لا يبيعه ردعتكم عن دمائهم و لا يمين، و لا قبرى و لا ذمم  
هلا صفحتكم عن الاسرى بلا سبب للصافحين بيدى عن أسيركم  
هلا كففتكم عن الديباج سوطكم و عن بنات رسول الله شتمكم  
ما نزهت لرسول الله مهجته عن السياط فهلا نزه الحرم  
ما نال منهم بنو حرب و ان عظمت تلك الجرائر إلا دون نيلكم  
كم غدره لكم فى الدين واضحه و كم دم لرسول الله عندكم  
أ أنتم آله فيما ترون و فى أظفاركم من بنيه الطاهرين دم  
هيهات لا قربت قبرى، و لا رحم يوما إذا أقصت الأخلاق و الشيم  
كانت مودة سلمان لهم رحما و لم تكن بين نوح و ابنه رحم  
يا جاهدا فى مساويهم يكتمها غدر الرشيد يحيى كيف ينكتم  
ذاق الزبيرى عبء الحنث و انكشفت عن ابن فاطمة الأقوال و التهم  
ليس الرشيد كموسى فى القياس و لا مأمونكم كالرضا إن أنصف الحكم «١»  
باءوا بقتل الرضا من بعد بيعته و أبصروا بعض يوم رشدهم و عموا  
يا عصبه شقيت من بعد ما سعدت و معشر هلكوا من بعد ما سلموا  
لبئسما لقيت منهم و ان بليت بجانب الطف تلك الأعظم الرمم

(١) كان هذا البيت مقدما على الذى قبله فى بعض مصادر هذه القصيدة. لكن الصواب تأخيره؛ ليتحد السياق، و ينسجم المعنى ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٤٧٧ لا عن أبى مسلم فى نصحه صفحواو لا الهيرى نجى الحلف و القسم و لا الأمان لأهل الموصل اعتمداوفيه الوفاء، و لا عن غيرهم حلموا  
أبلغ لديك بنى العباس مألكة لا تدعوا ملكها ملاكها العجم  
أى المفخر أمست فى منابر كم و غير كم أمر فيها، و محتكم  
أتى يفيدكم فى مفخر علم و فى الخلاف عليكم يخفق العلم  
يا باعة الخمر كفوا عن مفخر كم لمعشر بيعهم يوم الهياج دم  
خلوا الفخار لعلايين إن سئلوا يوم السؤال، و عمالين إن علموا  
لا يغضبون لغير الله إن غضبواو لا يضيعون حكم الله إن حكموا  
تنشى التلاوة فى أبياتهم سحراو فى بيوتكم الأوتار و النغم  
إذا تلو آية غنى إمامكم: قف بالديار التى لم يعفها قدم  
منكم عليه أم منهم، و كان لكم شيخ المغنين ابراهيم، أم لهم  
ما فى بيوتهم للخمر معتصرو لا بيوتهم للشر معتصم  
و لا تبيت لهم خنى تنادمهم و لا يرى لهم قرد له حشم  
الركن، و البيت، و الاستار منزلهم و زمزم و الصفا، و الحجر، و الحرم  
و ليس من قسم فى الذكر نعرفه إلا و هم دون شك ذلك القسم و بذلك ينتهى هذا الكتاب، و الحمد لله أولا و آخرا، و صلى الله  
على خير خلقه أجمعين، محمد و آله الطيبين الطاهرين ...  
جعفر مرتضى الحسينى العاملى  
الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٤٧٩

## فهارس الكتاب:

### إشارة

- ١- مصادر الكتاب ...
  - ٢- محتويات الكتاب اجمالا ...
  - ٣- محتويات الكتاب بالتفصيل ...
- الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٤٨١

### مصادر الكتاب

الكتب التى راجعناها لهذا الكتاب كثيرة، نذكر منها ما يلى:

- ١- آثار الجاحظ للجاحظ ٢- الابانة لأبى الحسن الأشعري ٣- الإنحاف بحب الاشراف للشبراوى الشافعى ٤- إثبات  
الوصية للمسعودى ٥- الاحتجاج للطبرسى ٦- أحسن التقاسيم للمقدسى ٧- إحقاق الحق (الملحق) للمرعى النجفى ٨- أخبار السيد  
الحميرى للمرزبانى ٩- أخبار شعراء الشيعة للمرزبانى ١٠- الأخبار الطوال للدينورى ١١- الاختصاص للشيخ المفيد ١٢- الأدب فى  
ظل التشيع للشيخ عبد الله نعمه

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٤٨٢

١٣- الأرجوزة المختارة للقاضى النعمان ١٤- الارشاد للشيخ المفيد ١٥- أساس الاقتباس للقاضى اختيار الدين ١٦- الاسلام و النصرانية للشيخ محمد عبده ١٧- الأعلام للزركلى ١٨- اعلام الناس للإتليدى ١٩- إعلام الورى للطبرىسى ٢٠- أعيان الشيعة للسيد الأمين ٢١- الأغاني للأصفهاني ٢٢- الأمالى للسيد المرتضى ٢٣- الأمالى للقالى ٢٤- الأمالى للصدوق ٢٥- الأمالى للشيخ الطوسى ٢٦- الأمالى للشيخ المفيد ٢٧- امبراطورية العرب لجون باجوت جلوب ٢٨- أمراء الشعر العربى فى العصر العباسى لأنيس المقدسى ٢٩- الإمامة للشيخ محمد حسن آل ياسين ٣٠- الإمامة فى الإسلام لعارف تامر ٣١- الإمامة و السياسة لابن قتيبة ٣٢- الإمام الحسين للعلائى ٣٣- الإمام الصادق و المذاهب الاربعة للشيخ أسد حيدر ٣٤- الإمام على الرضا ولى عهد المأمون ٣٥- الامين و المأمون لجرجى زيدان ٣٦- الأنساب للسمعاني ٣٧- أنساب الاشراف للبلاذرى

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٤٨٣

ب- ٣٨- كتاب بغداد لطيفور ٣٩- بحار الانوار للمجلسى ٤٠- البداية و النهاية لابن كثير ٤١- البرهان فى تفسير القرآن للبحرانى ٤٢- البصائر و الذخائر لأبى حيان ٤٣- البلدان للهمداني ٤٤- البيان المغرب لابن عذارى ٤٥- البيان و التبيين للجاحظ- پ- ٤٦- پند تاريخ لخسروى (فارسى)- ت- ٤٧- التاج للجاحظ ٤٨- تاج العروس للزيدي ٤٩- تاريخ ابن الوردى لابن الوردى ٥٠- التاريخ الاسلامى و الحضارة الإسلامية لأحمد شلبى ٥١- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٥٢- تاريخ التمدن الاسلامى لجرجى زيدان ٥٣- تاريخ جرجان للسهمى ٥٤- تاريخ الجنس العربى لمحمد عزة دروزه ٥٥- تاريخ الحكماء للقفطى ٥٦- تاريخ الخلفاء للسيوطى ٥٧- تاريخ الخميس للديار بكرى

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٤٨٤

٥٨- تاريخ الرسل و الملوك للطبرى ٥٩- تاريخ الشيعة للمظفر ٦٠- تاريخ كربلاء لعبد الجواد الكلیدار ٦١- تاريخ الموصل لابن زكريا ٦٢- تاريخ يعقوبى لابن واضح ٦٣- تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ٦٤- تتمه المنتهى للشيخ عباس القمى (فارسى) ٦٥- تجارب الامم لابن مسكويه ٦٦- التدوين للرافعى (مخطوط) ٦٧- تذكرة الخواص لابن الجوزى ٦٨- التريبة الدينية للفضلى ٦٩- التنبيه و الاشراف للمسعودى ٧٠- تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى- ث- ٧١- ثمرات الأعواد للهاشمى النجفى- ج- ٧٢- جامع الأنساب لروضاتى (فارسى) ٧٣- جامع الرواة للاردبيلى ٧٤- جعفر بن محمد لعبد العزيز سيد الأهل ٧٥- الجوارى (سلسلة أقرأ رقم ٦٠) جبور عبد النور- ح- ٧٦- الحسينيون فى التاريخ للساعدى

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٤٨٥

٧٧- الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى لآدم متر ٧٨- حلية الأولياء لأبى نعيم ٧٩- حياة الامام موسى بن جعفر للقرشى ٨٠- حياة الحيوان للدميرى- خ- ٨١- الخرائج و الجرائح للراوندى ٨٢- الخراج لأبى يوسف ٨٣- خلاصة تذهيب تهذيب الكمال للخزرجى الأنصارى ٨٤- خمسون و مائة صحابى مختلق للعسكرى- د- ٨٥- دائرة المعارف لوجدى ٨٦- الدرّة النجفية للشيخ يوسف البحرانى ٨٧- ديوان ابن المعتز لابن المعتز شرح و تقديم ميشيل نعمان ٨٨- ديوان السيد الحميرى للسيد ٨٩- ديوان الطغرائى للطغرائى- ر- ٩٠- ربيع الابرار للزمخشري ٩١- رجال الكشى ٩٢- رجال المامقانى ٩٣- رسائل الخوارزمى ٩٤- رساله فى بنى أمية للجاحظ

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى، ص: ٤٨٦

٩٥- رسائل الجاحظ تحقيق عبد السلام هارون ٩٦- روح الاسلام للسيد أمير على ٩٧- روض الأختيار المنتخب من ربيع الابرار لابن قاسم ٩٨- روضة الواعظين للفتال النيسابورى- ز- ٩٩- زندگانى حضرة إمام على بن موسى الرضا لعطائى خراسانى (فارسى) ١٠٠- زهر الآداب للقيروانى ١٠١- زينة المجالس لحسينى- س- ١٠٢- سبائك الذهب للسويدى ١٠٣- السرائر (المستطرفات) لابن إدريس

١٠٤- سفينة البحار للشيخ عباس القمي ١٠٥- السنة قبل التدوين لمحمد عجاج الخطيب ١٠٦- السيادة العربية و الشيعة و الاسرائيليات لفان فلوتن- ش- ١٠٧- شذرات الذهب لابن العماد ١٠٨- شرح قصيدة ابن عبدون لابن بدرون ١٠٩- شرح ميمية أبي فراس لحاج حسيني ١١٠- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١١١- الشعر و الشعراء لابن قتيبة ١١٢- شيخ الامة: الإمام أحمد بن حنبل لعبد العزيز سيد الأهل

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ٤٨٧

- ص- ١١٣- صبح الأعشى للقلقشندی ١١٤- صفة الصفوة لابن الجوزی ١١٥- الصلة بين التصوف و التشيع للشيبي ١١٦- الصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي- ض- ١١٧- ضحى الإسلام لأحمد أمين ١١٨- ضيافة الاخوان لرضى الدين القزويني- ط- ١١٩- طبقات الحنابلة لأبي يعلى الحنبلي ١٢٠- طبقات الشعراء لابن المعتز ١٢١- الطبقات الكبير لابن سعد ١٢٢- طبيعة الدعوة العباسية لفاروق عمر ١٢٣- الطرائف لابن طائوس (الفارسية)- ع- ١٢٤- العبر في أخبار من غبر للذهبي ١٢٥- العبر و ديوان المبتدأ و الخبر و هو تاريخ ابن خلدون ١٢٦- العتب الجميل على أهل الجرح و التعديل لمحمد بن عقيل ١٢٧- العثمانية للجاحظ ١٢٨- عصر المأمون للرفاعي ١٢٩- العقد الفريد لابن عبد ربه

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ٤٨٨

١٣٠- العقد الفريد للملك السعيد لمحمد بن طلحة الوزير ١٣١- علل الشرائع للصدوق ١٣٢- العمدة لابن رشيقي ١٣٣- عمدة الطالب لابن مهنا ١٣٤- عيون الأخبار لابن قتيبة ١٣٥- عيون أخبار الرضا للصدوق ١٣٦- عيون المعجزات للشيخ حسن بن عبد الوهاب ١٣٧- العيون و الحدائق لمؤلف مجهول- غ- ١٣٨- غاية الاختصار لتاج الدين بن محمد بن زهرة ١٣٩- غاية المرام في محاسن بغداد دار السلام للشيخ ياسين العمري الخطيب الموصلی ١٤٠- الغدير للاميني ١٤١- الغيبة للطوسي- ف- ١٤٢- الفتوحات الاسلامية لدحلان ١٤٣- الفتوح لابن أعمش ١٤٤- فتوح البلدان للبلاذري ١٤٥- الفخرى في الآداب السلطانية لابن الطقطقي ١٤٦- فرج المهموم في تاريخ علماء النجوم لابن طائوس ١٤٧- فرق الشيعة للنويختي

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ٤٨٩

١٤٨- الفصول المختارة من العيون و المحاسن للسيد المرتضى ١٤٩- الفصول المهمة لابن الصباغ ١٥٠- الفهرست لابن النديم ١٥١- فوات الوفيات لمحمد بن شاكر- ق- ١٥٢- القرآن الكريم ١٥٣- قاموس الرجال للتستري ١٥٤- قيام سادات علوي لعلي اكبر تشيد (فارسي)- ك- ١٥٥- الكافي للكليني ١٥٦- كامل الزيارات لابن قولويه ١٥٧- الكامل في التاريخ لابن الأثير ١٥٨- الكامل في اللغة و الأدب للمبرد ١٥٩- كشف الغمة للإبرلي ١٦٠- كفاية الطالب للكنجي ١٦١- الكنى و الألقاب للشيخ عباس القمي ١٦٢- كنز الفوائد للكرجكي- ل- ١٦٣- لطائف أخبار الاول للإسحاقى ١٦٤- لطف التدبير لأبي عبد الله الاسكافي

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ٤٩٠

- م- ١٦٥- مآثر الانافة في معالم الخلافة للقلقشندی ١٦٦- مثير الأحزان للشيخ شريف الجواهرى ١٦٧- مجمع الفوائد و مجمل العوائد السيد مصطفى مرتضى (مخطوط) ١٦٨- المحاسن للبرقي ١٦٩- المحاسن و المساوى للبيهقي ١٧٠- محاضرات تاريخ الامم الاسلامية للخضري ١٧١- مختصر التاريخ للكارزوني ١٧٢- مختصر تاريخ الدول لابن العبري ١٧٣- مختصر تاريخ العرب للسيد أمير على ١٧٤- المختصر في أخبار البشر، المعروف بتاريخ: أبي الفداء ١٧٥- مدينة الحسين للسيد محمد حسن الكلدار ١٧٦- مدينة العلم مجلة (السنة الاولى) ١٧٧- مرآة الجنان لليافعي ١٧٨- مروج الذهب للمسعودي ١٧٩- المستطرف للأبشيهي ١٨٠- مسند الإمام الرضا للطاردي ١٨١- مشاكلة الناس لزمانهم لليعقوبي ١٨٢- مصباح المتجهد للكفعمي ١٨٣- مطالب السئول لمحمد بن طلحة ١٨٤- معادن الحكمة للكاشاني

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ٤٩١



١٨٥- المعارف لابن قتيبة ١٨٦- معاني الاخبار للصدوق ١٨٧- معاهد التنصيص لعبد الرحيم العباسي ١٨٨- مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمي ١٨٩- مقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصفهاني ١٩٠- مقالات الاسلاميين لأبي الحسن الأشعري ١٩١- مقتبس الأثر و مجدد ما دثر للأعلمي ١٩٢- مقدمة ابن خلدون ١٩٣- مكاتيب الرسول للأحمدي ١٩٤- الملل و النحل للشهرستاني ١٩٥- مناقب آل أبي طالب لابن شهر اشوب ١٩٦- من تاريخ الأدب العربي لطف حسين ١٩٧- من تاريخ الزندقة و الالحاد لعلي الوردي ١٩٨- منجد الاعلام لفردينان توتل ١٩٩- المهديّة في الاسلام لسعد محمد حسن ٢٠٠- الموفقيات للزبير بن بكار ٢٠١- ميزان الاعتدال للذهبي- ن- ٢٠٢- النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ٢٠٣- النزاع و التخاصم للمقريزي ٢٠٤- نزهة المجالس للصفوري الشافعي ٢٠٥- النصائح الكافية لمن يتولى معاوية لمحمد بن عقيل ٢٠٦- النص و الاجتهاد للسيد شرف الدين ٢٠٧- نظرية الامامة لدى الشيعة لاحمد محمود صبحي

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ٤٩٢

٢٠٨- نهاية الارب للنويري ٢٠٩- نهج البلاغة جمعه: الشريف الرضي ٢١٠- نور الابصار للشبلنجي ٢١١- نور القبس المختصر من المقتبس (للمرzbاني) للحافظ اليعموري- ه- ٢١٢- الهادي (مجلة) ٢١٣- الهاشميات للكفيت- و- ٢١٤- الوافي للفيض ٢١٥- الورقة لابن الجراح ٢١٦- الوزراء و الكتاب للجهمشياري ٢١٧- وسائل الشيعة للحر العاملي ٢١٨- وفيات الأعيان لابن خلكان ٢١٩- وقعة صفين لنصر بن مزاحم ٢٢٠- الولاة و القضاة للكندي ٢٢١- ولاية عهدي امام رضا لعلي موحدی (فارسی)- ی- ٢٢٢- يادبود هشتمين امام (فارسی) لعلي غفوري ٢٢٣- يبايع المودة للقدوزي الحنفي

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی، ص: ٤٩٣

و هناك مصادر عديدة أخرى أهملنا ذكرها إثاراً للاختصار؛ و لان اكثرها مشار إليه في هوامش الكتاب ... هذا ... و نود هنا أن نشير إلى أننا قد اعتمدنا في بعض المصادر، كالطبري، و حياة الحيوان، و العقد الفريد، و الكامل في التاريخ، و نور الأبصار، و غير ذلك ... على طبعات مختلفة، حسب ما تيسر لنا في الاوقات المختلفة ... و الحمد لله و صلواته على عباده الذين اصطفى ...

### تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/٤١).

قال الإمام علي بن موسى الرضا - عليه السلام: رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بِنَادِرُ الْبِحَار - في تلخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الاسلام، ص ١٥٩؛ عُيُونُ أَخْبَارِ الرُّضَا(ع)، الشَّيْخُ الصَّدُوقُ، الباب ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧).

مؤسس مجتمع "القائمية" الثقافي بأصفهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادي" - "رَحِمَهُ اللَّهُ - كان أحداً من جهاذة هذه المدينة، الذي قد اشتهر بشغفه بأهل بيت النبي (صلوات الله عليهم) و لاسيما بحضرة الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) و بساحة صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)؛ و لهذا أسس مع نظره و درايته، في سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠ الهجرية القمرية)، مؤسسة و طريقة لم ينطقي مصباحها، بل تتبّع بأقوى و أحسن موقف كل يوم.

مركز "القائمية" للتحري الحاسوبى - بأصفهان، إيران - قد ابتداءً أنشيطه من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) تحت عناية سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامي - دام عزه - و مع مساعده جمع من خريجي الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، في مجالات شتى: دينية، ثقافية و علمية...

الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافته الثقلين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشباب و

عموم الناس إلى التَحَرِّي الأَدَقَّ للمسائل الدِّيَنِيَّة، تخليف المطالب النَّافِعَةُ - مكانَ البَلاتِيَّةِ المبتدلة أو الرَّدِيئَةُ - في المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضِيَّةٍ واسعةٍ جامعَةٍ ثقافيَّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت -عليهم السَّلَام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطَّلَّاب، توسعة ثقافَةُ القِراءة و إغناء أوقات فراغُهُ هُوَاةُ برامج العلوم الإسلاميَّة، إنالهُ المنايع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة في الجامعَةُ، و...  
- منها العَدَالَةُ الاجتماعيَّة: التي يُمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أَنَّهُ يُمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات - في آكناف البلد - و نشرِ الثَّقافةِ الإسلاميَّة و الإيرانيَّة - في أنحاء العالم - من جهةٍ أُخرى.  
- من الأنشطة الواسعة للمركز:

(الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشره شهريَّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

(ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقيَّة و مكتبيَّة، قابله للتشغيل في الحاسوب و المحمول

(ج) إنتاج المعارض ثَلَاثِيَّة الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرِّسوم المتحرِّكة و... الأماكن الدينيَّة، السياحيَّة و...

(د) إبداع الموقع الانترنتي "القائمية" [www.Ghaemiyeh.com](http://www.Ghaemiyeh.com) و عدَّة مواقع أُخرى

(ه) إنتاج المُنتجات العرضيَّة، الخطابات و... للعرض في القنوات القمرية

(و) الإطلاق و الدَّعم العلميّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيَّة، الاخلاقيَّة و الاعتقاديَّة (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

(ز) ترسيم النظام التلقائي و اليدوي للبلوتوث، ويب كشك، و الرِّسائل القصيرة SMS

(ح) التعاون الفخرى مع عشرات مراكز طبيعيَّة و اعتباريَّة، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلميَّة، الجوامع، الأماكن الدينيَّة كمسجد جَمكران و...

(ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع "ما قبل المدرسة" الخاص بالأطفال و الأحداث المُشاركين في الجلسة

(ي) إقامة دورات تعليميَّة عموميَّة و دورات تربية المربى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرِّئيسي: إيران/أصفهان/ شارع "مسجد سيد" / "ما بين شارع" پنج رَمضان " و مُفترق "وفائي" / "بنايه" القائمية "

تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجريَّة الشمسيَّة (=١٤٢٧ الهجريَّة القمرية)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهوية الوطنيَّة: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: [www.ghaemiyeh.com](http://www.ghaemiyeh.com)

البريد الالكتروني: [Info@ghaemiyeh.com](mailto:Info@ghaemiyeh.com)

المتجر الانترنتي: [www.eslamshop.com](http://www.eslamshop.com)

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٣٥٧٠٢٢ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التجارية و المبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظة هامة:

الميزانية الحاليَّة لهذا المركز، شعبيَّة، تبرعيَّة، غير حكوميَّة، و غير ربحيَّة، اقتنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنّها لا تُوفى الحجم المتزايد و المتسع للامور الدينيَّة و العلميَّة الحاليَّة و مشاريع التوسعة الثقافيَّة؛ لهذا فقد ترجى هذا المركز صاحب هذا البيت (المسمى

بالقائمية) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحة بقيه الله الأعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أن يوفق الكل توفيقاً متزائداً لإعانتهم - في حدّ التمكن لكلّ احدٍ منهم - إيانا في هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ و الله وليّ التوفيق.

مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية  
الغمامة اصححان

WWW



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى  
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

[www.Ghaemiyeh.com](http://www.Ghaemiyeh.com)

[www.Ghaemiyeh.net](http://www.Ghaemiyeh.net)

[www.Ghaemiyeh.org](http://www.Ghaemiyeh.org)

[www.Ghaemiyeh.ir](http://www.Ghaemiyeh.ir)

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

